جامعة سعد دحلب بالبليدة

كلية الآداب والعلوم الاجتماعية

قسم اللغة العربية وآدابها

رسالة دكتوراه

التخصص: أدب عربي

بنية الخطاب الصوفي عند شعراء تَوَات

. تحقيق ودراسة .

من طرف

عاشور سرقمة

نُوقشت بتاريخ: 25/ 04/ 2011

أمام اللجنة المشكلة من:

بوجمعة الوالي	أستاذ محاضر بجامعة البليدة	رئيساً
عبدلي محمد السعيد	أستاذ محاضر بجامعة البليدة	مشرفاً ومقرراً
لعبيدي بوعبد الله	أستاذ محاضر بجامعة البليدة	عضواً مناقشاً
بغورة مولود	أستاذ محاضر بجامعة الجزائر	عضواً مناقشاً
ملاحي علي	أستاذ محاضر بجامعة الجزائر	عضواً مناقشاً
علاوي حميد	أستاذ محاضر بجامعة المدية	عضواً مناقشاً

البليدة، أفريل2009

ملخص البحث باللغة العربية:

شهدت منطقة توات في الجنوب الغربي من الجزائر حركةً علميةً وثقافيةً وأدبيةً كبيرةً؛ خاصة في القرن 11هـ، وتَجَسَّدت تلك الحركة أكثر حين وَفَدَتْ إلى المنطقة مجموعة من الطرق الصوفية؛ وأقامت بعضاً من مؤسساتها من مساجد وزوايا . ، وظهر على إثر ذلك مجموعة من الشعراء عبَّروا عن كثيرٍ من القضايا الدّينية؛ نذكر منهم سيدي محمد بن المبروك البودوي، وسيدي محمد إيداوعلي، ومحمد عبد القادر الفلاني، والشيخ السيد البكري بن عبد الرحمن، وغيرهم

ويسعى هذا البحث للتعريف بالنشاط الصوفي في المنطقة؛ وأيضاً الكشف عن البنية السطحية والعميقة للشعر الصوفي في توات؛ من خلال مُدوَّنة تَمَّ تحقيقها ودراستها .

English summary

The Touat region in the Southwest of Algeria witnessed a great scientific, cultural and literary movement, especially in the 11th century of the Hegira. This movement gained momentum when a number of *sufi* movements came to the region and established number of their institutions like mosques and zaouias… As a result, numerous poets appeared and expressed themselves on various religious issues. Among them, there were Cheikh Sidi Mohammed Belmabrouk Elboudaoui, Sidi Mohammed Idaou-Ali, Mohammed Ben Abdelkader Elfoulani, and Cheikh Seyyed Elbekri Ben Abderrahmane, etc. This research seeks to make the *sufi* activity in the region known. It also tries to shed light on the superficial and profound structure of *sufi* poetry in Touat through a studied manuscript…

Résumé en français

La région de Touat au Sud Ouest de l'Algérie a connu un grand mouvement scientifique, culturel et littéraire, notamment au 11eme siècle de l'hégire. Ce mouvement s'est concrétisé davantage lorsque des rites soufites s'étaient installés dans la région, et y ont établi quelques institutions telles que les mosquées et les zaouias. Après cela, des poètes sont apparus et se sont exprimés sur beaucoup de sujets religieux. Parmi eux on peut citer Sidi Mohammed Ben Elmabrouk Elboudaoui, Sidi Mohammed Idaou-Ali, Mohammed Abdelkader Elfoulani et Cheikh Esseyed Elbekri Benabderrahmane, etc. Cette recherche tente de faire connaître l'activité soufite dans la région et de mettre la lumière sur la structure profonde et de surface de la poésie soufite à Touat. Ceci se fera par le biais d'un document manuscrit étudié…

إهـداء

إلى الأرواح الطاهرة: والدي وأختي حورية وزوجة عمي وجدتي أسكنهم الله فسيح جناته.
إلى والدتي الكريمة الفاضلة مَدَّ الله في عمرها.
إلى إخوتي وجميع أفراد عائلة سرقمة وبركة وعزوز.
إلى زوجتي الفاضلة.
إلى كل سكان وعلماء توات الأحياء منهم والأموات.

إلى كل هؤلاء أهدي هذه المملكة من الكلمات

عاشور

شكـر

الحمد لله والشكر لله لا نحصي ثناءً عليه كما أثنى هو على نفسه، فنشكر الله على توفيقه وسداده لنا لاختيار هذا البحث وإتمام إنجازه.

نشكر في البداية أستاذنا الفاضل الدكتور عبدلي محمد السعيد على تتبعه لهذا البحث منذ بدايته حتى استوى على سوقه؛ أو كاد يستوي، فله منا الشكر الجزيل الجزيل.

ونشكر كذلك أصحاب المكتبات والخزائن الذين أطعمونا وآوونا وسقونا وفتحوا لنا أبواب بيوتهم وخزائنهم، وأبدأ بشكر السيد جعفري باسيدي المشرف على خزانة زاوية سيدة حيدة ببودة، وكذا أترحم على روح المؤرخ السيد ابن الوليد الوليد، الذي افتقَدَتْهُ الساحة العلمية والثقافية بتوات، والشكر موصول إلى الإمام الطيب شاري المشرف على خزانة كوسام؛ وكل هؤلاء بمنطقة توات، أما خارج الوطن فأشكر كل عمال مركز المخطوطات العربية وعمال دار الكتب المصرية؛ وعمال مكتبة مشيخة الأزهر بالقاهرة، وعمال المؤسسة الوطنية للكتاب بتونس، وعمال المكتبة الملكية بالرباط المغرب.

وأتوجه بالشكر الجزيل إلى إدارة المعهد الوطني المتخصص في التكوين المهني محمد الشريف مساعدية بغرداية، وعلى رأسهم الأستاذ: شناتلية، وأشكر كذلك كل الأساتذة وفي مقدمتهم الأستاذ: مولاي، دون أن أنسى المتربصين؛ وأخص بالذكر منهم: نذير، على جميل ما قدَّموه لي من أجل إخراج هذا البحث في أبهى حُلله.
إلى كل هؤلاء وغيرهم . ممن يَضِيق المقام بذكرهم . أوجه شكري وامتناني وتقديري واحترامي، ودعواتي لهم بالتوفيق والسَّداد، والدَّوام في خدمة العلم وأهله.

ملخص البحث

شهدت منطقة توات في الجنوب الغربي من الجزائر حركةً علميةً وثقافيةً وأدبيةً كبيرةً؛ خاصة في القرن 11هـ، وتَجَسَّدت تلك الحركة أكثر حين وَفَدَتْ إلى المنطقة مجموعة من الطرق الصوفية؛ وأقامت بعضاً من مؤسساتها من مساجد وزوايا...، وظهر على إثر ذلك مجموعة من الشعراء عبَّروا عن كثيرٍ من القضايا الدّينية؛ نذكر منهم: سيدي محمد بن المبروك البودوي، وسيدي محمد إيداوعلي، ومحمد عبد القادر الفلاني، والشيخ السيد البكري بن عبد الرحمن، وغيرهم. ويسعى هذا البحث للتعريف بالنشاط الصوفي في المنطقة؛ وأيضاً الكشف عن البنية السطحية والعميقة للشعر الصوفي في توات؛ من خلال مُدوَّنة تَمَّ تحقيقها ودراستها...

وقد اخترنا في بحثنا هذا جانباً صغيراً من التراث الأدبي في منطقة توات، ألا وهو الشعر الصوفي الذي كُتب باللغة العربية الفصحى، وتركنا بجانبنا تراثاً أدبياً آخر خامّاً بِكراً؛ ينتظر أن تَمْتَدَّ إليه أيدي الباحثين، ويتمثل في عدد من الرسائل والرحلات والمقامات والمناظرات الشعرية وغيرها.

وقد وَسَمْنَا بحثنا بـ **" بِنْيةِ الخِطَابِ الصُّوفِيِّ عندَ شُعَرَاءِ تَوَات، تَحقيقٌ ودِرَاسَةٌ "**، ومُؤكَّدٌ أننا لا نستطيع جمع شعر جميع الشعراء التواتيين، لذلك اقتصرنا فقط على ستة(06) منهم، وركزنا كثيراً على الشاعرين سيدي محمد بن المبروك البودوي، وسيدي محمد إيداوعلي لتوفر شعرهما وتميُّزِهِ فنياً، وقد أضفنا أربعة شعراء آخرين حتى تكون النتائج المتوصل إليها أكثر دقة، وقد راودتنا في البداية فكرة الاكتفاء بتحقيق ديواني الشاعرين الأولين المذكورين سلفاً، ولكننا قررنا أن نضيف إلى البحث دراسة للشعر الصوفي في المنطقة، ولم نكن نعلم أننا أقدمنا على عملٍ خطيرٍ جداً؛ فما أصعب أن يجد الباحث نفسه تارة باحثاً في التاريخ الثقافي للمنطقة، وتارة مُتجولاً بين خزائن المخطوطات التواتية، وتارةً مُحقِّقاً، وتارة أخرى دارساً ومحللاً؛ باستخدام بعض المناهج النقدية الحداثية، التي استعنا ببعض إجراءاتها في بحثنا؛ كالمنهج الأسلوبي والسيميائي والبنيوي، واستعنا في أحايين أخرى بالمنهج الوصفي والتاريخي والإحصائي.

وقد انطلقنا في بحثنا هذا بطرح تساؤل؛ من باب الشَّكِّ العلمي والمعرفي، مفاده: ما هي المحدِّدات الفنية لبنية الخطاب الصوفي الشعري عند شعراء توات؟

قائمة الجداول

الرقم		الصفحة
01	القصائد المديحية عند شعراء المدونة	82
02	توزيع نصوص المدونة على البحور المستعملة	86
03	ترتيب تداول البحور الشعرية داخل المدونة	88
04	القوافي التي وردت في المدونة	93
05	حروف الروي المستخدمة في المدونة	95
06	حروف الروي مرتبة حسب درجة التواتر في المدونة	97
07	ترتيب الشعراء حسب حظهم من النصوص المرصعة	100
08	الكلمات التي تدل على القوة في قصيدة " ابن بادي الكنتي"	112
09	المسار العمودي التسلسلي الذي انبنت عليه قصيدة " ارتجي من دنا فتدلى	114
10	رصدٌ للصفات التي ذكرت للرسول ﷺ ولمية	132

قائمة الأشكال

الرقم		الصفحة
01	النظام الهيكلي للطرق الصوفية	43
02	ترتيب المقامات والأحوال	49
03	تشعب الطريقة القادرية في موريتانيا وتوات	55
04	سلسلة الطريقة القادرية البكائية	56
05	سلسلة الطريقة القادرية الفاضلية	57
06	شكل قصيدة " أكلما فكر أو أبصرا"	72
07	شكل قصيدة " مغنى الصبابة"	74
08	البناء الموضوعي لقصيدة " بانت سعاد وبان الشيب في جسدي"	79
09	البناء الموضوعي لقصيدة " سل ربع مية"	80
10	البناء الموضوعي لقصيدة " نأيت وضج نضوي"	81
11	البناء الموضوعي لقصيدتي: الدعاء والوعظ و المديح النبوي	83
12	نسبة تداول البحور في المدونة	89
13	ترتيب حروف الروي حسب ورودها في نصوص المدونة	98
14	تفاوت شعراء المدونة في ترصيعهم لأشعارهم	101
15	ارتقاء الشاعر إلى مقام شيخه	110
16	ارتقاء الشاعر من خلال قصيدته	110
17	ثنائية التشبيب بالرسول وبمية ﷺ	133
18	المحطات التي يقف عندها الشاعر الصوفي في تجربته الشعرية	140
19	النور المحمدي أصل كل الأشياء عند المتصوفة	146
20	مكانة الشيخ عند ابن بادي الكنتي	148
21	ارتقاء الخطاب الشعري عند ابن بادي الكنتي نحو شيخه	151
22	بناء القصيدة المديحية	156

الفهرس

ملخص

شكر

إهداء

قائمة الجداول والأشكال

الفهرس

مقدمة 09

تمهيد 17

1- تعريف بمنطقة توات 17

2- تعريف بشعراء المدونة 19

2 .1 : سيدي محمد بن المبروك البودوي :..... 19

2 .2: سيدي محمد إيداوعلي :..... 22

2 .3: السيد محمد عبد القادر الفلاني :..... 23

2 .4 : الشيخ السيد البكري بن عبد الرحمن:..... 24

2 .5 : السيد الزروق (أحمد زروق) :..... 26

2 .6 : الشيخ محمد ابن بادي ابن باي الكبير :..... 26

3- الخطاب الأدبي والخطاب الصوفي 28

1. الباب الأول التصوف وطرقه في توات 36

1. 1. الفصل الأول:التصوف نشأته وتطوره وخصائصه..... 36

1. 1. 1- التعريف بالتصوف ونشأته. 37

1. 1. 2- تطوره 38

1. 1. 3- مميزاته 39

1. 1. 4- مؤسساته 41

1. 1. 5- بعض مبادئه (المقامات والأحوال):..... 43

1. 1. 6 - التصوف والفقهاء 50

2. الفصل الثاني: الحياة الروحية والأدبية بمنطقة توات..... 51

1.2: الطرق الصوفية بتوات..... 51

1.2 .1 الطريقة القادرية :.....52
1.2 . 2 الطريقة(الزاوية) البكرية ._ 58
1.2 . 3 الطريقة الطيبية: أو الوزانية 59
1.2 . 4 الطريقة التيجانية 63
1.2 . 5 الطريقة الشيخية 65
2. 2: أعلام الحركة الأدبية في منطقة توات الكبرى من ق 10هـ حتى ق 14هـ.....66
2. الباب الثاني البنية السطحية للنصوص : 69
1.2. الفصل الأول: مكان النص.....70
1.2. 1 بنية النص المعمارية. 76
2.2. الفصل الثاني: زمان النص.....84
2.2. 1: الموسيقى الخارجية.....85
2.2. 2: الموسيقى الداخلية.....101
3.الباب الثالث البنية العميقة للنصوص.....117
3. 1. مستوى المعجم وتداخل سجلاته.....117
3. 1. 1 .السجل القرآني. 120
3. 1. 2. السجل الغزلي. 125
3. 1. 3. السجل الخمري. 136
4.الباب الرابع في أغراض النص الصوفي شعراء توات.....139
1.4.الفصل الأول: الأغراض النظرية.....140
1.4. 1. الله في النص الصوفي 140
4. 1. 2. محمد (النور المحمدي) في النص الصوفي 143
4. 1. 3. الشيخ في النص الصوفي. 147
4. 2. الفصل الثاني: الأغراض العملية.....151
4 . 2. 1. مديح الرسول (صلى الله عليه وسلم).....151
4. 2. 2. المناجاة والوعظ.....160

الخاتمة 169
الملاحق 172
1- الملحق الشعري 1(تحقيق نصوص الدراسة) :.....172
2 - الملحق الشعري 2 (نصوص شعرية مختلفة لشعراء توات).....216

3 ـ صور لبعض مخطوطات القصائد:.....223
قائمة المصادر والمراجع 233

مقـــدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم صَلِّ على سيدنا محمد السابق للعالمين نوره وظهوره اللهم صل على سيدنا محمد نور العيون وضياؤها وطب الأبدان وشفاؤها، اللهم صل على سيدنا محمد وألبسنا قميص نوره وإرشاده، ونطقنا بمناطق حبه ووداده، واجعل نوره دليلنا إلى صراطك المستقيم.

نعود في هذا البحث لنواصل ما بدأناه في أبحاثنا السابقة، ونقصد البحث الذي قمنا به في مرحلة الليسانس والذي ناقشنا فيه موضوع التفسير الإشاري (الصوفي) للقرآن الكريم من خلال كتاب " المواقف في الوعظ والإرشاد" للأمير عبد القادر الجزائري، ويمكن اعتباره بدايتنا الأولى في دخول عالم البحث في قضايا التصوف، وقد أفدنا كثيراً من هذا البحث الذي أشرف عليه أستاذنا القدير الدكتور عبد الحفيظ بورديم؛ أما بحثنا الثاني، فهو البحث الذي قمنا به في مرحلة الماجستير والذي خصصناه للوقوف عند الشعر الشعبي الديني عند شعراء توات، وجمعنا فيه أشعار أكثر من ثلاثين شاعراً من منطقة توات تنوعت أشعارهم بين الفصيحة والشعبية (الملحونة)، وقد تضمنت أشعارهم مختلف الموضوعات الشعرية (المديح النبوي، التوسل، الزهد، التصوف ...)، فانصب اهتمامنا على دراسة الشعر الشعبي، وأرجأنا ـ آنذاك ـ الوقوف عند الشعر الفصيح إلى أبحاثنا المستقبلية، وها نحن بحمد الله وفضله في بحثنا الحالي هذا قد وفقنا ـ ونحسب أنفسنا كذلك ـ إلى إعطاء بعضٍ من الأهمية للشعر الفصيح في هذه المنطقة التي تحتوي على تراث أدبي ضخم، ما زال جله يحتاج إلى أيادي الباحثين المتخصصين، وربما يشعر قاريء هذا البحث أننا استغلينا هذه الفرصة للتعريف بالمنطقة من مختلف الجوانب الثقافية والعلمية، وذلك لقلة الدراسات حولها.

وربما وجد الباحث في التراث الأدبي لمنطقة توات نفسه محاطاً بعددٍ من الأسئلة من بينها:

ـ ماهو واقع التراث الأدبي بهذه المنطقة ؟

ـ لماذا لم يهتم الباحثون والدراسون به ؟

ما هي الخصائص الفنية والإبداعية في هذا التراث الأدبي؟

ولو أَسَلْنَا قلمنا لطرح هذه الأسئلة لخَطَّ لنا العشرات والعشرات، وكلما اعتقدنا أننا قد وصلنا إلى إجابة عنها تبدَّت لنا قضايا أخرى ، قد تكون ذات بُعدٍ ثقافيٍ أو اجتماعيٍ أو نفسيٍ أو حتى سياسيٍ.

تكتنز منطقة " توات "، والتي تقع في الجنوب الغربي من الجزائر، بتراث أدبي مُهمٍّ، يمكن ـ إذا تمَّ إخراجه ـ أن يضيف لَبِنَةً جديدةً للأدب الجزائري بصفة خاصة والأدب العربي بصفة عامة، لكن هذا التراث الأدبي يعاني حالاتٍ من التلف والضياع، والقليل القليل منه رأى النور حتى اليوم؛ إما جمعاً أو دراسة، من طرف بعض المؤلفين، أمثال الشيخ باي بلعالم، والشيخ مولاي التهامي غيتاوي والزميل الأستاذ أحمد جعفري، والأستاذ حاج أحمد صديق، وبعض جهودنا الشخصية المتواضعة وغيرها، وكل هاته الجهود لا تكاد تمُسُّ إلا جانباً قصياً من هذا التراث الأدبي بالمنطقة، أما ما تبقى منه فهو حبيس رفوف خزائن المخطوطات والمكتبات الخاصة، المترامية هنا وهناك على تراب هذه المنطقة المتباعدة الأطراف، تلك الخزائن التي يصل عددها إلى 52 خزانة ومكتبة خاصة، وقدَّرْتُ عدد كتب اللغة والأدب الموجودة بها بـ: 288 مخطوطاً، بعضها في وضعية حسنة، والبعض الآخر تآكل بفعل الأرضة والعوامل الطبيعية المختلفة، وعدم توفر آليات الحفظ والصيانة.

أما لماذا لم يهتم الباحثون والدارسون بهذا التراث الأدبي، فهذا يرجع في نظرنا إلى سببين أساسيين:

ـ السبب الأول: هو عدم تمكن الباحثين من الوصول إلى هذا التراث الأدبي، بسبب ضنِّ بعض أصحاب الخزائن بتلك المخطوطات، والعزوف عن تسليمها للباحثين.

ـ السبب الثاني: هو عدم سعي أبناء المنطقة ـ خاصة مِنْ قَبْلُ ـ إلى جمع هذا التراث وتحقيقه ثم دراسته، وكذا عدم وجود الدعم من طرف السلطات والهيئات الرسمية للعناية بهذا التراث، لذلك فنحن نحتاج إلى دفعٍ قويٍّ وتشجيعٍ ودعم؛ لإعطاء هذا التراث المكانة التي يستحقها، باعتباره جزءاً من ذاكرتنا وتاريخنا، فمن لا ماضي له لا حاضر له، ومن لا حاضر له لا مستقبل له، ومن لا مستقبل له كان شيئاً تافهاً زائداً في هذا الوجود، وخاصة ونحن في عَصْرِ عَصْفِ العولمة ،لذا وَجَبَ علينا أن نتمسك بكل ما يُسهم في الحفاظ على هويتنا، وخصوصياتنا السوسيو ثقافية.

وربما نكون قد أطلنا في هذا التقديم الذي نعتبره من صميم بحثنا؛ وموضوع حديثنا فيه هو الذي كان الدافع الأساسي؛ الشخصي والموضوعي لاختيارنا لهذا الموضوع، وهو جمع أشعار بعض الشعراء التَّوَّاتِيِّين، ومحاولة الوقوف عند بنية الخطاب في هذه النصوص الصوفية، وكذا البحث فيها عن الخصائص الفنية للخطاب الصوفي من خلال ترويضها. والإطالة في هذا التقديم دفعنا إليها التعبير عن وجعٍ؛ نجد أنفسنا مشيرين إليه ولو من طرفٍ خَفِيٍّ كلَّما وجدنا إلى ذلك سبيلاً.

وقد اخترنا في بحثنا هذا جانباً صغيراً من التراث الأدبي في منطقة توات، ألا وهو الشعر الصوفي الذي كُتب باللغة العربية الفصحى، وتركنا بجانبنا تراثاً أدبياً آخر خامّاً بِكراً؛ ينتظر أن

تَمْتَدَّ إليه أيدي الباحثين، ويتمثل في عدد من الرسائل والرحلات والمقامات والمناظرات الشعرية وغيرها.

وقد وَسَمْنَا بحثنا بـ **" بِنْيةِ الخِطَابِ الصُّوفِيِّ عندَ شُعَرَاءِ تَوَات، تَحقيقٌ ودِرَاسَةٌ "** ، ومُؤكَّدٌ أننا لا نستطيع جمع شعر جميع الشعراء التواتيين، لذلك اقتصرنا فقط على ستة(06) منهم، وركزنا كثيراً على الشاعرين سيدي محمد بن المبروك البودوي، وسيدي محمد إيداوعلي لتوفر شعرهما وتميُّزِهِ فنياً، وقد أضفنا أربعة شعراء آخرين حتى تكون النتائج المتوصل إليها أكثر دقة، وقد راودتنا في البداية فكرة الاكتفاء بتحقيق ديواني الشاعرين الأولين المذكورين سلفاً، ولكننا قررنا أن نضيف إلى البحث دراسة للشعر الصوفي في المنطقة، ولم نكن نعلم أننا أقدمنا على عملٍ خطيرٍ جداً؛ فما أصعب أن يجد الباحث نفسه تارة باحثاً في التاريخ الثقافي للمنطقة، وتارة مُتجولاً بين خزائن المخطوطات التواتية، وتارةً مُحقِّقاً، وتارة أخرى دارساً ومحللاً؛ باستخدام بعض المناهج النقدية الحداثية، التي استعنا ببعض إجراءاتها في بحثنا؛ كالمنهج الأسلوبي والسيميائي والبنيوي، واستعنا في أحايين أخرى بالمنهج الوصفي والتاريخي.

وقد انطلقنا في بحثنا هذا بطرح تساؤل؛ من باب الشَّكِّ العلمي والمعرفي، مفاده: ما هي المحدِّدات الفنية لبنية الخطاب الصوفي الشعري عند شعراء توات؟

وقد اقتضت منا الإجابة على هذا السؤال تقَسيم بحثنا إلى أربعة فصول، ومقدمة، وتمهيد وخاتمة، وفهارس، وملحقين شعريين الأول خصصناه للنصوص المحققة؛ والتي تمثل نصوص المدونة المدروسة؛ أما الملحق الشعري الثاني فرصدنا فيه بعض النصوص المختلفة لعدد من شعراء توات ، وأضفنا ملحقاً آخر لصور المخطوطات التي تضمنت القصائد المحققة في بحثنا.

وقد خصصنا التمهيد للتعريف بميدان البحث (منطقة توات)، ثم عَرَّفْنَا بشعراء المدونة المحققة والمدروسة، وأخيراً عرَّفنا فيه بالخطاب الأدبي والخطاب الصوفي.

أما الفصل الأول: فقد عنوناه بـ " التصوف وطرقه في توات "، وقسمناه إلى فصلين، تحدثنا في الفصل الأول منه عن ماهية التصوف وخصائصه، أما الفصل الثاني فقد قسمناه بدوره إلى قسمين عرَّفنا في الأول بالطرق الصوفية في توات، ووقفنا في الثاني عند بعض أعلام الحركة الأدبية بتوات من ق10هـ حتى 14هـ؛ وهي الفترة التي حصرنا بحثنا فيها، وقد تعرضنا في هذا الباب لبعض القضايا التي تخص التصوف عموماً؛ وما يتعلق به في منطقة توات.

أما الباب الثاني من بحثنا، فقد توجهنا فيه إلى الكشف عن أسرار البنية السطحية لنصوص مدونتنا، وذلك من خلال معرفة ما يتعلق بمكان النص؛ وبنيته المعمارية؛ وزمانه.

وفيما يخص الباب الثالث من دراستنا فهو مُوجَّهٌ لكشف البنية العميقة لنصوص المدونة، بالوقوف عند مستوى المعجم وتداخل سجلاته.

أما الباب الرابع والأخير فهو في غرض النص الصوفي عند شعراء توات، وقسمنا فيه النصوص حسب موضوعها إلى أغراضٍ نظريةٍ، أو أغراضٍ عمليةٍ.

وقد ذكرنا في الخاتمة مختلف النتائج المتوصل إليها من خلال بحثنا.

وختمنا بحثنا بفهرس للأعلام، وآخر للأماكن، ثم فهرس المصادر والمراجع، وأخيراً فهرس الموضوعات.

وقد واجهتنا بعض المشكلات، من بينها أن البحث انقسم إلى شقين: التحقيق والدراسة، وهو ما يتطلب جهداً كبيراً وتفرغاً، ولذلك اندفعنا إلى البحث وقراءة الكتب المتخصصة في تحقيق النصوص ونشرها، ككتاب الدكتور عبد السلام هارون " تحقيق المخطوطات ونشرها " وغيره من الكتب الأخرى، ونشير أيضاً إلى أننا سنستفيد ـ إن شاء الله ـ من هذا التحقيق وذلك بإخراج دواوين جميع شعراء الدراسة وطبعها، ووضعها بين يدي القراء والدارسين.

والصعوبة الثانية وهي قلة المعلومات حول بعض الأعلام من الشعراء التواتيين مثل: السيد الزروق؛ الذي هو أحد شعراء مدونتنا، فالمعلومات حوله شحيحةٌ جداً، والكثير من جوانب حياته مُختلفٌ فيها بين الباحثين.

وأما الثالثة من الصعوبات فتتمثل في قلة الدراسات الأكاديمية التي تعرضت للحركة الأدبية في المنطقة، عدا البحث الذي قدمه الزميل أحمد جعفري حول" الحركة الأدبية في المنطقة في ق11هـ"، والبحث الذي أنجزناه في مرحلة الماجستير.

وأما الرابعة: صعوبة حصر الفترة التاريخية للبحث، لقلة الشواهد الشعرية في فترةٍ، ووفرتها في أخرى.

والخامسة: صعوبة تحديد الجوانب المتعلقة ببنية الخطاب، فهو موضوع كبير، إضافة إلى أنه يتداخل مع موضوعات أخرى كالأسلوب والعروض وموسيقى الشعر وغيرها.

واعتبرنا هذا البحث فرصةً للتعريف بالحركة الأدبية في توات من خلال بعض أدبائها، وعلاقتهم بغيرهم من الشعراء في المناطق التي كانت آنذاك مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بتوات، كشنقيط والأزواد، وفاس، وتلمسان وغيرها من المناطق الأخرى.

وقد اعتمدنا على جملةٍ من المصادر والمراجع أهمها: الحفناوي أبو القاسم :" تعريف الخلف برجال السلف" ، و السراج الطوسي:" اللمع في التصوف "، و السهروردي:" عوارف المعارف " و القاشاني عبد الرزاق: "معجم المصطلحات والإشارات الصوفية" ، و جعفري أحمد: "محمد بن ابَّ المزمري حياته وآثاره" ، و بلعالم محمد باي: "الرحلة العلية إلى منطقة توات"، وعلي عشري زايد: "عن بناء القصيدة العربية الحديثة" ، و مرتاض عبد الملك:"التحليل السيمائي

للخطاب الشعري" و التنلاني عبد الرحمان بن بعومر :" الدرة الفاخرة في ذكر المشائخ التواتية " ، وكذلك كتاب يوري لوتمان " بنية النص الفني " :

"La structure du texte artistique"Iouri Loutman

أما بخصوص التحقيق فقد اعتمدنا على النسخ المخطوطة التي وجدناها في بعض المكتبات التواتية، وأغلب تلك النصوص الشعرية لم نجد منها إلا نسخةً واحدةً، رغم أننا بذلنا أقصى جهودنا للبحث عن نُسخٍ أخرى لمقارنتها بها، سواء داخل الوطن أو خارجه.

وقد عثرنا على قصائد الشاعر سيدي محمد بن المبروك في مكتبة عائلة جعفري بزاوية سيدي حيدة، وهي منسوخة من ديوان الشاعر، في مخطوط مقياسه 16×23 سم، في كل ورقة حوالي 15 بيتاً، وقد كُتب في مقدمته: " بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد، وللفقيه العالم العلامة والبحر الفهامة البليغ سيدي محمد بن المبروك البداوي ثم الهداجي رحمه الله تعالى ورضي عنه في مدحه للمصطفى " :

صلـوات الإلـــه تـترى على من اسمه أحمد البشير النذير...

وكتب في آخر المخطوط:...تمت هذه القصائد المباركة؛ وكان الفراغ من كتابتها يوم الجمعة منتصف النهار يوم 14 من شهر أكتوبر 1988، الموافق لـ 03 من شهر ربيع الأول سنة 1409هـ، على يد كاتبها العبد الضعيف الراجي رحمة مولاه عبد الرحمن بن عبد السلام بن العربي بودة بني وازل.

وقصائد الشاعر كانت كلها فريدة ما عدا قصيدة: " ارتجي فضل من دنا "، حيث وجدنا منها ثلاث نسخ، نسختان في ديوان الشاعر سابق الذكر، كتبت للمرة الأولى ابتداء من الورقة 05؛ وعدد أبياتها 58، وأعيد كتابة القصيدة ابتداء من الورقة 58، وكانت عدد أبياتها 121 بيتاً، أما النسخة الثالثة فعثرنا عليها في مكتبة ابن الوليد الوليد بقصر باعبد الله ولاية أدرار، وعدد أبياتها 117 بيتاً، وقد كتبت بخط مغربي مقروء، ولأنها مصورة من مخطوط آخر فإن مسطرتها غير واضحة، ولكن نقدرها بـ :22×15سم، وعدد الأبيات في كل ورقة حوالي 19 بيتاً، وحرصنا على المقارنة بين النسخ الثلاثة لمعرفة الاختلافات بينها.

أما قصائد الشاعر سيدي محمد إيداوعلي، فجاءت أيضاً كلها فريدة ـ حسب ما توصلنا إليه أثناء بحثنا هذا ـ ، وإننا تحصلنا على بعضها من عند السيد إيداوعلي عبد الوهاب، وهو أحد أحفاد الشاعر، وقد كتبت في مخطوط مسطرته 22×18 سم، في كل ورقة حوالي 15 بيتاً، وخطها عادي، مضبوط بالشكل.

وعثرنا على قصيدتين للشاعر سيدي محمد إيداوعلي؛ بمكتبة ابن الوليد الوليد، الأولى هي قصيدة "ركاب أحبتي" وردت في نتفة من مخطوط مسطرته 14×19 سم، وعدد الأبيات في كل ورقة منها حوالي 16 بيتاً، وخطها مغربي واضح، وعدد أبياتها 50 بيتاً.

والقصيدة الثانية هي قصيدة " زُرْ من هويتَ"، وهي أيضاً نتفة من مخطوط مسطرته 21×26سم، عدد الأبيات في كل ورقة حوالي 15 بيتاً، مكتوبة بخط مغربي واضح ،عدد أبياتها 29 بيتاً.

وبخصوص قصيدة الشاعر محمد عبد القادر الفلاني، فقد اطلعنا عليها في ديوان الشاعر بمكتبة الشيخ باي بلعالم بآولف ولاية أدرار، وقد كتبت بخط مقروء.

وبالمكتبة نفسها اطلعنا على ديوان الشاعر السيد البكري بن عبد الرحمن، وقد كُتب أيضاً بخط واضحٍ ومقروءٍ.

أما قصائد الشاعر السيد الزروق فقد وجدناها في مكتبة السيد ابن الوليد الوليد، وهي أيضاً نتفة من مخطوط مسطرته 17×22 سم، في كل ورقة حوالي 20 بيتاً، كُتبت بخطٍّ عاديٍّ؛ على هامشة بعض التعليقات على القصائد.وبالنسبة لقصيدة " الزيارة " لمحمد ابن بادي الكنتي، فقد تحصلنا على نسخة منها من مكتبة ابن الوليد الوليد، وقد كُتبت بخط رفيع غير مقروء، وبعض صفحاتها تكاد تكون ممحوة؛ ولقد حرصنا على أن نحصل على نسخة أخرى منها؛ ولكن لم يتيسر لنا ذلك رغم بعض الوعود التي قُدِّمت لنا من طرف بعض معارفنا في منطقة عين صالح وإينغر، ونتمنى أن نحصل عليها في المستقبل القريب؛ لنستطيع استخراج هذه القصيدة على الوجه الذي كان يأمله شاعرنا، ومسطرة المخطوط 12×15سم؛ وعدد الأبيات في كل ورقة حوالي 39 بيتاً، وخُطَّ في بداية المخطوط « بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، هذه زيارة لشيخنا الشيخ سيدي محمد [مَحْوٌ] جمعها [مَحْوٌ] سيد محمد بن بادي بن باي الكبير...» إلى أن يقول: "... ثم تقول اللهم شَفِّعه فينا، اللهم اقض حاجتي بجاهه وجاههم عندك، وتقرأ الإخلاص والكوثر والكافرون وإذا زلزلت، وتنوي له ثواب ذلك قبل الشروع، ثم تقول بعد التمام اللهم أوصل شيخنا ثواب ما قرأناه وأجر ما تلوناه، يا رب يسر وتبارك الملك فذلك أحسن، ومازاد من القرآن أفضل ثم يقرأ قصيدة الزيارة أيضا وهي هذه ..." ثم بُدِأَ في ذكر القصيدة.

وكُتب عقب القصيدة: " انتهت من خط ناشيها وناظمها سيد محمد بن بادي بن باي الكبير بن الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيد المختار نفعنا الله ببركاتهم آمين، الأحب السيد إبراهيم بن سيد عيسى بن سيد محمد الحاج بتاريخ ضحى الخميس من رجب الفرد 17 يوم عام 1364 هـ .أحمد بن عبد الله بن سيد محمد البريشي طالبا منه ومن نظرها الدعاء بإصلاح الدين والدنيا؛ والذرية

والختم بالحسنى؛ وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما، وعليك أيها الأخ ألف آلاف من السلام وألف من التحايا والإكرام على الأهل والإخوان والوالدة والأبناء أصلحهم اللهم وارعاهم، وعلى من تحبه ويحبك في الله لله على الله.
وبعد لما ضاق على الطرر وقد كان ناظمها جعل عليها تقريرات على بعض الألفاظ، ظهر فِيَّ أن أبين لك ما طرر به بعض الألفاظ، وأرمز لك على البيت وعلى اللفظة يتيسر لك ذلك..... "، والقصيدة كما هو واردٌ في آخر هذا الكلام متبوعة بشرحٍ لألفاظها ومعانيها؛ وهو يحتاج إلى بحث مستقل.

وبخصوص قصيدة " يا أكرم الخلق على ربه " التي كُتبت على شكل نجمة، وكذا قصيدة " مغنى الصبابة " فقد ألفيناهما في مخطوط به قصائد بعض الشعراء التواتيين، وواضح من خلال أسلوبهما؛ والطريقة التي كتبا بها أنهما لنفس الشاعر.

أما قصيدة " سلسلة الأوراد " ، فقد تحصلنا على نسخة منها من مكتبة الشيخ الحاج محمد الكنتي بزاوية كنتة؛ ولاية أدرار، وهي مكتبة عامرة بالكتب تحتاج كلها إلى تحقيقٍ ونشرٍ، والقصيدة التي بين أيدينا منسوخة من مخطوط آخر؛ لم نستطع الاطلاع عليه؛ ونتمنى أن يتاح لنا ذلك في المستقبل، والقصيدة منسوخة بخط أحد تلامذة الشيخ سابق الذكر؛ واسمه بن انسباغور عمر، والأمر نفسه بالنسبة لقصيدة " لا ملجأ إلا إلى المولى".

وما لفت نظرنا في قصائد مدونتنا التي اخترناها للتحقيق والدراسة؛ هو أن أغلب تلك القصائد غير مُعنونة، لذلك فإننا اقترحنا عناوين للقصائد غير المعنونة، فكنا أحياناً نختار شطراً أو جزءاً من أحد أبيات القصيدة، وكنا أحياناً أخرى نقرأ القصيدة مرَّاتٍ ومرَّاتٍ؛ ثم نصوغ معانيها في عباراتٍ شاعريةٍ، استعنَّا فيها ببعضٍ مما أوتينا من خبرة في كتابة الشعر.

وقد استعنَّا في عملية التحقيق بكتاب عبد السلام هارون" تحقيق النصوص ونشرها "، وحاولنا أن نستفيد ضِمنياً من منهج " الاستقصاء"؛ الذي عُرف في الأبحاث الرمضانية (نسبةً إلى صاحبها الدكتور رمضان عبد التواب، في كتابة :"مناهج تحقيق التراث")، هذا المنهج الذي يقوم على خدمة النص المُحقق بأقصى ما يُمكن ،حتى الوصول به إلى أقرب صورة تركها عليه المُؤلف أو يُرجى أن يرتضيها. وكنا دائماً نعود بين الفينة والأخرى إلى معجم " لسان العرب " لابن منظور، وغيره ا من الكتب الأخرى القديمة والحديثة والمخطوطات المختلفة.

وفي الأخير نشكر الله سبحانه وتعالى أن وفقنا لإنجاز هذا البحث، ونشكر كذلك أستاذنا الفاضل الدكتور عبدلي محمد السعيد على إشرافه وتوجيهاته القيمة لنا، ونشكر الأساتذة الدكاترة أعضاء اللجنة على تكبدهم مشقة قراءة هذا البحث، وتقييمه ونقده.

وأخيراً نرجو أن نكون قد أسهمنا ولو بقسطٍ ضئيل في التعريف بالتصوف وشعره في منطقة ما زال كثير من الجزائريين لا يعرفون عنها شيئاً كثيراً.

تـمهـيد

1ـ تعريفٌ بمنطقة توات:

يُعْرَفُ جُزءٌ من منطقة "تَوات" اليوم بـ "ولاية أدرار" في الجنوب الغربي من الجزائر، وقد اعتُبرت ولايةً بعد التقسيم الإداري لعام 1974، وهي تقع في جنوب غرب الصحراء الإفريقية الكبرى، وتبعد أقرب نقطة منها عن العاصمة الجزائرية بحوالي 1500 كلم، وهذه المنطقة كانت تسمى قديما بـ " توات " ـ كما أسلفت الذكر ـ وهي « تشتمل على عدد من الواحات والمدن والقصور تزيد عن الثلاثمائة وخمسين واحة متناثرة هنا وهناك »[1]على رمال الصحراء، وهي أشبه بالأرخبيل في البحار؛ وحسب دليل ولاية أدرار فهي « تغطي مساحة 427،968 كلم^2 ، وينحصر موقعها الفلكي بين خطي 01 درجة شرقاً و 03 درجات غرب خط غرينيتش، وبين دائرتي عرض 20 درجة إلى 30 درجة شمالا »[2]. وتحُدُّ المنطقة من الشمال ولاية البيض ومن الغرب ولاية بشار وتندوف ومن الجنوب مالي والنيجر، ومن الشرق ولاية تمنراست.

أما عن أصل تسمية المنطقة بـ " تَوَات " فقد تضاربت الآراء في ذلك، ويُرجع محمد بن عمر بن محمد بن المبروك في كتابه " نقل الرواة عن من أبدع قصور توات" سبب « تسمية هذا الإقليم بتوات، على ما يحكى أنه لما استفتح عقبة بن نافع الفهري بلاد المغرب، ووصل ساحله، ثم عاد لواد نون ودرعة وسجلماسة ، وصل خلية توات، ودخل بتاريخ 62 هـ ، فسألهم عن هذه البلاد يعني توات، وعن ما يسمع ويفشى عنها من الضعف، وهي تواتي لنفي المجرمين من عصاة المغرب، ينزلهم بها أو يجليهم بها، فأجابوه بأنها تواتي، فتغير اللفظ على لسان العامة لضرب من التخفيف »[3] ، فأصبح الناس ينطقونها " تْوَاتْ ".

ويرى الشيخ سِيْدْ البَكري (ت . ق .14هـ)، في أصل التسمية رأياً آخر حيث يقول: « في سنة 518هـ حيث غَلَبَ المهدي الشيعي سلطان الموحدين على المغرب. بعث قائديه علي بن الطيب والطاهر بن عبد المؤمن لأهل الصحراء وأمرهما بقبض الأتوات، فعُرف أهل هذا القطر بأهل الأتوات، لأن السلطان قبِله منه في المغرم »[4] ، ونجد البَكري (ت. ق . 14هـ) يُعلِّق على هذه الرواية بقوله: « وهذه الرواية أصح ولهذا اللفظ مُسندٌ في العربية. قال في المصباح: التوت هو الفاكهة والجمع أَتَوَاتٌ ، فعُرف أهل هذه البلاد بأهل الأتوات ، فحُذف المضاف، وأقيم

المضاف إليه مقامه ....فصارت توات بعد حذف التعريف والمضاف....وصار هذا الاسم يُطلق على هذا القطر الصحراوي من تبلكوزة إلى عين صالح »[5].

والآراء حول أصل تسمية المنطقة كثيرة ومتعددة، ونختمها في إطلالتنا هذه برأي آخر للسعدي، يقول فيه بأن أصل الكلمة تكرورية « لأن الإنسان الأول الذي تخلَّف هناك توجَّع في رجله، وتوطن هناك فسُمِّي الموضع باسم تلك العلة »[4].

والمهم في الأمر كله أن الاختلاف في أصل التسمية يرجع إلى أصل الاشتقاق؛ هل هي مشتقة من الفعل (واتَى، يُواتِي، وتُواتِي)، أو هو اسم للأتوات والمغارم.

وتتشكل منطقة توات عبر مجموعة من القصور المترامية هنا وهناك. وتُقَسَّم المنطقة إلى أربعة أقاليم هي: قُورَارَة، تَواتْ، تِيدِيكَلْت، تَنَزْرُوفَتْ. كما كانت المنطقة كذلك نقطة التقاء واتصال مع القوافل التجارية القادمة من الشمال إلى الجنوب، نحو أسواق إفريقية الغربية ولقد كانت العاصمة الأولى للإقليم هي مدينة " تَمَنْطِيط "، نظرا لتميزها العلمي والديني والعمراني؛ ثم انتقلت العاصمة إلى "تيمي" مع نهاية القرن السابع عشر الميلادي، وقد دخل الفرنسيون إلى الإقليم بعد محاولات عديدة، نظراً لمقاومة الأهالي المستميتة مع بداية القرن العشرين.

ويرجع أصل السكان في توات إلى أصول ثلاثة رئيسة، وهي : البربر، وأصلهم من الشمال، وكانوا يعيشون في وسط الصحراء؛ والأصل الثاني وهم من العرب، الذين كان وصولهم عبر فترات متقطعة ؛ وخاصة عندما كانت منطقة الشمال تكثر بها النزاعات، أما الأصل الثالث فهو العنصر الزِّنْجِي.

أما أقدم القصور التي بُنيت، فقد كانت على شكل تحصينات تؤرخ إلى عصور قديمة جداً، تُنسب للقبائل البربرية الأولى التي قدمت إلى المنطقة، وهم الجِيتُول، وقد استمر توافد قوافل المهاجرين إلى غاية وصول هجرات من العرب، فقاموا ببناء قصور خلال القرن السابع الميلادي، وقصور أخرى عرفت بقصور تَاوْرِيرَتْ؛ في مناطق تِيمِيمُون وضواحيها، وأيضا في منطقة رَقَّانْ.

وقد شهدت المنطقة حركة علمية وثقافية وأدبية، يُعَدُّ خير شاهد عليها تلك المكتبات الخاصة التي تحوي مئات المخطوطات في مختلف العلوم من فقه وأدبٍ وتصوفٍ، وعلم الفلك والتاريخ والأنساب وغيرها.

ونظراً لأهمية المنطقة فقد كانت قبلة للكثير من المؤرخين والرحالة العرب والغربيين، نذكر من العرب ابن بطوطة والعياشي ...، ومن الأجانب نذكر جاكوب أوليل Jacob Oliel و إدوارد

بلانك Edouard Blanc و كاميل ساباتيير Camille Sabatier، هذا الأخير الذي أذهله نظام السقي التقليدي باستعمال نظام الفقارة الذي تشتهر به المنطقة.

2- تعريف بشعراء المدونة:

2. 1 : سَيِّدي مُحمَّدْ ابن المَبْرُوك البُودَوِيّ :

نسبه :

هو محمد ابن المبروك ابن سيد أحمد (مُولْ) أَبُو سْبَعْ حَجَّاتْ؛ محمد بن عبد الله محمد دين الله بن علي بن راشد بن موسى بن علي بن إسماعيل بن إدريس بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه.

مولده:

ولد سنة 1080 هـ وعاش في قصر والده وجده سيدي أحمد الملقب أَبُو سْبَعْ حَجَّاتْ؛ بزاوية سيدي حيده من قصور مقاطعة بوده، بولاية أدرار حالياً، بالجنوب الغربي من الجزائر.

تعلمه:

يقول عنه عبد الرحمان بن بَعُومَرْ التِّنِلاَنِي : « ....كان رحمه الله عالماً ورعاً زاهداً أحد الحفاظ وأخذ عن سيدي محمد الوَنْقَالِي وعن الشيخ سِيدِي اَعْمَرْ بن عبد القادر وعن الشيخ سيدي عبد الرحمان بن عُمَر، فصار عن علو محله في العلم والأدب مع جلالة قدره في المحاسن وتفرده في الغايات في المدح ، ولولا خوف الإطالة لأوردت من خبره طرفاً كبيراً وليس الخبر كالعيان »[6].

وهذا يبين لنا المكانة الكبيرة التي كان يحتلها هذا العالِم في أوساط العلماء في عصره؛ ورغبته الشديدة في طلب العلم وأخذه عن كبار العلماء في عصره.

ويُضيف المؤلف قائلا في معرض حديثه عن سيدي محمد بن عبد الله؛ المعروف بالوَنْقَالِي: « .... ولمَّا سَمع خبره سيدي محمد بن أبي زيان القَنْدْسِي رحمه الله بعث أولاده إلى كرزاز وسمعوا بوفاته ورجعوا ، ولما ورد عليه المرابط سيدي محمد ابن المبروك ذكره لكون المرابط سيدي محمد بن أبي زيان بعث إليه كتابا ليختبر الشيخ المذكور فيما كان يسمع عليه من الكرامات وخَتْمِ المختصر على عشرة أيام ، فلما ورد عليه سيدي محمد ابن المبروك يخبره بختمه للطلبة المختصر في عشرة أيام قال الشيخ الوَنْقَالِي لسيدي محمد ابن المبروك: نُضيِّفك بختم المختصر في خمسة أيام ثم ختمه فيها »[7].

وقد تتلمذ كذلك على يدي سيدي عبد الرحمن بن عُمَر التِّنِلاَنِي، ورثاه بقصيدة لما توفي ليلة الأحد الأخير من صفر عام 1189هـ وعمره نيف وسبعون سنة.

وقصيدته مطلعها:

ألا يا مِصْرُ قَدْ إِزْدَدْتِ فَخْراً بِحَبْرٍ حَلَّ مقبرة المُنوفي

بُعيد زيارة الهادي المُنَبَّا من حَجَّ البيت حَقّاً بالوقوف

وكل أولئك العلماء كانت لهم أدوار بارزة في حياة الشاعر سيدي محمد ابن المبروك الذي نهل من علومهم وتخلق بأخلاقهم.

وهناك عديد العلماء الذين عاصرهم الشاعر في القرن الذي عاش فيه وهو القرن 11هـ؛ القرن الذهبي في الحياة العلمية التواتية. ومن بين أولئك العلماء سيدي محمد بن عبد الله الوَنْقَالِي، والولي الصالح مولاي عبد المالك الرَّقَّانِي ، والشيخ عبد الرحمان بن بَعُومَرْ التِّنِلاَنِي ، والشيخ سيدي عُومَرْ بن عبد القادر التِّنِلاَنِي ، وسيدي محمد إِيْدَاوَعْلِي ، وسيدي مُحمَّد بَنْ أَبَّ المُزَّمَّرِي الذي ولد في العقد الأخير من القرن الحادي عشر للهجرة وأيضاً سيدي البكري بن عبد الكريم التمنطيطي المولود يوم الرابع عشر من رمضان عام 1042هـ والمتوفى قبل الزوال من يوم الأحد الثاني من ذي القعدة الحرام 1133هـ وغيرهم كثير، وكانوا كلهم علماء وفقهاء وشعراء، لهم عديد الكتب في مجالات مختلفة أثْرت الساحة العلمية بتوات؛ وجعلت من القرن 11هـ في منطقة توات عصراً ذهبياً.

آثاره :

خَلَّفَ الشيخ سيدي محمد ابن المبروك عديد الكتب في المسائل الفقهية والأنساب ضاعت كلها ولم نعثر على أيٍّ منها.

وترك الشاعر كذلك ديوانين شعر يين، أحدهما فصيح والآخر شعبي (ملحون)، وقد تناولنا شعره الشعبي في دراستنا الموسومة بـ " الشعر الشعبي الديني في منطقة توات؛ مع قراءة في شعر الشيخ سيدي محمد ابن المبروك البودوي " ، أما شعره الفصيح فنتناوله في دراستنا هذه.

ونشير إلى أن أول قصيدة أبدعها الشاعر حسب ما روى لنا السيد دَفَّه سالم هي قصيدة " صَلَوَاتُ الإِلَه تَتْرَى " ومطلعها:

« صَلَوَاتُ الإِلَهِ تَتْرَى عَلَى مَنِ اِسْمُهُ أَحْمَدُ البَشِيرُ النَّذِيرُ

وَسَلاَمٌ مَا هَبَّتِ الرِّيحُ لَيْلاً وَنَهَاراً وَمَا يَفُوحُ عَبِيرُ»

وفاته:

توفي الشاعر حوالي سنة 1195هـ في القرن الثاني عشر(12ه-) الهجري، توفي عن عمر يناهز القرن وخمسة عشر(15) سنة، وقد دُفن في القبر الذي حفره بيديه، ونحسب أن هذا ما كان يقصده؛ نَعْنِي من حفره لقبره بنفسه حين يقول:

« ألا يَا قَوْمَنَا قَدْ بِتُّ أمْسِ أَكَابِدُ فِي سَوَادِ اللّيْلِ رَمْسِي

هو المِعْرَاضُ للإنسان مَهْمَا يَمُتْ يُلقى بسجنٍ أيِّ حَبْسِ»

إلى قوله متحدثا عن قبره:

« فذكَّرَني بما أمضي إليه وبالجُرم الذي جَرمته نفسي »

ويَذكر لنا السيد دَفَّه سالم أن الشاعر لما توفي ازدحم الناس على حمل نعشه وحضر دفنه الآلاف من المشيعين الذين كان الشاعر يحتل مكانة كبيرة في قلوبهم، فلقد ملأ الدنيا وشغل الناس بعلمه وأخلاقه.

وقد رثاه أحد الشعراء بقصيدة يقول فيها:

« قد حكم الله بأمرٍ فُرضا ولا مُعقِّب لحكُمه مَضَا

حق علينا حمده لكن أرا دمع الورا من أجله قد نبضا

وأظلمت منه علينا أرضُنا وفوقنا رعد وبرق ومضا

يوم أتى الضريح يصرخ بنا ألا فإن حبر بودة قَضَا

وكل قائلٍ يقول مُعلنا يا أسفا على ابن مبروك الرِّضَا

ومن لمُبتغي العلاء والعلا بعده في العلم ومنه قد خضا

ما حدَّث الناس سواه مثلما حدَّثَهم به وما إن رفضا

ولذّ ذكره مسامع الورى وخاب من تراه عنه نَهَضَا

وعمَّ نفعُهُ البلاد كلّها ودرن القلوب منه رحضا

ومن لأرجاء الصحاري بعده في البرين والصبر لمن له انْتَضَا

شيمته العفو ويكثر به إذا اللئيم قد عظاه وغضا

يصفح عن كل سيّءٍ ويري نهج الهدى لكل سالك الفضا

أرّخ عام نعيه ينفد إن سار لمولاه ونعم من مَضَا

في حيد من ثامن الأشهر له قل رحمة الله عليه تُرتضا

مع السلام تقتفيه أبدا لا ينقضي الذكر لها بما انقضا »

تُعتبر هذه القصيدة شهادة أخرى تبين المكانة التي كان يحظى بها الشاعر الشيخ سيدي محمد ابن المبروك في توات قاطبة، وإصابته في العلم بسهم ثاقب، وأخلاقه العالية التي تبين مما مضى عُلُوَّ كعبه فيها.

أما الطريقة الصوفية التي كان شاعرنا يسير على نهجها فهي الطريقة القادرية، وهي طريقة عائلته الجعفرية؛ و مشائخه الذين ذكر أسماءهم ضمن ما تسمى محلياً بـ " السَّلْسَلَة"، وذلك في القصيدة الشعبية التي كتبها يخاطب فيها شيخه مولاي عبد المالك الرقاني.

2. 2 : سَيِّدي مُحَمَّدْ إِيدَاوَعْلِي :

هو الشيخ سَيِّدي مُحَمَّد بَنْ امْحَمَّدْ أَحْمَد بَكُّو، إِيدَاوَعْلِي نَسَباً؛ الشنقيطي نشأةً، عاش ما بين القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين. نشأ في بلاد شنقيط (موريتانيا)، وتلقى بها العلوم، ثم رحل إلى إقليم توات مع قوافل الحجيج، وكانت محطته الأولى بمنطقة تسمى " أَقَبْلِي " ، عند الشيخ أَبِي نَعَامَةَ المدفون بها، ثم انتقل إلى تمنطيط، واستقر أخيراً في قصر " اعْبَانِي " وتزوج هناك، وخَلَف ولداً هو سيدي إبراهيم الموجود ضريحه جنوب قصر اعباني ثم رحل إلى تمبكتو، وخلَّف ذرية هناك حيث وافته المنية بها (تمبكتو).

خَلَّفَ شاعرنا عدداً كبيراً من القصائد بعضها فصيحة وأخرى شعبية (ملحونة)، ومن قصائده الشعبية قصيدة " العَسْلَه " أو المسماة أيضا بـ " كَنْزْ العَسْلَه " ، التي طالعها:

اللّي نَبْدَا بِهْ بَسْمَ الله أوْلاَ الرَّحْمَنْ اللّيْ بْتَوْحِيدُو مَعْقُولْ

الرَّحِيمْ اللّي بْفَضْلُو يَتْوَلاّ أمْرِي فَالدَّارَيْنْ بَالسِّتْر المَسْبُولْ

وكذلك له قصيدة شعبية بعنوان " النونية "، وطالعها

الحَمْدُ لله ابْدِيتْ اقْبَلْ نَظّمِي فِيْ تَوْحِيدْ مُولاَيْ الرَّحْمنْ

وكذلك قصيدة بعنوان " قَالَتْ لِي نَفْسِي كُلاَمْ عْلِيهْ النُّورْ ".

أما قصائد الشاعر الفصيحة فهي كثيرة؛ ضاع الكثير منها، وسنشير إلى بعضها أثناء مقاربتنا لشعره، وأكتفي هنا فقط بالوقوف عند أهم وأشهر قصائده، والتي شاع حفظها بين الخاصة والعامة بأرض توات، ومنها تلك القصيدة الرسالة التي كتبها يُعاتب فيها ابنه سيدي ابراهيم، الذي ترك والده في توات وارتحل إلى بلاد شنقيط، وكان والده يأمل أن يَخْلُفه في زاويته بعد موته، للتعليم وتفقيه الناس في أمور دينهم ودنياهم، فَرَقَّ قلب الابن وعاد إلى أرض توات وبالضبط إلى قصر " اعباني "، وخَلَفَ والده هناك حتى توفي ودُفن هناك كما أسلفنا الذكر.

ومطلع تلك القصيدة:

« أيا ولدي يلومك من يلوم — وتهجرك الخُصوص والعُمومُ

بتركك والدٍ ربَّاكَ طفلاً — وتَرْكُ مَبَرَّةِ الآباءِ شُومُ

أتهجرني وأنت ربيع قلبي — وإني بكم أيَا ولدي رحيمُ

أتتركني ضعيفَ الجسم أعمى — ولم تشغلك يا ولدي عُلُوم

أراك بالنَّعيم شُغلت عني — نعيمُ الدهر ويْحَكَ لا يَدوم

فلا تقطع زمانك في عُقوقي — فتُفسد ما تُصلي وما تَصوم »

وقد ذكر لنا السيد إيداوعلي عبد الوهاب حفيد الشاعر سيدي محمد إيداوعلي، أنَّ هذا الأخير كان من أتباع الطريقة القادرية التي كانت منتشرة آنذاك بتوات وأيضاً في بلاد شنقيط.

2. 3: السَّيِّدْ مُحمَّد عبد القَادر ابْن مُحَمَّدْ ابْن المُختار ابْن أَحْمَد العَالَمْ الفُلاَّنِي:

ينتمي هذا العالم إلى منطقة من أهم المناطق التواتية؛ ألا وهي " تيديكلت " ، وقد جمع بين تعليم العلم وتحفيظ القرآن، والنحو والشعر. أما عن ميلاده فيُحدِّثنا الشيخ بَايْ بَلْعَالَمْ قائلاً: « السيد محمد عبد القادر بن محمد بن المختار بن أحمد الفلاني، المولود بساهل أقبلي 1298 هـ، والمتوفى سنة 1372هـ »[6]؛ أي أنه عمَّر من السنين ما يَقرُبُ الأربعة والسبعين (74) عاماً. ولعله كان من أتباع الطريقة القادرية، وهي الطريقة التي كان آل فلان يتَّبعونها، ابتداءً من جدهم الأول وهو عثمان بن محمد فودي.

أما عن آثاره، فقد تضمن ديوانه المخطوط عدة قصائد بعضها في المديح النبوي، وأخرى تضمنت قضايا مختلفة. ومن القصائد المديحية يقول الشاعر:

صلوا على بدر التمام محمدٍ خَيْرِ الأنام

وآله وصحبه لِتَنْجُو فِي يوم الزحام

وله قصيدة أخرى مطلعها:

صلوا على محمد أزكى الصلاة والسلام

وآله وصحبه ما صلى مسلم وصام

وله منظومة في التوحيد سماها: " تُحْفَةُ الوِلْدَانِ مِمَّا يَجِبُ مَعْرِفَتُهُ عَلَى الأَعْيَانِ" ، وهي مشهورة في القطر التواتي، وأذكر أننا كنا نرددها دائماً بعد قراءة حزب القرآن اليومي عَقِبَ صلاة المغرب، ومطلعها:

الحمد لله على ما أنعما حمداً كثيراً طيباً مُلازما

في كل وقتٍ أمَدَ الأزمان ثمَّ صلاتُهُ على العَدنان

2. 4 : الشيخ السَّيِّدْ البَكْرِي بْن عَبد الرَّحْمَن:

هو مُحَمَّدْ البَكْرِي بْن عَبد الرَّحْمَن بْن الطَّيِّبْ بن أَحْمَدْ بن مُحَمَّد بن عُمَرْ بن مَعْرُوف بن سَيِّدِي يُوسُف. يقول عنه الشيخ باي بلعالم: « كان عالماً متضلعاً في الفقه واللغة والنحو وعلم العروض، وعلم المواريث، كان بحراً لا يُجارى، فهو من تنلان أصلاً ومن زاوية الشيخ سيد البكري مسكناً وداراً، يقال أنه إذا سُئل عن مسألة يقول للسائل: تريد الجواب نظماً أو نثراً، وكذلك إذا سُئل كتب وثيقة يقول للسائل تريد الوثيقة نظماً أو نثراً؛ لأنه كان بحراً فَيَّاضاً زاخراً »[69]، والظاهر أنّه كان منتمياً للطريقة القادرية في شعبتها البكرية. ولشاعرنا عدة مؤلفات، وله ديوان شعر ما يزال مخطوطاً، وأغلب شعره في المديح النبوي والزهد، وله أشعار في التلغيز، وله قصيدة خالية من صورة الألف الذي هو أكثر الحروف دوراناً في الكلام يقول في مطلعها:

محمد كَنْزُ كل كونٍ وعَيْنُهُ عليك س كوني يصلي بكثرة

محمد ذو وصف عزيز تعزَّزت قريش به في كل وقت وجَلَّ تِ...

وله قصيدة خالية من الحروف المعجمة، وهي في مدح الرسول " مطلعها:

مدحي علو محمد المعصوما ه ص ى الملوم وحاسداً مسموما

وصحى له حلكى وحال سواده سعدا وسر سرورُه المهموما

لِمَ لا وأحمد سر كل محامد وسموه سام علاه عموما

ولشاعرنا قصيدة أخرى مدح فيها العلامة القطب مولاي سليمان بن علي المعروف بـ " أُوشَّنْ " والملقب عند العلماء بـ " سُلْطَان تيمِّي "، يقول فيها:

سيدي سليمان بن علي وفسيل ابن حرزهم في الطريقة

فقت مجداً وسؤدداً وكمالا وسلوكاً شريعة وحقيقه

قد حللت توات كالبدر يسري تهزم الظلمات منه الشريقة

وملكت أزمة العز والتصريف فيها مع الصفات الأنيقة

وبسطت يديك بالجود تُعطي كل ذي آمال ثياباً صفيقه

ومنحت الزوار كل مرامٍ دوحه سر بالغصون الوريقه

وهديت من الخلائق جمّاً للهدى بعد هونهم بسحيقه

مثل سيدي الأحسني فأضحى بالولاية ذكره في الخليقة

بعد أن كان في حضيض انقطاع فارتقى بعد في المراقي الشريقة

وعلى قبرك المعظم نور ظاهرٌ لذوي الفهوم الدقيقة

حرمة عظم الإله حماها ما لها في كثيرها من شقيقة

كل من لم يكن له أدب في حوزها فصم الإله وثيقه

سند المستغيث كن لي غيّاثاً في عويص الخطوب تضحى طليقه

أنت حامي الديار حاشاك ركني أن أكون من الجموع الغريقه

في حماك الضعيفُ مادح معناك البُكير الفقير حالك فيقه

صانه الله من شياطين جِنٍّ مع إنسٍ بنيرات عتيقه

وللشاعر قصائد أخرى ورسائل لا يتسع المقام لذكرها، وربما تُفسح لنا في المستقبل فرصة أخرى للوقوف عندها.

2. 5: السَّيِّد الزَّرُّوق (أَحْمَدْ زَرُّوق):

هو أحد العلماء الشعراء في توات، يقول عنه عبد القادر بن عمر بن عبد الرحمن التنلاني؛ صاحب كتاب " الدرة الفاخرة في ذكر المشائخ التواتية ": هو « الشاعر أحمد زروق بن أبي عبد الله سيدي محمد بن موسى الجَعْفَري، كان رحمه الله إماماً عالماً في الفقه وله شعر جيد، وكان صالحاً أديباً أخذ عن شيخه سَيِّدِي امْحَمَّدْ الوَنْقَالِي، وعن سيدي محمد بن احميد الزجلاوي وسافر لفاس وأخذ عن علمائها... أخذ عن التاودي وحضر مجلسه وخَتَمَ عليه البخاري خمسة عشر مرة ...» [7] ، وذكر الكاتب أن شاعرنا توفي صبيحة الأربعاء عام خمسة وأربعين ومائتين وألف (1245هـ) ، وهذا التاريخ فيه كثير من اللُّبس، لأنه ذكر أنه أخذ عن الشيخ سيدي محمد الونقالي وعن سيدي محمد بن احميد الزجلاوي اللذين يفصله عنهما حوالي قرنٍ من الزمن.

وينتمي الشاعر أحمد زروق إلى نفس العائلة التي ينتمي إليها الشاعر سيدي محمد ابن المبروك البودوي وهي عائلة " الجعفري " ، التي استوطنت زاوية سيدي حيدة بقصور منطقة بودة.

والظاهر أن شاعرنا أحمد زروق كان قاضياً، وربما دليل ذلك ما وجدناه في ورقة من أحد المخطوطات القديمة مجهولة المؤلف، ونصه: « الحمد لله وحده، شروح مسلم، صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً، مما أفادنيه **القاضي الأديب** سيدي أحمد زروق البداوي شروح مسلم، المُعلِّم للمازري، والمُفهم للقرطبي، والإكمال لعياض .... »[8]، ثم ذكر أنه روى له قصة موت الحُجَّاج، ثم ذكر مؤلف الكتاب قصة أحمد زروق مع سيدي محمد بن عبد السلام الفاسي إمام القراء، وذكر بعد ذلك نظماً لسيدي أحمد بن عبد العزيز لَمَّا سُئل عن البخاري ومسلم أيُّهما أفضل، فأجاب بقصيدة مطلعها:

تنازع قوم في البخاري ومسلم لديَّ وقالوا أيذين نُقَدِّمُ

فقلت لقد فاق البخاري صِحَّةً كما فاق في الصناعة مُسْلِمُ...

والقصيدة طويلة في المخطوط، ما زالت تحتاج إلى دراسة وتحقيقٍ.

2. 6: الشيخ مُحَمَّد ابْن بَادِي ابْن بَايْ الكَبِير :

يُعتبر ابن بادي ـ الذي ينسب إلى قبيلة كنتة ـ من العلماء الذين استطاعوا أن يربطوا منطقة توات بمنطقة شمال مالي والنيجر؛ المعروفة باسم " الأَزَوَادْ" ، من خلال ما كانت تصله من الرسائل خاصة في النوازل الفقهية التي نزلت آنذاك بالناس في توات، وقد كان يَحتكم إليه علماء توات في ما تقع بينهم من محاورات، مثل المحاورة التي جرت حول مسألة القبض في الصلاة، فَفَصَلَ فيها وفَصَّلَ ووضَّحَ، وقدَّم الشواهد الفقهية التي تدعم ما ذهب إليه من رأيٍ.

وكتب محمد ابن بادي رسالة مطولة سمَّاها " حدائق الإرشاد والتنبيه على فساد العَقْد قبل الحُكم بفسخ المُختلف فيه "، كتب هذه الرسالة بعد محاورة دارت بينه وبين أحد علماء الأزواد، اسمه لَبَاتْ بن مُحمَّدْ بن إِبْرَاهِيم، في موضوع عقد نكاحٍ مفسوخٍ؛ لكنه من الأنكحة المُختلف فيها.

وقد أرسل محمد ابن بادي قصيدة شعرية إلى السَّيِّدْ الحَاجْ مُحَمَّد عَبْد القَادِر بَلْعَالَمْ القَبْلاَوِي (ولد 1298هـ)، يقول فيها:

أعبيد القادر السامي مرامي	محمد من به دهري غرامي
حبيبي من مناي الدهر منه	لقاء فيه لي شفا سقامي
يعود عليك مني كل آن	تحايا بالسلام من السلام
تجدد كل عهد قد تعفَّا	وتنجد كل ودٍّ ذي اهتضام
وتنشر كل فخر في ذراكم	وتحضر كل فخرٍ للتسامي
وبعد فإننا في كل خيرٍ	عسيتم مثل ذاكم في انتظام
فكيف الحال حالكم جميعاً	منانا في الرحيل وفي مقام
فلا زلتم بحفظ أين كنتم	هداة للمجاهل في الأنام
ولا زالت من الرحمن تترى	عليكم مكفهرات هوام
ولا زلتم معادن كل فضلٍ	به تُسنون ديجور الظلام
ولا زالت بنوكم خير أبناء	شموساً للمكارم للأنام
ولا زلتم مقاصد كل وفدٍ	لأوطارٍ تؤمل من كرام
ولا زلتم مصادر كل وردٍ	لدين المصطفى الهادي الختام

عليه وآله والصحب طَرّاً صلاة الله تُصحب بالسلام

وهذه القصيدة تعبيرٌ صادق عن المحبة التي كانت تربط هؤلاء العلماء، وهي محبة صادقة صافية لأنها بُنيت على الحب في الله.

وقد تتلمذ محمد ابن بادي على يد الشيخ محمد باي بن الشيخ سِيدِي اعْمَرْ، وألَّف مجموعة من الكتب أشهرها كتاب " بلوغ الغاية على الوقاية "؛ وهو نظم في النحو.

ويوضح لنا ابن بادي الطريقة الصوفية التي كان ينتمي إليها؛ وذلك في مقدمة كتابه " العَيُّ المَصروم على نظم ابن أبَّ لأجروم" حيث يقول: «...المالكي، القادري»[9].

فهو ينتمي إلى الطريقة القادرية التي كانت منتشرة في الحدود مابين توات والأزواد.

ولكن الشاعر يكتفي فقط بذكر الطريقة التي كان ينتمي إليها، ولم يُحدِّثنا عن بعض نشاطه فيها؛ وَمَنْ هم الذين أخذ على أيديهم أسرارها.

3- الخطاب الأدبي والخطاب الصوفي:

يُعتبر مصطلح " الخطاب "Discours من المصطلحات التي تعددت تعريفاتها من باحث إلى آخر؛ إضافة إلى اشتراك كثير من المجالات فيه، وعموما فالخطاب مادة لغوية على وزن " فِعَالْ" مشتقة بالتحويل عن الفعل الثلاثي " خَطَبَ " وجمعه خُطُوبٌ: الأمر أو الشأن ...

ومما يعنيه في الوضع: الكلام والحديث الذي يفترض جرياً على الأصل أكثر من طرفٍ، وعليه جاء قوله تعالى حكاية: {فَقَالَ اكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الخِطَابِ } سورة ص آية 23، وقوله: { وَآتَيْنَاهُ الحِكْمَةَ وَفَصْلَ الخِطَابِ } سورة ص آية 20.

وتتعدد التخريجات اللغوية لمصطلح الخطاب، أما إذا اتجهنا إلى المعنى الاصطلاحي له فإننا سنجد أن مصطلح " الخطاب " يُعَدُّ واحداً من كثرة من المصطلحات التي حملها إلينا تيار الحداثة ـ على حدِّ قول نوري سعودي أبوزيد ـ ، هذا التيار الذي حاول فيما حاول، إعادة النظر في كل الأشياء، وزعزعة النزعة الوثوقية المهيمنة طويلاً، بل وحتى إعادة قراءة الكم المتراكم من المصادرات والمسلمات والبديهيات، لا كما هي على الأقل. ومما يعنيه المصطلح: الوحدة اللغوية المساوية أو الأكثر من الجملة، ويتكون من متتالية حاملة رسالة أو إبلاغٍ، محصورة بين بداية ونهاية، وهو بهذا المفهوم يرادف مصطلح l'énoncé والجملة في رأي (بنفنيست Benvenist) هي بوابة الانتقال من حيز اللغة كنظام للعلامات، إلى مجال الخطاب، حيث

تستعمل اللغة كوسيلة الاتصال، ومن ثم فالجملة وحدة للخطاب الذي يفترض متكلماً يهدف إلى التأثير في مستمعه.

ويدخل مصطلح الخطاب ضمن مجال كبير يشتغل عليه البحث العلمي حديثاً ضمن تخصص يسمى " تحليل الخطاب " ، والخطاب في معناه العام في تحليل الخطابات « يحيل على نوع من التناول للغة ، أكثر مما يحيل على حقل بحثي محدد، فاللغة في الخطاب لا تعد بِنية اعتباطية بل نشاطاً لأفرادٍ مندرجين في سياقات معينة والخطاب بهذا المعنى لا يحتمل صيغة الجمع: يقال (الخطاب) و (مجال الخطاب) إلخ، وبما أنه يفترض تمفصل اللغة مع معايير لغوية، فإن الخطاب لا يمكن أن يكون موضوع تناول لساني »[10] . ومن هذا المنطلق يمكننا أن نعتبر عملية اقتفاء حضور الخطاب داخل النصوص الأدبية عملية صعبة وخطيرة؛ وسبب ذلك هو أن ما يعرف بـ " الخطاب الأدبي " لا يمكن إخضاعه للتجربة ومنه الوصول إلى نتائج مضمونة وواحدة بين كل القراء للنص الواحد.

وهناك عدة اصطلاحات يمكن أن تقابل مصطلح " الخطاب" منها النص texte عند (يلمسليف)، والأداء performance عند (تشومسكي)، والرسالة message عند جاكبسون، وأحداث الكلام عند زعيم المدرسة الوظيفية (أندري مارتيني).

ويمكننا أن نميز أضرباً شتى من الخطابات، بحسب نوعية المحتوى والعلاقة بين طرفي الرسالة (المرسل و المرسل إليه)، فإنه كما يقول محمد عابد الجابري: إذا تعلق الأمر بوجهة نظر يعبر عنها تعبيراً استدلالياً ـ وهو ما يمكن أن نطلق عليه تسمية الخطاب الفلسفي ـ وإلا فهو ـ أي الخطاب ـ أحاسيس ومشاعر، أو شِعر ، وهو ما يصطلح عليه باسم الخطاب الأدبي، وقريب منه الخطاب النقدي الذي هو متولد عنه، تالٍ له في الوجود. هذا إلى جانب أنواعٍ أخر: كالخطاب التاريخي، والخطاب الديني، والخطاب الفكري الأيديولوجي، وغيرها، ولا يكون هذا التمييز إلا بالاحتكام إلى عملية الاتصال، و« ما يحيط بها من مشكليات »[11].

وما يهمنا في بحثنا هنا هو الخطاب الأدبي، الذي يقوم في أساسه على هدم العادة، لكن حقيقة هدمه بناءٌ ـ على حد قول جوليا كريستيفا ـ ، أو هو بناء يوهم في ظاهره بالهدم، لأنه ينقل اللغة إلى استعمالات غير عادية على حَدِّ قول سعيد حسن البحيري.

ويرتبط الخطاب بالأسلوب ارتباطاً وثيقاً، حيث ذهب جاكبسون إلى أنَّه ليس بالإمكان « تعريف (الأسلوب) خارج الخطاب اللغوي كرسالة، أي كنص يقوم بوظائف إبلاغية في الاتصال بالناس، وحمل المقاصد إليهم ...فالرسالة تخلق (الأسلوب)، إلا أن الخطاب الأدبي مُتميز بفعل أن (الوظيفة الشعرية) هي التي تغلَّبت فيه، فهو خطاب مركَّب في ذاته ولذاته...» [12].

وإذا كان عمود الخطاب الأدبي هو هدم العادة؛ فإن الخطاب الصوفي عموماً والشعري منه خصوصاً هو هدم لعادة العادة؛ لأنه يرفض القوالب الشائعة، ومنه يطرح النص الصوفي عدة قضايا معرفية وفكرية؛ لعل أهمها هو صعوبة قراءته وتلقيه؛ ومنه تبليغه، ويرجع ذلك إلى الإيغال في توظيف الرمز، والتلميح لا التصريح، وهي أساليب تبناها الصوفية في كتاباتهم الشعرية خاصة، لذلك ظهرت عدة معاجم تحاول تبسيط تلك المصطلحات والتعابير التي يستعملها " القوم " ، منها " معجم مصطلحات الصوفية للكاشاني " و " معجم مصطلحات المتصوفة لابن عربي " و" الرسالة القشيرية لأبي القاسم القشيري " و" معجم الكلمات الصوفية للهادي النقشبندي الخالدي " وغيرهم.

ويصرح بهذا الاستعمال للرمز الشاعر محيي الدين ابن عربي حيث يقول:

« كلما أذكر من طلل أو ربوع أو مغانٍ كلما

وكذا إن قلت هي أو قلت يا وألا إن جاء فيه أو أمَا

وكذا إن قلت هي أو قلت هو أو همو أو هُنَّجمعاً أو هُما »

إلى قوله:

« أو نساء كاعبات نُهَّد طالعات كشموس أو دُما

كلما أذكره مما جرى ذكره أو مثله أن تفهما

منه أسرارٌ وأنوارٌ جَلَتْ أو عَلَتْ جاء بها رَبُّ السَّما

لفؤادي أو فؤادِ من لهُ مثل مالي من شروط العُلما

صفةَ قُدسية علوية أعلمت أنَّ لصدقي قِدما

فاصرف الخاطر عن ظاهرها واطلب الباطن حتى تعلما »

وهذا إعلان منه على الخفاء في التعبير عما يقصده من معاني، ومنه فإن « مسألة حجاب الرمز قد تحول بين القارئ وبين النص الصوفي، وهي من أعوص المشكلات؛ باعتبار أن حجاب الرمز هذا قد يكون وراء كثير من التشوهات التي تلحق فهم القاريء للنص، وبالتالي يؤدي إلى

تشوه الرؤية الفكرية للتصوف ككل، ومن هنا كان من الضروري التوسل بآليات فهم النص الصوفي كي لا نقع في هذه المزالق، خصوصا وأن مؤلفات وأقوال المتصوفة تزخر بالرمز؛ والرمز من حيث هو رمز له قابلية لتأويلات شتى لذا شدد المتخصصون على وجوب الحذر»[13] وهذا الحذر يدفعنا لطرح سؤال مهم مفاده: هل الشعر الصوفي فعلا سر لا نراه ولذلك ازداد مريدوه الذين يسعون لكشف أسراره بالتماهي والمجاهدة والمكاشفة والمحو والتقلب؟، وهل هناك خلطة سحرية لتبليغ النص الشعري الصوفي؟

وربما نجد في ذلك الربط الذي ربطه أدونيس بين الكتابة الصوفية والمعرفة الصوفية بعضا مما يشفي غليلنا فهو يقول بأن « الكتابة الصوفية شأن المعرفة الصوفية إنما هي تاريخ هذا الوقت ، تاريخ العلاقة بين الأنا والأنت، أو تاريخ حوارها، وهي معرفة لا تُنْقل ، ذلك أنها ليست عقلية بل ذوقية ، وكما أن لكلٍّ "ذوقه " فإن لكلٍّ " معرفته " ، فلا يكفي الآخر أن " يقرأ " لكي يعرف وإنما يجب أن " يعيش " و " يختبر " »[12].

وبهذا يكون أدونيس قد حدد لنا معالم تلقي وتبليغ النص الصوفي ، إذ لا يمكننا أن نتذوقه ونحن نطل عليه من الطابق العاشر، بل يجب أن نملأ به خواطرنا ووجداننا؛ وتتحرك عند سماعه قلوبنا وأجسادنا ، وليس الرمز في الشعر الصوفي راجعا إلى الكنايات البعيدة وحدها وإطلاق أسماء من قبيل الرموز الخفية على مسميات لا يُراد التصريح بها، كإطلاقهم الخمرة على لذة الوصل ونشوته، والمعاني الحسية التي يستعملها الصوفية في الدلالة على المعاني الروحية يرمزون بها إلى مفاهيم وجدانية على الرغم من الرداء المادي الذي تبدو فيه، ومن ثم استعمل الصوفية الوصف الحسي والغزل الحسي والخمر الحسية؛ وأرادوا بها معاني روحية ، ومنه لا يمكن تلقي أو تبليغ أي نص من النصوص الصوفية، إلا إذا توسلنا بالمعاجم التي تفسر مصطلحاته، وإلا فإننا سنذهب إلى تفسير المصطلحات كما هو في استعمالنا وهذه الخطوة الأولى في الابتعاد عن الفهم الحقيقي للنص، وقد يكون الصوفية مضطرين إلى استعمال الرمز لأن الحاجة ألجأتهم إليه؛ لأنهم يعبرون عن معان ومشاهد وإحساسات نفسية لا عهد للغة بها ولا بالتعبير عنها ، وعطفاً على ما سبق فإن الاستعانة بعلم الشعر ضرورية ؛ فهو الذي يمدنا بتلك النظريات والآليات التي تمكننا من اختراق عوالم النص وخاصة الصوفي منه ـ لِمَا ذكرناه سابقا ـ ولكن الأستاذ علي أوشان ينكر قدرة علم الشعر على مقاربة النصوص، ويرى أنه لا أساس له حين يقول: « ما علم الشعر الذي يدعون إليه إلا صفات لن تَنَالَ من الشعر إلا ما يُظْهِره، أما سره فلن يستجيب للعلم لأنه لا يستقر على حال، ولذلك فإن العلوم تنتهي عند عتبة الشعر لأنها علوم لا تُدْرِكُ أن الشعر مجالسة وذكر وتذكر، حيث الجليس لا يستأذن ولا يستجير وإنما يرى كيف يعيد الشاعر تشكيل الكلمات والأشياء، ناراً ونوراً همّاً ووهماً ائتلافاً واختلافاً، فمن دخل حضرة الشعر

بالعلم عاد من حيث أتى، ومن قصده للمجالسة خرج الشعر إليه وأدخله حضرته التي يَمَّحِي فيها العلم ويحترق العلماء بنار الشِّعر ، وهي نار محرقة ولكنها في الوقت نفسه نورٌ »[14]. ونحن معه في أن لذة الشعر لا تحصل عند المتلقي إلا إذا استُعذب النص، وما كانت الموسيقى الداخلية والخارجية في الشعر إلا لأجل تسهيل تذوقه والتغني به ومن ثم حفظه، وتبني ما احتواه من أفكار لأن الشعر رسالة وهو أمانة. ولكننا لانشاطره الرأي حين يقول: «... من دخل حضرة الشعر بالعلم عاد من حيث أتى... »[11]، لأنه هنا يقصد الباحث أو الدارس أو الناقد، والناقد متذوق من الطراز الرفيع وخاصة فيما يستهدفه من النصوص، إذ يصعب عليه مقاربة نص دون تذوقه، فهو يبحث عما يخفيه (النص) من جواهر ولآليء، ويبحث عن سر جماله، ومنه يُسَهِّلُ عملية تلقيه وتبليغه.

وبعض من تلك المصطلحات التي يوظفها الصوفية نجدها في القصيدة ، التي كتبها السهروردي وهي حائية رائعة تستعذبها الآذان وتتلقفها الصدور، ولكن فهم معانيها يبقى مؤجلا، اسمع معي له وهو يخاطب "أهل الوصال" قائلاً:

« أبدا تحن إليكم الأرواح ووصالكم ريحانها والراح

وقلوب أهلِ ودادكم تشتاقكم وإلى لذيذ لقائكم ترتاح

وارحمتا للعاشقين ت حمل وا ثقل المحبة والهوى فضاح

بالسر إن باحوا تباح دماؤهم وكذا دماء العاشقين تباح

وإذا هم كتموا تحدث عنهم عند الوشاة المدمع السفاح

يا صاح ليس على المحب ملامة إن لاح في أفق الوصال صباح

لا ذنب للعشاق إن غلب الهوى كتمانهم فنما الغرام فباحوا »

فمن مصطلحات الصوفية في النص نجد: " الأرواح "، " الوصال "،" الراح"، "العاشقين "، " المحبة "، " الهوى "، " السر "، " الوشاة "، " الغرام ".

وهي كلها في " مقام المحبة " ولمقام المحبة أربعة ألقاب (الهوى، الحب، الود، العشق) وقد جاء في فاتحة كتاب "المواقف" للأمير عبد القادر قوله: « هذه نفثات روحية وإلقاءات سُبُّوحيّة بعلوم وهيبة وأسرار غيبية من وراء طور العقول وظواهر النقول، خارجة عن أنواع الاكتساب والنظر في كتاب؛ قيدتها لإخواننا الذين يؤمنون بآياتنا إذا لم يصلوا إلى اقتطاف أثمارها تركوها في زوايا أماكنها، إلى أن يَبْلُغُوا أشُدَّهم ويستخرجوا كنزهم ..... »[13].

ومن كل ما سبق نصل إلى أن الخطاب الصوفي « وبفعل قوانينه واستراتيجيات التواصل المعقد فيه؛ يمتلك من سمات الإطلاق واللاتحديد، ما يجعله بمثابة الآلية الكاتمة التي شكَّل وضعها في التلقي آلية انفتاحه، وهو وضعٌ تأويليٌ »[14]، يحتمل تقليبه على أكثر من وجهٍ، ويتقبل أكثر من قراءةٍ.

أمَّا مسألة البحث عن بنية الخطاب الشعري عموماً، والخطاب الشعري الصوفي خصوصاً؛ فالظاهر أنَّ النقاد العرب لم يصلوا فيها إلى كلمةٍ سواء، والدليل على ذلك ما نلاحظه في كتابات بعض النقاد العرب المحدثين، من اختلاف في وجهات النظر حول تحديد ماهية " بنية الخطاب الشعري"،ويستحيل في هذه الوريقات أن نقف عند وجهة نظر كل النقاد العرب المحدثين، وقد كفانا الأستاذ محمد عزَّام مشقة إعادة الجوانب المتعلقة بذكر كل ما توصل إليه النقاد، في رحلة البحث عن بنيةٍ للخطاب الأدبي. والبحث العلمي عملٌ تراكميٌ في حدِّ ذاته.

ويرى محمد عزَّام أن رواد التنظير للمنهج البنيوي في الوطن العربي هم: كمال أبو ديب في سورية، وصلاح فضل في مصر، ومحمد بنيس في المغرب، وعبد الله الغذامي في السعودية ، ونضيف إليهم الباحثة الجزائرية آمنة بلعلى، والتي تميزت بدراساتها حول مقاربة الخطاب الصوفي، منها كتاب" الحركية التواصلية في الخطاب الصوفي، من القرن الثالث إلى القرن السابع الهجريين"، وأيضاً " تحليل الخطاب الصوفي في ظل المناهج النقدية الحديثة".

أما النقاد العرب الذين اهتموا بتحليل الخطاب الشعري تحديداً فهم كُثرٌ، نذكر من بينهم: كمال أبو ديب، خالدة سعيد، عبد الكريم حسن،عبد الله الغذامي، محمد مفتاح، عبد الملك مرتاض، ويوسف إسماعيل...

أما كمال أبو ديب فقد كتب كتابه " جدلية الخفاء والتجلي: دراسات بنيوية في الشعر " سنة 1979، وقد أسس في هذا الكتاب للمنهج البنيوي، تنظيراً وتطبيقاً، ثم ما لبث أن كتب كتابه الثاني: "الرؤى المقنعة: نحو منهج بنيوي في دراسة الشعر الجاهلي " سنة 1987 ، وقد خصصه للجانب التطبيقي في هذا المنهج.

وفي كتابه الأول لم يبين الباحث المنهج الذي سيسلكه في كشف " بنية الخطاب الشعري "، فقد تحدث عن الصورة الشعرية، ثم فضاء القصيدة، ثم الإيقاع الشعري، وبعدها الأنساق البنيوية، ثم بعدها خصص باباً سمَّاه بـ" نحو منهج بنيوي في تحليل الشعر" ، وقد حلل الباحث فيه بنيوياً مقطوعات شعرية لأبي نواس وأبي تمَّام، وركز في ذلك على مبدإٍ أساسيٍ في المنهج البنيوي؛ وهو أن (الظواهر) لا تعني وهي معزولة، وإنما تعني عبر (العلاقات) التي تنشأ بين هذه الظواهر، وركز أيضاً على الثنائيات الضدية على المستوى الدلالي؛ و المستوى النحوي؛ و الصرفي؛ و مستوى الإيقاع.

أما خالدة سعيد (زوجة الشاعر أدونيس) ، فقد كتبت كتابها الأول بعنوان: " البحث عن الجذور" سنة 1960، ثم أتبعته بآخر سنة 1979 بعنوان:"حركية الإبداع: دراسات في الأدب العربي الحديث"، وحاولت الباحثة في هذا الكتاب أن تمزج في دراستها للشعر والرواية والقصة؛بين منهجين نقديين هما: المنهج الانطباعي، والمنهج البنيوي، هذا الأخير الذي حَلَّلَتْ على ضوئه قصيدتي: "هذا هو اسمي "لأدونيس؛ وقصيدة "النهر والموت للسياب ".

أما عبد الكريم حسن؛ فقد كتب سنة كتابه " الموضوعية البنيوية: دراسة في شعر السياب"، ثم كتب سنة 1990 كتاب "المنهج الموضوعي "، وعرَّب سنة 1996 " مورفولوجيا القصة" لفلاديمير بروب. وقد تبنى الباحث في كتابه الأول مقولة " القراءة الحلولية "(مبدأ المُحايثة)، التي تُهمِّش العوامل الخارجة عن صُلب النص الأدبي.

أما بنية الخطاب الشعري عند محمد مفتاح، فقد حاول الباحث الكشف عنها في كثير من كتبه منذ بداية الثمانينات؛ ابتداءً من كتابه " في سيمياء الشعر القديم" سنة 1982، انتهاءً بكتابه " الخطاب الصوفي " سنة 1996، مروراً بكتابه "تحليل الخطاب الشعري عام 1985، والذي جمع فيه أكثر من منهجٍ. أما عبد الملك مرتاض، فقد ألَّف عدة كتب في نقد الشعر عموماً؛ والتأصيل للمنهج البنيوي خصوصاً، لعلَّ أهمها: " بنية الخطاب الشعري" عام 1986 ، و" شعرية القصيدة، قصيدة القراءة " سنة 1994، وكتاب " بنية الخطاب الشعري: دراسة تشريحية لقصيدة أشجان يمنية " عام 1986، الذي انتقده كثيراً محمد عزَّام، حيث يقول حين ذكر عنوان هذا الكتاب: ...كنا نتوقع أن يُطلعنا الباحث على نظرية المنهج التشريحي الذي عنون به كتابه، لكنه ما زاد على أن عالج قصيدة الشاعر اليماني عبد العزيز المُقالح، عبر مناقشته للعناصر التالية: خصائص البنية، الصورة الفنية، الحيز الشعري، الزمن الأدبي، الصوت والإيقاع، المعجم الفني، وكلها عناصر فنية في النقد التقليدي، لا الحداثي. ورغم كل هذا النقد لكننا من باب الإنصاف العلمي؛ لا ننكر جهود الرجل التنظيرية في المنهج البنيوي، وهي تحتاج إلى قراءات ووقفات من طرف الباحثين والنقاد. أما عبد الله الغذامي الذي عُرف بكتابه " الخطيئة والتكفير " 1985 ؛فقد أسهم في التنظير العربي للمنهج البنيوي، وقد أحدث بكتابه هذا ضجةً كبيرةً؛ لأنه تَبنَّى فيه أحدث منهجين نقديين حينها، واستفاد في هذا الكتاب من آراء بعض النقاد الغربيين مثل (جاكبسون) و (رولان بارث)؛ وحاول أن يربط بعض مقولاتهم النقدية؛ بما ورد في تراثنا العربي من آراء لنقادنا القدامى؛ مثل الجاحظ، وعبد القاهر الجرجاني، وحازم القرطاجنِّي، وغيرهم (خذْ طرحه لنظرية البيان (الشاعرية)مثلاً). وقد تعرض الباحث في كتابه هذا لتعريف البنيوية؛ باعتبارها مفتاحاً من مفاتيح النص، وقال عنها: البنيوية مَدٌّ مباشرٌ من الألسنية (علم اللغة: Linguistics)، ويقف السويسري دي سوسير على صدارة هذا التوجه النقدي، وذلك منذ أن أخذ بتعريف اللغة على أنها نظامٌ من

الإشارات (Signs). وهذه الإشارات هي أصوات تصدر من الإنسان، ولا تكون بذات قيمةٍ إلا إذا كان صدورها للتعبير عن فكرةٍ؛ أو توصيلها.

وعلى ضوء هذا التعريف راح الباحث يطبق رؤيته على أشعار بعض الشعراء؛ منهم امريء القيس والمتنبي؛ وغيرهم. وقد قام يوسف إسماعيل بتطبيق المنهج البنيوي في كتابه " بنية الإيقاع في الخطاب الشعري: قراءة تحليلية للقصيدة العربية في القرنين السابع والثامن الهجريين "، واستطاع الباحث أن يكشف عن بنية الإيقاع في الخطاب الشعري؛ من خلال قراءة تنطلق من النص؛ لتكشف دور البنية الإيقاعية في تأسيس بناء القصيدة العربية في ضوء النموذج النظري لها.

وانطلاقاً من هذه الآراء النقدية وغيرها؛ حاولنا أن نسلك مسلكاً ارتأيناه أنسب لبحثنا، وحاولنا فيه الاستفادة من بعض الآليات؛ في الكشف عن بنية الخطاب الشعري الصوفي عند شعراء مدونتنا.

1. الباب الأول
التصوف وطرقه في توات

1. 1. الفصل الأول: التصوف نشأته وتطوره وخصائصه

لعله من السنن المنهجية التقليدية والأعراف المستحدثة في مجال البحث العلمي أن يُعرِّف الباحث بدراسته وبإطارها العام قبل الشروع في صميم عمله المُبتغى، إذ لا نستطيع أن نحكم على أي نص أدبي حكماً وافياً ما لم نتعرف على إطاره المرجعي.

نعتقد بداية أن النص ليس إلا إيهاماً مرجعياً، وأنه كيان يستمد مكوناته ومصطلحاته من السلطة المرجعية التي ينتمي إليها؛ بتناسله مع نفسه ومع غيره من النصوص الأخرى التي تنتمي معه لنفس السلطة المرجعية.

وإذا كان ذلك كذلك، فإنه من الواجب أن نُعرِّف بالتصوف؛ نشأةً وتطوراً؛ وأن نرصد دخوله إلى هذه البلاد (توات)، وما آل إليه من ازدهار أو ركود على امتداد الفضاء الزمني المخصص لهذا العمل؛ حتى نؤسس بذلك ركناً وثيقاً لهذه الدراسة.

وقد يبدو الأمر في البداية مستعصياً إذا علمنا أن التصوف الذي نروم تعريفه من أسخن الجوانب الإسلامية ومن أكثرها حساسيةً منذ أن ظهر إلى يوم الناس هذا، فالصراع فيه وعليه وحوله مستمر دائما بين مؤيد ومعارض ومدافع « فلا يوجد علم على وجه الأرض كثرت تعريفاته وتعددت اتجاهاته مثل التصوف »[13] كما يقول عبد القادر أحمد عطا.

وبالرغم من العدد الكبير من التعريفات التي عَرَّفت بها الصوفية على مر الحقب والأزمنة التصوف؛ فإنه بإمكاننا أن نستخلص من هذا الحشد بعض التعاريف الأصول، ونترك الروافد التي غالباً ما تساهم في تكوينها الأساطير الشعبية والعقليات البدائية.

وسيدور حديثنا في هذا الفصل حول بعض المحاور نوردها تباعاً:

التعريف بالتصوف ونشأته.

تطوره.

ميزاته.

مؤسساته.

بعض مبادئه: (مقاماته وأحواله).

التصوف والفقهاء.

1. 1. 1. التعريف بالتصوف ونشأته:

التصوف ظاهرة دينية ومفهوم معيَّن للإسلام عرفه التاريخ الإسلامي، قوامه فلسفة روحية ترتكز على الذكر والاعتكاف؛ وفق أساليب تربوية مرهقة لنفس يتحملها المُريد؛ طاعة حتى تزكو نفسه وترتقي معارج عليا من الإيمان؛ وتتبوأ منازل سامية من الصفاء والإشراق.

ويرى عبد الرحمن ابن خلدون ـ وهو كبير مؤرخي فنون العلم في الإسلام ـ « أن التصوف عِلم من العلوم الشرعية الحادثة في المِلَّةِ، وأنه يقوم على عناصر أهمها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها »[14].

ويرى زكي مبارك أن التصوف « ليس وقفا على الدراويش الذين يعيشون عيش التسول، ويتخذون شمائل الزهاد صادقين أو كاذبين، وإنما هو نزعة روحية يحسها الأغنياء كما يحسها الفقراء، ويدركها الفاجر كما يدركها العفيف »[15] ويرى أبو نصر السراج أن الصوفية « لم ينفردوا بنوع من العلم دون علم ولم يترسموا برسم دون رسم، وذلك لأنهم معدن جميع العلوم، ومحل جميع الأحوال المحمودة والأخلاق الشريفة سالفاً ومستأنفاً »[16].

ولقد لخص قاسم غني مفهوم التصوف بقوله: « التصوف أو العرفان في نظر المسلمين هو طريق يمزج الدين بالفلسفة، ويرى معتنقوها أنها هي وحدها الكفيلة بالوصول إلى الحق، وهذا الوصول إلى الكمال متوقف على السير والسلوك والتفكير والمشاهدة التي تؤدي بصاحبها إلى الوجد والحال والذوق، وتوصل الإنسان في النهاية بطريقة رمزية إلى الله تعالى، وسالكو هذه الطريقة يُعرفون بالصوفية أو العارفين أو أهل الكشف »[17].

ويقول الشيخ سيد المختار الكنتي الشنقيطي مُعرّفا التصوف: « التصوف أو علم الباطن طريق روحاني تسلكه القلوب فتقطعه بالأفكار حسب العقائد والأبصار، أصله نورٌ سماويٌ ونظرٌ إلهي يقع في قلب العبد ينظر به نظرة فيرى أمر الدارين حقيقة »[18].

ويقول أيضا « اعلم أن مذهب الصوفية ظاهر وباطن، فظاهره استعمال الآداب والأخلاق الحسنة مع الخلق وباطنه منازلة الأحوال والمقامات مع الحق وأن الظاهر علامة الباطن والباطن حقيقة الظاهر»[18].

وأقوال المشايخ في ماهية التصوف تزيد على ألف قول حسب الإمام السهروردي لذلك نكتفي بالإحالة على مظانها، ولئن ذهب كثير من المتصوفة أنه بدأ مع كبار الصحابة رضوان الله عليهم فإنه لم يَفرض نفسه كحركة لها أعداؤها وأنصارها إلا في بداية الدولة العباسية، حيث بدأ النقاش يدور حول أصل الكلمة ومعناها: أهي أصيلة أم أنها دخيلة مستوردة ؟ ونعتقد أن التصوف

كان وليد وضع داخلي في الحياة الإسلامية في القرن الثاني الهجري، وامتاز حينها بتناقضات صارخة تجسدت في الثراء الفاحش لبعض الطبقات والفقر المدقع للطبقات الأخرى، كما تميز بالاستبداد السياسي وعجز الكثيرين عن التصدي له، مما دفع بالبعض إلى مؤاثرة السلامة باللجوء إلى العزلة والانزواء والتفرغ لإصلاح النفس بالانسلاخ التام عن المجتمع الفاسد والتركيز على التأمل في ملكوت السموات والأرض حتى تَصْفُو النفس وتصل إلى منازل الإشراق.

وقد ربط بعض المستشرقين أصول الصوفية بالرهبانية المسيحية وبالعقائد اليونانية والهندية أساسا وخاصة تلك التي تقوم على قهر النفس وكبتها وتحقير الدنيا وذمها والزهد فيها.

ولقد ذهب هؤلاء المستشرقون إلى أن الكلمة في الأصل مشتقة من هذا المعنى، لِما عُرف عن نُسَّاك الهنود من تقشف، ولِما عرف عن رهبان المسيحية القدماء من لبس الصوف داخل الأديرة والصوامع.

ويجد المتعصبون لأصالة التصوف دحضاً لهذا الرأي؛ بما ورد عن النبي " والصحابة رضوان الله عليهم من لبس الصوف، والانزواء في أماكن خفية للتهجد والعبادة، ويحتج أصحاب هذا الرأي بوصف عمر رضي الله عنه للرسول صلى الله عليه وسلم بالتقشف، إذ يقول: لقد والله جالَسْتَنَا ونكحت إلينا ولبست الصوف وركبت الحمار وأردفت خلفك ، وبما ذُكر عن الحسن البصري أنه كان يقول: أدركت سبعين بدرياً كان لباسهم الصوف.

ولعلنا لا نجانب الصواب إذا قلنا إن تعاليم الإسلام لا تتنافى في الأصل مع التصوف وما يدعو له من تبتل وخشوع وزهد وتقشف، خصوصاً وأن التعاليم الإسلامية كلها تنبني في الأساس على نفس القصد، أَوَلَيست الصلاة خشوعاً وتضرعاً بين يدي الرحمان ؟ أَوَليس الصوم حرماناً يروم تطهير النفس وترويضاً على مؤازرة المحروم؟ وما مناسك الحج كذلك إلا جهاد وعبادة.

وبقطع النظر عن تضارب المعنى الاشتقاقي لكلمة " تصوف"، فإن التصوف يبقى سلوكاً في الحياة له مضامين فكرية تُغلِّبُ الجانب الروحي على الجانب المادي، فَرَضَ لنفسه مكانة في التاريخ، ومنزلة في الفكر الإنساني.

1. 1. 2. تطوره:

نشأ التصوف في المائة الأولى والثانية للهجرة حركة زهد وعبادة وإعراض عن الدنيا وإقبال على الله بالقلب والقالب، ولكنه لم يلبث أن صار مذهباً قائماً على أركان مدعَّمة تستمد شرعيتها من تأويل النص القرآني والحديث مع جماعة أرسوا دعائمه، كان منهم إبراهيم بن أدهم (- 161هـ/777م)، ورابعة العدوية (- 185هـ/ 801م)، وأبو علي شفيق البلخي (- 194هـ/

810م)، ومعروف الكرخـي (- 200هـ/ 816م)، وبِشـر الحافي (- 227هـ/ 840م)، وذو النون المصري (- 245هـ/ 850م) وأبو يزيـد البسطامي (- 261هـ/ 875م).

وبالرغم من المعارضة الشديدة التي لقيها التصوف وهو يافع من قبل الفقهاء، فإن ذلك لم يَحُدَّ من تطوره وانتشاره، إذ لا نكاد أن نصل إلى منتصف القرن الثالث الهجري حتى نجد المؤلفات المختصة فيه، والمصنفات التي تدون أقوال المشايخ وتسجل مناقبهم وكراماتهم تنتشر على نطاقٍ واسعٍ، وتُستنسخ من طرف المُناوِيء والمناصر على حَدٍّ سواء.

ومن تلك المصنفات نذكر كتاب " اللُّمَع" للسراج الطوسي، و" قوت القلوب " لأبي طالب المكي، كما دَوَّن السَّلَمِي تراجمهم في الطبقات، وانتهى التأليف الأصيل مع رسالة القشيري.

وليس من جاء بعد هؤلاء المؤلفين سوى شُرَّاح وملخِّصين لما قيل في التصوف « وحتى الغزالي فإنه لم يظهر في التصوف بكتابة الإحياء إلا بعدما نضج التصوف واكتمل » حسب محمد البهيلي النيال.

وربما كان القرن السابع الهجري هو القرن الذي يمثل أعلى نقطة وصل إليها الإبداع الصوفي والتألق العرفاني داخل الثقافة العربية الإسلامية ، مع الشاعرين مُحيي الدين ابن عربي (560هـ/ 638هـ) وعمر ابن الفارض (576هـ/ 632هـ).

وإذا كان الخطاب الشعري الصوفي بلغ قمته في القرن السابع الهجري؛ فإن القرون الأخرى لم تكن بأقل منه شأواً، لأن مهمة التصوف تضاعفت وأصبحت رسالته مزدوجة، فلم يعد التصوف تنسكا فحسب وإنما أصبح قيادة وزعامة سياسية في الوقت نفسه، فلقد أخذت الطرق الصوفية شكلها التنظيمي المحدد ولعبت دورها الرائد في حياة المسلمين الفكرية والاجتماعية وخصوصا في منطقة المغرب العربي.

1. 1. 3. مميزاته:

لم يلبث التصوف الذي بدأ في مرحلته الأولى سلوكاً فردياً أن أصبح متمثلا في تكتلات وجماعات تربط بينها علاقات وطيدة، تكاد تكون في أحكامها ومراعاة احترامها شبيهة بنظام الدول. وهذه العلاقات هي التي تحكم وتنظم الحياة داخل المحيـط الصوفـــــي (الزاوية)؛ بحيث يَعرف كل فرد ما له من حقوق وما عليه من واجبات وفق قوانين وخصائص تميز الكيان الصوفي عن بقية التجمعات البشرية، وتتمثل هذه الخصائص أساسا في العلاقة التي ينبغي أن تكون بين القمة والقاعدة؛ أو بين المتَّبَع والمتَّبِع؛ أو بين الشيخ والمريد، وما لكل واحد منهما من صلاحيات، ينبغي أن يتمتع بها؛ أو واجبات ينبغي أن يقوم بها ويراعيها، ومن تلك المميزات نذكر:

1. 1. 3. 1. ولاية الشيخ:

يحتل الشيخ في التنظيم الصوفي مكانة قدسية، تجعله إنسانا خارقا للعادة، يطاع في كل أمر ولو كان على غير صواب « لما أعطاه الله من علم لدني يجهله كل من لم تنفتح بصيرته على أسرار الكون »[19].

ولمَّا كان التصوف مقامات ومنازل لا يمكن ارتقاؤها إلا بشيخ عارف وجب على المريد أن يتبع شيخه في كل ما يقول؛ وأن يحترم الأوراد والأذكار والتسابيح كما يُأمر بها، ذلك أنه في التصوف لا يمكن الارتقاء إلا بشيخ يُقتدى بطريقته إذ أن السبيل إلى الله غامض وسبيل الشيطان ظاهرة، ومن لم يكن له شيخ يهديه قاده الشيطان إلى طريقه . فالمشايخ هم السبيل إلى الله عز وجل والأدِلاَّءُ عليه والباب الذي يُدخل منه إليه.

لذلك وجب احترامهم والانصياع طوعاً لأوامرهم « فلا ينبغي على المريد أن يتحرك في حال السماع بين يدي الشيخ إلا بإشارة منه إليه... وحتى لا ينبغي أبداً أن يبسط سجادته بين يديه... »[20].

ومن واجب المريد عند ملازمته للشيخ المربي أن يسلم أمره ونفسه إليه بأن « يستغرق نفسه كلها في الشيخ حتى لا يبقى له من نفسه شيء »[21] ، على حَدِّ قول الشيخ ماء العينين، وهذا ما يُعرف في عرف الصوفية بالاطراح التام بين يدي الشيخ وبالملازمة؛ يقول الشيخ سيد المختار الكنتي « إن المريد الصادق ملزم بمصاحبة المشايخ المربين بمشيئتهم لا بمشيئته؛ حتى يرى شيخه سماء وأرضا تُقله، تتجلى في شخصه ميمون التجليات وتقرب إليه بيمينه التدليات، لا يطلب عنه حِولاً ولا يبغي به بَدَلاً »[22].

وبهذا التقديس نال المشايخ سلطة تامة ونفوذا مطلقا على كل من لم يصل مرتبتهم، ولم يرق إلى مقامهم، فحُكيت حولهم الأساطير ونُسجت فيهم القصص الخيالية، ودُوّنت مناقبهم وكراماتهم، واعتبرت خوارق وفتوحات ربانية.

وادعى البعض زوراً هذا اللقب، واستغله لصالحه زاعماً أن له بركة يقدر على قتل الأنفس وهبة الرزق متى أراد، وشفاء المرضى واستسقاء المطر، بل فيهم من يزعم أنه يشفي عقم النساء ويهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء ذكوراً.

والشيخ الذي يتبوأ هذه المنزلة عند المتصوفة يستمد شرعية سلطته من مصدرين هما: الوِرْدُ والبَرَكَةُ، ويمثل الورد تتابع الأولياء الذين استمد منهم تعاليمه، أما البركة فإنها قوة خفية يستمدها الشيخ من خلال رحلته التطهيرية أو الإشراقية، فيستخدمها متى شاء كما يستخدم ماله الخاص.

1. 1. 3. 2. المُريـد:

يلتزم المريد بمجرد البيعة أن لا يُشرك في المحبة غير شيخه، وأن لا يُعظّم أحدا سواه، ولا يقتدي بغيره، فالمريد عند المتصوفة يجب عليه أن لا يرفض أوامر الشيخ حتى وإن لم تكن هذه الأوامر على حق، كما يجب عليه أن يستمسك بورده كما « يمسك الأعمى قائده على شاطئ نهر»[23].

وهكذا تلتزم تعاليم الصوفية الانصياع التام للشيخ والتفويض الكلي له، لدرجة أنها تأمر المريد أن يكون بين يدي شيخه « كالميت بين يدي غاسله، وأن لا يخالط أحداً ولا يشتغل بعلم ولا قرآن ولا بذكر إلا بإذنه »[22] كما يقول الشعراني.

وإذا تعلق مريد صادق النية بأحد مشايخ التربية وجب عليه مراعاة بعض الآداب والواجبات منها: أن يُسلِّم مقاليد نفسه لشيخه وأن لا يتريث أو يتردد في تنفيذ أوامره؛ يقول الشيخ سيد المختار الكنتي « من واجب المريد أن لا يكتم عن شيخه أي خاطر(...) وأن يرى العلم له والحال منه، فإذا سَأل عن مسألة فوض أمرها إليه وإن كانت عنده خلاف ذلك، وإن ظن غيبة الشيخ تركه حتى يراه رجع، فإذا رآه رجع إلى عالم الشهادة فليسأله لِيَلاَّ يأخذ المسألة منه على الخطأ »[24].

ولعل التصوف ما كان لينتشر ويترسخ لو لم يعتمد على هذه الأوامر الصارمة التي تلزم الأتباع - أمام شيوخهم- بالطاعة المطلقة.

وهكذا ضمنت أحادية التلقي للكيان الصوفي التماسك وعدم التخاذل، وسَوَّرَتْهُ بسورٍ منيعٍ يقيه تهجم المناوئين وحملات الغازين.

ونحسب أن جميع التنظيمات البشرية عسكريةً كانت أو سياسيةً تطمح إلى مثل هذه الأحادية في الأوامر، وإذا كانت ـ رغم قوانينها- لم تفلح في الكثير من الأحيان في مبتغاها.

1. 1. 4. مؤسساته:

يُعتبر المسجد أول مؤسسة اجتماعية عرفها الإسلام، ففيه كان يجتمع المسلمون للصلاة والتهجد، وفيه كانوا يتطارحون قضايا الإسلام من دعوةٍ وجهادٍ وغير ذلك، كما كانوا يتخذونه مركز علمٍ وتعلمٍ ذلك أن « المسجد بدأ يؤدي دوره التعليمي منذ وقتٍ مبكرٍ، فقد كان أهل الصُّفَّة مقيمين بمسجد النبي عليه الصلاة والسلام يتلقون الوحي والمعارف الغضة منه صلى الله عليه وسلم في رحاب المسجد..» [25].

وفي نهاية القرن الأول الهجري ومع تطور الزهد أصبح المسجد مكاناً لاعتكاف بعض الزهاد، ولقد عرف الإسلام كذلك منذ مطلع القرن الثاني الهجري الرباطات التي تمزج بين العلم والجهاد، ولكنه لم يشهد تنظيما في المؤسسات؛ ودقة في النظام؛ وإحكاما في الهيكلة؛ كما شهد عند المتصوفة منذ نهاية القرن الثاني الهجري.

وإذا تأملنا في هذا النظام وجدناه يقوم على مؤسسات عامة تحوي أنظمة أخرى، ومن تلك المؤسسات:

1. 1. 4. 1. الزاوية:

تعتبر الزاوية مؤسسة محدثة في المجتمع الإسلامي، غرضها الأول الانزواء والعبادة بكبح جماح العواطف ورياضة النفس، ولقد لعبت دوراً دينياً هاماً عبر التاريخ الإسلامي، تَمَثَّلَ بالخصوص في تحفيظ القرآن وتفقيه الناس، كما أنها لعبت دوراً اجتماعياً واقتصادياً لا يُستهان به بالرغم من شظف العيش وضيق الحال، إذ كانت دائما ملجأً يوفر القِرى والمبيت للمحتاجين وعابري السبيل، وكانت مواردها تقتصر على ما يصلها من هبات وهدايا من طرف الذين يلتمسون الدعاء والبركة، ولقد تحولت هذه الزوايا في معظمها منذ القرن الثامن الهجري إلى قوة سياسية كبرى مستقلة عن السلط المركزية. وقد عَرفت توات نشأة عدة زوايا في أقاليمها الأربعة، بل إن بعض القصور حتى اليوم ما زالت أسماؤها مرتبطة بلقب " الزاوية "، مثل: زاوية سيد الحاج بلقاسم ، زاوية سيدي حيدة، زاوية سيد البكري، زاوية سيدي عبد القادر، زاوية كنتة، زاوية الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، زاوية الرقاني، زاوية حينون...وغيرها كثير، وهذا العدد الكبير من الزوايا يعبر عن مكانة الزاوية في الحياة الروحية بالمنطقة.

1. 1. 4. 2. الطريقة:

تُقسِّمُ الصوفية العقيدة الإسلامية إلى ظاهر وباطن، أي إلى شريعة وحقيقية، وترى أن الشريعة هي الباب الذي يلج منه الجميع لجلائها وظهورها، أما الحقيقة فلا يصل إليها إلا من اصطفاه الله وجَعَلَه من عباده الأخيار، ولا يمكن الوصول إلى هذه الحقيقة عند المتصوفة إلا عبر سبيلٍ شاقةٍ.

وهذه السبيل هي التي يَصطلح المتصوفة على تسميتها بـ "الطريقة"، والطرق عندهم كثيرة ومتشابهة؛ لكنها جميعا تسعى لنفس الغاية والهدف وهي استكناه الحقيقة والوصول إليها.

وتعتمد كل طريقة صوفية للتدليل على صحتها وشرعيتها على سلسلة من الصالحين والأولياء تتصل دائما بالرسول صلى الله عليه وسلم - الذي بدوره- حسب جميع الطرق يتلقى أوراد الطرق وأذكارها وتعاليمها عن جبريل عليه السلام عن رب العالمين، وهذه الأوراد في الغالب مزيج من أذكار وأدعية وأحزاب وهي عندهم عبارة عن عقود وعهود أخذها الله على عبده بواسطة المشايخ.

ولعلنا نستطيع أن نقول: إن جميع الطرق الصوفية مسعاها واحدٌ وإن اختلفت؛ وهو تزكية النفس وترقيتها. ومصدرها واحدٌ وإن تباينت؛ وهو الرسول الكريم ".

ولقد خضعت هذه المؤسسات الطرقية إلى نظام هيكلي يحدد منزلة كل فرد داخلها ويضبط مراتب المنتمين إليها حسب نظام دقيق، وتتألف هذه الهيكلة من:

- الشيخ: وهو المسؤول الأول في هذا النظام، ويستمد الشيخ نفوذه من مكانته الدينية باعتباره العارف بالله والقادر على تربية النفوس وتشخيص عللها.
- الخليفة: وهو الشخص الذي بلغ مرتبة من التسامي الروحي جعلته يضطلع بمهام الشيخ في حالة غيابه، وهو يخلفه في جميع الاختصاصات، وسلطته تهيمن على جميع مستويات النفوذ إلا نفوذ الشيخ.
- المُقَدَّمُ: هو ممثل الشيخ الذي يأمره بتعليم الطريقة في إحدى زواياه، وله مكانة مرموقة في السُّلَّم الهرمي للكيان الصوفي تمده بالاحترام والطاعة، ومهمة المقدم تنحصر خارج منطقة الشيخ.
- الأتباع: وهم القاعدة الهرمية لهذا الكيان، ويمتهنون غالباً، إضافةً إلى عبادتهم، كل المهن في هذا النظام، من سقايةٍ ورعيٍ وحراسةٍ إلى غير ذلك، ويمكن أن نمثل ذلك على النحو التالي:

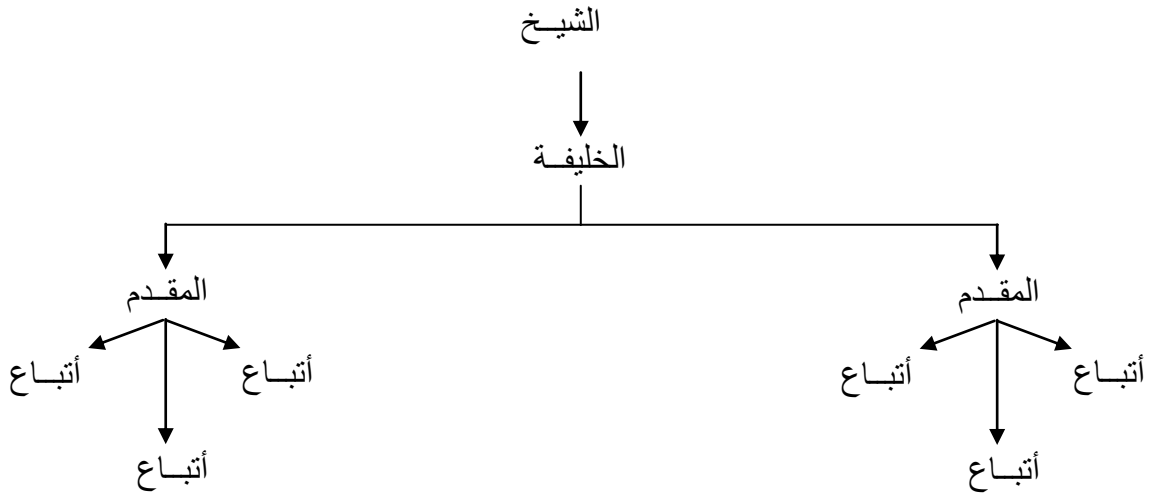

1. 1. 5. بعض مبادئه (المقامات والأحوال)

- الطريق

إن المُريد الذي يروم الوصول إلى الحق سيسلك طريقا محفوفاً بالمخاطر، ولذلك وجب عليه التسلح بعزيمة قوية لا تلين؛ ليتمكن من بلوغ هدفه الذي لن يصل إليه إلا بعد التَّرقِّي في مراتب سمَّوْهَا "مقامات"، وبعد مرورٍ بتغيرات نفسية عديدة تسمى "أحوالاً".

إن الشروع في السير في طريق التصوف هو شروع في الخروج من ذات إِنْسِيَّةٍ إلى ذات إلهيةٍ، ولذا كثيراً ما تواترت في عديد الدراسات التي تبحث في موضوع التصوف كلمات مثل "السالك" و"المسافر"،والسالك « هو الذي مشى على المقامات بحاله لا بعلمه فكان العلم له عيناً »[26].

أما المسافر فهو الذي سافر بفكره في المعقولات والاعتبارات ويشمل هذا الطريق حسب أبي نصر السراج - مؤلف كتاب اللُّمَع في التصوف- سبعة مقامات يُعتبر كل مقام منها نتيجةً للمقام السابق، وهذه المقامات حسب ترتيب صاحب اللمع هي:

1- التوبة، 2- الورع، 3- الزهد، 4- الفقر، 5- الصبر، 6- التوكل، 7- الرضا.

وتصاحب هذه المقامات عشرة أحوال هي عبارة عن ردود فعل نفسية يسببها تَرَقِّي الصوفي في الطريق، وهذه الأحوال هي:

1- المراقبة، 2- القرب، 3- المحبة، 4- الخوف، 5- الرجـاء، 6- الشـوق، 7- الانـس، 8- الطمأنينة، 9- المشاهدة، 10- اليقين.

ونظراً لأهمية هذه المقامات والأحوال في التعريف بمذهب التصوف حاولنا أن نقف عندها بشيء من التفصيل؛ لكن قبل ذلك لابد من تعريف المقام.

ا)المقام:

تتفق جميع التعريفات الصوفية على أن المقام هو الدرجة التي يصل إليها الصوفي بعد الكثير من المجاهدات، وقد عرفه القشيري بقوله: « والمقام ما يتحقق به العبد بمنازلته من الآداب مما يتوصل إليه بنوع تصرُّف ويتحقق به بضرب تَطَلُّب ومقامات تكلُّف (...) وشرطه أن يترقى من مقام إلى آخر كلما استوفى أحكام ذلك المقام »[27].

أما السهروردي فيؤكد أن الحال سُمِّي حالا لتحويله والمقام مقاماً لثبوته واستقراره.

ويتضح من هذه التعريفات أن المقام من جملة المكاسب التي يحصل عليها بالاجتهاد، وذلك ما أشار إليه السهروردي بقوله: وتداولت ألسنة الشيوخ أن المقامات مكاسب والأحوال مواهب.

1) التوبة:

يميل أغلب دارسي التصوف إلى اعتبار التوبة أولى المقامات فالتوبة حسب السهروردي هي « أصل كل مقام وقوام كل مقام ومفتاح كل حال وهي أول المقامات »[28]. ويذهب القشيري كذلك إلى أنها « أول منازل السالكين وأول مقام الطالبين »[22]. والتوبة علامة أو مؤشر يؤكد

دخول الإنسان المريد في طورٍ جديد في علاقته بالله، ولا نظن أن التوبة بهذا المفهوم الصوفي تختلف كثيراً عن التوبة التي أقرها الدين الإسلامي.

2) الوَرَعُ:

وهو ما يستطيع به المتصوف تجنب كل ما هو مخالف للشرع وهو ما عبر عنه القشيري بقوله: قال يحيى بن معاذ: « الورع الوقوف على حَدِّ العلم من غير تأويل »[29].

3) الزُّهْدُ:

من المقامات الأساسية للتصوف وقد عرَّفه الجنيد بقوله: « خُلُوُّ اليد من المُلك والقلب من التتبع »[30]. وسئل الشلبي عن الزهد فقال : أن تزهد فيما سوى الله تعالى.

وبالرغم من الاختلاف الظاهر بين هذه التعاريف فإنها في حقيقة أمرها تؤكد المعنى نفسه وهو العزوف عن الدنيا وعن مشاغلها.

إلا أن الزهد عند المتصوفة يتجاوز هذا المعنى البسيط الظاهر ليصبح له معنىً باطنياً، وهذا ما أكده الجنيد حين سُئل عن الزهد فقال: « معنيان ظاهر وباطن فالظاهر ما في الأيدي من الأملاك وترك المفقود، والباطن زوال الرغبة عن القلب ووجود العزوف والانصراف عند ذكر ذلك »[30]. وقد تطور هذا المفهوم مع الغزالي ليصبح له مراتب ثلاث:

السُّفلى: أن يزهد الإنسان في الدنيا وهو لها مشتهٍ وقلبه إليها مائلٌ.

الوسطى: زهد الذي يترك الدنيا طوعا لاستحقاره إياها.

العليا: أن يزهد الإنسان في زهده إذ أنه لا يرى شيئا غير الله.

ولعل مرتبة الزهد في الزهد هي التي تميز الزهد الصوفي عن غيره من حركات الزهد التي عرفها المجتمع الإسلامي.

4) الفَقْرُ:

يختلف الفقر بمعناه الصوفي عن الفقر المتعارف عليه عند الناس، فهو عند الإنسان العادي افتقاد المال، أما عند الصوفي فإنه دلالة على فقدان الرغبة في كسب المال وبالتالي فقدان الرغبة في كل ما له علاقة بالكسب، يقول القشيري « لا يصح لأحد الفقر حتى يكون العطاء أحب إليه من الأخذ، وليس العطاء أن يعطي الواجد المعدم، وإنما العطاء أن يعطي المعدوم الواجد »[31].

5) الصَّبْرُ:

إن حياة الصوفي مجاهدة في كل شيء، مجاهدة ضد شهوات النفس، ومجاهدة في سبيل الوصول إلى المقام الأسمى، لذلك كان لابد أن يتحلى بالصبر، وأن يتزود بقوةٍ روحيةٍ بها يجابه جميع الصعاب التي تعترضه، يقول ذو النون المصري مُعرّفاً الصبر: « التباعد عن المخالفات

والسكون عند تجرع غصص البلية وإظهار الغنى مع حلول الفقر بساحات المعيشة »[32].

والصبر حسب ما يُستخلص من تعاريف الصوفية أصناف ثلاثة:

- صَبْرٌ على المعصية: ولهذا الصنف تعلق بمجاهدة النفس عن ارتكاب المحرمات.
- صَبْرٌ على الطاعة: وهو يتصل بمختلف العبادات والفروض التي على الإنسان القيام بها.
- صَبْرٌ على المصائب: ولهذا الصنف تعلق بمقام الرضا « الذي يفترض قبول أحكام الله مهما كانت نوعية انعكاسها على نفسية الإنسان »[33].

6) التوكل:

وهو الاعتماد المطلق على الله والثقة التامة فيه، بحيث لا ينشغل الإنسان بأي مشغل من الحياة لأن الله هو الذي بيده تدبير شؤون الحياة، وقد سُئل الحارث المحاسبي عن معنى التوكل فقال: التوكل هو الاعتماد على الله وترك تدبير النفوس في الأغذية والاستغناء بالكفاية ، وقال أبو بكر الدقاق: التوكل رد العيش إلى يوم واحد وإسقاط هَمِّ الغد ، ومع ظهور المذهب الصوفي صار لهذا المفهوم مع الغزالي درجات ثلاث:

- الدرجة الأولى: أن يكون حاله في حق الله تعالى والثقة بكفالته وعنايته كحالة في الثقة بالوكيل....
- الدرجة الثانية: أن يكون حاله مع الله كحال الطفل مع أمه فإنه لا يعرف غيرها؛ ولا يفزع إلى أحد سواها ولا يعتمد إلا إياها....
- الدرجة الثالثة: وهي تمام المفهوم وأعلى مرتبة يترقى إليها وهي: أن يكون بين يدي الله تعالى في حركاته وسكناه مثل الميت بين يدي غاسله (...) تحركه القدرة الأزلية، كما تحرك يدا الغاسل الميت.

7) الرضا:

وهو آخر مرحلة من مراحل التدرج الصوفي، وهو حصيلة نهائية لترقي الصوفي في مختلف المقامات السابقة.

وقد اختُلف في ماهية الرضا؛ وهل أنه من المقامات أم هو من الأحوال؟، وقد نقل لنا القشيري صورة لهذا الاختلاف، فأهل خراسان ذهبوا إلى أن الرضا من جملة المقامات وهو نهاية التوكل وأما العراقيون فقالوا إنه : من جملة الأحوال وليس ذلك كسباً للعبد؛ بل هو نازلة تحل بالقلب كسائر الأحوال.

ولعلَّ هذا الاختلاف حول بعض المفاهيم الصوفية بين المتصوفين أنفسهم، هو الذي جعل هذا العلم يعاني من تَقَوُّل الكثيرين عليه، وبالتالي اسْتِحَالَةُ أي محاولةٍ تروم تثبيته واستقراره.

II) الحال:

الحال في التصوف يقابل المقام الأول، فالأول يرمز للتغيير وعدم الاستقرار والثاني للثبات، ذلك أن الحال مرتبط بنفسية الصوفي الحساسة التي تنقلب من حين لآخر، وقد عَرَّفَه القشيري بقوله: « والحال عند القوم معنى يَرِدُ على القلب من غير تعمُّدٍ منهم ولا اجتلاب ولا اكتساب لهم من طرب أو حزن أو قبض أو شوق (...) فالأحوال مواهب والمقامات مكاسب، والأحوال تأتي من غير الوجود والمقامات تحصل ببذل المجهود »[34].

وعند هذا الحد يتضافر الثابت والمتحول والموهوب، ليضفي على شخصية الصوفي خصوبة وديناميكية تجعلانه في حالة بحث دائم وحركة دؤوبة؛ ذات خط عمودي يسير من الظاهر المتحول نحو الباطن الثابت.

1) المراقبة:

وهي شعور الصوفي بأن الله مراقب له دائما في أبسط حركاته وفي أكثرها تَعَقُّداً، وأنه مُطَّلِعٌ على جميع أحواله، وقد عَرَّفها القشيري بقوله: « المراقبة علم العبد باطلاع الرب سبحانه وتعالى عليه، واستدامته لهذا العلم مراقبة لربه »[32].

2) القُرب:

وهو شعور الصوفي بأنه قريب من الله نتيجة لكثرة العبادات والأذكار، وقد يتعمق هذا الحال عند بعض أكابر الصوفية فيذهل عن حال القرب، ويزعم أنه امتزج بذات الله واتحاد بها.

3) المَحَبَّةُ:

وهي شعور يربط الصوفي بالله، وليس المبتغى منه نيل رغبةٍ آنيةٍ أو رجاء ثوابٍ في الآخرة. ولعل هذا الحال هو الذي جعل اللغة الصوفية تطفح بالكثير من ألفاظ الغزل والغرام.

4) الخوف:

يختلف مفهوم الخوف الصوفي عن مفهومه العادي عند الناس؛ إذ الأول ينبني على المحبة الخالصة، والثاني يُقرنُ الخوف بالوعيد والعقاب، وذلك ما يؤكده أبو طالب المكي بقوله: « ليس الخوف يكون لكثرة الذنوب (...) إنما يكون لصفاء القلب وشدة التعظيم لله تعالى»[32].

وقد جعل له أبو طالب المكي درجات ثلاث هي:

1. محاسبة النفس في كل وقت.
2. مراقبة الله في كل حين.
3. الورع عن الاقدام على الشبهات من كل شيء.

5) الرجاء:

الرجاء حالة تنتاب الصوفي وتربطه بعلاقة متينة مع الله تجعله دائم الرجاء في الله كثير الأمل فيه، يُعرِّفُهُ القشيري بقوله: « تعلُّقُ القلب بمحبوب سيحصل في المستقبل، وكما أن الخوف

يقع في مستقبل الزمان فكذلك الرجاء يحصل لما يؤمل في الاستقبال (...) والفرق بين الرجاء والتمني أن التمني يُورث صاحبه الكسل ولا يسلك طريق المحبة والجد وبعكسه صاحب الرجاء»[32].

6) الشوق:

حالة تنتاب الصوفي نتيجة الإكثار من الذكر والتسبيح، يُعرِّفُهُ القشيري بقوله: « الشوق ارتياح القلوب بالوجود ومحبة اللقاء والقرب »[33].

وهذا الحال كالمحبة يجعل الصوفي يُعبِّرُ عن تعلقه بالذات الإلهية بقاموس غزلي صرف، ذلك القاموس الذي أضفى على اللغة الشعرية الصوفية رواءاً خاصاً كما سنرى ذلك عند معاينة النصوص.

7) الأُنس:

شعور بالراحة النفسية يشعر به الصوفي عندما يكون هائما في رحاب الجلالة، يتولد عن هذا الحال نفور ووحشة من الناس، فصاحب هذا الحال يعيش غربة بين الناس لا يستريح منها « إلا عند ملاقاة الرب »[35].

8) الطمأنينة:

حالة نفسية يشعر بها الصوفي عندما يكون بين يدي الله، وهي تختلف عن طمأنينة المؤمن العادي إذ أنها ليست متأتية من رضى الإنسان بعمله، وأمله في الثواب من الآخرة وإنما هي منبثقة من العلاقة الخاصة بين الله والصوفي.

9) المشاهدة:

هذا الحال تتويج لترقي الصوفي لكل المقامات، إذ يصل إلى حال يعتقد فيها أنه في حضرة الله عز وجل، يشاهد الكون ويشافه بالأسرار وينظر إلى الجلالة.

10) اليقين:

وفي هذا الحال يتحقق الصوفي من صدق مسيرته نحو الحق، يقول الجنيد: « اليقين هو استقرار العلم الذي لا ينقلب ولا يتحول ولا يتغير في القلب »[35].

وبهذا الحال يصل الصوفي إلى قمة المعراج وإلى نهاية الطريق بعد الانتصار على كل أدران النفس وشهواتها.

وسنلخص ما ذكرناه سلفاً عن المقامات والأحوال في مخطط بياني اعتمد ترتيب أبي نصر السراج في كتابه " اللمع في التصوف ":

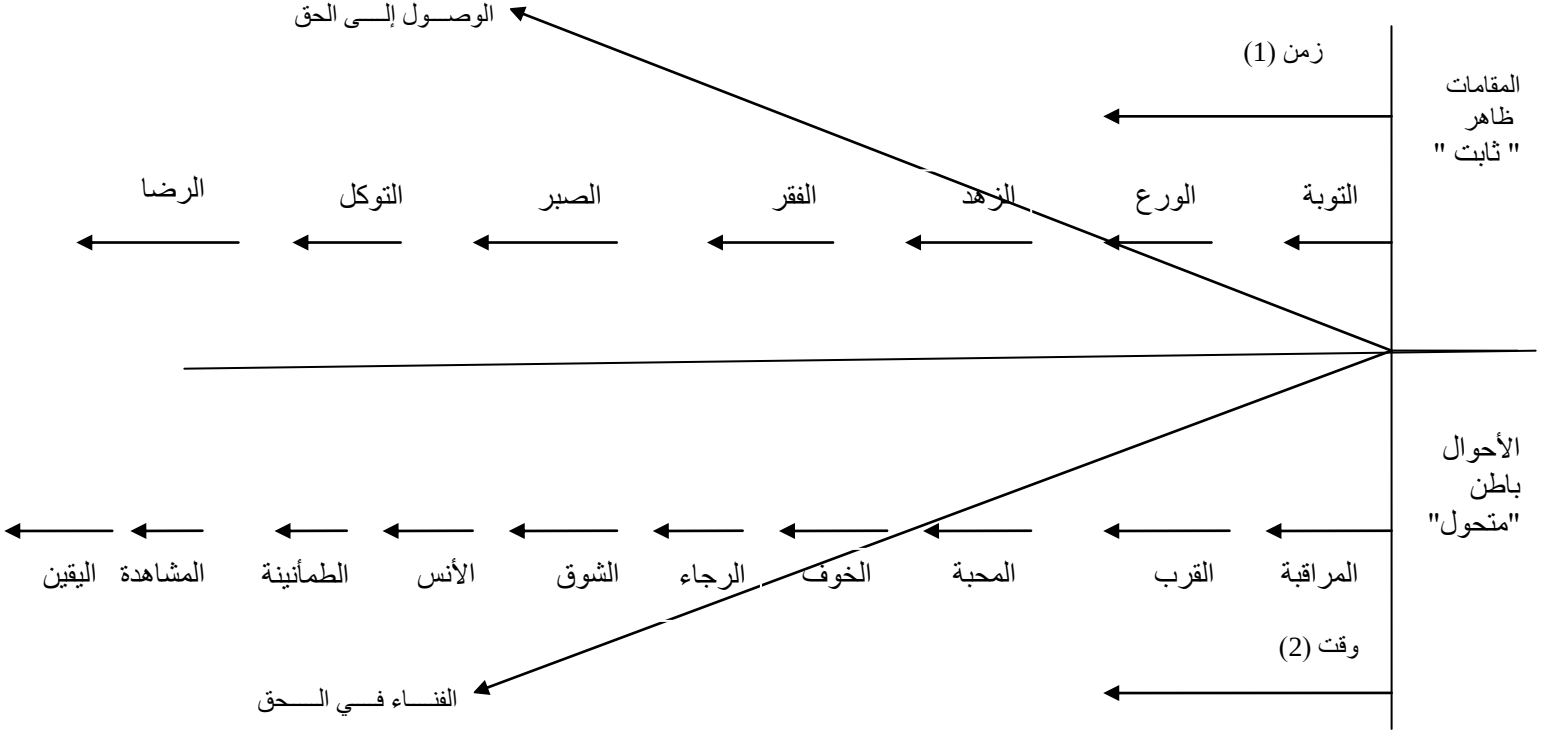

1) لا يمكن تجاوز مقامٍ إلى مقام إلا بعد فترة زمنية معينة.
2) الوقت حسب الجرجاني عبارة عن حالك في زمان الحال لا تعلق له بالماضي ولا المستقبل (التعريفات، ص: 2) أي أنه ليس هناك مرور من حالة إلى أخرى بل هناك حضور توارد قوى.

1. 1. 6. التصوف والفقهاء:

لقي التصوف كأي علمٍ مُستحدَثٍ، وكأية بدعةٍ طارئةٍ معارضة واسعة اكتسحت جميع طوائف المجتمع، ولقد جَمَعَتْ هذه المعارضة بين الفقيه والسياسي والشاعر، ولكنها لم تثر ضجة كما أثارت مع الفقهاء.

لقد طُرحت مشكلة التصوف والعلم الظاهر للنقاش قديماً وحديثاً، ولم تزل مثار تساؤلاتٍ وموضوع جدلٍ، ومعظم هذا الجدل كان حول الصدارة في الطلب، هل هي للتصوف أم هي للعلم؟

وعدى هذا الخلاف لم يقع ثمة صدامٌ جوهريٌ بين الفريقين يستحق الذكر، بل إن أكابر التصوف يتفقون مع الفقهاء على أن العلم شرطٌ في تصحيح العبادة « وأن العبادة إنما هي ثمرة هذا العلم، فلا فائدة في عبادة مجهولة الحكم، ولا في علم عُدمت ثمرته »[36].

ونحسب أن جمهور العلماء يتفقون على أن التصوف الذي لا ينبني على قاعدة معرفية تعصم صاحبه من الشطح والزلل، إنما هو زيغٌ وضلالٌ، وأدلتهم على هذا الرأي صريحةٌ: فمن الكِتاب ما ذكره البخاري في صحيحه شرحاً للآية الكريمة { فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ...}آية 19 سورة محمد، فقد ذهب إلى أن العلم شرط في صحة القول والعمل لأن الله بدأ به، و « الخطاب وإن كان مُوجَّهٌ للنبي " فهو مُوجَّهٌ لأُمَّته »[37].

والأدلة التي استشهد بها العلماء من السُنَّة كثيرة، فمنها على سبيل المثال الحديث الذي أخرجه الترمذي وابن ماجة أن النبي " قال: {فقيهٌ واحِدٌ أَشَدُّ عَلَى الشَّيْطَانِ مِنْ أَلْفِ عَابِدٍ}

ونجد الشيخ أحمد زروق (- 963 هـ / 1493 م) وهو من كبار متصوفة المغرب يؤكد على وجوب التفقه في الدين قبل التصوف لأن « حُكم الفقيه عام في العموم، والمقصد منه إقامة رسم الدين ورفع مناره وإظهار كلمته، وحُكم التصوف خاص في الخصوص، لأنه معاملة بين العبد وربه من غير زائد على ذلك، فمن ثم صَحَّ إنكار الفقيه على الصوفي ولم يَصُحَّ إنكار الصوفي على الفقيه »[38].

2. الفصل الثاني
الحياة الروحية والأدبية بمنطقة" توات "

2. 1. الطرق الصوفية بتوات

ارتبطت الحركة الثقافية بمنطقة توات بظهور كثير من الشعراء؛ الذين كانوا فاعلين في ذلك النشاط الثقافي الذي شهدته المنطقة خاصة في القرن 11هـ / 17م، وقد كان للصلات التي تربط هذه المنطقة بالحواضر الثقافية المحيطة بها كان لها دورٌ كبير، ومن تلك الحواضر تلمسان وسجلماسة وفاس وغيرها، وأغلب هذه الحواضر داخلة ضمن رقعة جغرافية واسعة تمتد من المغرب الأقصى إلى تونس ومصر شرقاً إلى السنغال جنوباً، شهد هذا الحيز حركة صوفية كبيرة ارتبطت بأشهر الطرق الصوفية التي شهدها العالم الإسلامي، وأشهرها بمنطقة توات الطريقة القادرية ثم التيجانية والبكرية والشيخية والطريقة الشاذلية بدرجة أقل، وقد شهدت منطقة توات إقامة كثير من الزوايا التي كانت تنتشر في جميع أصقاعها، بل تكاد تجد لكل قصر من قصورها زاوية؛ يتولى الإشراف على تسيير شؤونها من يعرف بـ (لَمْقَدَّمْ) ، وهو الذي يجتمع بأتباع زاويته(الإخوان) ليلقنهم " أسرار الطريق "، ويقرأ معهم الأوارد الخاصة بطريقتهم، بالإضافة إلى النشاط التعليمي الذي يشمل الوعظ والإرشاد للكبار؛ قصد ب ث الروح الدينية في النفوس، ويشمل النشاط التعليمي أيضاً التربية والتعليم للشباب، « وفي الوقت نفسه تفتح الزاوية أبوابها للسائلين وأبناء السبيل والمسافرين حيث يجدون فيها المأوى والمأكل »[30] وما زال هذا هو دأب هذه الزوايا حتى اليوم.

وكثيراً ما يختلط اسم " الزاوية " مع اسم " الطريقة وخاصة عند الباحثين الغربيين مثل لوبولاني الذي يقول: « من الزوايا القادرية والتيجانية والوزانية، هذه الأخيرة مؤسسها مولاي عبد الله الشريف بن إبراهيم وتعرف أيضا باسم (الطيبية) بالنسبة إلى المؤسس الثاني مولاي الطيب والزاوية الكرزازية التي أسسها أحمد بن موسى بن خليفة بن محمد الكرزازي المتوفى عام 1062هـ، والبكائية ومؤسسها الشيخ أحمد البكاي وزاوية أولاد سيدي الشيخ ومؤسسها سيدي الشيخ عبد القادر بن محمد(1015م) الذي ينتسب إلى أبي بكر الصديق ، والبكرية مؤسسها هو الشيخ عبد الكريم البكري بن عبد الكريم المولود سنة 1205هـ بناحية مستغانم في شمال غرب الجزائر، وقد نشأ فيها وطلب العلم بمدينة فاس واشتغل بالطريقة الدرقاوية، ثم رحل إلى مكة فلقي بها الأستاذ أحمد بن إدريس الفاسي، وأخذ عنه الطريقة الصوفية، وأذن له في إعطاء العهود فبنى

زاوية في جبل أبي قبيس بمكة، ثم رحل إلى الجبل الأخضر في بنغازي سنة 1255هـ وأسس هناك عديد الزوايا، ولما توفي خَلَفَه ابنه المهدي الذي اتخذ من واحة جغبوب مركزا للدعوة »[39]. وواضحٌ من كلام الرجل أنه فعلاً لم يكن يُفرِّقُ بين الطريقة والزاوية.

وسنورد في هذا المبحث بعض الطرق الصوفية الموجودة أو التي كانت موجودة في توات، وسنغض الطرف عن البعض منها لعدم انتشارها بشكل واسع في منطقة توات، ومنها "الطريقة السنوسية" التي أسسها الشيخ محمد بن علي السنوسي، الذي ولد بالقرب من مستغانم عام 1791 م، « وقد اقترن نشاطها بظهور بعض الشخصيات التواتية، وفي نهاية القرن التاسع عشر الميلادي وصل الشيخ محمد التواتي إلى منصب قاضي وكاتب الشيخ محمد المهدي والمشرف على الزاوية السنوسية الأم وقت ذاك بواحة جغبوب، ولذلك فلا غرابة أن يقترن ظهور هاته الشخصية بتزايد نشاط الزاوية السنوسية داخل الصحراء الكبرى»[40]. ومن بين الطُرق الصوفية التي عُرفت في توات؛ نجد الطريقة الكرزازية أو الموسوية« التي تُنسب إلى الشيخ سيدي أحمد بن موسى 907هـ/ 1501م»[39] ، والطريقة الزيانية « التي تُنسب للشيخ أبي جعفر بن حمزة المدني؛ المُكنَّى بأبي زيان، الذي توفي عام 1733م »[40].

2. 1. 1. الطريقة القادرية:

تُنسب الطريقة القادرية إلى سيدي عبد القادر الجيلاني دفين بغداد(ت 561هـ/ 1167م) وكانت من أوسع الطرق انتشاراً ومنها تفرعت طرق كثيرة. ويرى الخليل النحوي أن الطريقة القادرية « انتقلت إلى المغرب على يد أبي مدين شعيب الأنصاري الأندلسي (ت 594هـ/ 1198م) ، فنشرها هناك وجاء من بعده عبد السلام بن مشيش فزادت انتشاراً على يده. واتسعت خريطة انتشارها على يد الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني التواتي (ت 940هـ/ 1553م) والذي زار السودان والنيجر، ومنه أخذ الطريقة الشيخ سيدي عْمَرْ بن الشيخ سيدي أحمد البَكَّاي بن سيدي محمد الكنتي الشنقيطي (ت 959هـ/ 1553م) »[41] الذي كان له دورٌ فعالٌ في انتشارالطريقة القادرية؛ مما جعل الكثير من المريدين يُقبلون عليها.

وعلاقة القادرية بقارة إفريقيا وطيدة جداً، وفي الاتجاه نفسه يؤكد عمار هلال أن علاقة القادرية بغرب إفريقيا السوداء تعود إلى « القرن السادس عشر ميلادي، وذلك بواسطة جماعة من المهاجرين العرب الذين استقروا مدة في توات وبعد ذلك انتقلوا إلى المنطقة المذكورة سابقاً وقبل ذلك كان هؤلاء المهاجرون قد اتخذوا ولاتة المركز الحضاري القديم للثقافة العربية الإسلامية في السودان الغربي؛ أول مركز لهم لنشر الطريقة الصوفية القادرية في المنطقة »[42].

وقد تفرعت الطريقة القادرية في الجنوب الغربي من القارة إلى ثلاثة شعب، وانتشرت منها في منطقة توات شعبتان هما:

أ- البَكَّائِيَّة:

تُعتبر الشعبة البَكَّائية من أشهر الشعب المنسوبة إلى الطريقة القادرية وأكثرها شهرة في منطقة توات، ويذكر الخليل النحوي أن مؤسس الشعبة البكائية هو « الشيخ سيدي عُمَرْ بن الشيخ سيد أحمد البَكَّاي، في القرن العاشر وكان قد سافر إلى الشمال مراراً، ولَقِيَ الشيخ محمد بن عبد الكريم المْغِيلِي في توات وأخذ عنه »[43] وبلغت هذه الطريقة أوج مجدها مع ظهور الشيخ سيدي المختار الكنتي (-1226هـ/1821م) والذي تنسب إليه الطريقة القادرية الكنتية، حيث تَصدَّرَ في القادرية على يد الشيخ سيدي عالي بن النجيب(من أحواز تمبكتو) (- 1170هـ/1756م)، ويرى بول مارتي أن الشيخ سيدي اعمر بن الشيخ سيد أحمد البكاي جد قبيلة كنتة هو الذي أدخل الطريقة القادرية إلى موريتانيا ومنها انتقلت إلى توات. وللشيخ سيدي المختار شأن كبير في انتشار طريقته التي « ازدهرت على يد تلميذه وتلميذ ابنه الشيخ سيد محمد وهو الشيخ سيدي الكبير الأَبِيرِي؛ وكان ذا شهرة صوفية وعلمية وسياسية واسعة وقد لعب حفيده الشيخ سَيِّدِي بَابْ (- 1343هـ/1124م) دوراً خطيراً لتوسيع دائرة القادرية في السنغال وغامبيا »[34] والأقطار الأخرى المجاورة، ومن شيوخ الطريقة القادرية الشيخ علي الكنتي الذي أصبح قُطباً فيها وذلك « عندما انتقلت قبائل كنتة في القرن التاسع هجري الخامس عشر ميلادي إلى واحات توات، وحملوا معهم الطريقة القادرية، وفي هذه الواحات انتشرت الطريقة القادرية في النصف الثاني من القرن الخامس عشر ميلادي »[45] ، ويمكننا اعتبار أن الكنتيين هم « أكثر شيوخ المنطقة إسهاما في علم التصوف بصفة عامة وفي الطريقة القادرية بصفة خاصة ، تجلى ذلك في رسائل وقصائد وكتب، فللشيخ المختار الكبير قصيدة السلسلة القادرية، ونازلة في التصوف وإجازة في الأوراد والأحزاب وإجازة في الورد ورسالة إلى أحد مريديه، ومثله الشيخ محمد بن الشيخ المختار؛ الذي ترك إجازة في الأوراد والأحزاب القادرية؛ ومخطوطا في الأدعية والأذكار؛ وقصيدة الابتهال وجوابا على ثلاث مسائل في الوِرْدِ القادري؛ وقصيدة في الأدعية والتوسل، ولقد تفاوتت هذه المصنفات في محتوياتها وعدد صفحاتها؛ إلا أن القاسم المشترك بينها؛ إضافةُ تراثٍ؛ وإثراءُ هذه الطريقة العريقة المنتشرة في إقليم توات »[5].

وللشيخ سيدي محمد بن بادي الكنتي قصيدة مشهورة في التوسل سَمَّاهَا " قصيدة الزِّيَارَةِ " وله كذلك كُتُبٌ منها: " مُريحُ البَالِ " وكذا " الرَّوْضَةُ الأَنِيقَةُ " وأيضا " الشُّمُوعُ الطَّوَالِعُ ".

يقول السيد بن بيلا بن عابد بن الفردي عن الزاوية القادرية الكنتية ودورها في حوض النيجر وجنوب الصحراء: « ربما لا نكون مغالين إذا قلنا إن الطريقة القادرية في هذه المنطقة

ارتبطت ارتباطاً عضوياً ووجودياً بالكنتيين، فهم الذين حملوا العبء الأكبر في نشر تعاليمها؛ وأورادها ومنهجها في التربية الروحية والتعليم، حملوه في كافة أرجاء هذه الصحراء وبلاد السودان الغربي كان ذلك بالطبع تكملة للدور العظيم الذي قام به الداعية الإسلامي الكبير الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي »[46].

ويقول المستشرق الفرنسي(بول مارتي) في هذا السياق: « لقد تقمص كنتةُ القادريةَ مثلما تَقَمَّصَتْهُمْ، وأصبح اسمهم مرادفاً لها، وغالباً ما تُكَنَّى القادرية السودانية، بالبكائية، نِسبةً إلى الشيخ سيد أحمد البَكَّاي الملقب بـ "بُودَمْعَة" ، أو المختارية نسبة إلى الشيخ سِيد المُخْتَار الكَبِير، الذي كان المصلح الديني في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر الميلاديين »[33] ، ويستطرد (بول مارتي) في فقرة أخرى قائلا: « يبدو أن الشيخ سِيد أَحْمَدْ البَكَّاي (بُودَمْعَه) هو أول من حمل الورد القادري (في المنطقة) ولكن لا يبدوا أنه عمل على نشره »[33].

ويورد الباحث السيد بن بيلا بن عابد الفردي أقوالاً للباحث المغربي محمد المَنوني، في دراسة له بعنوان " المدرسة الكنتية (الزاوية) كأبرز قناة بين الإفريقيتين في العصر الحديث " ، يورد له قوله: «...وإلى هذا فإن أطر المدرسة المختارية شيوخاً وتلاميذ، جميعهم نشروا الإسلام في إفريقيا ووقفوا سدّاً منيعاً في وجه التبشير النصراني »[33] وقد توزع نشاطهم بين ثلاث مراكز وذكر من بينها الزاوية القادرية في أدرار(زاوية كنتة) في جنوب الجزائر حالياً وكان منها الانطلاق شرقاً وشمالاً.

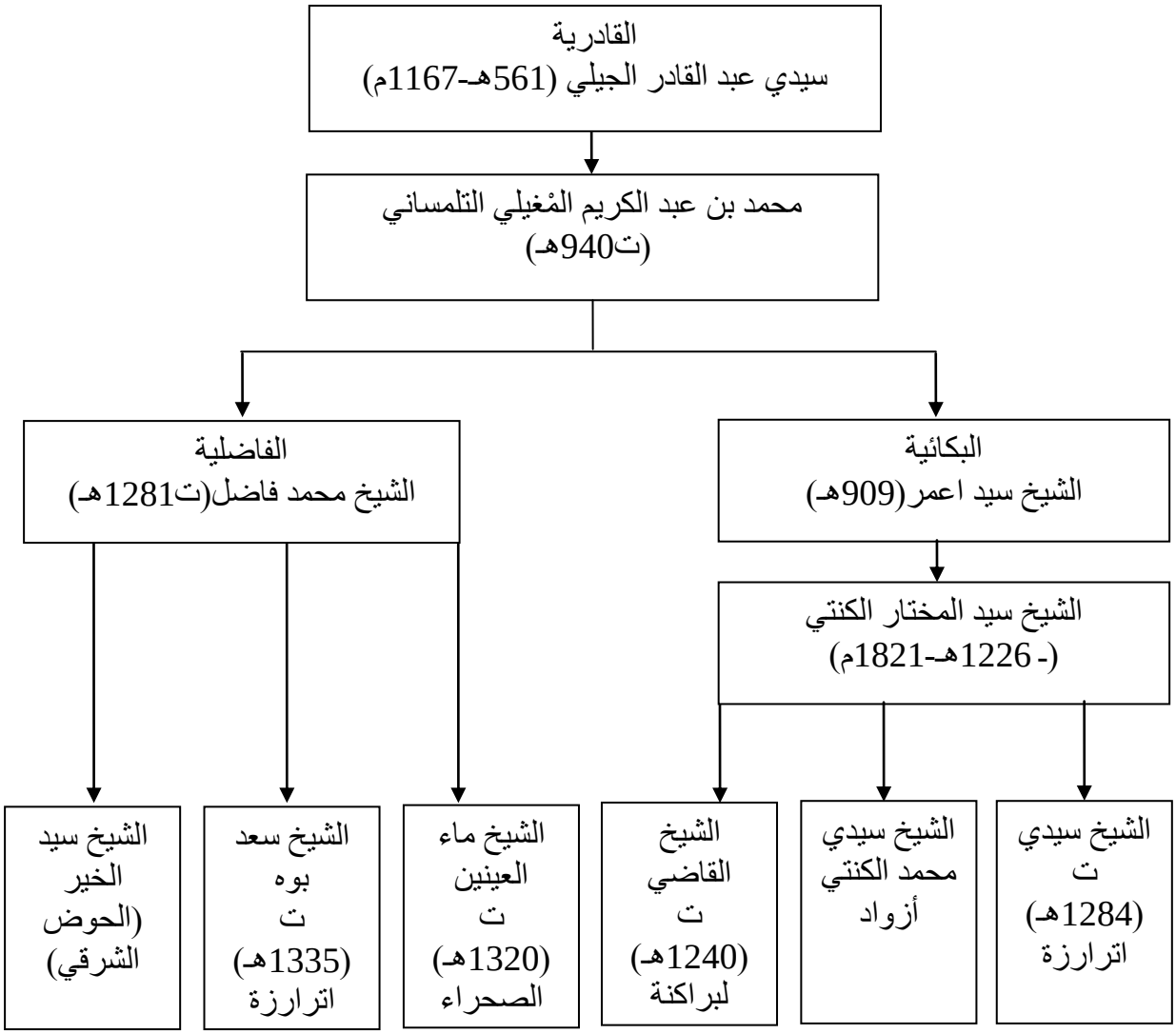

خطاطة تبين تشعب القادرية في موريتانيا وتلتقي مع منطقة توات في شخصية العلامة الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني.

سلسلـــة القادريـــة البكائيـــة

01 ⟵ الشيخ سيدي الكبير ت 1284هـ

02 ⟵ الشيخ سيدي المختار الكنتي ت 1226هـ

03 ⟵ الشيخ عالي بن النجيب ت 1710هـ

04 ⟵ سيد الأمين ذو النقاب 1116هـ

05 ⟵ سيد عالي بن أحمد ؟

06 ⟵ سيد أحمد بن محمد الرقاد 1119هـ

07 ⟵ محمد الرقاد بن الفيرم 1063هـ

08 ⟵ الفيرم بن سيد عمر950هـ

09 ⟵ الشيخ سيد عمر 960هـ

10 ⟵ المغيلي محمد بن عبد الكريم 940هـ

11 ⟵ السيوطي عبد الرحمان جلال الدين 911هـ

12 ⟵ الثعالبي عبد الرحمان 875هـ

13 ⟵ القاضي محمد بن عبد الله بن العزلي 832هـ

14 ⟵ ابن مرزوق التلمساني 781هـ

15 ⟵ ناصر الدين المشدالي 620هـ

16 ⟵ أبو حامد الغزالي 605هـ

17 ⟵ علي أبو الحسن الشاذلي 665هـ

18 ⟵ عبد السلام بن مشيش 622هـ

19 ⟵ أبو العربي الحاتمي 638هـ

20 ⟵ أبو النجيب السهرودي 632هـ

21 ⟵ عالي بن هيتا 580هـ

22 ⟵ سيدي عبد القادر الجيلي 561هـ

23 ⟵ أبو الوفاء عرفة بن محمد زين الدين الأرموي 530هـ

24 ⟵ الشنبكي ؟

25 ⟵ الشبلي 297هـ

26 ⟵ الجنيد أبو القاسم بن محمد 253هـ

27 ⟵ أبو الحسن سري السقطي 244هـ

28 ⟵ معروف الكرخي 200هـ

29 ⟵ داوود الطائي 165هـ

30 ⟵ حبيب العجمي

31 ⟵ الحسن البصري 110هـ

32 ⟵ علي بن أبي طالب 40هـ

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

ب- الفاضلية:

تنسب هذه الشعبة إلى الشيخ محمد فاضل بن مامين القلقمي (- 2181هـ/1879م) الذي كان يقيم في "الحوض الشرقي" شرق البلاد ثم انتقل إلى أدرار شمالها واتخذ منه مقرا له، ولقد بعث الشيخ محمد فاضل أولاده الثلاثة مبشرين وداعين لهذه الطريقة في أنحاء موريتانيا، وخصص لكل واحد منهم منطقة خاصة به فكانت ولاية اترارزة (جنوب البلاد) مقر ابنه الشيخ سعد بوه (- 1355هـ/1917م)، وكانت الصحراء الغربية مكان نفوذ ابنه الشيخ ماء العينين (- 1328هـ/1910م)، أما سيد الخير (- 1320هـ/1902م) فإنه اتخذ الحوض (شرقي البلاد) موطنا انطلقت منه الدعوة.

أما الطريقة القادرية الفاضلية فنورد سلسلتها، كما نظمها الشيخ عبد الله بن دادة:

01 ⟵ الشيخ محمد فاضل

02 ⟵ مامين بن طالب اخيار

03 ⟵ الطالب اخيار ين محمد

04 ⟵ محمد بن جيه

05 ⟵ أجيه بن الحبيب

06 ⟵ الحبيب بن علي

07 ⟵ محمد ابنه

08 ⟵ يحيى الصغير

09 ⟵ أحمد زروق

10 ⟵ أحمد بن عقبة

11 ⟵ يحيى الشريف القادري

12 ⟵ علي

13 ⟵ محمد بن وفا

14 ⟵ داوود الباحلي

15 ⟵ أحمد بن عطاء الله

16 ⟵ المرسي أبو العباس

17 ⟵ أبو الحسن الشاذلي

18 ⟵ عبد السلام بن مشيش

19 ⟵ ابن عربي

20 ⟵ أبو حامد الغزالي

21 ⟵ أبو النجيب السهرودي

22 ⟵ عالي بن هيتا 580هـ

23 ⟵ سيدي عبد القادر الجيلي

24 ⟵ أبو الوفاء عالي

25 ⟵ الشنبكي

26 ⟵ الشبلي

27 ⟵ الجنيد

28 ⟵ سري السقطي

29 ⟵ معروف الكرخي

30 ⟵ داوود الطائي

31 ⟵ حبيب العجمي

32 ⟵ الحسن البصري

33 ⟵ علي بن أبي طالب

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

2. 1. 2. الطريقة أو الزاوية البكرية:

مؤسسها هو البكري بن محمد بن أبي محمد، ولد في الثاني من رمضان 1042هـ بمدينة تمنطيط، وشب في بيئة متدينة فأولع بالعبادة والذكر ونشأ نشأة دينية خالصة ثم بدأ يخطو خطواته الأولى في طريق العلم والثقافة؛ وبعد أن تلقى دروسه الأولى أقبل على علوم النحو والفقه

والتفسير، فقرأ على يد جماعة من مشايخ توات والمغرب والجزائر ومصر، ومنهم الشيخ محمد بن علي النحوي الأوجروتي التواتي والشيخ سعيد قدوره بن إبراهي م الجزائري والشيخ محمد القاضي التواتي، وله إجازة من شيخ الشيوخ بالديار المصرية الإمام الخرشي، و أخذ طريقة القوم عن شيخه محمد بن عمر البداوي وقد تعلم على يده الكثيرون، ولما بلغ مبلغ الشباب؛ ووافى حظه من النضج الفكري بدأ يعد العدة للعمل الجدي لخدمة الدين، وقد تولى منصب قاضي الجماعة التواتية بعد عودته إلى تمنطيط، بجانب إشرافه على أمور زاويته حتى توفي عام 1133هـ.

ويرى فرج محمود فرج أن مؤسس الزاوية البكرية هو الشيخ البكري بن عبد الكريم، الذي تمكن من تأسيس زاوية كبيرة قرب «مدينة تمنطيط تعرف باسم الزاوية البكرية، وكان الشيخ البكري في باديء الأمر قد انتسب إلى الطريقة القادرية على يد الشيخ محمد بن عُمَر البُدَاوِي نسبة إلى قصر بُودَه »[47] ومهما يكن من اختلاف في مؤسسها فإنها ما تزال مركز إشعاع للعلم و المعرفة، و ما تزال شاهدة على المكانة الرفيعة لعلمائها الذين نذكر منهم « الفقيه العلامة الشيخ عبد الكريم بن محمد والد الشيخ البكري مؤسس الطريقة البكرية؛ و الذي كان يعد من أشهر علماء المغرب في القرن الحادي عشر الهجري، وقد عالج الشيخ عبد الكريم عديد الموضوعات الدينية و الأدبية بأسلوبٍ رفيعٍ، فقد اختصر أكثر من سبع كتب، وله كتاب (الرحلة) ترجم فيه لأساتذته الذين تعلم على أيديهم، هذا بخلاف القصائد والأراجيزوالتقاييد الفقهية »[48] وقد كانت عائلته وما تزال راعية للعلم و المعرفة؛ فلقد خلف الفقيه العلامة الشيخ عبد الكريم محمد ابنه الشيخ الصوفي البكري ليواصل ما تركه والده الشيخ البكري؛ وقد كان مولعا بالعلم من صغره،

ولما بلغ مبلغ الشباب مال إلى التصوف والزهد، وأخذ العَهْدَ عن شيخه، محمد بن عمر البداوي، وعندما أصبح شيخاً صوفياً له رايته الخاصة طفق يتنقل من مكان إلى آخر حيث زار الحجاز والشام ومصر وتونس، وبنى الزوايا في كل من الشام وتونس والجزائر، وأخيراً استقر بالزاوية الأم التي بناها بالقرب من بلده تمنطيط، وهي ما تزال كما ذكرنا قائمة حتى اليوم؛ ولا أدل على ريادتها في العلم والمعرفة الصوفية آنذاك من مكتبتها العامرة بالمخطوطات والمصنفات والكتب والأشعار والأراجيز.

2. 1. 3. الطريقة الطَّيِّبِيَّةُ أو الوَزَّانِيَّة

مؤسسها هو أبو محمد عبد الله بن إبراهيم الشريف الوزاني(1004 وزان 1089هـ/1596-1678م) من نسل يصلح بن عبد السلام بن مَشيش من الأشراف الأدارسة، وقد هاجر من مسقط رأسه بشمال المغرب الأقصى واستقر في بلدة وَزَّان الواقعة في تلك المنطقة، وخَلَفَهُ في المشيخة بعد وفاته ابنه أبو عبد الله محمد(- 1120هـ/1715م) وأبو عبد الله محمد الطيب

(- 1181هـ/1767م) الذي أصبحت الطريقة تنسب إليه فسميت بـ "الطيبية"، وقد اهتم الأخوان التهامي ومحمد الطيب بتوسيع نفوذ الطريقة طوال فترة مشيختهما فأنشآ لها زوايا في المغرب الأقصى وشرقه، وأرسل التهامي ثمانية عشر من أولاده كي ينشروا الطريقة هناك، وتُسمى هذه الطريقة أيضاً بـ "الجَازُولِيَّةِ" أو " الجَزُولِيَّة ".

وقد شهدت الطرق الصوفية ابتداء من القرن التاسع الهجري الخامس عشر ميلادي انتشاراً كبيراً، وذلك تحت تأثير الجزولي وأولاده، وخاصة في المغرب العربي.

ويقول الشيخ محمد العربي السائح الشرقي العمري التجاني في شرح قصيدة "مُنية المريد" لأبي العباس سيدي أحمد المدعو التجاني ابن العلامة سيدي بابا الشنقيطي العلوي وخاصة قوله:

« فَكَـان جملـة مَـن أتَـاه من أوليـــاء عصره الأواه
سيدنا الطيب خِلفةُ الفُضـــل وفارس الحَلَبة أحمد الصَّقل
وغير هذ ينك من أهل المِنـنْ كسيدي محمد نَجْلُ الحَسَـنْ
وهو الذي قال لهذا الكامـــل تدرك لابـد مقام الشـــاذلي

إن الشيخ رضي الله عنه وأرضاه لما سافر من بلده إلى فاس الإدريسية وما بإزائها من الديار المغربية، يقصد العثور على من يأخذ بيده ويوصله إلى حضرة المعرفة بالله؛ كان من جملة من قصده لذلك المطلب وأتاه السيد الماجد الأصيل الخاشع المنيب الحليم الأواه، قطب زمانه ومصباح أهل أوانه الشيخ أبو محمد مولانا الطيب بن القطب سيدي محمد بن القطب مولانا عبد الله الشريف خِلفة آبائه الفضلاء الأعيان القائم بأعباء التربية والترقية بعدهم في زاويتهم الشهيرة في وزان... »[49]

وعقد الناظم رحمه الله تعالى درر هذه الأبيات اللوامع ما ذكره صاحب الجواهر وصاحب الجامع؛ إلا أنهما اتفقا فيما ذكراه؛ وتواضعا على ما أخبرا به وسطراه على أن مولانا الطيب المتقدم الذكر« هو أول من لقيه الشيخ (أحمد التجاني) رضي الله عنه من المشايخ، الكُمَّل ذوي الثناء والفخر، وليس في عبارة الناظم رحمه الله تعالى ما يفيد هذه الأولية ولا ما ينبه على هذه المزية، والله أعلم بموجب إغفاله لذلك وعدم تعريجه على ما اعتنى به غيره في التعبير عمَّا سلف؛ ففي اللامية:

فأول من لاقـــاه والطير غالبـا على جنسها وقَّاعة تَبتغي الشَّكْلاَ
لقيَ الطيب بن الطيب مَوْلاَيَ بَاغيَا طريقَتَه مِن بين مَصْمُودةٍ نَهَـــلا
وشُهرتـــه تُغني بِوَزَّانَ قَبْـرُهُ فَلَقَى مِنْ تَلقينه الرَّحْبَ والسَّهلا »[49]

والظاهر أن الشيخ التجاني قد رفض أخذ الورد وتلقينه عن الشيخ مولانا الطيب، لاهتمامه حينها بأمر نفسه ولأنه لم يتحقق بحقيقة مقام الشيخ مولانا الطيب في ذلك الوقت، وهذا دليل على المكانة العالية لكل منهما.

وفي منطقة توات يحتفل مريدو الطريقة الطيبية أو الجَازُولية أو الوزانية كل سنة بعيد عاشوراء ؛ فيقام احتفال كبير حيث تلبس فيه الأعلام أو الرايات التي تمثل كلٌّ منها ولِيّاً أو شيخاً من شيوخ هذه الطريقة، وتلتقي هذه الأعلام ككل سنة بقصر تمنطيط.

وهذه الأعلام هي:

- 04 أعلام ، لسيدي اليزوري .
- 06 أعلام، لسيدي اليماني هو وأولاده.
- 01 علم، لسيدي محمد الصالح.
- أعلام لسيدي عبد القادر يمثلها كل من قصر: (المنصور وبني وازال وامراقن وبني لو).
- ولسيدي اليماني علم كبير.

وتلبس 03 أعلام يوم الاحتفال المحلي المعروف بـ(بيانو) ، وفي صباح يوم عاشوراء تدخل ثلاثة أعلام من منطقة بودة، ويوم عاشوراء عند الخروج لسيدي ناجم تلبس الأربعة أعلام الباقية، ويطوف مقدم الطريقة ببعض قصور إقليم توات الأوسط ذهابــاً وإيـاباً، ففي الذهاب ينطلق من تَمَنْطِيطْ

- ثم بُوفَادِّي.
- تَسْفَاوَتْ.
- اعْبَانِي.
- العَلُّوشِيَّةُ، وَدْغَا.
- بَنْهْمِي، بَرُّشِيدْ.
- بَاعْمُورْ، الجَدِيدْ.
- أَغِيلْ، مَكِّيْدْ.
- تَبَرْكَانَتْ، زَاوِيةُ كُنْتَة.
- أَدْمَرْ، بُوزَقْدَادْ.

ثم في العودة ينطلق من قصر بُوعْلِي.

- ثم أَغَرْ مَامَلاَّلْ.
- تَازُولَتْ، تَاخْفِيفَتْ.
- زَاوِيَّةُ كُنتة، أُولاَدْ الحَاجْ البَرْجَة.

- زَاجْلُوا، شْبَانِي.
- أَدْرُورْ، تِيوْرِيرِينْ.
- غَرْمْيَانُّو، تِيطَّافْ.
- لَحْمَرْ، عَنْطَرْ.
- سِيدِي يُوسَفْ، زَاوية سِيدي عبد القَادر.
- قَصْبَة لَحْرَارْ، أُولاَدْ مُولاَيْ عُومَارْ.
- بَرْشِيدْ، أُولاَدْ مُولاَيْ لَحْسَنْ.
- مَكْرَه، المَنْصُورْ.
- بَرْشِيدْ.

وأخيرا زاوية كنتة فيتناولون وجبة الغداء عند الشرفاء ثم العشاء عند الفقراء(الفُقْرَه).

ويعودون بعدها إلى تمنطيط.

أما المقدمون الذين تداولوا على الطريقة الوزانية بتوات هم:

1. سيدي محمد بن عمر ثم أولاده.

أ / اليَمَانِي.

ب/ اليَزِورِي.

2. سِيدِي عْلِي.

3 . سِيدِي اليَازُورِي.

4 . سِيدْ البَرْكَه.

5 سِيدي محمد.

6 السِّي عبد الكريم.

7 السِّي عبد القادر.

8 السِّي محمد الصالح.

9 السِّي محمد.

* أما سبحة هذه الطريقة فيشترط أن تكون فيها حلقة نحاسية أو ما تعرف محليا بـ"خُوصَةٌ" وأورادها عبارة عن آيات قرآنية، وهناك فرق بين أوراد الرجل والمرأة.

ويقول أتباع مولاي الطيب في الحضرة عند قدومهم:

" لا إله لا إله إلا الله ".

أما أتباع مولاي عبد الصادق فيقولون:

" صَلَّى اللهْ عْلِيكْ آرَسُولْ اللهْ " . ثم يجلسون على الأرض.

وهذه الطريقة أتى بها سيدي بلحاج هو وولده سيدي المهدي، وأخذه إلى قصر زاجلوا شخص اسمه الصالح بن عثمان.

وقد ذكر الشيخ محمد باي بلعالم شجرة الشيخ مولاي الطيب الوزاني، لكنه لم يذكر لنا مصدرها، وقال عنها أنها: « تجمع أولاد مولاي الطيب، وأولاد مولاي التهامي، وأولاد مولاي عبد الله الشريف العلمي الحسني اليملحي، بن مولاي إبراهيم، بن مولاي عمر، بن مولاي إبراهيم، بن مولاي أحمد، بن مولاي عبد الجبار، بن سيدي محمد، بن مولاي يَملح، بن مولاي مَشيش، بن مولاي أبي بكر، بن مولاي اعلي، بن مولاي حرمة، بن مولاي عيسى، بن مولاي سلام، بن مولاي نامزوار، بن مولاي حيدرة، بن سيدي محمد، بن مولاي إدريس، بن مولاي إدريس، بن مولاي عبد الله الكامل، بن مولانا الحسان المثنى، بن مولاي الحسن السبط بن مولانا علي بن ابي طالب، وبن مولاتنا فاطمة الزهراء رضي الله عنها، بنت سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم »[42].

ثم ذكر المؤلف أن الشيخ مولاي عبد الله الشريف كان مُجاب الدعوة حسن الأخلاق عارفاً بالتربية نافعاً للبرية، وذكر أن له أبناء في بعض القصور التواتية منها: « تيدماين، وتيطاف، ولحمر، وزاجلو، وزاوية سيدي عبد القادر من فنوغيل، وأوقروت، والساهلة »[42]، ولم يوضح لنا المؤلف أيضاً ما هي القبائل أو العائلات التي ينتسبون إليها اليوم.

2. 1. 4. الطريقة التِّجَانية:

تُنسب هذه الطريقة إلى الشيخ سَيِّدِي أَحْمَد التِّجَانِي؛ الذي يُذكر أنه التقى بالنبي صلى الله عليه وسلم لقاءً حِسّياً مادياً، وأنه قد كلمه مشافهة، وتَعَلَّم من النبي " صلاة (الفَتْحِ لِمَا أُغْلِقَ) أو صلاة الفاتح، وصيغة هذه الصلاة: " اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أُغلق والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، الهادي إلى صراطك المستقيم، وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم ".

وقد وجدنا بعض المريدين من طرق صوفية أخرى بالمنطقة يرددون هذه الصلاة ونحسب أنهم يرددونها على شكل دعاء فقط، وخاصة أنها تقرأ أثناء الفاتحة وخاتمة المجالس، ولا تقرأ على أساس أنها ورد للطريقة التيجانية، وإلا كان الأمر فيه خلط كبير.

أما انتشار هذه الطريقة في إفريقيا الغربية (بما فيها توات) خلال القرن 19م وما بعده فيعود الفضل فيه لشخصيتين كبيرتين« أولهما الشيخ عمر الحاج بن سعيد الفَوْتِي(- 1864م) الذي تَزَعَّمَ حركة إصلاحية وجهادية ...، وخلَّفَ لنا كتابه الموسوم بـ " رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم"، وثانيهما الزعيم السينيغالي الشيخ إبراهيم نَيَّاس(- 1975م) الذي عمل واجتهد

في نشر الطريقة في بلده الأصلي، وما جاوره من بلدان مثل غانا وشمال نيجيريا »[45] حيث التف حوله عدة مريدين.

أما دخول الطريقة التجانية إلى منطقة توات فالواضح أنه كان على يد مؤسسها الشيخ أحمد التجاني، ويذكر صاحب(مُنْيَةُ المُريد) أبو العباس سيدي أحمد المدعو التجاني، أن الشيخ المؤسس المذكور آنفاً زار عدة أمصار من بينها تلمسان ثم ارتحل منها إلى أبي سمغون ثم إلى الشلالة، ثم نزل بعدها بتوات وهذا واضح في قوله:

« وَمِنْ تلمســـان نَوَى انْتِقالــه إلى أبـــي سَمْغُونَ والشَّلاَّلة
في عــام ستة وتسعين ارتحــل عنها إليهما بأهلـــه وحَــلْ
وســافر الشيخ إلي تـَـــوَاتِ لأجل عـارفٍ لَــهُ مُوَاتِــي
كذلك سافر إلى ابن العَرَبـــي تلميذِه الحِـبِّ الرَّفيعِ المنصبِ
وهو الذي وَصَّى عليه المصطفى صلى عليه الله من له اصطفى».

وعَلَّقَ سيدي محمد العربي السايح الشرقي العمري التجاني على قوله:

« وســافر الشيخ إلى تَوَاتِ لأجل عارفٍ لـــه مُواتي»

فقال: « توات صنع صحرواي معروف ومواتي موافق: والمراد أنه مشاكل له، لِمَا بينهما من الخسيسة التي هي طِلاب الرتب العوالي، والمقامات العزيزة الغوالي، واسم هذا العارف على ما بلغني عن ثقات الأصحاب من أهل الصحراء، سيدي محمد بن الفضيل بالتصغير وهو من أهل تكرارين من توات الغربية... »[42]

وقد زار الشيخ أحمد التجاني المنطقة بعد أن نزل بأهله في قرية الشلالة ثم نزل قصر أبي سمغون عام تسعة وتسعين، وبعدها انتقل إلى حضرة فاس حيث توفي هناك ولقي هناك العارف بالله سيدي محمد بن الفضيل السابق ذكره.

ويقول سيدي محمد العربي السايح الشرقي: « وما سمعته من الثقات الفضلاء من بين أصحابه الصحراويين وحفظته بالتقييد؛ أن سيدنا رضي الله عنه كان قد كتب إلى هذا السيد أولا كتابا يطلب منه فيه شيئا من الأسرار، فلم يجبه عن ذلك الكتاب، رغبة منه في اللقى والمواجهة بالخطاب، فعرف سيدنا رضي الله عنه مراده، فبادر من حينه إلى إجابته فيما قصده منه وأراده، فعمل الرحلة إليه وسار حتى انتهى إلى محله وخيم عليه، ولما قضى الواجب من زيارته ومواصلته أتحف منه بما كان السبب في رحلته إليه ووفادته، واستفاد هو أيضا حسبما في الجواهر من سيدنا رضي الله عنه بعض أسرار الطريق، وشيئا من علوم الأذواق والتحقيق، وبلغني أن سيدنا رضي الله عنه لقي بتوات في وجهته هذه بعض الرجال وهو غير الأول وكان من أهل

الأنس والإدلال، فاشترى منه شيئا من الأسرار بثلاثة عشر محبوبا من خالص الذهب النضار، وأخبرت عن هذا السيد أنه كان ربما أفضى به الحال إلى أن ينادي في الأسواق الغاصة بالخلق؛ ألا من يشتري السر الفلاني بكذا وكذا من المال، وهذا شأن أهل الإدلال المستغرقين في غمرة الحال الواجب التسليم؛ لمن أفضى إليه حاله إلى هذا المرمى أن السلامة من سلمى »[42] وقد أُسندت خلافة الشيخ أحمد إلى محمد بن الفضيل، ويورد ذلك سيدي محمد العربي السايح الشرقي حين يعود إلى الوقوف على شرح كلمة "مواتي" التي ورد ذكرها في قصيدة "منية المريد" سالفة الذكر فيقول: « في قوله مواتي إشارة أخرى أيضا، وهي أن السيد على ما حدثني به الثقات من خاصة من الأصحاب الواردين علينا من زاوية عين ماضي، صانها الله وأسنا برهانها آل أمره بعد وفاة سيدنا رضي الله عنه إلى أن أخذ طريقه هذه المحمدية، وصار إليه التقديم فيها، فانتشرت على يده فتوات الشرقية وهي المعروفة بتدكات[كذا،تدكلت]، لا بالمغربية المعروفة بتكرارين التي هي بلده ومحل نشأته، ولما توفي خلفه بعض إخوانه ممن قدمه فزاد انتشار الطريق على البلدة المسماة(إِنْصَلَحْ)، وهي إحدى قواعد تلك البلاد، ودخل في الطريق على يد هذا المقدم خلق لايحصون كثرة من التوارق وغيرهم، فكان في قول الناظم مواتي، إشارة إلى مواتاته للشيخ رضي الله عنه ، بكونه أهلا للدخول في طريقته الخاصة والانخراط في سلك حزبه الخاص... »[42] ويبدو أن مسيرة الطريقة التيجانية لم تدم طويلا في توات ، حيث نكاد اليوم لا نجد ذكراً لها.

2. 1. 5. الطريقة الشيخية:

ترجع الطريقة الشيخية إلى عبد القادر بن محمد بن سليمان المولود سنة (940هـ-1533م) ضواحي الشلالة الظهرانية بفقيق، درس على يد والده الشيخ محمد بن سليمان وعلى يد عمه الشيخ أحمد المجذوب، حفظ القرآن واتجه إلى تنجورارين ثم فقيق التي درس بها على يد محمد بن عبد الجبار، والتقى مع محمد بن عبد الرحمان بن أبي بكر السكوتي ثم توجه إلى فاس ودرس على يد عبد القادر الفاسي وعلى أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمان السهلي الذي أخذ عنه الطريقة الشاذلية، وبذلك تكون الطريقة الشيخية شعبة أو فرعاً من فروع الطريقة الشاذلية.

وعموماً فقد « انتشرت هذه الطريقة في الجنوب الغربي والغرب، وهذا يعود إلى تلاميذه المنتشرين في هذه الأقاليم، فبإقليم توات نذكر منهم الحاج أبو حفص الذي نشر الطريقة بإقليم تنجورارين، ومحمد عبد الله الجوزي دفين أولا سعيد »[50] ثم حملها بعدهما كثير من الرجال الصالحين المخلصين العارفين بالله.

2. 2. أعلام الحركة الأدبية في منطقة توات الكبرى من ق 10هـ حتى 14هـ

لقد عرفت منطقة توات في الفترة الممتدة من القرن العاشر حتى الرابع عشر الهجري، ظهور عديد العلماء والفقهاء الذين كان أغلبهم شعراء وقد علا كعبهم فيه.

ومن نافلة القول أن نشير إلى أن أغلب أولئك الفقهاء والعلماء؛ كانوا ينضوون تحت ألوية بعضٍ من الطرق الصوفية التي دخلت المنطقة وانتشرت فيها.

ومن علماء وأدباء منطقة قورارة نجد الشيخ النَّحوي الفقيه محمد عبد العزيز بن محمد الذي كان مُعلِّماً بقصر أولاد سْعِيدْ.

وشهدت مدينة تمنطيط بإقليم توات الأوسط ظهور عَلاَّمَةٍ مَلأَ الدنيا ولم يشغل الناس ـ للأسف ـ ؛ وهو محمد بن ابَّ الزَّمُّورِي والذي كانت تضرب له آباط الإبل من كل مكان؛ لكونه كان من كبار الأساتذة والعلماء بتوات.

وعموماً لم يكن النشاط العلمي والثقافي في إقليم توات حكرا على مدينة تمنطيط « بل كانت هناك أماكن أخرى شهدت أيضا نوعاً من هذا النشاط، فقصر أولاد ملوكة بمقاطعة تيمّي كانت زاويته من أنشط الزوايا وأغناها بالكتب، وقد برز هناك عديد الأدباء المشهورين من أمثال الشيخ محمد بن عبد الرحمن البَلْبَالِي وابنه الشيخ عبد العزيز، وقد خلفا عدة قصص أدبية وقصائد وأراجيز»[50] ، وأيضا من علماء قصر تنلان نذكر أيضا « الشيخ الأديب عبد الرحمن بن عُمَر الذي كان من الراسخين في العلم »[50] ولا يشق له غبار فيه.

ولقد استقر كثير من التواتيين بمدينة تونس، وكان منهم المثقفون والأساتذة أمثال الشيخ عبد الله محمد التواتي الذي كان من أشهر مُعلِّمي الباي أبي الحسن علي باشا، وكان كثير التأليف والكتابة، وله كتاب باسم "شرح شواهد العربية الذي في كتاب سيبويه" وآخر باسم "شرح لامية الأفعال" ، ونحسب أنه أيضاً صاحب كتاب "الشواهد الشعرية لمن أراد التفرس في العربية".

وقد ذكر الحفناوي أبو القاسم في كتابه "تعريف الخلف برجال السلف" أكثر من ثلاثة عشر شخصية ينسبون إلى منطقة توات ويُلقَّبُ كلٌّ منهم بـ "التَّوَاتِيِّ".

ومن بين من ذكرهم الحفناوي أبو القاسم: عمر بن محمد الصالح الوَقْرُوتِي وأورد حوله ما نصه: « قال في "نشر المثاني" السيد المتبرك به سيدي عمر بن محمد صالح الخزرجي الشامي صاحب زاوية بلاد وَقْرُوت بالقاف المعقودة على مرحلتين من توات شرقاً؛ ذكره أبو سالم العياشي في "رحلته" وقال عن بعضهم: إنه يوصف بالقطبانية وإنه توفي عام 1008هـ وإنه أخذ عن سيدي محمد بن أبي بكر الودغاغي، و سيدي موسى المسعودي وكلاهما بِتِيجُرَارَه (تِيقُورَارَنْ أو قُورَارَةَ)، و سيدي أحمد يوسف المَلْيَانِي، وعن سيدي عبد الله الخياط، ذكر هذا في أول الرحلة المذكورة، قلت وصاحب الترجمة من الشعبة الحضرية المعروفة بفاس من الشاميين الخزرجيين،

صرح به الشيخ أبو عبد الله المسناوي في طرة كتبها على كلام أبي سالم الذي أشرنا إليه، ووقفت عليه بخطه، ولا مانع من ذلك لاتفاقه معهم بالوصف الشامي الخزرجي، وأن أسلافهم قدموا على فاس من تِيجُرَارَنْ كما رأيته في تقييد عند بعض الأماثل منهم، وهم عنده من جملة من المحفوظات الأكيدة ويحتمل الأمر خلاف ذلك والله أعلم »[50].

وممن ذكرهم الحفناوي في كتابه من التواتيين نجد سيدي الحاج محمد التواتي ويقول عنه:

الولي الصالح أبو عبد الله سيدي الحاج محمد التواتي به عرف، كان رحمه الله قاطنا بالقصبة القديمة، وكان ذا أحوال ربانية وأسرار عرفانيةٍ، وكان خاملا متقشفا جامعاً بين الجذب والسلوك، والجذب أغلب عليه، وكان في بعض الأحيان يخرس لسانه ولا ينطق قط، وتارة يُشير بإشارات تدل على أنه وَلِيٌّ وقته، ويُخبر بأخبارٍ سماويةٍ وأخرى أرضيةٍ، وكان يطوف بحرم مولانا إدريس رضي الله عنه سبع مرات صباحاً ومثلها مساءً، وإذا فرغ من الطواف جلس مع السائلين الذين يكونون هناك، هذا دأبه وعادته إلى أن توفى.

أخذ رحمه الله عن الشيخ مولاي الطيب الوَزَّانِي وكان يعتمده، توفي عام ثلاثة وثمانين ومئة وألف (1183) ودفن في (فاس) بقرب سيدي أبي بكر بن العربي، وكانت له جنازة عظيمة، وكانت له زوجة طيبة العشرة دَيِّنَةٌ صالحةٌ كريمة الأخلاق، كان هو يَدَّعي أنها السبب في ربحه، وهي كانت تَدَّعِي في حياته وبعد مماته أنه السبب في ربحها ، توفيت بعده بأيام ودفنت بإزائه... وغير هذين العالمين كثيرٌ.

وقد ذكر الشيخ محمد بن عبد الكريم البَكْرَاوي، في كتابه الموسوم بـ " جوهرة المعاني في تعريف ما ثَبُتَ لَدَيَّ من علماء الألْف الثاني "، ذكر ما يقارب خمسة وعشرين علماً من أعلام توات أغلبهم أدباء.

وذكر أيضاً الشيخ عبد القادر بن الشيخ عمر بن عبد الرحمن التنلاني، ذكر في كتابه " الدُّرَّة الفاخرة في ذكر المشائخ التواتية " ترجمة ثمانٍ وخمسين عَلَماً من أعلام توات.

أما الشيخ محمد عبد العزيز بن سيدي عْمَرْ ألَّف كتاباً سمّاه " قَطْفُ الزهرات من أخبار علماء توات"، وضَمَّنَه ترجمة ما يقارب الخمسة والثلاثين عالماً وأديباً تواتياً، ولولا خوف الإطالة والخروج عن الموضوع لذكرت بعضاً منهم...

ونشير في آخر حديثنا هنا أن الشعر الصوفي في منطقة توات لم يقتصر فقط على الشعر الفصيح؛ وإنما أيضاً نجد بعض الأشعار الصوفية التي كتبت بلغة عامية ضمن ما يُعرف بالشعر الشعبي (الملحون) ، ومن الشعراء الذين كتبوا فيه نجد الشاعرة نانا عائشة، وكذا الشاعر مبارك جعوان، وهناك بعض الأشعار التي كتبت باللهجة الأمازيغية ؛ المعروفة في تيميمون وضواحيها من القصور في إقليم قورارة باسم اللهجة " الزْنَاتِيَة "، وأغلب هذا الشعر يردد في رقصة أهليل

المعروفة بالمنطقة. وهناك أيضاً ما يُعرف بشعر الطريقة؛ وهو الشعر الذي يُعرِّف بالطريقة الصوفية ويُشيد بمؤسسها وأتباعه، ومن ذلك قصيدة مطلعها:

« لاَ إِلَـه إِلاَّ الله آهَلْ وَزَّانْ قَاصَدْكَمْ بَالنِّيّة النَّعْرَه يَـا أَهْلْ الضْمَانْ شْرِيفِي وَشْرِيفِيّة »

وقصيدة أخرى مطلعها:

« بِسْمْ الله ابْــدِيتْ وَالحَـمْدُ لله وَالــصَّلاَةْ عْلَى بُوفَاطِـــيمَا »

2.الباب الثاني
البنية السطحية للنصوص

لقد تبلورت نظرية الشعر العربي بقواعدها وفنياتها منذ طلائع القرن الرابع الهجري، ولقد لخَّص المرزوقي (- 421 هـ) ما ذكره الآمدي (- 370 هـ) والقاضي الجرجاني (- 392 هـ) في قوله: « إنهم كانوا يحاولون شرف المعنى وصحته، وجزالة اللفظ واستقامته، والإصابة في الوصف والمقاربة في التشبيه والتحام أجزاء النظم والتئامها على تَخَيُّرٍ من لذيذ الوزن ومناسبة المستعار للمستعار له، ومشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائها للقافية حتى لا منافرة بينهما فهذه سبعة أبواب هي عمود الشعر »[50].

وعندما نُرجع النظر كَرَّةً إلى هذا التعريف نجده يُثبت دعائم نظرية أُسِّست من قَبْلُ يُخشى عليها من مُروق المُحدَثين، فكأنه بذلك يُسيِّجها ويُحصِّنها من غوائل الدَّهر.

وهذه النظرية ـ كما هو واضح من هذا التعريف ـ تقوم على عناصر تكوينية تتعلق باللفظ والمعنى، وجمالية تتعلق بالصورة: الوصف والتشبيه والاستعارة، وبالإيقاع: أجزاء النظم والوزن والقافية.... ولئن لم تُعْنَ النظرية في صيغتها هذه ببنية القصيدة، فذلك لأن هذه البنية قد أقرَّها من قبل ابن قتيبة (ـ 276 هـ) في نصه الذي يقول فيه : « إن مُقَصِّد القصيد إنما ابتدأ فيها بذكر الديار (...) ليجعل ذلك سببا لذكر أهلها (...) ثم وُصل ذلك بالنسيب (...) لأن التشبيب قريب من النفوس (...) فإذا عَلم أنه استوثق من الإصغاء إليه (...)عقَّب بإيجاب الحقوق، فَرَحَلَ في شعره، وشكا النَّصَب والسَّهر، فإذا علم أنه قد أوجب على صاحبه الرجاء، بدأ بالمديح فبعثه على المكافأة (...) فالشاعر المُجيد من سَلك هذه الأساليب »[51] ، فالقصيدة القديمة (المدحية) حسب تعريف ابن قتيبة هذا يتألَّف إطارها النظري من بنية ثلاثية : المقدمة الطللية ـ الرحلة ـ المدح.

ولعل هذه المفاهيم النقدية هي التي بقيت متحكمة في إنشاء النصوص الشعرية من جهة ودراستها من جهة أخرى حتى بداية هذا القرن، فبدأت الشعرية تأخذ مسلكا آخر غير سابق الذكر، فاعتمدت على الصورة التي « لم تكن العرب قديما تحفل بها إذا حصل لها عمود الشعر ونظام القريض »[52] ، واعتمدت في تأثيرها على السمع والبصر على حَدٍّ سواء، فاتخذت من التركيب الخطي بُعداً بلاغياً، يفتح النص على البصر بعد أن اكتفى بالسمع زمناً طويلاً، واعتبرت النص وحدة متكاملة يلعب المكان والزمان في بنيتها دوراً

رئيساً، وأيَّةُ قراءة لها تُعتبر قاصرةً ما لم تتخذ من المظاهر الخارجية للنص مدخلا لمجاهل البنية العميقة المحتجبة تحت غطاء الشكل، وما لم تفتق التمازج القائم بين بنيات الزمان والمكان، التي تتضافر في رتق بلاغة النص عموماً.

ونعتقد أن النص الشعري ـ أي نص ـ لا يمكن التوصل إلى أبعاده المختلفة إلا إذا اقترب الناقد من بنيته السطحية، وتفحَّص مدلولاتها ومعانيها المختلفة، بل هي التي ربما ستكون السبيل الموصل إلى كنه وجوهر النص؛ ومقاصده المختلفة... ومن هذا المنطلق ارتأينا أن نقف عند بعض القضايا المختلفة، المتعلقة بشكل النص الشعري الصوفي عند شعراء توات؛ علَّها توصلنا إلى بعض النقاط المهمة التي تميز هذا النص عن نصوص شعراء آخرين من مناطق أخرى من الجزائر والعالم العربي ...

2. 1. الفصل الأول: مكان النص

سنتطرق في مقاربتنا هذه لأبعاد النص المكانية التي تفرض نفسها على القاريء منذ الوهلة الأولى بشكله الناشز عن النظام المألوف.

وسنُدخل ضمن دراستنا للمكان بناء النص المعماري؛ بوصفه إطاراً فنياً يُمكن النظر إليه كشكل خارج مضامينه.

وقد يكون في الفصل بين البناء والغرض في أول الأمر نوع من اللُّبس، ناجم عن "عادة منهجية" لا غير، لكن سرعان ما يتلاشى هذا اللبس إذا علمنا أن الشاعر تماما كالبنَّاء، يرسم هندسة قصيدته قبل أن يُوزِّع على محاورها ما يريد التعبير عنه من أغراض ومضامين، ونتيجة لهذه الرؤية نَعْدِلُ عامدين عن دراسة البناء مع الغرض إلى هذه المقاربة التي تضمن لنا سلامة المنهج الذي يُراعي أبعاد النص الثلاثة شكلاً وأسلوباً ودلالةً.

أولى بعض النقاد العرب القدامى بالمغرب والأندلس منذ القرن الثامن والتاسع الهجريين أهميةً كبيرةً لطبيعة النص، من حيث هو مكان، ولكن هذه الأهمية لم تتجاوز التفنن في اختيار الألوان وتداخل الأبيات؛ ولم تطرح إلى محاولة استشراف آفاق القراءة المتعددة، وإنما اعتبرت المكان جانباً هامشياً من الكتابة، لا يشتغل به إلا المترفون من ذوي الجاه ومن أولي السلطان « وليس له من دلالة إلا اللعب المجَّاني والترف الفكري »[53] وإذا أَنصَفَتْه حيناً جعلته باباً من أبواب البديع.

ولقد تضمنت مدونتنا نصين كتبا بطريقتين مختلفتين من الناحية الشكلية، ومتباينين في هندستهما، وإن حافظا على الوزن الخليلي.

وسنحاول أن نقف على دلالة الاختيار الخطي لشكلهما، إذ أن مكان النص كما يرى محمد مفتاح « يفضح الكثير مما لم يكن يتبين كنهه المبدع نفسه، أو ما حاول إخفاءه عن القاريء »[53] ، وبذلك لن تكون الكتابة (كتابة النص الشعري) أبداً ذلك الرسم البسيط كما يرى "فولتير"، وتؤكد جوليا كريستيفا أن المكان (مكان النص) لا يمكن اعتباره « جانباً هامشياً أو ترفاً فكرياً أو لعبةً مجانيةً »[53].

ونشير أن كلا النصين في مدونتنا يعتمد على التصرف في خطية البيت الشعري بإضافة متنوعة مع احتفاظ الأبيات بقافية موحَّدة ، وقد كُتب أحد هذين النصين على شكل نجمة والآخر، كُتب على شكل دوائر مماثلة للكواكب ، وهذا النوع من القصائد تعرف بـ "المُختَّمات"، وليست في تاريخ الشعر العربي بجديدة.

وهذا النوع من النصوص يقوم على كلماتٍ وحروفٍ تتردَّدُ في أبياتٍ متعددةٍ من القصيدة؛ فتتخذ الأبيات جيئة شكلاً هندسياً منتظماً؛ يتقاطع كل خطين منه عند العنصر المشترك بينهما، حرفاً كان أو كلمة.

وكلا النصين في مدونتنا مجهول القائل، وكلاهما يتفقان غرضاً ويتساويان في عدد الأبيات، فغرضهما الحقيقة المحمدية، وعدد أبيات كلٍّ منهما ستة عشر بيتاً.

النص الأول:

(بحر السريع)

« أكلّما فكّر أو أبصرا سما له الشوق الذي أقصرا

وكلّما رام ارعواء دعا داعي هواه فانثنى القهقرى

يَروم أن يُعذر في غيِّه جهلا ويأبى الشيب أن يَعذَرا

إذا بدا حزب التَّقى والهدى تراه عن مزارهم أزورا

وإن يلُح حزب الصبى والددى صار إلى صُوَّارهم أصورا

كأنه شوقاً إلى شادنٍ أحورَ مارى شادناً أحورا

أو ما رأى من لا يرى أن يشب وعادله الحِلم إلى أن يَرى

وذو النَّهى الجدير أن ينتهي وأن يُخلّي اللّهو عنه ورا

كيما يعدي القول عن لغوه في المصطفى الخاتم خير الورى

فانسج له وشي الثّنا حُلّةَ وانظم له حلي الثّنا جوهرا

خلِّ الصِّبى واذكر نبي الهدى فإنَّ ذكر الله أن يُذكرا

عساك يوم العرض حين الظّما تكون ممن أوتي الكوثرا

مع اعتراف أنَّ أوصافه عنهنَّ كلُّ واصفٍ قصَّرا

يا أكرم الخلق على ربِّه ويا إمام الرُّسْل لمَّا سَرَى

عن غيرك التختيم اصطانه ولم أجد أجدى ولا أجْدَرَا

صلى عليك الله ما ضوَّعتْ صبا الصَّباح الزَّهر الأزهرا »

النص الثاني:

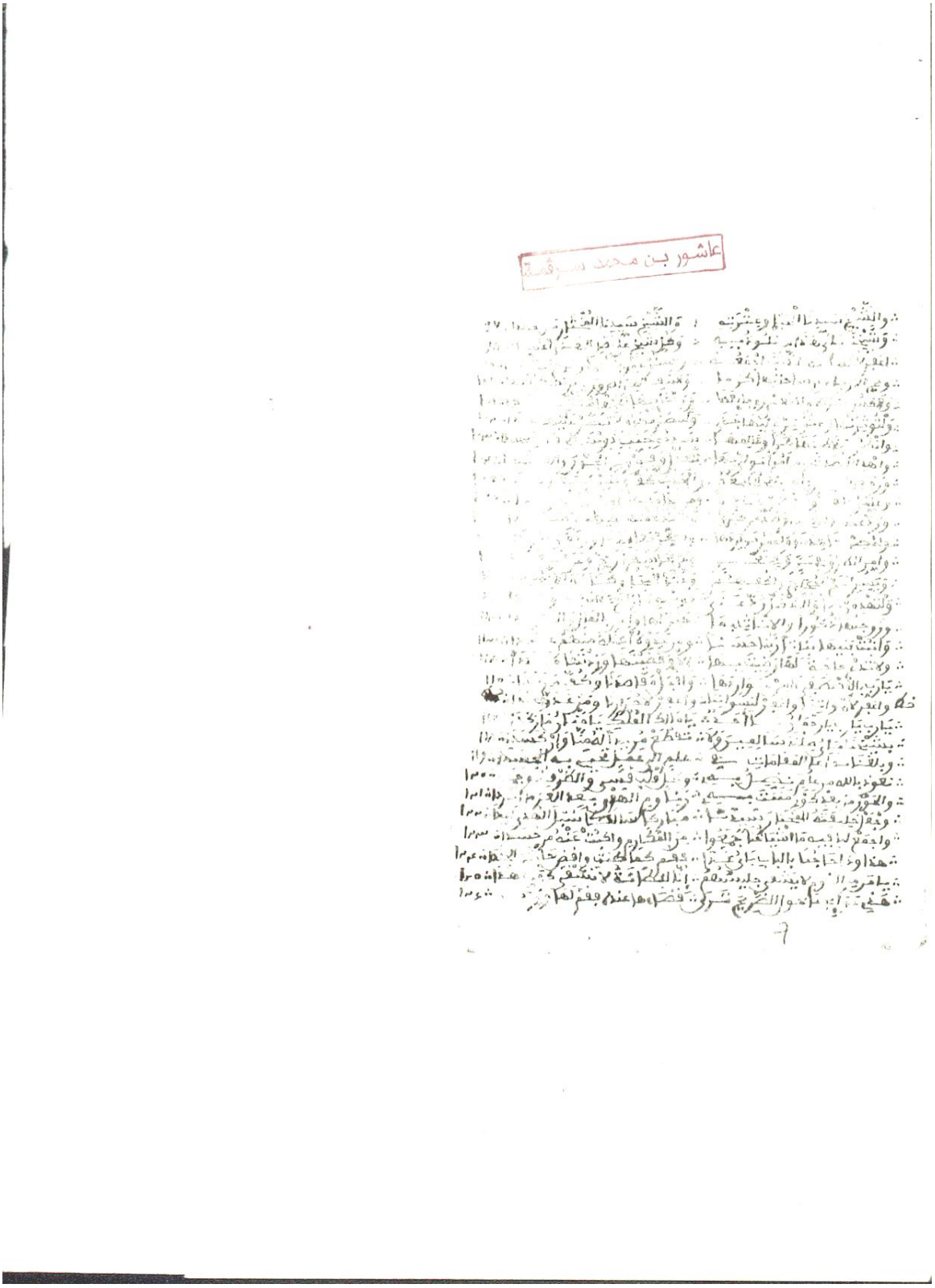
عاشور بن محمد بوشقة

(بحر البسيط)

« مَغنى الصَّبابة أدَّى بي إلى الصَّمم سيأن من لام أو لم يَلُم

دمعي جرى لمَّا وقفت على رَبعٍ بسِقط اللّوى ما فيه من إِرم

مرآه أنْكَرْتُهُ لولا معالمه وقَلَّ ذو حيرة يُهدى بلا علم

مِلْ عن هُدى الشّعراء العُمى نحو هُدى طه الأمين وقل مهمد دعا :نَعَمِ

مغناه من حُبِّ إثبات القُدوم له نفيت إتيان مغنى عزَّة بلَمِ

مُلَبياً داعياً لمَّا اعتصمت بأنْ لبَّيته لم أَسَمْ خسفاً ولم أَرَمِ

مَرَأت يا طيب من مَغْنَى وطِبْتِ هوى إذ حُزت بالضَّمّ رفع المفرد العلم

مَلع المطي ارتياحاً إن نحتك تَجُدْ بمنتهاه بلا حثٍّ ولا نَغم

مَغنى لنا دينه عن دين من ثَلَمَتْ سيوفهم منه أسيافٌ بلا ثَلَمِ

مَلّت عِداه فطاعت عَنوةً حذراً ممَّا جرى قبلُ في عادٍ وفي إرم

مَرءٌ غدا الملأ الأعلى له مَدداً من كلِّ عاديةٍ منصورة العلم

مَلْع المفاوز جابتها قنابله وسقى أسرى ملوك الأرض كالنَّعم

معني جحفله يرتاع محتلماً منه كما ارتاع غير محتلم

مُلئت كبود العدا غيظاً عليه كأنَّ جميعَها في لظى قبل الجزاء رُم

مرئى رحمته إن كنت ذا عَجَزٍ أو عِلّة تُشف من عَجْزٍ ومن عَلَمِ

مَلغى به نهج أرباب الضَّلال غَدا والحمد لله مولى الفضل والنِّعم »

فالناظر إلى هذين الشكلين الهندسيين (النصين الشعريين) لا يمكنه أن يطمئن إلى أن هذا التنسيق في الرسم والإبداع في الرَّصِّ وليد اعتباطٍ أو عفويةٍ، فأغلب الظن أنَّ الشاعر كان يريد رمزاً أو دلالةً وراء هذه الخطوط وهذه الأشكال.

وإذا اتفقنا مع جوليا كريستيفا فيما قالته وما ذكرناه سابقاً من أنَّ المكان في النص الشعري لا يمكن اعتباره « جانباً هامشياً أو ترفاً فكرياً أو لعبة مجّانية »[54] لجاز لنا أن نؤوّل بوصفنا قُرَّاء ـ ولوأن ذلك ربما مما لم يكن يدور في خَلَد المبدع ساعة نظمه للنص ـ هذين الشكلين حتى نجد لهما تفسيراً.

وإذا كان المقام ليس مقام تحليل دلالي فإننا نقتصر على جملة من التَّساؤلات تفتح الباب على مصراعيه أمام أوجه دلالة المكان، والتي سنتعرض لها في حينها إن شاء الله حين نتحدث عن الأغراض. وهذه التساؤلات نوجزها في دلالة الشكل والغرض، إذ كيف نفسر اتفاق النصين في عدد الأبيات واختلافهما في الشكل، أيكون ذلك لدافع التنويع أم لغرض آخر؟

وهل لنا أن نجد علاقة بين الغرض والشكل، أي بين الحقيقة المحمدية بوصفها هادية للبشر من الزيغ والضلال وبين " شكل " النجوم التي تنير الطريق هي الأخرى وتهدي التائه إلى سواء السبيل؟ وهل باستطاعتنا كذلك أن نجد علاقة بين ارتماء الشاعر في أحضان الكون الصوفي، ودخول النص " مكاناً " في عالم النجوم المنيرة والكواكب والأبراج، وما لها من دلالات صوفية.

قد يكون من العبث طرح تصورات لا تستند على أي أساس علمي، إلا أنها تصورات ناجمة عن الإحساس بأننا أمام عالم فني شبه مغلق، قد يضم من الكنوز ما لا نستطيع فتح مغالقه إلا بالافتراض والتَّأويل.

2. 1.1. بنية النص المعمارية:

ظلَّت البنية السائدة للقصيدة العربية في التراث النقدي، البنية الثلاثية التي اقترحها صاحب " الشعر والشعراء "، والتي تبدأ بالوقوف على الأطلال استمالةً لقلوب السامعين، وتتخلص إلى وصف الرحلة والناقة إيجابا للحقوق على الممدوح، ثم تصل بعد ذلك إلى الغرض الرئيس، « فالشاعر المُجيد من سلك هذه الأساليب »[55] على حد قول ابن قتيبة.

ويذهب حازم القرطاجني إلى أن القصيدة متعددة المحاور أفضل بكثير من النص أحادي البعد، مُعلِّلاً ذلك بأن النفس ترتاح إلى الانتقال من مضمونٍ إلى آخر، « وإنما يَحسُنُ الكلام بالمراوحة بين بعض فنونه (...) فيزداد حُبُّ النفس لما يَرِدُ عليها من ذلك إذا كانت زيارته غِبّاً »[55].

ولم يكتف حازم القرطاجني بهذا بل وصف القصيدة ذات الغرض الواحد بالبساطة والتقصير لأنها تَحُدُّ من مقاصد الشاعر وأهدافه التي يرمي إليها، فيقول : « فأما المقصرات فإن القول فيها إذا كان منقسما إلى غرضين لم يتسع المجال للشاعر بأن يستوفي أركان المقاصد التي بها يكمل التئام القصيدة على أفضل هيئتها، وربما استوفى ذلك الحذاق مع ضيق المجال عليهم باقتناء الأوصاف الضرورية في الجهات بالنسبة إلى الغرض »[56].

وأما في النقد الحديث، فإن النقاد نادوا بالوحدة العضوية، والمروق على البناء الموروث، وذلك ـ في نظرهم ـ يُخوِّل للشاعر الانسجام مع موضوعه، كما يسمح له أيضا بالانتقال عبر وحداته بِحُرِّيةٍ مطلقةٍ لا قيد فيها ولا شرط.

وبعد هذا الاستعراض الموجز لبنية النص قديماً و حديثاً، نتساءل عن بنية نَصِّنا الصُّوفي، هل انساقت وراء تعدد المحاور، أم أنها التزمت بوحدة الموضوع ؟ أم أنها راعت البنيتين على السواء ؟ سنعتمد في استقرائنا للنصوص على مصطلحات حازم القرطاجني التي مَرَّتْ بنا سلفا، والتي ترى أن النص إما أن يكون بسيطا في بنيته أو مركبا.

وأثناء معاينتنا لنصوص المدونة تبين لنا أن القصائد التي تتمحض للدعاء والوعظ والإرشاد تأتي دائماً بسيطة في بنيتها وقارَّة في صيغتها، فهي تنفتح بالمناجاة وتنغلق بها، فالشاعر يلجها دون مقدمة طللية، ولكنه يختمها أحياناً بقُفل التصلية.

وربما يكون هذا العُدُول عن المقدمة الطللية في مثل هذه الموضوعات، يعود إلى جلال الموضوع وقدسيته، فكأنَّ الشاعر لخوفه مما سيؤول إليه مصيره لا يقبل أن يبدأ بحديث آخر، فهو شبيه بقول سيدنا موسى عليه السلام كما جاء في الآية القرآنية:{...وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّي لِتَرْضَى} سورة طه آية 48.أما القصائد المديحية، فقد تميزت بالبنية التركيبية في الغالب، وبالرغم من خضوع المدائح النبوية في هيكلها العام لبنية ثابتة ؛ تبدأ بالمقدمة الطللية أو الغزلية ثم إعلان التوبة أو الدعوة إلى التخلي عن المتغزل بها، مروراً بالغرض الرئيس وانتهاءً بقفل التصلية، فإنها ظلَّت في مدونتنا تختلف من قصيدة إلى أخرى، فهناك في بعض القصائد لم يلتزم الشعراء بهذه البنية، إذ نجدهم أحياناً يلجون موضوع المديح مباشرة دون وسيط، ولكنَّ قفل التصلية ظلَّ قائما في جُلِّ القصائد. ومع ذلك ظل الالتزام بهذه البنية العامة، هو ديدن الأغلبية من الشعراء، حتى كادت القصائد تفقد طرافتها أحياناً؛ لاتفاقها في البنية والغرض.

وقد وجدنا عند شعرائنا قصائد مديحية ليس لها تقريباً من الاختلاف إلا الوزن والقافية؛ فهي تكاد تحتوي على نفس المورِّثات، وسنأخذ مثلاً قصائد الشاعر سيدي محمد ابن المبروك الذي أغلب قصائده مديحية، وسنختار له ثلاث قصائد لا نجد أي فرق بينها من حيث البنية، فلقد

امتازت الثلاث بالبنية التركيبية نفسها، معتمدة: المقدمة والموضوع والقفل، وسنقوم فيما يلي برسم خطاطات تبين أهم المحاور في كل من القصائد الثلاث:

قصيدة " بانت سعاد وبان الشيب في جسدي ":

المقدمة غزلية

↓

إعلان التوبة

↓

الموضوع الرئيس

ـ صفات الرسول ومعجزاته :

1ـ ذكر مولده " ونسبه

2ـ علو نسبه

3ـ حنين الجذع له .

4ـ كلام الضب له .

5ـ قصة الظبية .

6ـ قصة الجمل .

7ـ ماء ذات المزادتين.

9ـ نبع الماء من أصابعه .

10ـ رده لعين قتادة .

11ـ تداعى بناء كسرى يوم مولده .

12ـ أخمدت نار فارس .

13ـ قصة العنكبوت في غار حراء .

14ـ فهر أم جميل.

15ـ إثمار نخيل سلمان

ـ غزواته وسراياه.

خاتمة (قفل التصلية)

قصيدة : " سَلْ ربع ميَّة " :

المقدمة غزلية

↓

إعلان التوبة

↓

الموضوع الرئيس

صفات الرسول ومعجزاته :

1- شكت الغزالة له .

2- قصة الضب .

3- حنين الجذع له .

4- تظله الغمامة .

5- شكا له الجمل .

6- انشقاق القمر يوم مولده .

7- خروج الماء من بين أصابعه .

8- رميه للجيش بحفنة من تراب وعماهم بها.

9- قضاؤه دين الأراشي .

10- راودته الجبال.

11- قصة المرأة وخاطبها.

12- قصة ذات العذق .

13- اهتزتز جبل أحد.

14- قصة الحمامة في الغار .

15- ماء ذات المزادتين.

16- تكلم ذراع الشاة المسموم .

خاتمة (قفل التصلية)

قصيدة : " نأيت وضجَّ نضوي " :

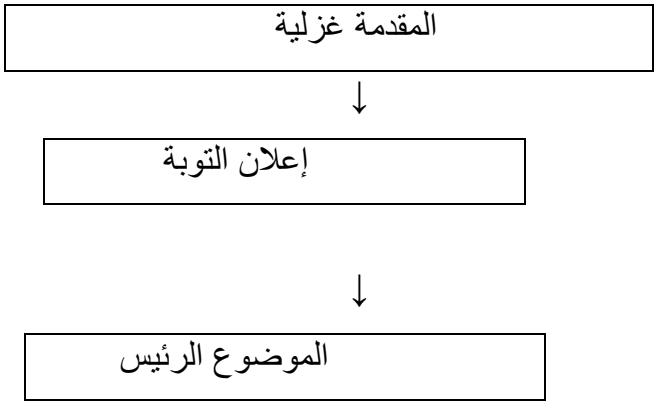

صفات الرسول ومعجزاته :

1- أفضل من تنبا .
2- خير الواطئين على التراب .
3- حادثة الإسراء والمعراج.
4- تسليم الجماد عليه .
5- كلمه الضب .
6- كلمته الغزالة .
7- كلمته الذئاب .
8- إخباره بالغيب.

خاتمة (قفل التصلية)

فالمتأمل في بنى هذه القصائد الثلاث يجدها تكاد تكون واحدة ، بالرغم من تداخل بعض المحاور في الغرض الرئيس، فهي كلها تخضع لوحدات ثلاثية، إذا اعتبرنا أن إعلان التوبة هي نقطة تحولية من المقدمة إلى الموضوع الرئيس، وتلك العناصر الثلاثة هي:

مقدمة ـ موضوع رئيس ـ خاتمة، على نحو تبدو معه كأنها اجترار أو شبه تقليد ونقل لمثال سابق، وما قلناه عن تلك القصائد الثلاثة نجده كذلك يتكرر في بعض القصائد الأخرى عند الشاعر سيدي محمد إيداوعلي، نذكر مثلاً قصيدته: " رِكَابُ أَحِبَّتِي "، وغيرها.

لقد قمنا بسبرٍ لجميع القصائد المديحية في المدونة فوجدناها تكاد جميعاً تلتزم بهذه البنية إلاَّ قليلا، والجدول التالي يوضح ذلك:

الشاعر	القصيدة	المقدمة الغزلية	الموضوع	الخاتمة (قفل التصلية)
سيدي محمد ابن المبروك	صلوات الإله	0	×	×
	ارتجي فضل من دنا	0	×	×
	الهوجاء ذات الهدج	×	×	×
	سلبت سلماك ألباب اللباب	×	×	×
	ذكر الخرود	×	×	×
	ألا يا قومنا	0	×	×
	بانت سعاد وبان الشيب في جسدي	×	×	×
	نفسي الأمارة	0	×	×
	عدمت ليلى	×	×	×
	نأيت وضج نضوي	×	×	×
	يا ويح من تبع الهوى	0	×	×
	وقفت بربع سلماك	×	×	×
	ألا صلوا على الهادي	0	×	×
	ودِّع سلياك	×	×	×
	سل ربع مية	×	×	×
	جفاك دهرك	×	×	×
	تباعد ريعان الشباب	×	×	×
سيدي محمد إيداوعلي	ركاب أحبتي	×	×	×
	هل ما كتمت ...يُعلم؟	×	×	×
	إن الجفن عبران	×	×	×
مجهولة المؤلف	مغنى الصبابة	×	×	0
	يا أكرم الخلق على ربه	×	×	×

رمزنا بـ: × لحضور الظاهرة و بـ: 0 لغيابهـا.

ملاحظة: الشعراء الذين لم ترد أسماؤهم في الجدول لم نرصد لهم قصائد مديحية في مدونتنا.

ويمكن إيجاز ما مرَّ بنا من بنى في هذه الأشكال:

قصيدة الدعاء والوعظ

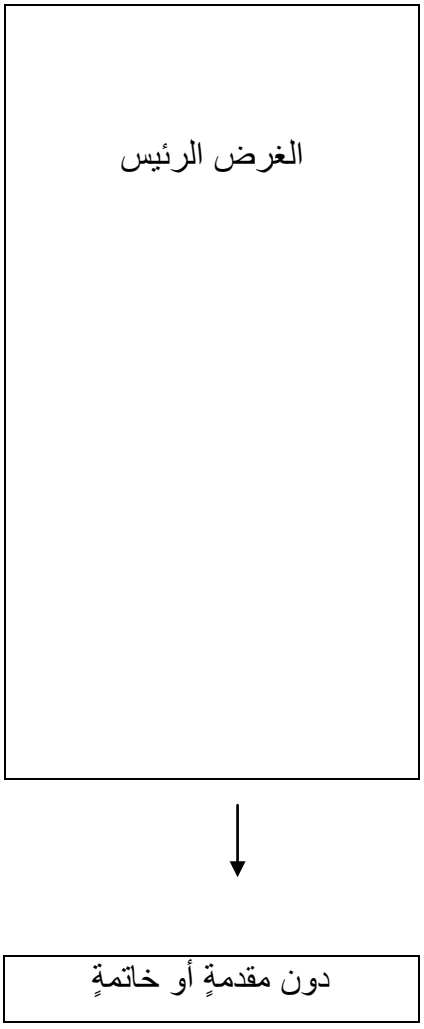

قصيدة المديح النبوي

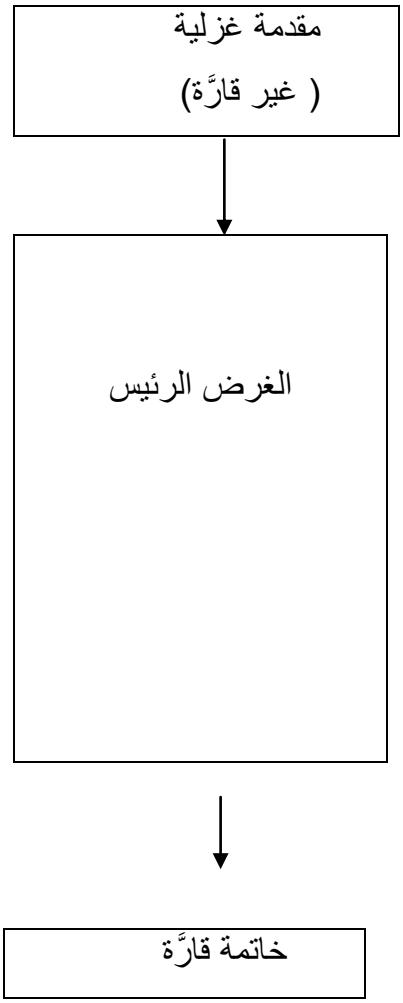

2. 2. الفصل الثاني:زمان النص

إذا كان التركيز في الصفحات السابقة قد انصب على البعد (المكاني) من حيث الأوضاع التشكيلية التي كتبت بها قصائد المدونة، وأبرز قدر الإمكان من خلال بعض النماذج ما يختزنه الخط في هذه المدونة الصوفية من طاقات تعبيرية إضافية، وما يقوم به من وظيفة شعرية في إطار جمالية النص الشعري، فإننا نتجه في هذا الفصل إلى جانبٍ آخر لا يقل أهمية عن الأول حيث يدخل ضمن المقومات الماهوية للشعر، ويتمثل في التعبير السمعي، أي الإيقاع الموسيقي للشعر، ذلك أن بعض الدراسات القديمة والحديثة تكاد تتفق على أنَّ مِمَّا يميز الشعر عن غيره؛ هو الوزن والقافية والإيقاع.

وقد أولى نقاد العرب القدامى لموسيقى الشعر عنايةً فائقةً، إذ استطاع الخليل بن أحمد الفراهيدي أن يحصر الأوزان الشعرية العربية في ستة عشر وزناً؛ لا يجوز للشاعر الخروج عنها وتجاوزها؛ وإن كان له الحق في التصرف داخلها، كما ذهب ابن رشيق القيرواني إلى أنَّ الوزن هو أعظم أركان الشعر وأولاها به خصوصية ، ويرى الجاحظ أن « الشعر صناعة »[57].

وتذهب بعض الدراسات الحديثة إلى أن الترجيع الصوتي هو أكبر ميزة تميز النص الشعري عن سواه « وأن الصورة المتكررة هي مبدأ الشعر الأساسي »[58] الذي يُسهم في بنائه.

وبالرغم من هذا الاتفاق العام، قديماً وحديثاً، حول أهمية الزمان في إنشاء النص الشعري، فإننا لا نجد اتفاقاً بين هؤلاء النقاد حول طريقة التصرف في هذا الزمان، أي أن تعامل الشاعر داخل هذا الإطار، يبقى خصوصية فردية ليس لها سابق تقنين، يقول أحمد بن الحسن في هذا الشأن: « ... فتَصَرُّفُ الشاعر في الجانب الصوتي من الكلام غير محصور بمستوى ولا مقنن في اتجاه واحد بل هو متعدد المستويات متشعب الوجوه حافل بعديد الإمكانيات »[59]. وسنقتصر في تعاملنا مع المدونة على جملة من الظواهر الموسيقية نحسبها مفيدة، بإعطائها للنص بعداً أدبياً وإكسابها إياه شاعرية خاصة، إضافة لكشفها عن بنية الخطاب الموسيقية.

ويُقَسِّمُ محمد الهادي الطرابلسي المظاهر الموسيقية في النصوص الشعرية إلى قسمين؛ حيث يَذْكُرُ « أن منها ما يتولَّد بمقتضى الوجوب، أي ما يندرج في اختيارات الشاعر المبدئية في نظم الشعر، ويشمل ذلك البحور والقوافي (...) ومنها ما يتولد بمقتضى الجواز، وهو ما لم يكن جوهرياً بحيث قد يُستخدم في بيتٍ دون آخر وفي مجموعة أبيات دون أخرى »[59].

وسنلتزم في مقاربتنا هذه بهذا التقسيم الذي يفصل بين الموسيقى الخارجية (أي ما يتولد بمقتضى الوجوب)، وبين الموسيقى الداخلية (أي ما يتولد بمقتضى الجواز).

وسيكون ذلك على النحو التالي:

ـ الموسيقى الخارجية: وسنتطرق فيها للنظام العروضي من وزن وقافية.....

ـ الموسيقى الداخلية: وسنرصد فيها الظواهر الإيقاعية داخل البيت من جناس صوتي وتكرير وتقطيع وغير ذلك.

2. 2. 1. الموسيقى الخارجية :

1 - البحور:

تمتاز مدونتنا بتعدد البحور، فقد نظم شعراء المدونة على عشرة بحور من أصل ستة عشر، أي نسبة استخدامهم للبحور تقدر بـ : **62.5**٪ ، ولقد راوحوا في هذا بين البحور الطويلة والقصيرة ؛ وسنأخذ كل ذلك بعين الاعتبار أثناء التحليل والدراسة.

ولعله من المفيد في إطار هذه المقاربة أن نقارن بين استخدام الشعراء لهذه البحور وبين التفاوت الحاصل في استخدامها، عسى أن نصل من خلال ذلك إلى حُكم قارٍّ، يمكن أن نسحبه على الخطاب الصوفي عموماً، أو إلى رأيٍ في هذا الموضوع يمكن أن يكون نواة تفكير في الموضوع.

وسنحاول من خلال جدول أولي أن نرصد توزيع نصوص المدونة على البحور المستعملة وحظ كل شاعر من شعراء مدونتنا من استخدامها حتى يتسنى لنا في مرحلة لاحقة تبويبها وتصنيفها حسب التواتر، وذلك قناعةً مِنَّا برأيٍ سبقنا إليه جان كوهن وهو أن « النقد الكامل هو الذي يستخدم الإحصاء للإلمام بالظاهرة المهيمنة على نسيج الخطاب، أي الاحتكام إلى المتن وحده؛ دون الالتجاء إلى غيره »[60] ، فمنه نبدأ وإليه ننتهي.

الدائرة	البحر	سيدي محمد إيداوعلي	سيدي محمد ابن المبروك	محمد البكري بن عبد الرحمن	محمد عبد القادر الفلاني	السيد الزروق	ابن بادي الكنتي	قصائد مجهولة
المؤتلف	الكامل	1	1	0	0	1	0	1
	الوافر	4	2	0	0	1	0	0
المختلف	الطويل	2	0	0	0	1	0	0
	البسيط	3	3	0	0	0	1	1
	المديد	0	0	0	0	0	0	0
المجتلب	الرجز	0	0	1	1	0	0	1
	الهزج	0	0	0	0	0	0	0
	الرمل	0	0	0	0	0	0	0
المشتبه	الخفيف	3	0	0	0	0	0	0
	السريع	1	0	0	0	0	0	0
	المقتضب	0	0	0	0	0	0	0
	المجتث	0	0	0	0	0	0	0
	المنسرح	2	0	0	0	0	0	0
	المضارع	0	0	0	0	0	0	0
المتفق	المتقارب	2	0	0	0	0	0	0
	المتدارك	0	0	0	0	0	0	0
	المحدث	2	0	1	0	0	0	0

نُلاحظ من خلال هذا الجدول أن شعراء المدونة نظموا نصوصهم على البحور المتعارف عليها والتي تنتمي للمرتبة الأولى كـ (الطويل والكامل والوافر والخفيف والبسيط والمنسرح) وكان النظم على ما سوى هذه البحور نادراً جداً إن لم ينعدم إطلاقاً كما هو الشأن في بعض البحور كالمتدارك والرمل والهزج والمقتضب والمجتث والمضارع والمديد.

ويمكن أن نوضح توزيع أبيات المدونة على البحور في الجدول التالي:

الرتبة	البحر	عدد النصوص	الأبيات	النسبة المئوية٪
1	البسيط	9	476	29,29
2	الكامل	4	227	13,96
3	الوافر	7	209	12,86
4	الرجز	3	153	9,41
5	الطويل	3	151	9,29
6	الخفيف	2	121	7,44
7	المتقارب	2	94	5,78
8	المنسرح	2	81	4,98
9	المحدث	3	69	4,24
10	السريع	1	44	2,70
المجموع	10	36	1625	٪100

ويتضح أكثر ترتيب تداول البحور الشعرية داخل مدونتنا في الرسم البياني التالي :

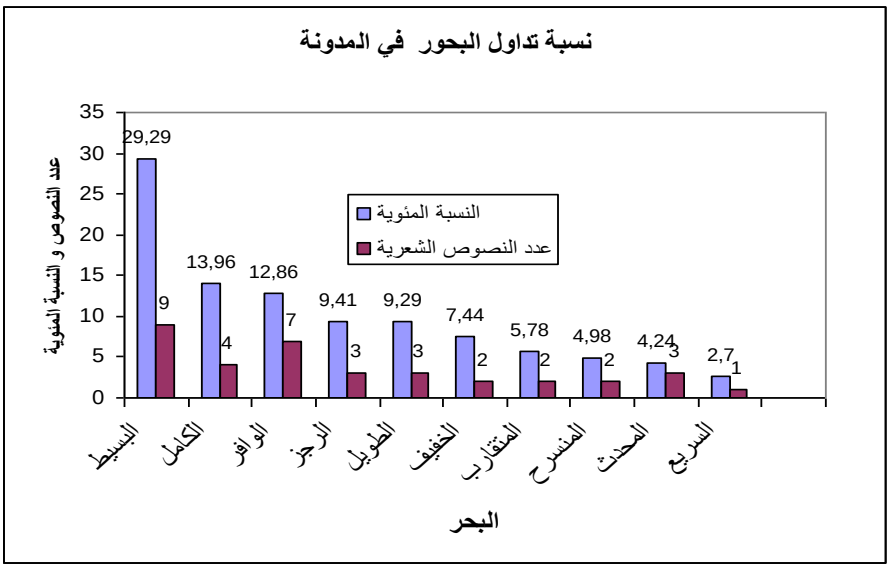

ومن الجدولين السابقين والرسم البياني يمكن أن نستخلص بعض المسائل:

أ- التزام شعراء المدونة بالبحور الطويلة الأساسية في العروض العربي، واحتلال البسيط المرتبة الأولى من تلك البحور، منتزعاً إياها من بحر الطويل الذي كان يحتلها في الشعر القديم، ويبدو أنه بدأ يتراجع لحسابه، وربما أَكْثَرَ الشعراء من استعمال بحر البسيط لما فيه من البساطة والطَّلاوة.

ب - جاءت أبيات الرجز وفيرة وقد التجأ الشعراء للكتابة عليه،وذلك في اعتقادنا يعود لسببين، **أولاً:** الحضور القوي لبحر الرجز في الحياة العلمية في توات بصفة عامة، إذ أن أغلب المتون التي تُدرَّسُ في الزوايا أراجيز مثل الألفية والجزرية ...

ثانياً : يُعتبر بحر الرجز الأنسب ـ في اعتقادنا ـ لاحتضان موضوع التوجيه والذكر والدعاء.

جـ - لقد تنكَّب شعراء المدونة عن قرض الشعر على البحور ذات المقاطع القصيرة، كما أنهم لم يستخدموا البحور التي كانت نادرة في الشعر العربي القديم.

د- على الرغم من قلة المحاولات التي أجريت لدراسة مسألة تَـَنَاسُبِ الأغراض مع البحور، فإننا نرى أن اختيار شعراء المدونة للبحور الطويلة لم يكن أمراً اعتباطياً، وإنما كان متمشياً مع عظمة الغرض وجلال الموضوع، فالدعاء والمناجاة والحقيقة المحمدية وحضرة الشيخ كلها موضوعات مقدسة عند الصوفي، تستحق التعظيم والتبجيل، وهو ما ينبغي أن ينعكس على لغة الخطاب الشعري، واللغة الشعرية لن تتبرج بجمالها الفاتن إلا إذا صُهرت هي الأخرى في قالب يسمح لها بالظهور ويخولها الاستعراض ، ولعل البحور الطويلة هي أنسب البحور لمثل هذه المواقف الخطابية ولمثل هذا الجلال في الموضوع ، فتكون بذلك قد جمعت جمال المبنى وجلال المعنى.

أشير قبل أن أفرغ من الحديث عن البحور التي كَتَبَ عليها شعراء مدونتنا، إلى ظاهرة تميز بها الشاعر سيدي محمد ابن المبروك البودوي، وذلك حين كتب قصيدتين في بحر المنسرح ثم أعاد كتابتهما على بحر البسيط وذلك بإضافة بعضٍ من الكَلِمِ إلى شطري القصيدتين فيتبدل البحر، والقصيدتان هما:

1- قصيدة: " عدمت ليلى " التي يقول في بدايتها:

(منسرح)

«عدمت ليلى وقلبك احترقا من أجل فرقتها وما سبقا

عهدتها بالـدجـــا بقبتها وكنت تطـرقها إذا اتسقا »

ثم أعاد كتابتها على بحر البسيط :

«عدمت ليلى **أخي** وقلبك احترقا من أجل فرقتها **العظمى** وما سبقا

عهدتها بالـدجا **لـيلاً** بقبتها وكنت تطــرقها **بـه** إذا اتسقا »

والشأن نفسه بالنسبة لقصيدة " سل ربع ميَّة " التي جاء في طالعها:

(منسرح)

« سَلْ ربع مَيَّة مُذْ جوائبها عـن حيِّها ثم عن أقاربها

ينبئك عـن بَضَّةٍ مهفهفَةٍ سَبَى قُلوبك حُسنُ حاجبها »

ثم عاود الشاعر كتابتها على بحر البسيط:

« سَلْ ربع ميَّة **تُحظى** مُذْ جوائبها عـن حيِّها ثم عن **سَنَا** أقاربها

يُنبئك عـن بَضَّةٍ **غَـرَّا** مُهفهفةٍ سَبَا قُلوبَك حسن **قوس** حاجبها »

وهذا كله يدل على اتساع المعجم اللغوي للشاعر من ناحية، وقدرته على التنقل في النسج الشعري بين مختلف البحور الشعرية.

وقد قام الشاعر سيدي محمد إيداوعلي بتَخْمِيس بعضٍ من أبيات قصيدة "أم هانيء"، ففي البيت الأول من قصيدتها تقول فيه:

(بسيط)

« مَا للمَسَاكِينِ مِثْلَ مُكْثِرِ ي الزَّلَلِ إلاّ شَفَاعَةُ خَيْرِ الخَلْقِ وَالرُّسُلِ »

فخَمَّسَ الشاعر هذا البيت قائلاً:

« اللهُ أعْلَمُ مَا بِالقَلْبِ مِنْ وَجَلٍ ذَنْبِي كَبِيرٌ فَأَرْجُو المَوْلَى يَغْفِرُ لِي

بِجَاهِ خَيْرِ الوَرَى أحمد يَشْفعُ في مَا للمَسَاكينِ مثلَ مُكْثِرِ ي الزَّلَلِ

إلاّ شَفَاعَةُ خَيْرَ الخَلْقِ وَالرُّسُلِ »

وتقول الشاعرة في البيت الثاني:

« يَا مُذْنِبِينَ قِفُواْ بِبَابِهِ وَاسْأَلُواْ بِهِ المَفَازَ تَنَالُواْ غَايَةَ الأَمَلِ »

وخَمَّسَه الشاعر:

« اللهَ رَبِّ فَمَا العُذْرُ وَمَا الحِيَلُ لَوْلاَ شَفَاعَةُ مَنْ تُمْحَى بِهِ الزَّلَلُ

شُدُّواْ المَطَايَا لِخَيْرِ الخَلْقِ وَارْتَحَلُواْ يَا مُذْنِبِينَ قِفُواْ بِبَابِهِ وَاسْأَلُواْ

بِهِ المَفَازَ تَنَالُواْ غَايَةَ الأَمَلِ »

وتخميس هذه القصيدة دليلٌ على أهميتها، كيف لا وهي تردد في عديد المناسبات الدينية بمنطقة توات.
ويدخل هذا التخميس ضمن ما يسميه النقاد اليوم بـ:التَّضْمِين؛ ويعرِّفونه بأنه « استعارتك الأنصاف والأبيات من شعر غيرك، وإدخالك إياه في أثناء أبيات قصيدتك »[61]. أو هو كما حدَّه ابن رشيق « قصدك إلى البيت من الشعر أو القسيم؛ فتأتي به في آخر شِعرك أو في وسطه كالمتمثل »[62].ولهذا التضمين فوائد كثيرة؛ ووظائف عدة. وقد أشار نقادنا القدامى إلى بعضها، فعده ابن الأثير إحدى الوسائل التي تساعد في « تأكيد المعنى المقصود»[62]، واعتبره حازم القرطاجني آلية من آليات إتمام المعنى، وتحسين العبارة.

2 - القوافي:

تلعب القافية دوراً رئيساً في تنغيم النص وتنظيمه، وذلك بما تُحدثه من ترديدٍ وترجيعٍ لصوتٍ واحدٍ يلتزم به الشاعر في نهاية البيت، مع ما يحتفظ به الشاعر من حرية في التصرف داخل الأصوات المكونة للحشو، وبين هذا القيد وتلك الحرية يبني الشاعر نصه على التناوب الموسيقي بين الترجيع والتنويع، فمع الترجيع (القافية) تُكَرِّرُ القصيدة ذاتها منجذبة إلى السكون، ومع التنويع (الإيقاع الداخلي) تُطوِّرُ القصيدة ذاتها مندفعة إلى الحركة.

وتُعتبر القافية في الشعر العربي من الميزات الأساسية للنص الشعري بسبب ما لها في الأغلب الأعم من ثبات ملزم للشاعر مهما طالت القصيدة وتقلبت بين المعاني والأغراض.

ولدراسة القافية والوقوف عندها أهمية بالغة في كشف بعضٍ مما يتعلق بمضامين النص الشعري، وفي ذلك يرى صلاح فضل أن « القافية تتضمن بالضرورة علاقة دلالية بين وحداتها، وتحليلُها يؤدي إلى التعرف على الوحدات الصرفية والنحوية المكونة لها، ومدى اتفاقها أو اختلافها فيما بينها، ومهما كانت

درجة استخدام الشعراء لهذه المكونات الصرفية والنحوية أو ترفُّعهم عليها فإن جمال القافية يكمن في تشابه الصوت واختلاف المعنى »[62].

وسنركز في مقاربتنا هذه على نوع القوافي وإطلاقها وتقييدها، كما أننا سندرس حظ حروف المعجم من الورود روياً في المدونة، وسنقف قليلا عند ظاهرة التصريع لما لها من دورٍ في زمان النص، ولن نهتم بتنوع القوافي لانعدامها في مدونتنا فجميع الشعراء التزموا بوحدة القافية ولم يشذ عن ذلك منهم أحد، إلاَّ قصيدة "سلسلة الأوراد " التي كُتبت على شكل ما تسمى بالأراجيز.

تعتبر القافية المقيَّدة ـ على حد قول محمد الهادي الطرابلسي ـ « أبسط مظاهر القافية الممكنة على الإطلاق »[63] وأقلها إلزاماً للشاعر على المستوى النحوي، ولذلك جاءت شائعة في مدونتنا، واستعمل بعض الشعراء في عددٍ من قصائدهم القافية المطلَقَة، وقد اختلفت حركة القافية المقيدة بين الشعراء، فكانت الكسرة هي الحركة الأكثر شيوعاً في قوافي المدونة؛ تليها في التواتر الضمة وقد غابت الفتحة، ـ فكلما كانت الحركة فتحةً إلا ونجدها مطلقةً لا مقيدةً ـ ، وهذا ما يطابق تماماً ما هو مألوف في الشعر القديم الذي تكثر فيه الكسرة ثم الضمة ثم الفتحة.

وربما الشيء الذي يميز مدونتنا وهو وجود بعض القصائد التي كانت قافيتها ساكنة، وربما هذا شذوذ عمَّا هو مألوف في الشعر العربي عامة، إذ أنَّ هذه القصائد لا تستقيم قراءة قوافيها إلاَّ إذا سُكِّنت فحينها تستوي؛ أمَّا إذا أُعربت أواخرها وأظهرت حركاتها فإن هذه الأخيرة ستتباين من بيت إلى آخر، مثل قصيدة " ذكرُ الخُرُود " للشاعر سيدي محمد ابن المبروك التي يقول في طالعها:

« هَجَرْتُ تَغَزُّلَ ذِكْرِ الخُرُودِ وَمَدْحِـــي لِـــذِكْرِ النَّبِيِّ يَعُودُ

كَتَبْتُ رُسيمَ طَـــلاَقِ الغِـنَا بِتَسْجِيلِ قاضٍ ووضع شهودِ »

هذا إذا أعربنا عن القافية، أما إذا سكَّنَّاها فسيظهر الفرق. أنظر الفرق معي مرَّة أخرى:

« هجرت تغزل ذكر الخرودْ ومـدحي لـــذكر النبي يَعُودْ

كتبت رُسيم طـــلاق الغنا بتسجيل قاضٍ ووضع شُهُودْ »

وهكذا لا تستقيم القافية إلاَّ بالتسكين، وقد يكون هذا ضُعفاً من الشاعر.

ويمكن أن نرصد كل القوافي التي وردت في مدونتنا في الجدول التالي :

نصوص	القافية المطلقة	القافية المقيدة			
		الكسرة	الفتحة	الضمة	السكون
سيدي محمد بن المبروك	7	7	0	2	4
سيدي محمد إيداوعلي	4	1	0	1	0
محمد البكري بن عبد الرحمن	0	0	0	0	1
محمد عبد القادر الفلاني	1	0	0	0	0
السيد الزروق	0	0	0	2	0
ابن بادي الكنتي	1	0	0	0	0
مجهولة	1	2	0	0	0
الجميع	14	10	0	5	6

أ : الروى :

لقد استخدم الشعراء في القوافي التي ذكرناها في العنصر السابق حروفاً متعددةً ، وبناء على ما أورده محمد الهادي الطرابلسي حول الميزة العامة للروي في العربية من أنه يتميز بثلاث نزعات هي:

1- خروجه من أدنى الجهاز الصوتي.

2- تخيُّرُهُ من الحروف الأربعة الشائعة: (ر- ن - ل - م).

3- اتصافه بالوضوح (وأنَّ أكثر الحروف وضوحاً وشيوعاً تخرج من أدنى الجهاز هي هذه الأربعة المذكورة)، ومنه فإن مدونتنا الصوفية لم تَشُذْ عن هذه القاعدة العامة في هذه الناحية ، وبالتالي لم تُضفْ جديداً فيما يتعلق بحروف الروي. ويمكن توضيح ذلك من خلال الجدول الآتي؛ الذي يثبت حروف الروي المستخدمة في المدونة حسب مخارجها:

الحلق								الحنك				الأسنان																		الشفتان			الحيز
ء	هـ	خ	غ	ع	ح	ق	ك	ج	ي	ش	ن	ل	ط	ت	د	ظ	ذ	ز	ث	ص	س	ض	ر	ف	م	ب	الحروف
	2	0	0	0	0	2	0	1	0	0	1	0	0	1	4	0	0	0	0	0	1	0	3	0	1	5	سيدي محمد ابن المبروك
0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	1	4	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	1	0	سيدي محمد إيداوعلي
0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	محمد البكري بن عبد الرحمن
0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	محمد عبد القادر الفلاني
1	0	0	0	0	0	1	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	السيد الزروق
0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	1	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	ابن بادي الكنتي
0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	1	1	1	0	مجهولة المؤلف
1	2	0	0	0	0	3	0	1	0	0	2	4	0	1	5	0	0	0	0	0	1	0	4	1	3	5	المجموع

وانطلاقاً من هذا الجدول نجد أن أصوات (الباء والراء والميم واللام والدال) تحظى بأكبر نسبة في الاستخدام روياً، وهذا ما كان شائعاً في الشعر العربي القديم . كما يُلاحظ أنَّ شعراء المدونة اختاروا الأصوات التي مخارجها أقرب إلى الشفتين وأدنى الحنك، حيث وصلت نسبتها ما يقارب 65٪ من جميع الأصوات المستخدمة رويّاً. وهذا ما أثبتته بعض الدراسات الحديثة من أن الروي يتسم في الشعر العربي عامة « بأنه بقدر ما يكون مخرجه أقرب من الشفتين بقدر ما كَبُر حظه من الاستعمال روياً »[64].

وهذه حروف الروي مرتبة حسب درجة التواتر في المدونة:

جدول يبين: حروف الروي مرتبة حسب درجة التواتر

الروي	عدد الأبيات	النسبة	عدد النصوص	النسبة٪
ب	194	٪13,62	5	14,70
د	302	٪21,20	5	14,70
م	132	٪9,26	4	11,76
ر	140	٪9,83	4	11,76
ل	96	٪6,74	4	11,76
ق	81	٪5,68	3	8,82
هـ	104	٪7,30	2	5,88
ن	165	٪11,58	2	5,88
ف	15	٪1,05	1	2,94
س	28	٪1,96	1	2,94
ت	120	٪ 8,42	1	2,94
ج	30	٪2,10	1	2,94
ء	17	٪1,19	1	2,94

وهذا رسم بياني يوضح ترتيب حروف الروي حسب ورودها في نصوص المدونة:

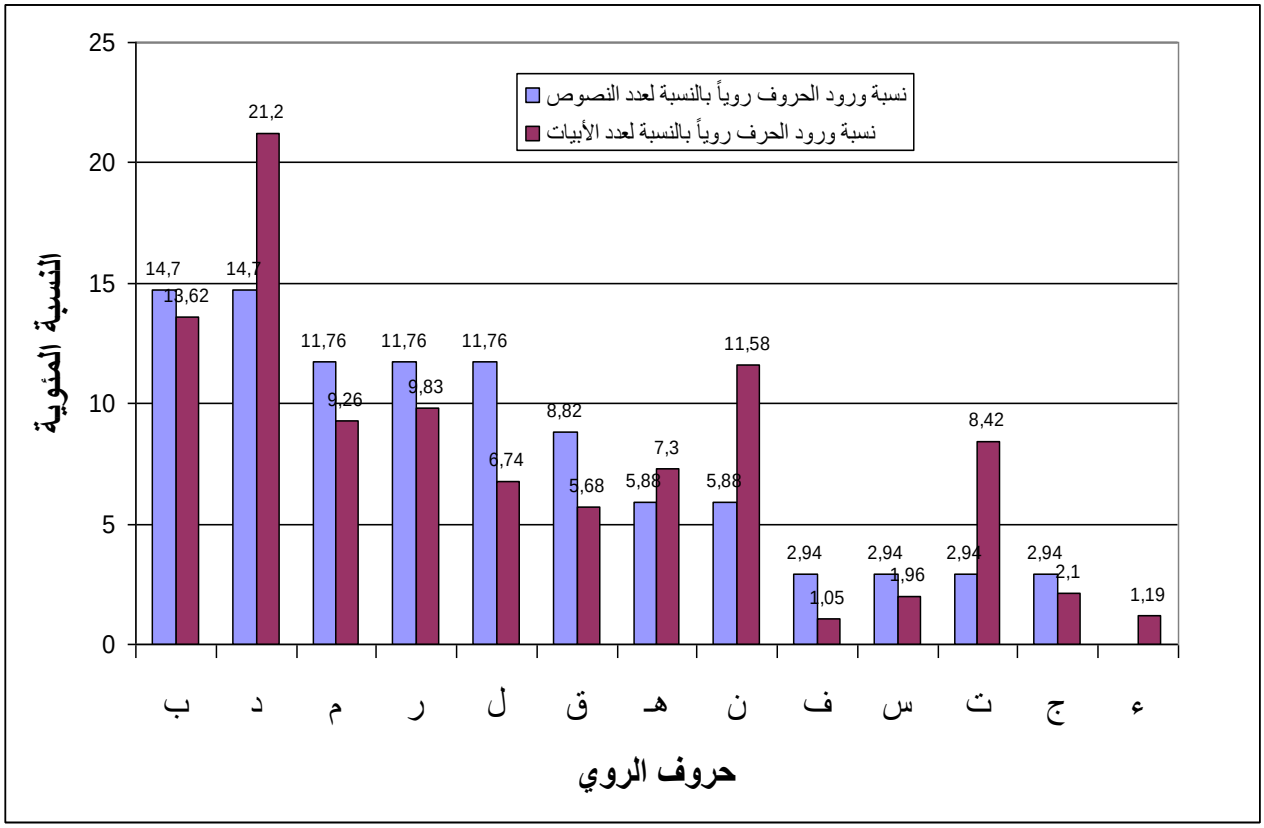

ب : التصريع :

يُعَدُّ التصريع سُنَّة قديمة اتبعها الشعراء القدامى، ويرى ابن رشيق « أن ذلك تنبيه من الشاعر على القافية التي سيلتزم بها وليُعلم من أول وهلةٍ أنه في كلامٍ موزونٍ غير منثورٍ »[65].

ويعتبر التصريع من الأشياء التي أضافها ابن أبي الأصبع (- 654 هـ) إلى الوزن والقافية أثناء حديثه عن موسيقى الشعر، ونشير أيضاً أنه أضاف أيضاً التسميط و المماثلة والتجزئة والسجع والترصيع والتشطير والموازنة والازدواج.

ويكثر التصريع في مدونتنا عموماً، ولعل الشعراء في منزعهم هذا يحسبون أنهم يحرصون على تطبيق شرطٍ أساسيٍ من شروط الشعر، من خلاله يتفاوت الشعراء ويُرتبون.

وربما يكون من وراء شهرة كتاب " العمدة " في مقدمة الكتب الموجودة عند الصوفية، فذاك عامل من عوامل انتشار هذه الظاهرة، إذ ضِمن هذا الكتاب يذهب ابن رشيق إلى « أنَّ التصريع دليل على قوة الطبع وكثرة المادة »[66] ، وهو ما وجدناه في شعر شعرائنا.

وأيّاً ما كان الأمر فإننا نجد ـ من خلال النصوص ـ أن الشاعر الصوفي راعى قواعد الكتابة الشعرية النوعية ـ التي تجعل منه شاعراً متميزاً ـ فلم يُهمل منها أيَّ عنصرٍ، فجاءت بذلك ترفل ما رَصَّ من لغة شعريةٍ رامزةٍ، وما أبدع من صورٍ فنيةٍ موحيةٍ. ولقد رتَّبْنَا شعراء المدونة حسب حظهم من النصوص مرصعة المطالع، فجاء ذلك على النحو التالي:

جدول يبين ترتيب الشعراء حسب حظهم من النصوص المرصعة، وقد أخذنا بعين الاعتبار أثناء الترتيب عدد القصائد المثبتة لكل شاعر في مدونتنا.

الرتبة	الشاعر	عدد النصوص المرصَّعة	عدد النصوص المدوَّنة للشاعر	النسبة ٪
1	سيدي محمد ابن المبروك	14	21	66,66
1	سيدي محمد إيداوعلي	4	6	66,66
1	السيد الزروق	2	3	66,66
4	محمد عبد القادر الفلاني	1	1	100
4	محمد البكري بن عبد الرحمن	1	1	100
4	مجهولة المؤلف	4	4	100

مخطط يبين تفاوت شعراء المدونة في ترصيعهم لأشعارهم:

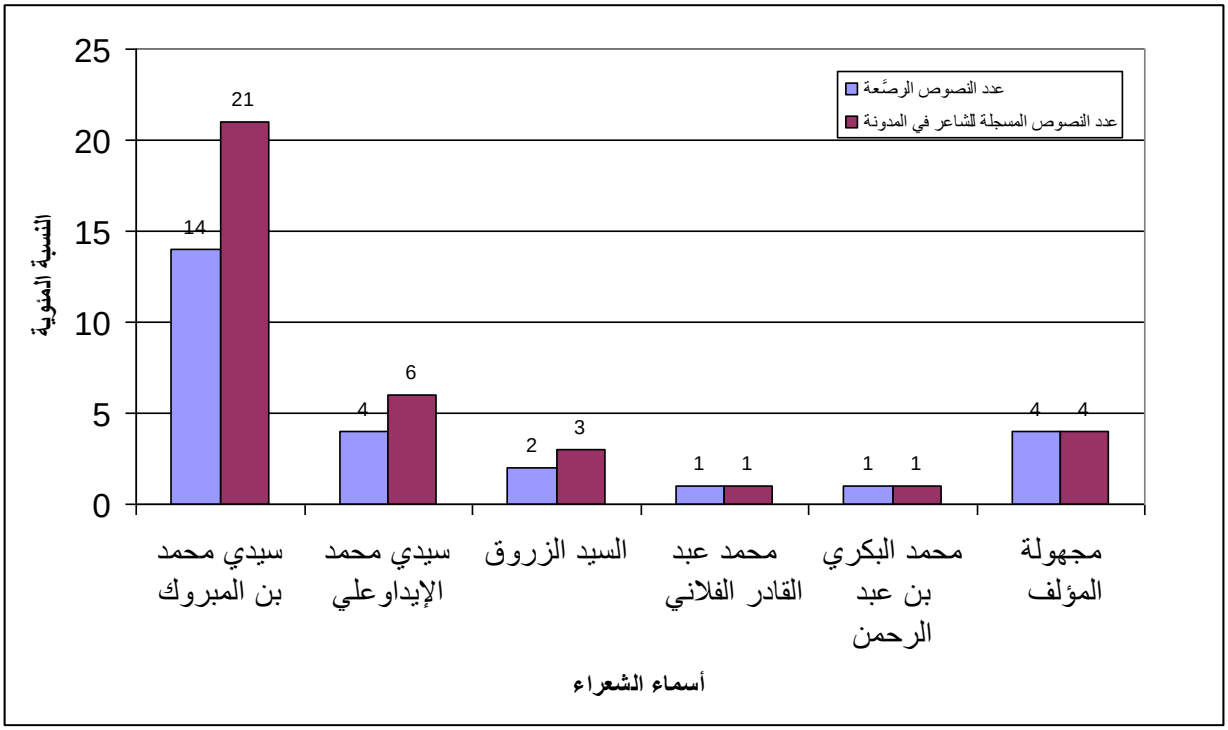

يلاحظ جليّاً من خلال الجدول والمخطط البياني أن النصوص المرصَّعة تمثل نسبةً كبيرةً من المدونة، فقد وصل عددها إجمالا إلى 26 نصّاً من أصل 36 نصّاً هي متن المدونة أي ما تقدر نسبته بـ: 72,22 ٪ ، وهي نسبة جدُّ عالية ، مما يؤكد ما ذهبنا إليه من شدة اهتمام الشعراء بالتصريع.

2. 2. 1. الموسيقى الداخلية :

سندرس تحت هذا العنوان مجموعة من المظاهر الموسيقية تتولد في الكلام " بمقتضى الجواز "، وللشاعر في استخدامها الحرية المطلقة، وبحكم طابعها الخصوصي هذا تفاوت شعراء المدونة في استخدامها، فوجدنا بعضها طاغياً في مجموعة من النصوص الشعرية، وبعضها الآخر يكاد يكون مُهمَلاً. وسنتعرض لجملة من هذه المظاهر الموسيقية؛ التي نحسب أنها لعبت دوراً في إبراز شاعرية النص؛ وفي إبداء بعض معانيه الدلالية؛ وكذا سعي الشعراء من خلالها للوصول إلى الكمال الموسيقي المطلق.

ويُعرِّفُ عبد القادر فيدوح الإيقاع الداخلي بأنه « مجموع العلائق فيما بين الوزن والشحنات الإيقاعية في دفقاتها الشعورية وما ينتج عن ذلك من مكونات وتموجات نفسية تتلاءم مع قوى تفاعل الكلمة، ومن ثمة

ينبغي النظر إلى الموسيقى الداخلية على أنها وليدة الدفقة في أحاسيسها المنبثقة من قوى الذات المتفاعلة في خصوصية تمايز مثيرات الحدث والربط بينه وبين متباعداته في إدراك الشاعر »[67].

وتهدف الموسيقى الداخلية إلى المحافظة على حسن التأليف بين الحروف والكلمات، لما له (حسن التأليف) من أهمية في بناء الخطاب الشعري، بل إن حسن التأليف بين الحروف والكلمات كان من بين المعايير النقدية التي حَكَمَ فيها الآمدي (- 270هـ) بين أبي تمام (-231هـ) والبحتري (- 284).

وسنعتمد في توضيح الموسيقى الداخلية في شعر شعراء توات على عنصرين هما:

أ- التكرار.

ب - موسيقى الحرف.

أ- التكرار:

تُعتَبَرُ ظاهرة التكرار وهي « استعمال اللفظ مرتين فأكثر من نفس المعنى، بحيث لا يتميز استعمال الثاني عن الأول بمعنى خاص سوى ما قد يتولد عن مجرد التكرار »[68] ، تُعْتَبَرُ من أكثر الظواهر الموسيقية انتشاراً في مدونتنا، فقد تفطَّن شعراء المدونة لأهمية الصوت داخل البيت وطفقوا يمتحون من الأصوات؛ وهو ما أعطى لنصوصهم إيقاعاً خاصاً جعلها ذات نغم وموسيقى.

وقد خَصَّصَ بعض النقاد العرب القدامى أبواباً في مؤلفاتهم النقدية؛ تناولوا فيها ظاهرة التكرار في الشعر وعلَّقوا عليها، وحسبنا هنا أن نشير إلى ما أورده ابن رشيق في " العمدة" تحت هذا الباب، حيث يقول: « وللتكرار مواضع يَحْسُنُ فيها، ومواضع يَقْبُحُ، وأكثر ما يقع التكرار في الألفاظ دون المعاني، وهو في المعاني دون الألفاظ أقل »[69].

والتكرار أصنافٌ: منه ترديد اللفظ والعبارة بصوتها ولكن باختلاف دلالتها السياقية المترتبة على علاقتها بما يجاورها، وهذا الصنف هو المعروف قديماً عند البلاغيين بـ :"الجناس"، ومنه التكرار الذي يَدخل فيما يعرف عند النحاة القدامى بـ :"التوكيد اللفظي"، ومنه التكرار الذي يُردِّدُ تراكيب لفظيةٍ بذاتها، وهو المعروف بـ :"التقطيع".

ولقد اهتمت الدراسات الحديثة بظاهرة التكرار، واعتبرتها من الظواهر الجديدة التي تُكَوِّنُ الجانب الأهم في الشعرية الصوتية، ولقد نظرت الانشائية الغربية في مسألة الترديد الصوتي في الخطاب الشعري، وانتهى بها الأمر إلى أن التنميط الصوتي من أهم عناصر الشعرية في الشعر.

والناظر إلى مدونتنا يجد الظاهرة فيها حاضرة بجميع أنواعها، فلقد استغل شعراء المدونة معظم احتمالات الصوت التنغيمية، فكرَّروا وردَّدوا وقطَّعوا. ومن احتمالات الصوت التنغيمية التي وظفها شعراؤنا في قصائدهم نجد " الترديد " وهو يعني إعادة اللفظ بعينه ولكن بِفَارِقٍ دلاليٍّ بين استعماله في الحالتين ناتجٌ عن الاستعمال الشخصي الخاص بالسياق الذي زرعه فيه الشاعر، وليس وليد الاستعمال اللغوي المشترك ، والترديد بهذا المعنى يقترب من معنى الجناس الصوتي إلا أن هذا الأخير قد لا يتطابق

فيه اللفظان حرفياً بشكل تامٍّ، وعموماً فالمهم في ذلك أن يكون ثمة تجانسٌ بين عدة حروفٍ من الكلمة الواحدة. وهذا النوع من التكرار نادرٌ في مدونتنا.

ومن أنواع الترديد ما نجده عند السيد الزروق في مطلع غزليٍّ لإحدى قصائده في مدح مولانا عبد الله بن مولانا اسماعيل:

(طويل)

على أنَّني في الحُبِّ لَسْتُ بمُشركٍ سِواها بها فالظُّلْمُ منها محقَّقُ

على أنَّ ذاك الظُّلم حُلـوٌ كظَلمها كَمَا عَتْبُها عَنِّي سَلاَهُ مُعتَّق

وبالرغم من انزياح لغة الأبيات عن المعنى الظاهر لطبيعتها الصوفية، فإننا نجد أن الترديد الصوتي بعث فيها حياةً ونشر فيها إيقاعاً مؤثّراً، فترجيع " الظلم " ـ التي تحولت تحولاً بسيطاً من الفتحة فوق حرف (الظاء) تحولت إلى ضمة ـ مرتين في هذين البيتين مع اختلاف معناهما أعطى للقطعة تنوعاً في الدلالة وترديداً في الأصوات.

ومن أنواع التكرار كذلك (التقطيع) ويُعرِّفُهُ الدكتور محمد الهادي الطرابلسي بأنه يتعلق « بموسيقى التركيب الجزئية أو الكلية المساهمة في بناء بيتٍ أو في إقامة قصيدة كاملةٍ.

والتقطيع على نوعين: نوع أفقي: يتعلق ببناء البيت وهو ما يسمى عند القدامى بـ:(المُعَادَلَةُ) والمعادَلة تكون (ازدواجاً) إذا تشابهت بنية الكلمات دون اتفاق أواخرها، وتكون(ترصيعاً) إذا تشابهت بناها واتفقت أواخرها.

ومن أمثلة التقطيع الأفقي عند سيدي محمد ابن المبروك، هذا المقطع الذي يظهر فيه مدى حبه للرسول صلى الله عليه وسلم:

(وافر)

« ألا صلُّوا على الهادي تَنالوا ثوابــاً فـــي ثـوابٍ في ثواب

فمن صلَّى عليه يـُذاد عنه عذاباً فـــي عذابٍ في عذاب

يُبرقعه الإلــه بكـــلِّ سترٍ حجاباً في حجابٍ في حجاب

ويُلبسه مِـنَ انواع اللِّباس ثياباً فــي ثيابٍ فـــي ثيــاب»

وهكذا يواصل الشاعر تقطيع أبيات القصيدة حتى نهايتها، مركزاً على مساحة البيت أفقياً، ولم يردد الكلمات عمودياً؛ لذلك أعطى بهذا الترديد والترجيع، إيقاعاً داخلياً، يستوقفنا عند قراءة هذه الأبيات.

والنوع الثاني من التقطيع هو التقطيع العمودي الذي يخترق الأبيات عمودياً، ومنه القافية ذاتها.

ويضفي التقطيع العمودي على النصوص الشعرية غنائيةً، وذلك بما يُحدثه من جوقٍ إيقاعيٍّ متميزٍ، يمثل وقفة تأمل واستراحة وإعادةً للنشاط قبل التمادي في القصيدة. ويُعتبر التقطيع العمودي من أكثر الظواهر

الموسيقية انتشاراً في مدونتنا الشعرية، ومن أمثلته قول سيدي محمد ابن المبروك في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم:

(خفيف)

« يا رسول الإله جئـتُ كئـيباً من جرائمي والزَّمان يَجُورُ
يا رسول الإله فُـكَّ وثـاقي إنَّنِي عبدٌ مـن ذنـوبي أسيرُ
يا رسول الإله أَنْتَ مُجيري من جهنم مُـذْ يلـوح الـزَّفيرُ »

ففي هذه الأبيات نلاحظ عبارة (يا رسول الإله) التي تكررت بتعدد الأبيات، حيث وردت فاتحة لكل بيت، فكانت كاللازمة تتردد في صدر كل بيت، وكالنواة المركزية التي يدور حولها هذا المقطع. ولا غرابة في ذلك إذ الشاعر في حالة توجه إلى الله من خلال التعلق برسوله فَتَرَكَ حبل العاطفة على الغارب، فانثالت العبارات متشابهات، وكَثُرَ التَّداعي؛ فكان كالصَّدى يُردِّدُ مكانة الرسول صلى الله عليه وسلم عند ربه؛ فهو (رسول الإله)، وحين تنقشع ظلال العاطفة يعود الشاعر إلى نظام السرد المألوف، وأشير هنا أن هذه العبارة (رسول الإله) جاءت مسبوقة بنداء في فاتحة كل بيت.

ونجد سيدي محمد إيداوعلي يُكثر من هذا النوع من التقطيع في معظم قصائده، يقول في قصيدة له موضوعها المديح النبوي، ويتوسل فيها إلى الله سبحانه وتعالى:

(وافر)

« ويا مــن لم يــزل بَـرّاً رحيماً **سَلِ** الرَّحمنَ لِي رِزْقاً حَلالا
وَسَلْ لــي مـن إله العرش سِرّاً مَصُونـــاً لا أخاف له زَوالا
وَسَلْ لأبـــي وأمـــي منه ستراً وغُفرانــاً وجنِّـبني الضَّلالا
وَسَلْ لأحبــتي عفــواً جمـيلاً مِـنَ الغُفران يتَّصل اتِّصالا »

إلى أن يقول:

« **وَسَلْ** لي من إلهي طول عُمرٍ على الأعدا وأَصْلح لِي مِثالا

إلى أن يقول:

« **وَسَلْ** لي حُسن خاتمةٍ وجُدْ لي بِوصلٍ لا أخافُ به انْخِذَالاَ »

وكذلك يوظف هذه الظاهرة في قصيدة أخرى يتحدث فيها عن " الخمرة ":

(كامل)

« **هذا شراب** معنويٌّ شُربــه هذا شرابٌ فــي الفؤاد يُقَدَّمُ
هذا شرابٌ من مديح محمَّد هذا شرابٌ لاح مــنه مَـغْنَمُ
هذا شراب لا تزال خُتُومُهُ بيمين مــادحــه تُفكُّ وتُهزمُ
هذا شرابٌ كامنٌ لم يَطَّلعْ دهراً عليه مهندسٌ أو منجم »

وكذلك نجد التقطيع العمودي عند الشاعر نفسه في قصيدة أخرى، يُظهر فيها هُيَامَهُ بالنبي الكريم صلى الله عليه وسلم؛ ويغيظ فيها الأعداء، وقد استعان الشاعر في إثبات كل ذلك بتكراره لعبارة " لِمَ لا أهيم به "، فهو يُنشد في ذلك:

(بسيط)

« لِمَ لا أَهيمُ به وَهُو الــذي سَقَطَتْ بِيُمن مــولــده الميمون أوثانُ؟
لِمَ لا أَهيمُ به وَهُوَ الــذي شَهِدَتْ بأنَّــه خيرُ خــلق الله وَهْنَانُ؟
لِمَ لا أَهيمُ به وَهُوَ الــذي هَتَــفَتْ بِصِدْقِ لَهْجَتهِ جِـــنٌّ وَكُــهَّانُ؟
لِمَ لا أَهيمُ به وَهُوَ الــذي فَرِحَتْ بحُسن عِــزَّتِهِ حُـــورٌ وَولدَانُ؟
لِمَ لا أَهيمُ به وَهُوَ المُــنى ولَــهُ فَضْلٌ به نَالَ مــا يَهواهُ عدنانُ؟
لِمَ لا أَهيمُ بمنْ سَـــمَا لمنــزلةٍ ما حلَّها قبلَ خير الرُّسْلِ إنسانُ؟
لِمَ لا أَهيمُ بمنْ ضلَّتْ ضَوَارمُهُ بها تُشَفُّ مــن الكــفَّار أبْــدانُ؟ »

فعندما ننظر إلى الأمثلة السابقة نجد أنَّ التراكيب (وسل لي ـ هذا شرابٌ ـ لم لا أهيم به؟ ـ لم لا أهيم بمن... ؟) اخترقت النصوص عمودياً بموازاة القافية، وكان تأثيرها الموسيقي أقوى بكثير من تأثير القافية نفسها، لأن القافية في الأمثلة جزءٌ من كلمةٍ؛ لا تحمل في ذاتها دلالة، بينما كلمة الافتتاح الملتزمة في التقطيع العمودي إما أن تكون جملةً تامةً (هذا شرابٌ ـ لِمَ لا أهيم به؟) أو عبارة تحمل معنى جزئياً (سَلْ لِي ـ لِمَ لا أهيم بمَنْ...؟).

ونُشير إلى أنَّ تكرار تركيب (عن شيخه) كثيراً ما يستعمل في قصائد السلاسل لدى الشعراء الذين يتحدثون عن تسلسل مشائخ طريقة من الطرق الصوفية، مثل ما هو عندنا في قصيدة"سلسلة الأوراد":

« عن شيخه والــهِ المُخــتارِ ذي العلم والأنوار والأسرارِ
عن شيخه صِنْوُ أبيهِ المُشْتَهِرْ سَيِّدِنا بَـايُ بْــنُ السَّيِّدِ عُمَرْ
عن شيــخه شقـيقه محـمدِ صافِ الخلائق كريم المُحْتَدِي
عن شيخه أبــيه وهو الأشهرْ حَــوِيُّ العلوم والمعارف عُمَرْ
عن شيخه شقـيقه المختارُ مَـنْ أشْرَقَتْ مِنْ وَجْهِهِ الأَنْوَارُ »

ونجد من التكرار كذلك ترديد بعض الحروف والأدوات من بينها " لا " الناهية في القصائد الوعظية، من مثل ما هو عند محمد عبد القادر الفلاني حين يقول:

« **ولا** تــبَاغَضُوا **ولاَ** تَحَـــاسَدُوا **ولا** تَدَابَــرُوا فَرَبِّي وَاحِدُ
ولا تَنَازَعُــوا **وَلاَ** تَخَـــاصَمُوا **ولا** تقاطعوا **ولا** تظالموا
تحببوا وافشوا السلام تنصروا **لا** تغفلوا وللصلاة بكروا »

ومن الحروف والأدوات كذلك نجد " ياء " النداء في قصائد الدعاء، ومن أمثلة ذلك قول الشاعر البكري بن عبد الرحمن :

« يا بـــاسط العطـــاء يا منَّانُ يا رازق الأكـــوان يا حنَّانُ
يا مـــالك الملك ويـــا رحمنُ فما لغـير ربّنا امْتِـــنانُ
يا من لـــه الإيجـــادُ والإمْدَادُ يـــا من لـــه الأملاك والأجنادُ
يا من له العَفْوُ الكبيرُ سَرْمَدَا يـــا من له الفضل العظيم أَبَدَا
يا كاشف الكُروب والأحزانِ يـــا واهِبَ السُّرُور وَالإحسانِ
يا غـــافر الـذُّنُوب والجَرَائِمِ يا كاشف الهُمُوم فِي العَظَائِمِ »

وهكذا يواصل الشاعر توظيفه وتكراره لـ " ياء " النداء، وهذا يخدم غرضه فهو يُلحُّ في الدعاء بغية الاستجابة، وهو أيضاً قد خَدَمَ الجانب الإيقاعي والموسيقي بتوظيف هذا الترديد.

والظاهرة واضحة في " قصيدة الزيارة " لابن بادي الكنتي، ولكننا نكتفي بما أوردناه من أمثلة تُبيِّن حضور التقطيع العمودي في الخطاب الشعري الصوفي عند شعراء توات، ونحسب أنَّ تجليه في هذه النصوص ليس عملا اعتباطياً ولا لهواً مجانياً وإنما هو نابع عن وعي عميق بدور تكرار التراكيب والأصوات في الخطاب الشعري.

ب ـ موسيقى الحرف :

إن توارد حرف معين أو صوتم (Phoném) في سلسلة الكلام الشعري أحد الإجراءات الموسيقية الهامة التي حَبَّذَهَا نُقّاد الشعر المعاصرون؛ ولم يستنكرها النقاد القدماء، وهي ظاهرة وردت عدة مراتٍ عند شعراء مدونتنا، ولقد اهتمت الدراسات الأسلوبية الحديثة، بهذا الإجراء واعتبرته من أولى خصوصيات الشعر ومن أكبر أبوابه.

فقد ذهب جان كوهن إلى أن « تكرار الصوت إجراءٌ مماثلٌ للقافية، وإلى أنه يُحقق للكلمة داخل البيت ما تُحققه القافية من بيت لآخر »[65].

وفي نفس المعنى يذهب جاكبسون إلى أن « الشعر ليس هو الميدان الوحيد الذي تبرز فيه آثار رمزيةِ الأصواتِ، ولكنه مجالٌ تتحول فيه العلاقة بين الصوت والمعنى من علاقةٍ كامنةٍ إلى علاقةٍ ظاهرةٍ »[70].

وتُحْدِثُ موسيقى الحرف ما يُعرف بـ:" التجانس الصوتي "، الذي يعتبره يوسف إسماعيل الباني الأساسي في الشعر على المستويين:الصوتي والدلالي.

ويرى يوسف إسماعيل أيضاً أن الوظيفة الدلالية لا تنفصل في مسألة تكثيف التجانس الصوتي عن الوظيفة الإيقاعية، « فهما متضافرتان على خلق نص متماسك في تحقيق الوظيفة الجمالية »[71].

وإذا انطلقنا من هذه المصادر لندرس وظيفة تكرار الأصوات في الكلام الشعري؛ ستستوقفنا قضية أخرى ألا وهي العلاقة بين المستوى الصوتي والمستوى الدلالي في الخطاب الشعري.

ولئن ذهب جل المختصين في علم اللسان إلى اعتباطية هذه العلاقة فإن البعض الآخر من أهل الذِّكر في عالم الأدب والنقد ذهب إلى « رمزية الصوت داخل النص الشعري »[72].

ولقد طُرحت هذه القضية في التراث النقدي العربي طرحاً لا يختلف كثيراً عن ما أثارته الدراسات اللغوية المعاصرة بخصوص المسألة.

فطائفة من البلاغيين همَّشت الظاهرة ، ولم تدرسها كإجراء أسلوبي له وظيفة جمالية في صلب الخطاب؛ بقدر ما درستها من حيث هي معاظلة وعيب من عيوب الكلام ينبغي أن تتجنب حتى يَسلم الخطاب من التعقيد ، وطائفة أخرى ذهبت ـ على غرار بعض الأسلوبيين المعاصرين ـ إلى أن العلاقة بين الصوت والمعنى علاقة معللة لا اعتباطية، وبأن الصوت يُساهم في إبراز الدلالة المقصودة، وفي جمالية النص حتى تكون القصيدة كالصوت المفرد على حد تعبير الجاحظ ، ولقد أشار ابن جني إلى هذه الظاهرة بقوله: ...فإذا مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث باب عظيم وواسع (...) وذلك أنهم كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المُعبَّر بها عنها، فيَعدِلُونها بها ويحتذونها عليها، وذلك أكثر مما تقدره وأضعاف ما تستشعره.

واستطاع بعض الدارسين المحدثين إيجاد مخرجٍ من هذه القضية (العلاقة بين الصوت والدلالة)، ومن بينهم حسن عباس الذي ربط كثيراً بين المستويين السابقين في كتابه " خصائص الحروف العربية ومعانيها "، إلا أننا نعتقد أنَّ الأمر لم يتخطَّ بَعْدُ مرحلة التنظير؛ لأن مسألة ربط الحروف العربية بمعانيها ـ خاصة في مجال الشعر ـ ما تزال تخضع للعواطف الشخصية والآراء الفردية، ولم نتوصل فيها بعد إلى إجماع ...

وإذا اعتبرنا مع ابن جني وكذا غيره من علماء الأسلوب المعاصرين أن للصوت أهمية داخل الخطاب الشعري؛ وجب علينا إذن أن نبحث في هذه الظاهرة داخل مدونتنا لنعرض ما أضافته لجمال النص.

واخترنا نصين اثنين لنكشف من خلالهما عن بعض أسرار هذه الظاهرة، الن ص الأول هو"يا أكرم الخلق على ربه"؛ وهو مجهول القائل، والنص الثاني هو قصيدة " الزيارة" لمحمد بن بادي الكنتي.

ففي النص الأول الذي نجد أن الشاعر قد تفنن في توظيف حرف الراء إما في القافية أو بإدخاله في تركيب بعض الكلمات والتلاعب بها؛ وتقليبها داخل النص الشعري مما أحدث جَرْساً موسيقياً تستلذه المسامع، وقبل أن نقتحم النص، يجب أن نقف عند خصائص هذا الحرف، فالراء حرف مجهور، وهو متوسطٌ بين الشدة والرخاوة، وهو من الأحرف الزلقية ، يقول عنه حسن عباس: « مجهورٌ متوسط الشدة والرخاوة، شكله في السريانية يشبه الرأس. قال عنه العلايلي:إنه(يدل على الملكة وعلى شيوع الوصف) »[73] ثم علَّق حسن عباس على رأي العلايلي قائلاً: « تعريفٌ مُبهمٌ »[73].

ومن خصائص هذا الحرف كذلك أنه يدل على التحرك والتكرار والترجيع أحياناً؛ وكذلك فيه تعبيرٌ عن الرِّقَّةِ والنَّضارة والرَّخاوة.

وإذا عدنا إلى نصنا السابق (يا أكرم الخلق على ربه) نجد أن الشاعر قد رجَّع حرف الراء في مجموعةٍ من الكلمات، اسمع له وهو يقول:

(سريع)

« كأنه شوقاً إلى شادنٍ أحْوَرَ مَا رَى شَادناً أحْوَرَا

أوَمَا رَأى مَنْ لاَ يَرَى أن يَشِبْ وَعَادَ لَهُ الحِلم إلى أن يَرَى »

فنجد في تكرار لفظة " أَحْوَرَ " مرَّتين، ومشتقات الفعل " رَأَى " والتي هي (" رَى" : أصلها "رَأَى" بصيغة الفعل الماضي؛ وقد خُففت همزتها، و"رَأَى"؛ مرة أخرى، و "يرى" بصيغة المضارع، و" يرى" ثانية. نجد في تكرار الحروف المشكلة لها إيقاعاً موسيقياً عذباً، ولعل الحرف الأساسي في تشكيل هذا الإيقاع هو حرف " الراء "؛ لأنه كان أكثر وضوحاً من بقية الأحرف الأخرى المُشَكِّلة للألفاظ السابقة.

وقد وَظَّفَ الشاعر هذا التكرار مرّةً أخرى في أبياتٍ ثانيةٍ، اسمع له ثانيةً:

« خَلِّ الصِّبى واذكر نبي الهدى فإن ذكر الله أن يُذكرَا

عَسَاكَ يَوْمَ العَرْض حِينَ الظّمَا تَكُونُ مِمَّنْ أوتِيَ الكَوْثَرَا »

فنجد تكرار حرف " الذال " و" الكاف " و" الراء " في أهم الكلمات المشكلة لهذين البيتين وهي: (اذكر، ذكر، يُذكر، تكون، الكوثر)، وقد نتج عن ذلك التكرار إيقاعٌ موسيقىٌ يتردد صداه في الأذن، حتى ليصبح وكأن البيتين كلهما قد شُكِّلا من الأحرف سابقة الذكر.

وقد تلاعب الشاعر بحرف " الزاي " و " الهاء " و " الراء " في كلمتي " الزَّهر " و " الأَزْهَر " .

ونشير إلى أن الشاعر قد كَرَّر حرف " الراء " في هذه القصيدة ما يقارب الأربعين مرة.

أما القصيدة الثانية التي سنقف عند ما أحدثه الحرف من موسيقى فيها، هي قصيدة " الزيارة "، والتي سنكتفي برصد تكرار حرف " الدال " الذي وظفه الشاعر ليكون قافيةً لقصيدته.

يقول حسن عباس عن حرف " الدال ": « هو حرفٌ مجهورٌ شديدٌ ، يُشبه شكله في السريانية صورة الدلو ، قال عنه العلايلي أنه: (للتصلُّب والتغير المتوزع) »[73]، ثم يُعلق على قول العلايلي بقوله: « التصلُّب صحيحٌ، أمَّا التغير المتوزع فهو مُبهمٌ، ويتعارض مع التصلب»[73].

وإذا انتقلنا إلى النص الشعري؛ فسنجد أنَّ حرف "الدال" في القافية قد أحدث ترديداً موسيقياً عذباً، وأكسبته حركة الإطلاق رجعاً موسيقياً كرجع الصدى، يعاودنا كلما أرجعنا السمع كرة إلى القافية.

أما تشاكل هذا الحرف مع ما دَلَّ عليه من معاني ، فسنقدم فيه تأويلاً شخصياً.

وفي البداية نرى أنه لا بد من تحديد مفهوم " التشاكل ".

فـ"التشاكُلُ" وعكسه " التَّقَابُلُ " آلية سيميائية أثبتت فعاليتها الإجرائية ونجاعتها المنهجية في تحليل الخطابات الشعرية تحليلاً نصياً أو نصوصياً، يستند في استراتيجيته إلى المرجعية اللسانية الحديثة؛ المؤسِّسَةِ اليوم لِمَا صار يُعرف اليوم بالقراءة النسقية؛ التي تحاول العُكوف على تحليل النص الأدبي من داخله لا من خارجه (تطبيقاً لمبدإ المحايثة immanence) ، وذلك بالسعي إلى سبر أغوار بناه الدلالية والشكلية، واستكشاف معالمه البنائية والجمالية.

وقد أثار مفهوم " التشاكل " جدلاً واسعاً وسط المنظرين الغربيين منذ أن استعاره أ.ج. غريماس (A.J.Greimas) من مجال العلوم التجريبية؛ إلى مجال العلوم اللسانية، فقد حصره الأخير في المجال الدلالي أي المضمون (contenu) ، بينما قام راستي (Rastier) بتعميمه ليشمل تشاكل المضمون في مستوياته المعجمية والسيميائية والدلالية، وتشاكل التعبير (éxpression) في مستوياته التركيبية والصوتية والإيقاعية. وفي ذلك « تعددية تسمح بإمكانية تحقيق أسلوبية للتشاكلات، أو دراسة للتنويعات بين مختلف هذه المستويات»[74].

ويرى عبد الملك مرتاض أن العلماء العرب أسبق في التعامل مع هذا المصطلح؛ من نظرائهم الغربيين، ويوضح ذلك قائلاً: « ... وكان العرب تعاملوا مع مفهومي التشاكل والتقابل بوعي منهجيٍ ناضجٍ، كما يمثل ذلك مثلاً في تنظيرات عمر بن مسعود بن ساعد المنذري المتوفى سنة 1160هـ في كتابه" كشف الأسرار المخفية " ؛ واتخاذه إجراءً منهجياً في تصنيف معاني الأشياء سواء بما تشاكلت، أم بما تقابلت »[74].

وسنؤسس طرحنا على أنَّ هناك تشاكلاً يتقاطع فيه المستوى الصوتي مع المستوى الدلالي في الوقت ذاته، وفي القضية أو الموضوع نفسه، وسنحاول أن نستخرج ما توجد في النص من تقاطعات، على أن لا نُقوِّله ما ليس فيه.

وبهذا الطرح سيكون للتشاكل في النص الذي بين أيدينا وجهان :

أولهما :

أنَّ هناك تشاكلاً بين موضوع القصيدة وهو زيارة الشاعر لشيخه " باي" الذي كان مُريداً بين يديه، وبين طريقة تعبير الشاعر عنها. هاته الزيارة هي في نظر الشاعر عُروجٌ إلى مَقام ومُقام (ضريح، روضة) الشيخ، والالتقاء بروحه، كيف لا يزوره وهو له أيادٍ بيضاء عليه، فهو الذي ربَّاه وسلَّكه على سبيل الوصول إلى معاملة المحبوب عزَّ وجل، هذا من ناحية، ومن ناحيةٍ أخرى فإن الزيارة أو العروج إلى مقام الشيخ يتطلب زاداً وقوةً ومطيةً لا تنوء بِحِملها، ولا تستصعب الطريق، لذلك امتطى الشاعر في قصيدته حرف الدال لما فيه من القوة والشدة والجهر، وعرج به عن طريق الامتداد والاستعلاء والارتقاء في مَدِّ هذا الدال إلى أعلى، ونستطيع أن ندرك كل هذا في يُسرٍ، أثناء قراءتنا الأولية لهذا النص، فنحس أن الخطاب دائماً يرتقي من أدنى إلى أعلى:

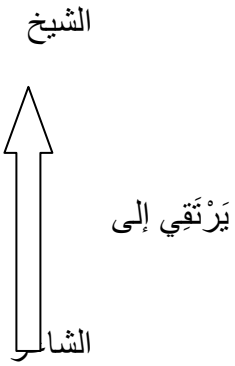

ويمكننا تمثيل هذا الارتقاء في نبر حرف القافية "الدال" الذي يرافقه ارتقاءٌ في معنى البيت بصفةٍ عامةٍ، نمثل ذلك في هذه الخطاطة، ونأخذ البيت التالي عينةً نُطبِّق عليها تأويلنا:

« يا رب عَنَّا جَزَاءَ مَا عَلِمْنَا لَهُ تَوَلَّ وَارَبِّ وَضَاعِفْ وَارْفَعِ العُمُدَا»

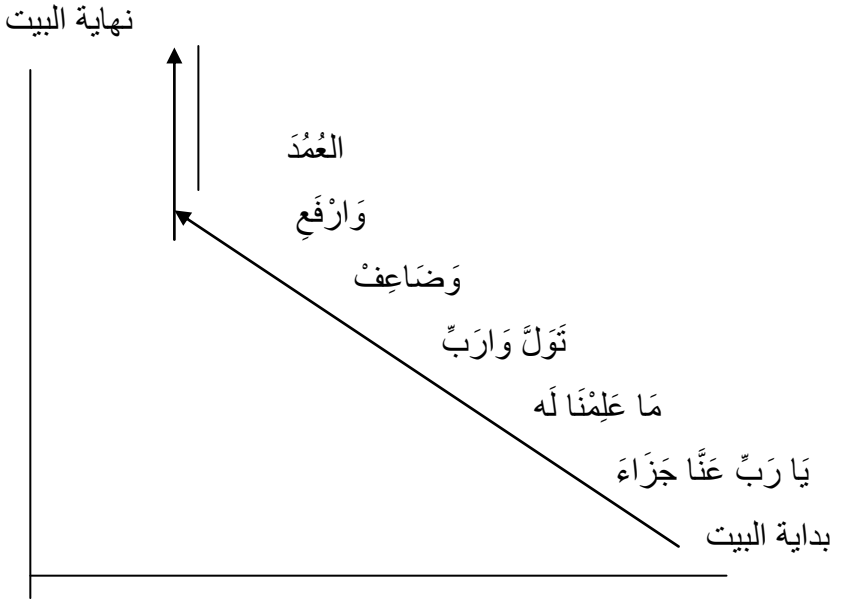

ومثل ذلك الارتقاء في البيت السابق عند الشاعر نجده في قوله:

(بسيط)

«وحُفَّ بالرَّوح والرَّيحان روضته واجعله في الملء الأعلى مع الشهدا

ومن تنبوا وصديقي الورى كرما وجازه خير ما جازيت من جهدا

ومن بنيه وأهليه ومسكنه أبدله خيراً من الجنات قد خلدا»

إلى أن يقول:

« ووسع القبر أميالاً مُضاعفةً واملأه نوراً إلى أعلى العلا صُعُدَا

وآنس وحشته فيه له وقل روعاته واغفرن خطيئةً حَصَدَا

واجعل له العمل الأسنى الأنيس ومن مكانه في الجنان افتح له الوصدا

واجعله يا رب بالأشياخ أجمعهم وقد أطَلْتَ له بين الجميع يدا»

ثم يقول:

« وانبت بنيها نباتاً ربنا حسناً ومن عدوه اعله منهم عمدا

ولا تدع حاجة لها رضيت بها إلا وقضيتها وزدتها مددا»

إلى أن يقول في نهاية القصيدة:

« إذ كان يصحبكم حضراً وفي سفر وكان يخدمكم مُذّ فارق المُهُدا

ولا يزال مدى الأيام طاقته على الذي معكم في الله قد عُقدا

يا رب بالمصطفى آمن مواردنا واقبل مقاصدنا وكُفَّ من رصدا

ومُدَّ في الدين أعماراً لنا وقنا طرداً وحسن ختام العمر ما نف دا»

فنرى أن في المقطع الأول يرتفع الرَّوح والريحان لِيَحُفَّا ويُعانقا ضريح هذا الشيخ، ثم يتمنى الشاعر أن يكون شيخه في الجنة مع الشهداء الذين شرفهم الله بارتفاع أرواحهم إليه تعالى فهم لا يموتون كما يقول تعالى: {وَلاَ تَحْسِبَنَّ الذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ الله أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} سورة آل عمران آية 169.

والأمر نفسه في قول الشاعر " جَهِدَا" و " خلُدا " كلتاهما تدل على السمو والارتفاع، إذا انطلقنا من معنى البيتين، فالأول ينال من الله خير الجزاء والثاني مشتق من الخلود، وهي صفة تدل على شرف المكانة ورفعتها.

أما في المقطع الثاني، فالنور يتصاعد صعوداً وصعُدا، وغفران الخطيئة التي يحصدها الإنسان دليلٌ كذلك على القبول من الله تعالى، ومن قُبل فقد سما وارتفع إلى مقام الذين رضي الله عنهم، وابتعد عن فئة المغضوب عليهم، يقول تعالى: {.. وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ }سورة غافر آية 09. ولذلك سيكون عمله هو " الأسنى " وتفتح له الأبواب الموصدة ليرتقي إلى مراقي عباد الرحمن.

أما في المقطع الثالث فقد تمنى الشاعر أن يُنبت الله تعالى أبناء شيخه نباتاً حسناً، كما تنبت الشجرة الطيبة التي يكون أصلها ثابتٌ وفرعها في السماء، وفي صفة الإنبات عملية ارتفاع وعلو وانتقال من الأدنى

إلى الأعلى، ومن غياهب التراب إلى رحابة الفضاء اللامحدود، وتمنى الشاعر أن يُعلي الله مكانة شيخه على أعدائه، واستخدم لذلك كلمة " عمدا" المنتهية بالدال المُطلقة، الدالة على الرفعة والرقي، رقي المكانة. وفي قضاء الحوائج والزيادة عليها " مددا" تكبير ورفع لها، تماماً كما نضيف الماء إلى إناء به بعض من الماء.

أما في المقطع الرابع يستعطف الشاعر شيخه، ويبين مدى ملازمته له منذ أن كان في المهد ثم كَبُر وَكَبُر وهو ما يزال محافظاً على هذا العهد، واستخدم الشاعر للتعبير عن ذلك صورة " مُذْ فارق المُهُدَا "، وهو يسعى كل طاقته للحفاظ على هذا العقد ، كيف لا وهو عقد سامٍ لأنه " في الله قد عُقدا "، فهو موصل إلى أعلى الرُّتب، لذلك فإن كل من يحاول قطع الطريق على القاصدين الراغبين في مرضاة الله ومرضاة رسوله يجب أن يُقطع ويحذف. وفي الأخير يتمنى الشاعر أن يمُدَّ الله له في عمره في طاعة الله وأن يكون ختام عمره كما مضى من عمره " ما نفدا "، أو أفضل، دائماً في العبادة والعمل الصالح...

ثانيهما:

الوجه الثاني للتشاكل في نص محمد ابن بادي الذي بين أيدينا، هو امتداد لما قلناه سابقاً لما تحدثنا عن صفات حرف الدال، فهو يعبر عن القوة والصلابة، وهو ما نلمسه من خطاب الشاعر في هذا النص، فهو مستمسك بحبل شيخه، لأنه رأى فيه مجموعة من الصفات حاول الشاعر أن ينقل لنا بعضها في القافية فنجد بعضاً من الكلمات التي تعبر كلها عن القوة والصلابة والشدة، وقد كان حرف الدال حاضراً بقوة فيها، نذكر من تلك الكلمات :

الكلمة	**مدلول القوة فيها**
المَدَدَا	شدة العطاء لإغاثة الملهوفين .
العَضُدَا	يمثل أحد مراكز القوة في جسم الإنسان .
غَدَا	اليوم دفعَ الأمس والغد سيدفَعُ الغد ، والأيام دُوَلٌ .
السَّيِّدَا	له سلطة السيادة على المَسُود عليهم .
الشَّهَدَا	جاهدوا لِدَفْعِ العَدُوِّ حتى استُشهدوا.
جَهِدَا	المجاهدة في سبيل الله ، جهاداً أصغر أو أكبر .
رَغَدَا	يُسرٌ في العيش ، ودفعٌ للحاجة والفاقة .
صَدَا	وجه آخر من أوجه قوة الصوت،خاصة في رجعه.
صُعُدا	اختراق الآفاق الواحد تلو الآخر
حَصَدَا	نحتاج في عملية الحصاد إلى قوة للقطع .
يَدَا	لأنها يمكن أن تكون أداة بطش

جَحَدَا	تغليب نزعة الشر على الخير والباطل على الحق .
سَنَدَا	عوناً ومؤازراً في أوقات الشدة .
العَمَدَا	يشكل نقطة ارتكاز للثقل ، لذى وجبت فيه القوة.
اعْتَمَدَا	اتّكل واستند، ولا يكون ذلك إلا لمن كان شديداً.
حَقَدَا	أضمر غِلاً ، لقساوة قلبه، وشدته، وعدم سماحته .
وَلَدَا	تحتاج عملية الولادة في كل أطوارها للقوة والبأسِ.
عَبَدَا	مجاهدة النفس
جَمَدَا	الجماد لما فيه من الصلابة والقوة
حَشَدَا	تحتاج عملية التجميع والحشد إلى قوة
هَمَدَا	استكان بعد قوة ، فهو يحمل صفة القوة ضمنياً .
صَعَدا	ارتقى وارتفع ، ويتطلب منه ذلك لياقَةً .
انْفَرَدَا	انفرد بالشيء وتفرَّد به نظراً لبراعته وقوته .
رَقَدَا	الرقاد يغلب كل إنسان لسطوته، كما قال الحكماء
رَكَدَا	يركد الشيء لثقله
كَسَدَا	بقي الشيء دون منفعةٍ فهناك قوة ما جعلته يكسد .
حَسَدَا	رغبة قوية في زوال ما عند الغير .
وَرَدَا	أقبل وفي نفسه رغبة في قضاء أمر معين
عُقِدَا	يعبر العقد عن قوة ما سُطرٍّ ، وضرورة العمل به
نَشَدَا	يحتاج المنشد إلى قوة وجهد للإنشاد

وهكذا لاحظنا فاعلية " موسيقى الحرف" ودورها في إحداث إيقاع موسيقي، وإبرازها للكثير من العناصر الدلالية التي تختبأ وراءها؛ وهي تكشفت لنا عن بعض من جوانب بنية الخطاب الشعري الصوفي، الذي تتعدد مشاربه بين الدين والفلسفة والتاريخ والموسيقى....

ولعل من مواطن التميز والإبداع في مدونتنا الشعرية؛ هو ما يتعلق بنظم الشاعر سيدي محمد بن المبروك لإحدى قصائده؛ حيث تبتديء أبياتها بحروف الهجاء مرتبة ترتيباً تنازلياً تسلسلياً كما هي معروفة عند المغاربة ثم مرة أخرى كما هي عند المشارقة، وقد ورد في صدر القصيدة القول التالي: « وله أيضاً هذه القصيدة وضعها على حروف التهجي لكل بيت حرفٌ على اصطلاح المغاربة يجِيء على اصطلاح المشارقة »[75].

وسنكتفي هنا برسم المسار العمودي التسلسلي الذي انبنت عليه القصيدة؛ بذكر الألفاظ التي صُدِّرت بها الأبيات:

ا	رْتَجِي
بَـ	ـاتَ
تَـ	نْتَهِي
ثَـ	بَّتَ
جَـ	ـمَعَ
حَـ	ـفَظَ
خَـ	ـلَقَ
دَمَّـ	ـرَ
ذَ	لَّ
رَ	فَعَ
زَ	رَعَ
طَـ	ـلَعَ
ظَـ	ـلْمَةَ
كَـ	ـلَمَ
لَـ	ـيْتَنِي
مَـ	ـنْ
نَـ	ـرْتَوِي
صَـ	ـدَّنِي
ضَـ	ـاعَ
عَـ	ـاقَنِي
غَـ	ـلَبَتْنِي
فَـ	ـرَّ
قَـ	ـدْ
سَـ	ـيّـِدُ
شَـ	ـائِعُ
هُـ	ـوَ

وَ	يَفْكُّ
لَـ	ـأْ
يَـ	ـا

هذا حسب ترتيب المغاربة، أما ترتيب المشارقة فورد في القصيدة كما يلي:

أ	نْتَ
بَـ	ـزَغَتْ
تَـ	ـبَّ
ثَـ	لَّةَ
جَـ	ـمَعَ
حَـ	ـارَبُوا
خَـ	ـوَّلُوا
د	فعوا
ذ	الكم
ر	ضيَ
زَ	لَّ
سَـ	ـلْ
شَـ	ـاهَدوا
صَـ	ـدَّهم
ضَـ	ـرَبُوا
طَـ	ـوَّقُوهم
ظِـ	ـلُّ
عـ	ـجباً
غَـ	ـرَّهم
فِـ	ـي
قَـ	ـدْ
كَـ	ـمْ
لَـ	ـيْتَهُمْ
مُـ	ـنِعُوا

نَــ	ـزَعَ
وَ	هَدَى
هُـ	ـمُ
لَــ	ـا
يَــ	ـا

وكتابة القصيدة بهذا الشكل تجعلنا نتتبع ترتيب الحروف العربية؛ وهو ما قد يُحدث جَرْساً موسيقياً خفياً في بناء القصيدة، كما يكشف البناء على هذا الشكل عن ملكةٍ شعريةٍ كبيرةٍ لدى الشاعر؛ هذه الملكة جعلته يبني قصيدته على تلك الحروف العربية وهي حروف مقدَّسة لنزول القرآن الكريم بها، وقد نظمها الشاعر أيضاً ليتحدث عن شخص مقدَّس وهو الرسول " ، وبذلك يكون الشاعر قد جمع بين جمال المبنى وجلال المعنى في نصٍّ واحدٍ.

3. الباب الثالث:
البنية العميقة للنصوص

تعرضنا في الباب السابق إلى مكان النص وزمانه باعتبار أن الخطاب الشعري ـ في المفهوم النقدي القديم ـ لا يمكن أن يُدرس ما لم تُدرس خصائصه الجوهرية؛ التي يحتل الزمان صدارتها بوصفه العامل المميز للشعر عن غيره من الخطابات، فالشعر « كلام موزون مقفى »[76]. هذه هي البنية القارة والخاصية التي بدونها لا يكون الشعر شعراً مهما تحققت فيه علائم الشعرية؛ فالعرب كما يرى القاضي الجرجاني « لم تكن تعبأ بالتجنيس والمطابقة ولا تحفل بالإبداع والاستعارة إذا حصل لها عمود الشعر ونظام القريض »[77]. هذه هي النظرية الشعرية القديمة، والتي كان شعراء مدونتنا أسارى لها، فلم يكن الواحد منهم يحاول المروق على هذا النظام الصارم، وإنما على العكس من ذلك راعى هذا العامل أكثر.

وبعد مراعاة هذا البناء المخصوص لابد للشاعر أن يعمد إلى ملء هذا الإطار بكلام شعري لا قيد فيه ولا شرط، به يتفاوت الشعراء وبه يفضُل القولُ القولَ، وذلك بتَخَيُّرِ الألفاظ وحسن التركيب وتنسيق المقاطع وانسجامها وطرافة الصورة وإبداعها، حتى يصل القول إلى أعماق النفس فيُحدث في المتلقي طرباً وارتياحاً.

تلك هي العناصر التوليدية التي يتباين فيها الشعراء والتي تنضاف إلى العناصر التمييزية التي غالباً ما يتفقون فيها.

وسيكون مدار النظر في هذا الباب حول مستوى أساسي من مستويات النص هو:

ـ مستوى المعجم وتداخل سجلاته.

3. 1. مستوى المعجم وتداخل سجلاته

نروم من خلال هذه المقاربة حَبْسَ المعجم الذي يشكل مدونتنا؛ لنتعرف على مكوناته أو على سجلاته، وسنتحاشى في وصفنا لهذا المعجم المصطلحات النقدية الغامضة التي سادت أمداً طويلاً في تاريخ النقد العربي لغموض ما تُحيل عليه من دلالة، ولاتساع ما تعني من أحكام، ومن تلك المصطلحات: الغرابة، الحوشية، والجزالة، والركاكة ...

وسنتعامل مع النص على أنه وحدة اشتقاقية وتوليدية، ذلك أن النقد الحديث يذهب إلى أن النص « لا يخلو من وجهين، الكتابة فيه وجهٌ والقراءة فيه وجهٌ آخر، ومرجع الإبداع فيه إلى التوليد لا إلى الإنشاء »[78] ، والشعر مهما بلغ مستواه؛ إنما هو عبارة عن إنتاجٍ وإعادة إنتاجٍ وعن هدمٍ وبناءٍ « فالنص حصيلة لكل ما يعلق بذاكرة الشاعر من معلومات ومحفوظات »[77] على حَدِّ قول محمد مفتاح.

ولئن كانت هذه التعريفات تنطبق على ما يسمى في النقد العربي القديم بالاقتباس والتضمين والسرقات...إلخ، وفي عُرف النقد الحديث بتداخل النصوص أو التناص " intertexualité "، فإنها كذلك تنطبق في نظرنا أيضا على المفردات المعجمية التي تتداخل وتتعايش في سياقٍ واحدٍ، وما كان لها قبلُ من تعارفٍ.

إن الشاعر عندما يصوغ قصيدته يقوم بعملية انتقاءٍ واسعةٍ من مفردات اللغة التي يَكتُبُ بها، فيؤَلِّفُ بين المختلف، ويُقرِّبُ بين المتباعد، ويمزج بين العبارات مزجاً يوافق في العبارة غرضه ويؤدي قصده؛ فيخرج نصه عجيباً يُذيب خصائص المفرد في المركب، ويبدع بالضم والتأليف نسيجاً مغايراً في الصفات للمفردات « حتى لكأن الجنس غير الجنس، والمعدن غير المعدن »[79] كما يقول حمَّادي صمود، ولا شك أن هناك محاولات عديدة يستطيع الدارس التوجه إليها في دراسة مفردات المعجم الشعري، كأن يتجه إلى تحديد ما إذا كانت مفردات الشاعر تميل إلى كونها حسية أو فكرية أو ذهنية، أو يتجه إلى فحص تلك المفردات لرؤية ما إذا كانت في معظمها فصيحةً أم دخيلةً.

أما نحن فننظر في هذه المقاربة إلى المعجم نظرةً أفقيةً؛ تتفحص الكلمة في علاقتها مع الكلمات المجاورة لها سياقيا، كما سننظر إليها عمودياً في علاقتها مع ماتحيل عليه خارج الخطاب، أو ما تحاور من نصوص غائبة عن بنية النص الحاضر، أو عن السياق الماثل أمام المعاينة.

نعتقد بدايةً أن الكلمة في الشعر الصوفي ارتبطت عند جُلِّ النقاد بالبعد والغرابة والتعقيد؛ لأنها تُحيل على واقعٍ ليس هو الواقع المألوف، وعلى عالَم آخر ليس هو أيضاً العالَم المعروف؛ وذلك لانعكاس مفهومي الظاهر والباطن على اللغة أيضاً، فاللغة في عُرف المتصوفة تشير ولا تقول؛ وتُوميء ولا تُصرِّح، وترمز ولا تبين تعبيراً عن الانشطار الداخلي للمتصوف بين عالمين: عالم السماء وعالم الأرض، عالم الغيب وعالم الشهادة. فالصوفي لم يتَّحد بعالم الغيب اتحاداً يخلصه من وطأة الواقع، ولا هو اكتفى بعالم الحِسِّ اكتفاءً ينجيه من ورطة النزوع إلى التعالي والكمال، فهو بحُكم بشريته مشدودٌ إلى الأرض بأوثق الصلات وأقوى الوشائج، وهو بحكم روحانيته مُعلَّق بالسماء فَنَاءً في الله وخَلاصاً مما هو فيه من الخطيئة وسجن الكيان.

ولعلَّ هذا الغموض في التعبير والانزياح عن الحقيقة، والعدول عن المألوف هو الذي جعل النقاد يتحاملون على لغة المتصوفة وعلى من نحا نحوهم في التعبير، ذلك أن الكلمة عند المتصوفة لا تدل بنفسها على معنى ولكنها تؤشر وترمز لمعانٍ حافةٍ بتضافرها مع سلسلة الكلمات التي تدخل معها في نفس السياق. فالكلمة لا تكتسي معناها إلا في سياقها الصوفي، وداخل الرؤية العامة التي تحكم النظام العرفاني، وإذا نُظر إليها خارج هذا السياق فقدت معناها إطلاقاً وأُفرغت من حمولتها المعنوية إفراغاً تامّاً.

خُذ مثلا قول الشيخ سيدي محمد ابن المبروك:

(محدث)

« سَلَبَتْ سُليماك ألباب اللُّبَابْ ورمتني يـــوم بـــانت بشــهاب
خلَّفتني في معاني الحي لا أسمعنْ صوتاً سوى نَعْبِ غُرابْ
في رسوم عفيت آثــارها بحُبُوبٍ ونــدا صــبَّ سحـــابْ
لا أرى إلا رمـــاداً لـــبدا وأثـــــافٍ أُلقيت فــوق تُــرابْ
ووحوشـــاً تعتريها بُكرةً تختفي إن جـــنَّ لــيلٌ بهضابْ
فمتى قـلت لـــها مختبراً: أين سار الحـيُّ ؟صمتٌ لا جَوَابْ »

إن الناظر في هذه الأبيات لا يجد أي كلمة تحتاج إلى الرجوع إلى معجم، فالكلمات المكونة لمعجمها سهلة بسيطة لا تعقد فيها ولا التواء. لكن أثناء فهمه لما جاء في هذه القطعة يلتبس عليه الأمر، فهل سلمى هي فعلا امرأة يخاطبها الشاعر؟، أم أنها رمزٌ لشيء آخر؟

فهي كلمةٌ (إِسْمٌ) على غير معناها الظاهر، فتغيرت بذلك الرؤية وتبدل العالم وأصبحت اللغة غير اللغة والخطاب على غير المعهود، فغَمُضَ الأسلوب وانبهم اللفظ، بحيث لو أُخذ الخطاب على ظاهره لَفُهم أن القائل يتغزل بامرأة؛ غزلاً كالذي نعرفه عند قيس بن الملوح أو قيس بن ذريح أو امرؤ القيس وغيرهم، وخاصة أن الشاعر شيخٌ وعالمٌ، لكن للقوم في ذلك اصطلاحٌ واتفاقٌ ورموزٌ « لا يفهمها إلا من شرب من حوضهم »[80] ، ولا يُدركها إلا من « سَلَكَ التصوف وأُلهم المعرفة المباشرة »[81] ، لذلك ينبغي على القاريء أن يتدبر أشعارهم حتى يقف على مقاصدهم ورموزهم « وحتى لا ينسب قائلها إلى ما لا يليق بهم »[82].

على أن اللغة الصوفية وإن كانت تمتاز بالغموض والإبهام تشترك مع اللغة الشعرية في جملة من الخصائص والسمات؛ إذ كلتاهما مُعمَّاةٌ رامزةٌ، وكلتاهما توحي ولا تصرِّح، لذلك فإن تجلي التصوف في الخطاب الشعري عند شعراء مدونتنا جعله يُتذوق تذوقاً جمالياً راقياً، وأعطاه أدبيةً مضاعفةً متأتيةً من الجمع الفني بين شعرية التصوف وأدبية الشعر، إذ أن التصوف كما يرى أدونيس حدسٌ شعريٌ ومعظم نصوصه نصوصٌ شعريةٌ.

إن المتأمل في مصادر المعجم الصوفي لمدونتنا يجد أنها غاية في التنوع والتشعب، فهي ليست كلها منبثقة عن ماهية التصوف، بل إن منها ما يعود إلى الحقل القرآني ومنها ما هو مُستَمَدٌّ من المعجم الغزلي، ومنها ما هو منتسب إلى السجل الخمري ومنها ما له علاقة بالفلسفة والأخلاق، وعن طريق الجمع بين هذه السجلات في مدونتنا تولَّد صنفٌ جديدٌ هو المصطلحات المختلطة داخل المعجم الواحد، التي كانت بمثابة المصادر الخصبة للغة الصوفية في مدونتنا.

وتتجلى عبقرية شعراء المدونة في طبيعة تعاملهم مع هذه المصطلحات، إذ أنهم نقلوها من مجالها التداولي الأصلي إلى مجال تداولي جديد أدت فيه وظائف سياقية جديدة، فلم يكن النص الصوفي عند شعراء المدونة أحادي البعد بل كان متعدد الأبعاد قابلاً لعديد القراءات، ويَرى رجاء عيد أنه « كلما نَبُلَ الشعر ابتعد عن منطق البُعد الواحد وتحوَّلت صوره إلى طاقاتٍ جديدةٍ »[83].

إن طرافة نصوص المدونة تبدو لنا في الممازجة الفنية بين هذه المصطلحات المتباعدة حتى كأنه لا نشاز بينها ولا اختلاف، وحتى لكأنها لم تكن لها علاقة بحقولٍ أخرى وإنما هي وليدة إشكاليةِ التصوف، ولذلك كان ـ في نظرنا ـ جمال اللغة الشعرية الصوفية متأتياً من الجمع بين متباين المصطلحات ومختلف الأساليب.

ولعل القراءة بهذا المفهوم تكاد تساوي مفهوم " التناص "، الذي هو عبارةٌ عن تداخل نصوص داخل النص الواحد، أي تَكَوُّنُ النص من نصوصٍ قد تكون في أكثرها نماذج (كالقرآن والشعر) وهذا ما عمد إليه شعراء مدونتنا، فانْجَرَّ عن ذلك ـ على مستوى المعجم ـ حضورٌ مكثفٌ لمصطلحات تتنوع وتتشكل حسب الحقول المعرفية الراجعة إليها.

فكيف كان حضور هذه المصطلحات المعجمية داخل نصوص المدونة ؟ وهل أدَّى حضورها إلى ضعف الوظيفة الشعرية عند القوم؟ أو بمعنى آخر هل كان اختيار الشعراء لأدواتهم التعبيرية من الرصيد المعجمي اللاصوفي على حساب الوظيفة الجمالية للنص الشعري؟

ذلك هو الإشكال الذي يستحق التأمل والنظر، ولكن الإجابة عنه ستكون من خلال فحص عيّناتٍ نصيةٍ، ومن خلال النظر في ثلاثة سجلات؛ نحسبها تهيمن على المعجم الصوفي جملةً، وهذه السجلات هي:

1.3. 1. السجل القرآني:

تحتاج كل حضارة لكي تنشأ وتتطور إلى مجموعة من النماذج تسير على نهجها وتحتذي حذوها، ونعتقد أن الحضارة العربية أيضاً كانت وما تزال نماذج، اتخذت نماذج في كل شيء،

نماذج تاريخية، نماذج نَصَّانية، لذلك ـ كما يرى الجابري ـ « كان فعل العقل العربي الإسلامي في التاريخ وإنتاجه في ميدان الثقافة محكومين بالسلطة النموذجية والمرجعية التراثية»[84].

إن الشخصية العربية الإسلامية ـ في نظرنا ـ غالباً لا يمكن أن تُنتج إلا من خلال أنموذجٍ ومثالٍ سابقٍ يُقاس عليه، ومن ثم فإن الثقافة العربية ثقافة اشتقاقية توليدية، أي أنها ثقافة نماذج نصانية؛ لأنها في رأي الجابري « مؤسسة على نصٍّ دينيٍّ مقدسٍ هو النَّصُّ القرآنيُّ »[85].

ولذلك جاءت جُلُّ النصوص العربية مدرجة في دائرة القرآن عائمة في محيطه، وشَخَصَتْ عيون المبدعين إليه عاجزة عن المحاكاة وحسن التقليد.

وسنحاول في هذه المقاربة الوقوف على تداخل السجل القرآني مع المعجم الصوفي وما انْجَرَّ عن هذا الحوار من ابتكارٍ و إبداعٍ.

لقد كان النَّصُّ القرآنيُّ من جملة الأساليب التي عمد إليها شعراء مدونتنا ليغمروا نصوصهم بنَفَسٍ دينيٍّ، وليَعقدوا صلةً وثيقةً بالتعاليم التي يَدعون إليها؛ وبين تعاليم الإسلام ممثلة في دستوره (القرآن الكريم) ثم أحياناً الحديث النبوي الشريف وسيرة النبي العطرة.

ولقد بلغ الحضور القرآني في المدونة مبلغاً كاد يشكِّل معجماً قائماً بذاته داخل المعجم الصُّوفي العام.

ولم يكن التداخل بين المعجم الصوفي والسجل القرآني على مستوى السياق فقط بل كان التداخل أيضا على مستوى الأساليب، ناهيك عن التداخل على مستوى المضامين، لتقارب الخطابين وسعيهما إلى نفس الغاية والهدف تقريباً.

والذي يهمنا في هذا التداخل هو ما كان قائماً في مستوى المعجم (المصطلحات) أو الكلمات المؤلفة للنص الشعري، ولسنا نقصد بهذا التداخل كذلك استعمال شعراء المدونة لبعض الكلمات القرآنية منعزلةً عن سياقها؛ كالنور والسماء والبرق...إلى غير ذلك، وإنما نقصد التراكيب القائمة بذاتها والتي تُحيل على آياتٍ واضحةٍ.

ويمكننا أن نسمي هذا التداخل بين السجل القرآني والمعجم الصوفي في مدونتنا بالاقتباس من القرآن الكريم. والاقتباس؛ « هو مظهرٌ من مظاهر تعامل الشعراء مع موروثهم الديني»[86]، وهو لغةً مُشتقٌ من الفعل الثلاثي (قَبَسَ)؛ والقَبَسُ: النار. ويقال: قَبَسْتُ منه ناراً أقْبسُ قبْساً فأقْبَسَني أي أعطاني منه قبساً، وكذلك اقتبستُ منه ناراً، واقتبست منه علماً أيضاً استفدته.

أما الاقتباس اصطلاحاً فهو « أن يُضمَّن الكلام شيئاً من القرآن أو الحديث؛ لا على أنه منه »[87]. وهو ضربان: ما لم يُنقل فيه المُقتَبسُ عن معناه الأصلي، والضرب الثاني خلاف ذلك، أي ما خالف فيه المُقتَبَسُ المعنى الأصلي للآية أو للآيات؛ ولا بأس بتغيير يسير للوزن وغيره.

ويندرج مصطلح الاقتباس في الدرس النقدي الحديث تحت مصطلح التناص (intertexualité) ، باعتباره شكلاً من أشكال المداخلة بين النصوص وتفاعلها، وصورة من صور تعامل الشعراء مع النص القرآني؛ « ذلك التعامل الذي يكشف عن نظر الشعراء إلى أن القرآن مصدرٌ من مصادر البلاغة المتميزة، وأنه يحمل للإنسان في كل زمان ومكانٍ دلالات لا متناهية، ويفسر أشياء تمس حياة الإنسان»[88]. وهو نوعان: اقتباسٌ حرفيٌ، واقتباسٌ إيحائيٌ.

فالاقتباس الحرفي أو النصي ـ حسب رأي محمد شهاب العاني ـ هو تضمين الشعر آيةً قرآنيةً بلفظها وتركيبها دون تغيير أو تحويرٍ، حيث يأتي استعمالها في إطار دلالتها القرآنية ذاتها، وتكون الغاية من ذلك توضيح المعنى؛ وتقوية العبارة. وأمثلة هذا النوع تكاد تكون منعدمة في نصوص مدونتنا.

والنوع الثاني من الاقتباس وهو الاقتباس الإيحائي أو الإشاري ـ على حدِّ تعبير محمد شهاب العاني ـ ؛ وهو يعني أن يُضمِّن الشاعر نصه الشعري آيةً قرآنية من غير أن يلتزم بلفظها وتركيبها، ثم يوظفها توظيفاً فنياً يتناسب وتجربته الفنية أو رؤيته الفكرية، ولهذا النوع في نصوص مدونتنا أمثلة متعددة، سنمثل له بنصوص من المدونة.

يقول سيدي محمد ابن المبروك، في معرض حديثه عن شمائل الرسول ":

(وافر)

« حبــاه إلـهه ثـم اجتـباه فنال من المنازل قدر قاب

لدى قوسين أو أدنى وكم من سماءٍ جاز ثمَّة كم حجابِ »

نجد في هذين البيتين تَجَادُلاً قائما بين سجلاتٍ عديدةٍ أهمها السجل القرآني والسجل الصوفي في إطاره المدائحي، فلقد ضمَّن الشاعر بيتيه آيةً قرآنيةً لتؤدي وظيفة مقامية، ولتعضد من طاقات المعجم المستخدم وهذه الآية هي قوله تعالى : {... فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَو ادْنَى } سورة النجم، آية 09.

ومن الواضح أنه لا تنافر بين المعجمين ولا تباين بين السياقين، لتقارب الشعر الصوفي والقرآن من حيث كونهما خطابين دينيين، ومع ذلك نحسب أن هذه الآيات، أضفت على الأبيات رواءً ورونقاً وجمالاً، وهي تثير في المتلقي مجموعة من الانفعالات تحمله على الإعجاب بالمقول محمولاً وأسلوباً.

إن توظيف القرآن في المعجم الصوفي له دلالة خاصة في رأينا، فهو زيادة على كونه مصدراً ثرياً ومَعيناً إبداعياً لا ينضب ووسيلة لتبرير شرعية التصوف وتسييجا للمتصوفين من ألسنة العلماء والمتشددين من فقهاء السنة، يعتبر رفعاً للأدنى إلى قدسية الأعلى، لأن أسلوب

القرآن كفيلٌ بأن يُحدث تعاطفاً خاصاً من قبل الذاكرة الدينية المستهلكة للأدب من النتاج الشعري المُضمَّن فيه.

ويقول سيدي محمد ابن المبروك أيضاً في إطار التداخل بين السجلات أثناء حديثه عن جزاء المشركين يوم القيامة:

(بسيط)

« من حاد عن نهجه فالنار موعده ويُحْرَمَنْ من القطوف والعنب

سيعلمون غداً بــأنَّ مَصْرَعَهُمْ للنَّار ينقلــبون أيَّ مُنْقَلَبِ »

وفي آخر هذين البيتين تناص مع قوله تعالى {...وَسَيَعْلَمُ الذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ } سورة الشعراء آية: 227، ولقد ضمَّنها الشاعر في خطابه ليُكسبه تأكيداً؛ ويعطيه صورةً واضحةً عند الناس، حول ما ينتظر الظالمين يوم القيامة من عذابٍ.

ومن هذا التداخل بين المعجم الصوفي والسجل القرآني قول محمد البكري بن عبد الرحمن:

(رجز)

« وبشِّر العبدَ الضَّعيفَ بِرِضاكْ عند الْتِفَافِ السَّاقِ بالسَّاقِ هُناكْ »

إلى قوله:

« وَوَضَعتْ حواملُ النِّساءِ وَعُطِّلَتْ مزيَّة الكَوْمَاءِ

وشابت الولدان والرَّضيعُ وخَضَعَ الجبَّار والرَّفِيعُ

وبَلَـغَ الحناجر القلوب وانكشفت هنالك الغُيُوبُ »

فالبيت الأول كما قال جيرار جنيت عن نص بأنه « ابتلاع وتحويل لآخر »[87]، إذ أنه يتضمن قوله تعالى: {والْتَفَّتِ السَّاقُ بالسَّاقِ } سورة االقيامة آية 29.

أما في البيت الثاني والثالث والرابع فهي متضمنة على التوالي لقوله تعالى:

- {..وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا... }سورة الحج آية2. يتحدث الله تعالى عن زلزلة الساعة وهولها.

- { فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْماً يَجْعَلُ الوِلْدَانَ شِيْباً } سورة المزمل آية 17 .يتحدث الله تعالى عن هول يوم القيامة.

- :{...وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ القُلُوبُ الحَنَاجِرَ ... } سورة الأحزاب آية 10. يتحدث الله تعالى عن هول يوم القيامة أيضاً.

وفي الموضوع نفسه نجد بعضاً من النماذج التي يتداخل فيها النص القرآني مع الخطاب الشعري؛ عند الشاعر محمد عبد القادر الفلاني، إذ يقول مثلاً:

(رجز)

« وغُضُّوا الابْصَارَ عَنِ المَحَارِمِ وَكُفُّوا سَمْعَكُمْ عَنِ المَآثِمِ»

فالشطر الأول متضمِّنٌ قوله تعالى: {قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ.... } سورة النور آية 30.

أما الشطر الثاني فهو متضمِّنٌ قوله تعالى في سورة الإسراء: {...إِنَّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ وَالفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولا } آية 36.

ولعل أيضاً من أوجه هذا التداخل بين السجل القرآني والمعجم الصوفي هو استيحاء أو اقتباس فواصل بعض آي القرآن الكريم.

والفاصلة القرآنية كما عرفها الرماني هي « حروفٌ متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني»[89]. أو هي « كلمة آخر الآية كقافية الشعر وسجع النثر. والتفصيل هو توافق أواخر الآي في حروف الروي؛ أو في الوزن، مما يقتضيه المعنى؛ وتستريح إليه النفوس»[90].

إن الفاصلة القرآنية كقافية الشعر، غير أنها تزيد عليها بشُحنة المعنى؛ ووفرة النغم؛ والسعة في الحركة الحرة. وهذا يعني أنها عند ورودها « تحمل شحنتين في آنٍ واحدٍ: شحنة من الواقع الموسيقي، وشحنة من المعنى المتمم للآية»[91] حسب رأي بكري شيخ أمين.

ويمكننا القول بأن للفاصلة القرآنية أثراً عميقاً في نفسية المتلقي، لأن لها « نغمات نفسية ومعنوية؛ وإيقاعاً يُعطي الإنسان رَوْحاً، ويحس عندها بمُتعة فنية مؤثرة، تثبت في الفؤاد الطمأنينة والارتياح»[90]. وإن تأثيرها الموسيقي « يزيد الأسلوب رونقاً وجمالاً، عندما يجيء على نمطٍ خاصٍّ في تعبيره وتصويره؛ مما يؤدي إلى هذه اليقظة النفسية، والإيحاءات المتعددة من جانب المتذوق لهذا التعبير والتصوير. ويكمن ذلك النمط الخاص فيما تُحدثه العبارة من جرْسٍ في الأسماع، لم يلبث أن يتضمن الوجدانات، ويمتزج بالمشاعر والأحاسيس»[92].

وثمة قصيدة لسيدي محمد ابن المبروك مطلعها:

(متقارب)

« قصدتُ سُليمى لمنزلها وجـدت بـه قومَهَا مُنكرين »

فقد استخدم فيها الشاعر عدداً من الفواصل القرآنية، مثل: (الظنون، يغفلون مهطعين، كاف ونون، مهين، عضين، اليقين، المرسلين، المشركين، المؤمنين، عِزِين، بعد حين، المُفلحين، القرين...). ومنها قوله:

« ولـو سمعتْ أذنك الزفرات لـذاب الجُسيم كماءٍ مَهينْ

ولو شَمَمَ الأنف نَتْنَ الحَميم لصار دماغك منه عِضِينْ »

وأيضاً قوله:

« لعلميَ أنــي لست أفي بها فـي حياتي ولو بعد حينْ

فلا ينزح البحر عَبَّ حِمامٍ فعجزيَ عن ذاك حقٌّ مبينْ
لو افنيت عُمريَ في مدحه لفُزت وصرت من المُفلحينْ »

يستوحي الشاعر قوافيه من الفواصل القرآنية الواردة في قوله تعالى:
{ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلاَلَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ } سورة السجدة آية 08. وقوله تعالى: { الذِينَ جَعَلُواْ القُرآنَ عِضِينْ } سورة الحجر آية 91، وقوله تعالى: { وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ } سورة ص آية 88، وقوله تعالى: { فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّكَ عَلَى الحَقِّ المُبِينِ} سورة النمل آية 79، وقوله تعالى: { فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ المُفلِحِينَ} سورة القصص آية 67.
وصفوة القول بالنسبة لحضور السجل القرآني داخل المعجم الصوفي الناسج لمدونتنا، أنك كلما قرأت هذه المدونة فسيلقاك القرآن إما فكرةً أو أسلوباً، وسيغشاك ظاهراً ومضمراً صريحاً وضمنياً، وستجده آياً وتراكيب وصوراً، وكذلك ما فُسّر أو شُرح في بعض من الأحاديث النبوية الشريفة.

3. 1. 2. السجل الغزلي:

إن الناظر في مدونتنا الصوفية يجد في كثير من نصوصها أسلوباً غزلياً صريحاً، فمعظم النصوص تذكر ألفاظاً وعباراتٍ من قبيل (الحُبّ والشَّوق والغرام والشغف...)، إلى غير ذلك من مصطلحات الحب التي تفيض بها قصائد المدونة، وكل شاعر يدعو بصريح العبارة إلى التعلق بالحب الخالد المُخلَّد وترك الحب الفاني، والدعوة إلى الهيام بما هو أنفع وأصلح لروح الإنسان في الدنيا والآخرة، هذا الحب الأخير الذي « قد ذهب بعقول كثير من المتصوفة »[93] حسب محمد النيال.

وما يميز شعراء مدونتنا في هذا الباب أنهم ـ كما رأينا فيما سبق ـ يتحدثون عن المتغزل بها؛ ثم يدعون إلى تركها والعزوف عن الانشغال بحبها، والتفرغ لمدح والتوسل بسيد الخلق أجمعين؛ فهو الشفيع يوم يقوم الناس بين يدي رب العالمين. وهنا نتساءل عن هذه الموصوفة بأقوالٍ وأسماءٍ وصفاتٍ مختلفةٍ، وكل تلك الأوصاف تدل على فتنتها وإغرائها، فهل هي امرأة حقيقية أم أن ذكرها وتعديد صفاتها لا يعدو أن يكون استعمالاً رمزياً وتوريةً عن أخرى ؟ ومن هي هاته الأخرى؟

فقد ذكر الشعراء أوصافاً كثيرةً لها، وسَمَّوها بأسماءٍ عديدةٍ، جَرْياً على طريقة الصوفية الكبار مثل ابن الفارض الذي يُخبرنا عنها بقوله:

(طويل)

« وتَظْهَرُ للعشاق في كل مَظْهَرٍ من اللّبس في أشكال حُسْنٍ بديعةِ

ففي مرَّة لُبنَى وأُخْرَى بُثينة وآونـة تدعى بعَـزَّةِ عَـزَّتِ
وَلَسْنَ سِوَاهَا لا ولكنَّ غيرها وما إنْ لها في حُسنها من شريكةِ»

ويصرح بهذا الاستعمال للرمز الشاعر عبد الكريم الجيلي حين يقول:

(طويل)

« مفاتيحُ أقفـــال الغُيُوب أَتَتْكَ في خَزَائِنِ أقْوَالِـي فَهَلْ أَنْتَ سَامِعُ
وهَـا أَنَـــا ذَا أُخْفِي وأُظْهِرُ تارةً لرمزِ الهَوَى مَا السِّرُّ عنديَ ذَائِعُ
وإياكِ أعني فـاسْمَعِي جَارَتِي فَمَا يُصرِّحُ إلا جـــاهلٌ أو مُخـــادعُ
سَأفشي رواياتٍ إلى الحقِّ أُسندتْ وأضرب أمثـــالاً لِمَـا أنا واضعُ»

وهذا شاعرنا سيدي محمد ابن المبروك يقول في نفس المقام متحدثا عن (سعاد)، ومعبراً عن حُرقة بُعدها، وانقضاء أيام الوصال:

(بسيط)

« بَـانَتْ سُعـاد وبَـانَ الشَّيْبُ في جسدي وأَضْرَمَتْ جُـذوةَ الجحيم في كبدي
قـد كنت ذا شغفٍ بـها أُعَـاهِدُهَا وأُطـرقَنَّهَا بِـذِي الأسباب والوَتَدِ
وطـَالَمَا لَطَمَتْ خَدِّي ذُؤابَتُهَا وقبَّلتني بما يَفْتَرُّ عـن بَـرَدِ
عظيمةُ العَجْز بضَّـةٌ وكَـاعِبَةٌ بأربعٍ تُقْبِلَنْ إن مَـدَدَتُ يَـدِي
لكشحها أجتـني ثـمار بهجـتها تُعـانق الصَّبَّ بـالزَّنـدين والوَتَدِ
تُزْرِي بشمس الضُّحَى والبدر إن كشفت عن وجهها الشجيِّ لا تَخْفَى على أَحَدِ»

فهي هنا اسمها " سعاد "، والشاعر كان شغوفاً بها، وهي عظيمة العجز وبَضَّةٌ وكاعبةٌ، وضوء وجهها يُخجل الشمس ...

وفي قصيدة أخرى لقَّبها بـ " ليلى ":

(بسيط)

« عَدمتَ ليلى أخي وقلبك احتر قا من أجل فُرقتها العظمى وما سبقا
عَاهدتَهَا فِـي الدُّجى ليلاً بقُبَّتها وكنت تُطرقها بـه إذا اتَّسقا »

وهي أيضاً " سُليمى" عنده في قصيدة أخرى، والشاعر يتحدث عن حادث موتها وتغسيلها وتكفينها ودفنها:

« قصدت سُليمى لمنزلها وجدت بـــه قومها مُنكرينْ
يَصيحون وهي مُسَجَّيَةٌ ظننت بـذلك كـــل الظنونْ
جعلت أصيح صياحهمُ لأعرف ما للبكا من شؤونْ

فلـمَّا جلست لنـــاديهمُ تَبَدَّا لعينيَّ ماءٌ سَخـــونْ
وأثوابُ قُطنٍ تُخاط لها عَرِفْتُ بأن قد نعاهــا المَنُونْ »

ونجد أن الشاعر في قصيدة أخرى، يتبرَّأ منهن جميعاً، ومن التغزل بهن ويُعلن توبته، والتفرغ لمدح النبي صلى الله عليه وسلم، فيقول :

(متقارب)

« هَجرت تغَزُّل ذكر الخرودْ ومَدْحِـــي لـذكر النَّبيِّ يَعُودْ
كتبتُ رُسيم طـــلاق الغنا بتسجيل قاضٍ ووضع شُهُودْ
لكـــي يستحيل جَزَاءُ الذي جَنَيْتُ مـــن أجل تعَدِّ الحُدُودْ

وبناءً على " نظرية الشخصيات " (المنضوية تحت لسانيات الخطاب) يمكننا أن نجد أن تسمية الشخصيات المتغزل بها في النصوص السابقة تشكل ثنائية (شخصية / علامة)، يتغير معناها من المفهوم المعجمي إلى معناها داخل ملفوظ لا أدبي، و معناها داخل ملفوظ أدبي كما هو الأمر عندنا في النصوص السابقة. ويمكن لـ : (سعاد وليلى وسُليمى التي هي تصغير لـ " سلمى ")، يمكنها جميعاً أن تشكل محوراً / قائمة استبدالية؛ يمكننا أن نستبدل أيّاً منها بالأخرى ما دام الشاعر لا يخص منها واحدة بالذكر، مما يدل على أن الدَّالَّ مختلفٌ لكن المَدلول واحدٌ.

ويمكننا توضيح ذلك من خلال الخطاطة التالية:

ليلى / دال ← /

سعاد / دال ← — = ← مدلول = الحياة الزائلة /المُدنَّس≠ الذات الإلهية/ المقدَّس.

سُليمى / دال ← \

والشخصيات هاهنا تشكل « وحدة دلالية، وذلك باعتبارها مدلولاً لا متواصلاً »[94] ، يعبر عن كل ما هو آيل إلى الزوال والفناء، وهو يقابل ما هو دائم / الذات الإلهية ومدح الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، الذي من نوره وُجد الكون.

وهذه الظاهرة الفنية تتكرَّر في معظم النصوص الشعرية في مدونتنا خاصة قصائد الشاعر سيدي محمد ابن المبروك وسنأخذ قصيدة " جفاك دهرك" مثالاً على ذلك.

ولا بأس أن نعيد رصد القصيدة كاملة هاهنا لتقترب الصورة أكثر فأكثر:

(بسيط)

« جَفَاكَ دَهْرُكَ مَا ظَفِرْتَ بَالأرَبِ قَطَعْتَهُ في سَبِيلِ الغَيِّ وَالطَّرَبِ
سَبَتْكَ مَيَّةُ مُذْ طَرَقْتَ حُلَّتَهَا لِحُسْنِ صُورَتِهَا اشْرَأبَّ كُلُّ صَبِ
لَبِيبَةُ الفَـْرع خَدُّهَا نَضَارَتُهُ كَمِثْلِ زَهْر طَرِيِّ الوَرْدِ في الشِّعَبِ

مَلِيحَةُ الشَّكْلِ بَضَّةٌ مُهَفْهَفَةٌ عَظِيمَةُ الإِلْيَتِينِ كَاعِبُ اللّعَبِ

غَضِيضَةُ الطّرْفِ مُنْتَمَى لَهَا حَوَرٌ تَبَسَّمَتْ عَنْ جَوَاهِرِي بِذِي شَنَبِ

وَزَانَهَا بَلَجٌ فِي طَلْعِهَا فَلَجٌ بِعَيْنِهَا دَعَجٌ كَثِيفَةُ الهُدُب

يَا رُبَّ لَيْلٍ قَصَدَتَ فِيهِ مَرْبَعَهَا وَاصَلْتَ سَيْرَكَ فِي دُجَاكَ بِالخَبَب

فَمَا وَجَدْتَ سِوى غُرْبَان بَيْنَكُمَا مَلأنَ سَمْعَكَ بِالنَّعِيبِ واللّجُبِ

وَخِلْتَ رَسْمَ التِي تَهْوَى خَلاَ وَعَفَا قَدْ غَيَّرَتْهُ هُبُوبُ الرِّيحِ وَالسُّحُب

رَكَدْتَ حِيناً بِهِ وَسِرْتَ مُخْتَبِراً حَتَّى وَقَفْتَ عَلَى الأحْدَاث فِي شِعَبِ

عَلِمْتَ أنَّ خُرُودَكَ التِي فُقِدَتْ هُنَاكَ مَصْرَعُهُا فَبُؤْتَ بِالغَضَبِ

يَا وَيْحَكَ أقْلِعْ عَنِ الهَوَى مَحَجَّتُهُ تَهْوِي بِصَاحِبِهَا لِحُفْرَةِ اللّهَبِ

قَتَلْتَ نَفْسَكَ دَعِ التَّصَابِيَ لاَ يَرْقَى مُصاحِبُهُ لِذَوي الرُّتَبِ

جَنَا جَنَانُكَ مُذْ جَنَا ثمَارَ هَوَى أهْوَتْكَ أهْوَاؤهُ يَا صَاحِ للعَطَب

ما كفَّ كَفَّكَ عَنْ كَشْفِ المَحَاوِرِ فِي جُنَح الظّلامِ وَكَمْ خَرَقْتَ مِنْ حُجُب

هُنَاكَ تَعْرِفُ قَدْرَ مَا جَنَتْهُ فَمَنْ لَهَا مُجيراً غَدَاةَ البَيْنِ وَالنَّعَبِ

ألا مَنِ المَاءُ جَاشَ مِنْ أنَامِلِهِ لِلْقَوْمِ لمَّا رَوواْ سَقَوْهُ فِي القِرَب

ومن مزادتي الضعينة اشتُهرت آياته للجيوش وهي لم تغب

حتى سُقُوا منهما ما غاض رَيُّهُما فكان إسلام صرفها بذا السبب

وَمِنْ بِغَارِ حِرَى بَدَا تَعَبُّدُهُ وَجَاءَهُ فِيهِ وَحْيٌ غَيْرُ مُكْتَسِبِ

وَمَنْ تَفَرَّدَ بِالإِسْرِاءِ وَالشَّرَفِ وَالجُودِ وَالمَجْدِ وَالعِلْمِ وَالأدَبِ

وَالحِلْمِ وَالفَضْلِ وَالصَّلاَحِ وَالنَّسُك وَالعِزِّ وَالجَاهِ وَالإِقْدَامِ وَالنَّسَبِ

وَمَنْ شَفَاعَتُهُ فِي الحَشْرِ نَافِعَةٌ لِلنَّاسِ كُلِّهِمُ القَرِيبِ وَالجُنُبِ

وَمَنْ دَعَا السَّرحَ إِذْ جَاءَتْهُ طَائِعَةً تَمْشِيْ إِلَيْهِ عَلَى سَاقٍ بِلاَ عُقُب

أهْلاً وَسَهْلاً بِرَاكِبِ البُرَاقِ وَمَنْ ... حَبَا بِهِ وَبِوَحْيِهِ وَبِالشَّهُبِ

إِذْ رَمْيُهَا مَقْمَعٌ لِكُلِّ مُسْتَرِقِ ... سَمْعًا لِئِلاّ يَشُوبَ الدينَ بالكَذِبِ

إِنْ رُمْتَ تِعْدَادَ آيَاتِهِ فَدُونَكَهَا ... نَظْماً وَنَثْراً فَلاَ تُحَدُّ بالطَّلَبِ

مِنْ قَبْلِ خَلْقَة آدمَ مَآثِرُهُ ... عَمَّتْ عَلَى العُجْمِ وَالأَكْوَانِ وَالعَرَبِ

فِي الكَوْنِ كَانَ سَنَا يَحِلُّ جَبْهَةَ مَنْ ... يُلقَى إِلَيْهِ بِهِ اسْتَنَارَ كُلُّ أَبِ

وَكُلُّ مَنْ حَمَلَتْ بِهِ يَصِيرُ لَهَا ... مِنْ أُمَّهَاتِ ذَوَاتِ الحُسْنِ وَالحَسَبِ

فَازَتْ بِإِبْرَازِهِ لِلنَّاسِ آمِنَةٌ ... مِنْ دُونِهُنَّ بِلاَ كَدٍّ وَلاَ تَعَبِ

إِبْنَةُ وَهْبٍ حَمَلَتْ مَنْ يَلُوذَ بِهِ ... أَهْلُ السَّمَاءِ وَأَهْلُ الأَرْضِ ثَمَّ كُلُّ نَبِي

مِنْ آلِ عَدْنَانَ ثَمَّ مِنْ كِنَانَةَ ثُ ... مَّ مِنْ لُؤَيٍّ وَآلِ عَبْدِ المُطّلِبِ

فَكَانَ نُخْبَةُ عَبْدِ الله نُخْبَتُهُمْ ... حَوَى بِهِ الفَضْلَ وَارْتَقَى ذَرَى الرُّتَبِ

فَجَلَّ مِقْدَارُهُ عَنِ اللّحَاقِ بِهِ ... أَنْظُرْ شَمَائِلَهُ فِي مُحْكَمِ الكُتُبِ

وَارْفَعْهُ فَوْقَ اتّصَافِ الخَلْقِ كُلِّهِمُ ... وَدُونَ وَصْفِ الإِلَهِ ثَمَّ لاَ تُشِبِ

مَقَامُهُ عَزَّ عَنْ رُسُلِ الإِلَهِ وَعَنْ ... أَمْلاَكِهِمْ كُلِّهُمُ يَجْثُواْ عَلَى الرُّكَبِ

تَأَدُّباً لأَحَيْدٍ ذِكْرُهُ اقْتَرَنَ ... بِذِكْرِ خَالِقِهِ فِي الذِكْرِ وَالخُطَبِ

مَنْ لَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِ حَلَّ نَارَ لَظَى ... يُعَدُّ مِنَ اهْلِ مَقْتِ الله وَالسَّلَبِ

إِنَّ الصَّلاَةَ عَلَى النَّبِيِّ مَكْرُمَةٌ ... تُفْجِيْ الهُمُومَ مَعَ الغُمُومِ وَالكَرَبِ

تُرضِي الإِلَهَ وَتُشفِي مَنْ بِهِ سَقَمٌ ... تَقْضِي الحَوَائِجَ وَهِيَ مَرْهَمُ الوَصَب

ثَمَّ مَا لاَ رَأَتْ عَيْنٌ ثَمَّ وَلاَ سَمِعَتْ ... أَذْنٌ بِهِ فِي جِنَانِ الخُلْدِ وَالعَرَبِ

سِوَاكُ حُلّةِ نُورٍ إِنْ مَرَرْتَ بِهَا ... عَلَى الصِّرَاطِ تَقِيكَ أَعْظَمَ الرُّتَبِ

مَنْ حَادَ عَنْ نَهْجِهِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ ... وَيُحْرَمَنْ مِنَ القُطُوفِ وَالعِنَبِ

سَيَعْلَمُونَ غَداً بِأَنَّ مَصْرَعَهُمْ ... للنَّارِ يَنْقَلِبُونَ أَيَّ مُنْقلبِ

صَلاَتُكَ الله تَتْرَى وَالسَّلاَمُ عَلَى ... مَوْلَى المَدينةِ خَيْرُ رَاكِبِي النَّجُبِ »

لعل أول ما يُواجهنا في بداية هذا النص هو افتتاحه بالفعل "جَفَا" الذي يحمل كل معاني القوة والصلابة من ناحية؛ والغدر والخيانة من ناحية أخرى، فهو مشحون بكل هاته المعاني، وهوأيضاً يعبر بشكل فني ولغوي رائعٍ عمَّا سيورده الشاعر من الأفكار والتصورات.

وسنقوم بمقاربة بنيوية لهذا النص علَّنا نتوصل إلى اكتناه العلاقات التي تتكون بين الحركات المكونة لهذا العمل الأدبي، ونستطيع إثبات وتأكيد مبدإ أساسي في المنهج البنيوي « وهو أن الظواهر لا تعني وهي معزولة، وإنما تعني القصيدة عبر العلاقات التي تنشأ بين هذه الظواهر»[95]، فالقصيدة مثلاً: ترتكز على مكونين بنيويين هما: التشبيب بميَّة (سمية) والتشبيب بالرسول محمد ".

وقد بنى الشاعر خطابه في التشبيب بميَّة على مجموعة من المكونات التي تصدَّرت أبيات القصيدة؛ سيما البيتين الأولين اللذين ابتدأ الحديث فيهما عن الخيانة والجفاء والقسوة؛ قسوة الدهر، والندم على ما ضاع من سالف الأيام في " الغَيِّ والطَّرب"، حيث يقول:

« جَفَاكَ دهرُكَ ما ظَفِرت بِالأرَبِ قَطَعْتَهُ فِي سَبيلِ الغَيِّ وَالطَّرَبِ

سَبَتْكَ ميَّةُ مُذْ طَرَقْتَ حُلّتَهَا لِحُسْنِ صُورتِهَا اشْرَأبَّ كُلُّ صَبِي»

ولعله من اليسير أن ندرك أن الدهر ليس هو المعني بالخيانة في هذين البيتين؛ بل هي "ميَّة"؛ بسبب فتنتها وجمالها.

وبهذه الإطلالة يكون الشاعر قد مهَّد للقاريء لدخول نصه؛ الذي نجده فيما بعد ينبني على علامتين أساسيتين كما ذكرنا سابقاً هما: التشبيب بميَّة (سمية) والتشبيب بالرسول محمد "، « وتشكل هاتان العلامتان كونين وجوديين قائمين بذاتهما، أو حقلين دلاليين لكل منهما خصائصه المميزة ووحداته الأولية المميزة: أي أن كل علامة تشكل حركة مكونة من حركات القصيدة... » [96].

تتألف الحركة الأولى (حركة التشبيب بمية) من تسعة أبياتٍ ـ لبيبة الفرع...بالغضب ـ، أما الحركة الثانية (حركة التشبيب بالرسول ") فإنها تتألف من ثلاثين بيتاً ـ ألا من الماء ... خير راكبي النُّجب ـ. ونلاحظ على الفور أن الحركة الثانية تشغل الحيز الأكبر من القصيدة (ثلثيها تقريباً)، أي أنها تبلغ ثلثي الحركة الأولى تقريباً.

أما إذا أحصينا الوحدات اللغوية؛ فإننا نجد أن الحركة الأولى تتشكل من مائة وواحد وحدة لغوية (كلمات + حروف)، بينما تتألف الثانية من أربعة أضعاف تلك الوحدات (ما يقارب أربعمائة وإثني عشر وحدة لغوية).

ومنه فإن النص يكشف لنا عن بنية متشكلة من ثنائيتين لكل طرف منها خصائصه المميزة.ونلاحظ أيضاً أن الحركتين منفصلتان تماماً، والفاصل بينهما يتمثل في مؤشر لغوي؛ عبارة عن أبيات شعرية تشكل نقطة التحول في بنية القصيدة، وتلك الأبيات عددها خمسة وهي:

« يَا وَيْحَكَ أَقْلِعْ عَنِ الهَوَى مَحَجَّتُهُ تَهْوِي بِصَاحِبِهَا لِحُفْرَةِ اللّهَبِ

قَتَلْتَ نَفْسَكَ دَعِ التَّصَابِيَ لاَ يَرْقَى مُصاحِبُهُ لِذَوي الرُّتَبِ

جَنَا جَنَانُكَ مُذْ جَنَا ثمَارَ هَوَى أَهْوَتْكَ أَهْوَاؤهُ يَا صَاحِ للعَطَب

ما كفَّ كَفَّكَ عَنْ كَشْفِ المَحَاوِرِ فِي جُنَح الظَّلامِ وَكَمْ خَرَقْتَ مِنْ حُجُب

هُنَاكَ تَعْرِفُ قَدْرَ مَا جَنَتْهُ فَمَنْ لَهَا مُجيراً غَدَاةَ البَيْنِ وَالتَّعَبِ»

وهذه الأبيات مشبعة بالوعظ والإرشاد، يخاطب فيها الشاعر مخاطَبَهُ ـ الذي سنحدده فيما بعدـ داعياً إياه إلى الرجوع للطريق المستقيم، بعد أن تمادى في اقتراف الآثام، ولسان حال الشاعر يردد قوله تعالى: { قُلْ يَا عِبَادِيَ الذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُواْ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ } سورة الزمر آية 53.

فاتباع الهوى ضرب من التصابي؛ الذي "لا يرقى مُصاحبه لذوي الرتب"، فهو يهوي بصاحبه في النار" العَطب"، يقول تعالى: {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَعَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةٌ فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللهِ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ } سورة الجاثية آية 23.

فخطاب الشاعر في تلك الأبيات كله دعوة إلى التأدب بالأخلاق الإسلامية؛ التي يغترف التصوف من معينها؛ إذ أنه لا تصوف بلا أخلاق، كيف لا وقد امتدح الله تعالى أخلاق النبي " حيث قال: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ } سورة القلم آية 04. ولذلك « تجد الصوفية يعتدون بهذا الأصل أيما اعتدادٍ والتصوف عندهم مقرونٌ بالأدب دون مُنازعٍ »[97]. قال أبو حفص النيسابوري: « التصوف كله أدب. لكل وقتٍ أدبٌ، ولكل مقام أدبٌ، فمن لزم آداب الأوقات بَلَغَ مبلغ الرجال، ومن ضيع الآداب فهو بعيدٌ من حيث يظن القرب، ومردودٌ من حيث يرجو القبول »[97]، وقال محمد بن علي القصاب أستاذ الجنيد، التصوف: « أخلاقٌ كريمةٌ ظهرت في زمان

كريم من رَجُل كريم مع قوم كرام »[97]؛ وهو يقصد بـ "الرَّجُل" الرسول "؛ الذي تَعتبره جُلُّ الطرق الصوفية مصدرها الأول الذي استمدت منه أسسها.

ويعمد الشاعر في الحركة الثانية إلى ذكر بعضٍ من معجزات النبي "؛ والتي هي مميزات وصفات تميزه عن بقية البشر؛ وحتى الأنبياء الآخرين، وهنا نقف عند وجه آخر من أوجه التمايز بين الحركتين الأولى والثانية في القصيدة، حيث نجد أن عدد الصفات التي عدَّدها الشاعر للرسول " تشكل أكثر من نصف الصفات التي عدَّدها لـ "مَيَّة" (سُمية)، وهو يثبت بهذا أن ذكر النبي" أفضل بمرَّاتٍ ومرَّاتٍ من ذكر مية، بل إنه يعترف بعدم قدرته على إحصاء وعدِّ صفاته، اسمع له وهو يَعترِفُ:

« إن رُمت تعداد آياته فدونكها نظماً ونثراً فلا تُحدُّ بالطلب »

ويمكننا رصد الصفات التي ذكرها الشاعر لمَيَّةَ وللرسول" في الجدول التالي:

صفات مية	صفات الرسول "
لبيبة ـ خدها نضرٌ ـ بضَّةٌ ـ مهفهفةٌ ـ عظيمة الإليتين ـ كاعبٌ ـ غضيضة الطرف ـ في عينها حَوَرٌ ـ أسنانها كالجواهر ـ بها بَلَجٌ ـ بأسنانها فَلَجٌ ـ بعينها دَعَجٌ ـ كثيفة الهدب.	جاش الماء من أنامله ـ سقيه للجيش ـ تعبده بغار حراء ـ نزول الوحي عليه ـ تفرده بالإسراء ـ حاز الشرف ـ والجود ـ والمجد ـ والعِلم ـ والأدب ـ والحلم ـ والفضل ـ والصلاح ـ والنسك ـ والعز ـ والجاه ـ والإقدام ـ والنسب ـ والشفاعة ـ دعا السَّرح ـ رَكِبَ البُراق ـ تسخير الشُّهب لحفظ رسالة القرآن ـ نوره عَمَّ الكون قبل آدم عليه السلام ـ كان سنَا يحل جبهته ـ شرف نسبه ـ عُلُوُّ مقامه ـ اقتران اسمه باسم الجلالة في الذِّكر ـ للصلاة عليه فضلٌ كبيرٌ ـ من حَادَ عن نهجه ضلَّ...
13 صفة	29 صفة

ويتأكد هذا الانفصام والتمايز بين الحركتين في البنية اللغوية والعلاقات التركيبية (النظم. بمفهوم عبد القاهر الجرجاني). تبدأ الحركة الأولى بذكر صفة من صفات مية هي " لِـَبيبَةٌ"؛ واللَبيبُ: العاقِل ذو اللُّبِّ، مِن قوم أَلِبَّاء؛ والأُنثى لبيبةٌ.

أما الحركة الثانية فتبدأ بقول الشاعر " ألاَ مَنِ المَاءُ جَاشَ مِنْ أَنَامِلِهِ"، وهذه الوحدات اللغوية لا يمكن فصل بعضها عن بعض، لأنه لا يكتمل المعنى إلا عند قراءتها كاملة، وهي تُحيل بصفة صريحة إلى إحدى معجزات الرسول " الخالدة وهي خروج الماء من بين أصابعه، وقد ابتدأ الشاعر هذه الجملة بـ " ألا"؛ التي من معانيها ترجيح الأمر الذي يرتبط بها؛ عمَّا يسبقه من أمر أو أمور، وكأن الشاعر بعد أن عدَّد صفات ميَّةَ؛ ووجد أنها جميعاً يمكن أن تكون مشتركة بين كثير من الخلق عزف عنها، وكأننا به يردِّدُ قوله تعالى: { وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى} سورة الأعلى آية 17. باعتبار أننا إذا نظرنا إلى صفة " لَبِيبَة"؛ وجدناها مشتركة بين كثيرٍ من البشر، أما نبوع الماء من بين أصابعه؛ " فهي مقتصرة عليه فقط؛ لا تتعدى إلى سواه. ومن هذا التمايز بين الحركتين الأولى والثانية؛ تتشكل مجموعة من الثنائيات/ التعارضات؛ تتحرك على مستويين: المُقدَّس/ المُدنَّس، أدنى/ أعلى، باقٍ/ زائل، هذا من ناحية؛ ومن ناحية أخرى تتشكل ثنائية ضدية رابعة تتحرك على مستويين:

الإنسان (في جانبه الجسدي)/ الإنسان (في جانبه الروحي)

باعتبار أنَّ الإنسان تتجاذبه قوتان: قوة تجذبه إلى الأرض فتدفعه لاتباع شهواته؛ ونزواته وحاجات جسده التي لا تنتهي، وقوة أخرى ترقى به إلى معارج تزكية النفس؛ وتقويتها بتعليمها القناعة والصبر على الطاعة، ليسمو الإنسان بنفسه إلى أرقى مراتب الصفاء الروحي.

وعلى صعيد أعمق تمثل الأطلال ـ التي وقف عندها المخاطَب في القصيدة (أنت)ـ عالم الموت والجدب والجفاف (فما وجدت سوى غربان. وخلت رسم الت يتهوى خلا وعفا...)؛ بينما تصور الحركة الثانية كلها فسحة كبيرة من الأمل والانفتاح على الحياة والانبعاث والرواء، بداية من خروج الماء من بين أصابعه "؛ انتهاءً إلى الحديث عن الجنة وما فيها من قطوف وعنبٍ...

ويُمكننا أن نصور حركة هذه الثنائية في المربع التالي:

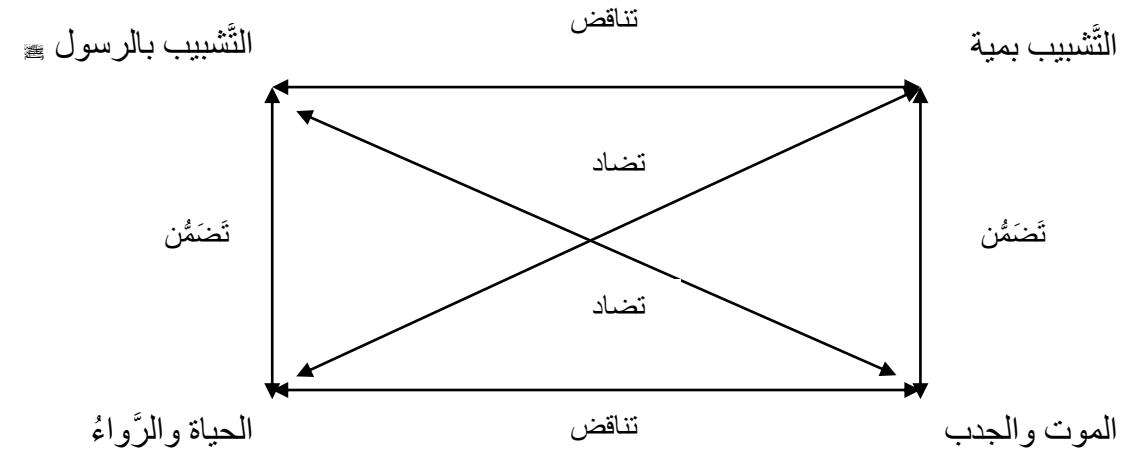

عن تفاعل الضمائر مع بعضها البعض داخل هذا النص؛ فقد فضل الشاعر أن يوجه النصح والإرشاد لمخاطَبه (أَنْتَ)، فنجد عديد الأفعال والأسماء المرتبطة بهذا الضمير مثل: جفاك، دهرك، قطعته، سبتك، طرقت، قصدت، واصلت، سيرك، سمعك، خِلت، علمت، خرودك، أَقلع، قتلت، نفسك...

وحُقَّ لنا هنا أن نتساءل عن هذا المُخاطب الذي وجه إليه الشاعر خطابه، هل يتحدث مع صديق له بجنبه؟ أم يتحدث مع نفسه الأمَّارة بالسوء؟

وأثناء رحلة البحث عن القرائن التي تبين لنا حقيقة المُخاطب داخل النص نجد أن الشاعر قد اعترف في بداية النص؛ خاصة عندما تحدث عن حسن مية؛ بأنَّ لها جمالاً بديعاً لدرجة أنه اشرأبَّ له كل صبي، وهذا إما أن يكون انبهاراً من الشاعر بحسن مية، أو أنه مجرد تصوير مبالغ فيه؛ للتعبير عن مدى حسنها وجمالها.

ونُرجِّح أن الشاعر كان يُخاطب نفسه، لأن المتأمل بدقة لقصائده التي ضمتها مدونتنا سيجد ما يقارب سبعة قصائد؛ يتحدث فيها الشاعر عن نفسه باستخدام ضمير المتكلم "أنا"، ويجد ما يقارب ستة قصائد استخدم فيها ضمير المُخاطَب "أنت"، عَدَا قصيدة واحدة استخدم فيها الشاعر ضمير المفرد الغائب "هو"؛ وهي قصيدة:"يا ويح من تبع الهوى".

ويستوقفنا أيضاً التصريع الذي أكثر الشاعر من توظيفه في نصوصه؛ كما أسلفنا الذكر في الفصول السابقة.

وبعد هذا الاستعراض لنماذج من شعر سيدي محمد ابن المبروك، والذي تبدو ظاهرة حضور أسماء وصفات المتغَزَّل بهنَّ، وولع الشاعر بهنَّ مَرَّةً، ثم العزوف عنهن تارة أخرى، والتفرغ للحديث والإشادة بشمائل النبي الكريم صلى الله عليه وسلم. بعد كل هذا ننتقل للحديث عن ما يشبه هذه الظاهرة عند شعراء آخرين، الذين فضلوا الوقوف على الأطلال والحديث عن رحلة الأحبة مثلما هو الحال عند سيدي محمد إيداوعلي حيث يَرِد في إحدى قصائده قوله:

(وافر)

« عليك صلاة ربك مـا أراقت رُعُودُ سَحَـــائِبٍ مَـاءً زُلاَلاَ
رِكَـــابُ أحبَّتي قَصَدَتْ إِلاَلاَ فأضحى الصَّبْرُ بَعْدَهمُ مُحَالاَ
فقلت لصَـــاحبي لـمَّا تـــولَّت تمَسَّك بـــالسُّلُوِّ فقـــال:لاَلاَ
فكيف الصَّبر عنهم والتَّسلّي ولم أرَ في السَّويّ منهم خَيَالاَ
ولَـمْ أرَ فـــي مَنَازِلِهِمْ أنيساً وذَكَّرنـــي ارتحـــالهمُ غَزَالاَ
تَـوَطَّنَ فِي الحَـشَا وَلَـهُ مَحَلٌّ رَفيعٌ فِـــي الجَوَانِبِ لَنْ يَزَالاَ »

فأحِبَّة الشاعر قد ارتحلوا، وتركوه يتعذَّب جرَّاء فراقهم، واشتعلت نيران الفراق في قلبه فِراقُ محبوبته التي أصبح موطنها موحشاً، وأصبح قفراً بعدما كان عامراً. وأضحى طللاً يَحكي قصة أحبةٍ بقوا هناك زمناً واليوم قد رحلوا.

والحديث عن الطلل يعود بنا إلى الشعر الجاهلي الذي كان الشاعر آنذاك يفتتح به قصائده، ثم استقاه الشعراء المتصوفة ووظفوه في قصائدهم؛ وذلك « لإنتاج معانٍ ذات دلالات روحية تعبّر عن فلسفة المعرفة الصوفية »[98]. وتكون لتلك المعاني الصوفية المنتجة علاقة مباشرة مع ارتباطات الشاعر الروحية ومن ثم تصبح الموضوعة الكلية قد استعارت موضوع الطلل، ووظفها الشاعر مثلا في النص السابق لغايات روحانية في أصلها تعبر « عن انفصال الذات الصوفية عن الذات العَلِيَةِ واغترابها عنها »[99].

فالمكان عند الصوفية إذاً يتَّخذ بُعداً آخر. والمكان الذي يرتبط به الشاعر « هو المكان الذي يمارس فيه ـ على حَدِّ تعبير باشلار ـ أحلام اليقظة، لأنه يشكل خياله، لذا فهو لا يُستخدم في بعده الهندسي، وإنما كحلمٍ لا ينتهي »[100] ، حلم يظل يُراود الشاعر كلما تذكَّر قرينةً من القرائن التي تُحيل عليه.

والشاعر سيدي محمد إيداوعلي في قصيدة أخرى يخاطب نفسه معاتباً إياها على كتمانها للحب، حُبُّ " سلمى "، فيقول:

(كامل)

« هل مــا كتمت عــن الحواسد يُعلم أم كل ما أودعت سلمى يُكتمُ؟
أم خـــــانت السر الـتي أودعتها ؟ ظلَّت بـــــها بين العِــدا تتكلَّمُ
أم أنت قيسيُّ الصبابــة والــهوى؟ أم أنت حِــبٌّ بالحسان مُهَيَّمُ ؟
أم ربع سلمى قد شجتك طُلــوله ؟ أم أنت مــــن تذكاره لا تَسْأمُ؟
أم هل بُكاك على الديار عزيزه ؟ مــــا زلت تهواها وأنت مُتيَّمُ؟
أم هل وقوفك عند دار قد عَفَتْ ؟ منها مَرابــع من هَويت تَرَحَّمُ»

فهناك كثير من الألفاظ الغزلية التي وردت في كل تلك النصوص، بدايةً من تسمية المتغزَّل بهنَّ " سلمى " و " سُليمى " ، " سعاد " و " ليلى " ....ومن الألفاظ الغزلية (الشغف ـ ذؤابة ـ قبَّلتني ـ عظيمة العجز ـ تُعانق الصَّبَّ ـ وجهها الشجيّ.....)، هذا في النص الأول. و من الألفاظ الغزلية في النص الثاني (مجمرها وزندها .....)، و (غزالاً...) في النص الثالث.

والواضح أن الشعراء في تلك النصوص لا يقصدون وصفاً للمرأة ولكن يشيرون إلى كل ما يمكن أن يُغري الإنسان، ويشغله عن الحب الروحي السرمدي. وقد يكون وصف الشعراء للمرأة واستهلال قصائدهم بمطالع غزلية هو من قبيل ما أشار إليه زكي مبارك في قوله: إن «

الشعراء ابتدءوا حياتهم بالحب الحسي ثم تركوه إلى الحب الروحي »[35] ، وربما يرجع سبب ذلك إلى تحكمهم في استعمال ألفاظ الغزل وتحويلها إلى مصطلحات صوفية ذات أبعادٍ أخرى.

وهكذا ومن خلال الاستشهادات التي مرَّت بنا، يمكن أن نقول : إن السجل الغزلي بتداخله مع المعجم الصوفي قد أعطى للمدونة خصوبة في الأساليب وثراء في المضامين، ولوَّنها تلويناً خاصاً، مما يسمح مستقبلاً بالبحث عن الدلالة الغزلية للتصوف، نرجو أن تكون موضوع بحث أو دراسة لغيرنا، أو تتاح لنا فرصة أخرى للوقوف عندها.

3. 1. 3. السجل الخمري:

من الطبيعي أن تَظْهر المصطلحات الخمرية في معجم مدونتنا، لطبيعة الشعر الصوفي الذي يُعبِّرُ في أغلبه عن عوالم الغيب والتجلي، ويتجنب الخوض في عالم الواقع والشهادة، ولمَّا كان السَّاكر بالخمرة يعيش واقعاً غير واقعه، ويحسب أنه في عالم آخر غير عالمه، كان شبيهاً بالصوفي الذي يتأرجح هو الآخر بين الظاهر والباطن، بين الغيب والشهادة، لذلك استخدم الصوفي مصطلحات الخمرة مجازاً ليُعبِّر بها عن ما ينتابه من حالاتٍ شبيهةٍ غالباً بحالات السِّكِّير ساعة الشُّرْبِ التي يتفقد فيها وعيه وصوابه. ولا غرابة في ذلك فالتصوف عرفانٌ بما هو تَجاوُزٌ للعقل ومحاولة للوصول إلى المعرفة جذباً وإلهاماً ومكاشفةً، فالصوفي يسعى دائماً لتجنب ساعة الصَّحو التي تشده بالواقع وتحكمه بقوانين العقل، إلى حالة السكر التي يعيش فيها حالماً في عالم يفنى فيه بالذات التي يعشق فيطَّلع على الحقائق والأسرار، والساكر بهذه الخمرة لا يؤاخذ على فعلٍ وليس عليه من حرجٍ.

ويُعرِّف الكاشاني السُّكر بأنه « غَيْبَةٌ بواردٍ خفيٍّ، والمُراد بالغيبة: عدم الإحساس ... فمن غاب بواردٍ قويٍّ سُمي سكراناً، وذلك أنَّ العبد إذا كوشف بنَعت الجمال... حَصَلَ له السُّكر وطربُ الروح، وهام القلب، فإذا عاد من سُكره سُمِّي صاحياً...» [46].

وعلى العموم فإننا لا نجد السجل الخمري كثير الحضور في مدونتنا؛ لأن أغلب القصائد كانت مديحية، والسجل الخمري عادة ما يكثر حضوره في قصائد الذات الإلهية التي تنحو فيها اللغة منحىً استعارياً لِمَجازية الرؤيا والتَّجلّي.

بهذا المنطق اكتسب شعر الغيبة الصوفية شرعيته عند المتصوفة باعتباره « ترجمان اللسان عن وجد يفيض عن معدنه »[101] ، وباعتبار « أنَّ صاحب الغيبة غير مخاطب والمجبور معذور »[102]، وقد جعل الشعراء المتصوفة من ذلك أساساً لطريقتهم في التعبير فأكثروا من توظيف الرمز الخمري في أشعارهم، فـالذي « تتكشف له الحقائق يجعل المعاني أصلاً والألفاظ تبعاً »[103] ، فوردت بذلك الألفاظ الرامزة وجاءت بعض المصطلحات الخمرية منها في

الخطاب الشعري المدروس. والسُّكر هو الجسر الذي يَعْبُرُ عليه الصوفي من الظاهر إلى الباطن، ومن الواضح إلى الخفي، ومن الواقع إلى الرمز، ولا يستخدم في هذه الرحلة الإشراقية إلاَّ ما كان من السجل الخمري أو ما كانت له به علاقة، وسنضرب أمثلة على هذا التداخل بين السجل الخمري والشعر الصوفي.

يقول سيدي محمد إيداوعلي مبيناً حبّه وولعه بمديح الرسول " :

(كامل)

« لما عصرت جَـــرَّ الهوى حباله بمُـدامــة كانت تُصان وتُخْتَمُ
وَوَضَعْتُ من حُبّي له دون الورى إبـريـــق وِدٍّ بـــالصَّبَابة مُفْعَمُ
ذُقْــتُ التي لَـــوْ شَمَّ قيسٌ دِنَّهَا يــومـاً لأسكره وهـــو مُفعَّمُ
فشربت شُربـــاً لا يُفارق رَبَّـــهُ نفسي وروحي والأعادي وُحَّم »

نجد الخطاب في هذه الأبيات مُفعَماً برائحة المُدام من خلال الإشارات المتعددة التي يقدمها الشاعر.

وواضح من هذه الأبيات أن المُدامة (الخمرة) فيه رمز للحقيقة المحمدية، فالأبيات كلها نُسجت بقاموس خمريٍّ، فالحقيقة المحمدية خمرٌ والشاعر مُدمنٌ؛ والنَّصُّ ثمرة للحظة سُكْرٍ أغشي فيها على الشاعر؛ فغاب من شدة السكر عن كل العوالم، وذهل عن كل ما يحيط به، حتى ترك الأعداء يطلبون مثيلا لشرابه.

فعندما ننظر إلى البيت الأخير من هذه القطعة معزولاً عن سياقه لا يتبادر إلينا أن الشاعر يعني الحقيقة المحمدية، بقدر ما نظن أنه يتحدث عن الخمرة العادية.

ولكن الشاعر ما يلبث بعد تلك الأبيات أن يخبرنا بحقيقة ذلك الشراب، وهذا التوضيح من الشاعر قد نرجعه إلى خوفه من أن لا يفهم كلامه على حقيقته يقول موضحاً:

« هذا شرابٌ معنوي شربــه هــذا شراب في الفؤاد يُقَدَّمُ
هذا شرابٌ من مديح محمد هـــذا شراب لاح منه مَغْنَمُ
هذا شرابٌ لا تزال ختومه بيمين مـادحـــه تُفكُّ وتهزمُ
هذا شرابٌ كامن لــم يطَّلع دهراً عليه مهندس أو منجمُ
هذا مديحٌ لست عنه بمُقلع في هــذه الدنيا ولا أنا مُنْجمُ »

ويؤكد لنا الشاعر مقصده بحقيقة الشراب باستعمال تركيبة " هذا شراب "، وتسلسل في الكشف عن القصد، ويتضح لنا تسلسل في الكشف عن القصد الحقيقي.

فقال في البداية " هذا شراب معنوي " أي أنه ليس شراباً مادياً، فنفي هاته الصفة الأخيرة (مادية الشرب)، تُبين رغبة الشاعر في الكشف عن المعنى المقصود.

ثم يَعْقِبها بقوله: " هذا شراب من مديح محمد ".

ثم يتبعها بقوله: " هذا شراب لا تزال ختومه ...".

ثم تليها: " هذا شراب كامن لم يطَّلع...".

إلى أن يصل في الأخير إلى قوله: " هذا مديح....."، وهنا يصرح الشاعر بقصده من " الشراب " أو " المُدام " الذي ذكره قبل ذلك، وبذلك يكون قد باح بسرِّ المحبة التي اصطلى بنارها، اسمع له وهو يعبر عن هذا المعنى:

« يا سائلين عن المحبة في الحشا إن المحبة قــدرُها لا يُعلم»

إلى قوله:

« واعلم بأني ذُقْتها وخبِرتها في حُبِّ من يولي الجميل وينعم

ولقيت ما لم يلق قيس مثله قلبي ولا لقاه قــطُّ متَيَّم»

وهنا يحدثنا الشاعر عن حقيقة هذا الشرب، فهو شرابٌ إلهيٌّ؛ من سُقي شربة منه هام قلبه في ملكوت الله. وحول هذا المعنى يقول بعض الصوفية: « إن لله تعالى شراباً يسقيه في الليل قلوب أحبَّائه، فإذا شربوا طارت قلوبهم في الملكوت الأعلى حُبّاً لله تعالى وشوقاً إليه، ثم أنشد:

غَرَسْتَ الحُبَّ غَرْساً فِي فُؤَادِي فَــلاَ أَسْلُو إِلَى يَوْمِ التَّنَادِي

جَــرَحْتَ القَلْبَ مِنِّي بِــاتِّصَالٍ فشوقٌ زائـدٌ والحبُّ بَــادِ

سَقَانِي شَرْبَــةً أَحْيَا فـُــؤَادِي بِكَأْسِ الحُبِّ مِنْ بَحْرِ الوِدَادِ

فَــلَوْلاَ اللهُ يَحْفَظُ عَــارِفِيهِ لَهَامَ العَارِفُــونَ بِكُلِّ وَادِ »[104]

من خلال هذا العرض لبعض تجليات التداخل المُعجمي داخل النص، يتضح لنا ثراء المعجم الصوفي وخصوبته، ولعلَّ تعايش هذه السجلاَّت في نصٍّ واحدٍ أحياناً يعكس ثقافة شعراء المدونة وطبيعة تكوينهم، واختياراتهم الأسلوبية والأدائية؛ لذلك كان حضور هذه السجلات داخل النص الصوفي مكمن مزيةٍ ومظهر طرافةٍ وعنصر إخصابٍ.

4. الباب الرابع
في أغراض النص الصوفي

أشرنَا في الفصول السابقة إلى أغراض النص الصوفي، دون أن نمُسَّها في الصميم؛ إذ كانت كل المقاربات التي قمنا بها لحد الساعة تقتصر على دراسة شكل النص الصوفي وأسلوبه، بوصفه مفتَاحَ المدلول ومَعْبَرَ المُحلِّل إلى عمق النص.

وقد تبين لنا بعد معاينتنا للمدونة من الداخل، أنها تنقسم من حيث الأغراض إلى قسمين رئيسين: أولهما يتمحض لقضايا صوفية محضة، ويُميِّزه أسلوبٌ فنيٌّ خاصٌّ، وثانيهما يهتم أساساً بالقضايا الواقعية التي يعيشها المتصوف دون أن يتفرد بخاصيةٍ أسلوبيةٍ في طريقته في التعبير.

وتحت القسم الأول تندرج أغراض رئيسة ثلاثة هي:

1 -الله = (الذات الإلهية).

2 - محمد = (الحقيقة المحمدية).

3 -الشيخ = الحضرة المشيخية).

وتحت القسم الثاني تنطوي أغراضٌ عدَّةٌ أهمُّها:

1 - مدح الرسول ".

2 - الدعاء والوعظ.

ولَمَّا كان القسم الأول يهتم بمسائل صوفية مجردة بعيدة عن الواقع ويتوسل للتعبير عنها بقاموس لا يُحيل في أكثره على مدلولٍ واقعيٍّ ارتأينا أن نُسمِّي أغراضه بالأغراض "الصوفية النظرية"، كما أننا بالمقابل سَمَّينا بقية الأغراض المُنطوية تحت القسم الثاني بالأغراض "الصوفية العَمَلية" لملازمتها الواقع.

وكل هذه الأغراض إنما تعكس الرحلة المزدوجة للصوفي: رحلة التسامي إلى الحق في معراج المجاهدة الصوفية بُغية الوصول إلى المطلق (الأغراض النظرية)، ورحلة الرجوع بعد الوصول للهداية إلى الحق، إذ أن الواعظ أو المُوجه من القوم لابد أن يكون قد وصل إلى مرتبة "المكاشفة"؛ وذلك ما يكون بتفويضٍ رسميٍ من شيخٍ آخر من مشايخ التصوف.

ويُمكننا أن نبيّن في المخطط الآتي المحطات المختلفة التي يقف عندها الشاعرالصوفي في تجربة الكتابة الصوفية :

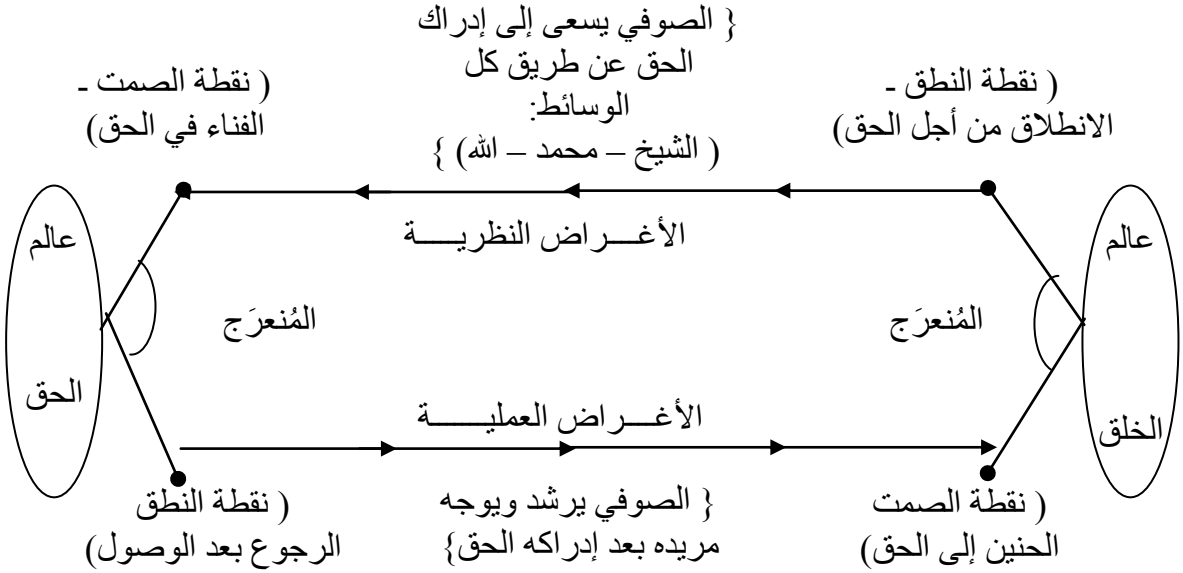

وضمن هاتان النقطتان (النطق، الصمت) (عالم الخلق، عالم الحق) تنحصر التجربة الصوفية بشقيها النظري والعملي، وكل كتابةٍ خارجة عن هاتين النقطتين تظل خارجة عن دائرة التصوف، وسيتضح ذلك جليا في الصفحات القادمة.

4. 1. الفصل الأول: الأغراض النظرية

4. 1. 1. الله في النص الصوفي:

عُرفت المحبة في أشعار الصوفيين منذ أولها إلى اليوم، فقد ورد الحب الإلهي في أشعار رابعة العدوية (- 361هـ)، كما في أشعار ابن الفارض (- 576-632هـ)، وغيرهم من كبار المتصوفة، وقد وَرَدَ ذكرها في القرآن الكريم كما وردت في أحاديث كثيرة، وهذه المحبة الخالصة التي تفيض في أشعار الصوفية وليدة معاناةٍ روحيةٍ تجعل الواحد منهم يعيش غربةً نفسيةً بين أهله وخِلاَّنه، يَحِنُّ إلى النَّبع العُلوي والعُرف الأقدس كما تحِنُّ الإبل إلى أعْطَانِهَا.

إنَّ فَكَّ هذه المعانات الوجودية لا يتم إلا باتحاد الذات الإنسانية بالذات الإلهية، وعودة الذَّرَّة التائهة إلى مصدرها، وكلَّما عَجَزَتْ النَّفس عن الصفاء المطلق تجذَّرت الغربة؛ بسبب إرادة معانقة الغيب ومعايشة عالم الشهادة. يقول الشاعر سيدي محمد ابن المبروك، يتحدث عن حبه وشوقه لامتزاج روحه بالذات الإلهية، متمنياً أن يبتعد عن مهاوي السوء، وأن يشرب من النبع الصافي، نبع المحبة الإلهية:

(طويل)

« أبَتْ نفسي الأمَّارة الرَّدَّ للهُدى وما رَجِعَتْ عن الرَّذائل والردا

وبَاءَتْ بِحُبٍّ لاَ تُطيقُ بِحَمْلِهَا وَغَرَّبَهَا نَادٍ عَظيمٌ مِنَ الرَّدَى

هواها وكلُّ شَهْوَةٍ وقرينها فَيَا لَيْتَهَا هَوَتْ لِمَكَّةَ مِنْ كُدَا

وَتَدْخُلُ مِنْ بَابِ السَّلاَمِ لِبَيْتِ مَنْ تَفَرَّدَ بِالمُلْكِ العَظِيمِ وَالاِبْتِدَا

وَتُسْلِمُنِي لِمَنْ خُلِقْتُ لأجله أَطَوفُ بِبَيْتِ الله سَبْعاً تَعَبُّدَا »

وعادة ما يأتي الحديث عن الذات الإلهية عند شعراء توات مرتبط بالمديح النبوي، ولم يتحدث شعراء توات عن الذات الإلهية كما هو معروف عند المتصوفة الكبار؛ ولكن اهتم بعضهم بالحديث عن صفات وأسماء الله الحسنى باعتبارها جانباً أساسياً تنبني عليه العقيدة الصافية التي يجب أن يتشبع بها أي مسلم، فها هم قد دعوا إلى الشرب من مَعِينٍ أساسيٍ ينبني عليه موضوع المعرفة بأصول الإيمان ودعوا إلى سلوك سبيلٍ موصل إلى باب التوحيد.

وقد وردت في هذا الموضوع عند شعراء توات، في فترة ما بين القرنين الحادي عشر والرابع عشر الهجريين عدة قصائد، وهي تستحق إفراد بحث خاص لها لشيوعها ولأهميتها، ولعل من بين تلك القصائد أرجوزةٌ مطولة للشاعر ابن ابَّ المزمري ـ وهو ليس من شعراء مدونتنا ـ، مطلعها :

(رجز)

« حمداً لمن في مُلكه تَوحَّدَا وَجَلَّ عن تعطيل من قد فُقدا

ثم صلاة الواحد الحَيِّ الصَّمَدْ على رسول الله المصطفى بلا أَمَدْ

وآله الكرام مَعْ صِحَابِهِ وكل من من غيه صَحَا به

وأستعين ربنا ذا الجود والفضل في التكميل في المقصُود ...»

وأثناء قراءتنا لهذه الأرجوزة ـ التي سماها "لُهْنَةٌ مُعَجَّلَةٌ" كما يذكر في آخر القصيدة ـ نجده قد ذكر في البداية، ما يجب لله من الصفات، وعَدَّدَها الواحدة تلو الأخرى وذكر منها: الوجود والقدم والبقاءوخلقه للخلق وكذا قيامه بنفسه وأيضاً الوحدانية والعلم والحياة.... وذكر الشاعر

بعدها ما ينتفي عنه تعالى من الصفات؛ وذكر منها:الفناء والعدم والحدوث والمضاهاة والافتقار وهو لا شريك له تعالى، وينتفي عنه تعالى العجز والكراهة ....الخ.

وذكرالشاعر بعدها ما يجب وما ينتفي على الرُّسل من الصفات، ويجب عليهم الصدق والأمانة والتبليغ، وينتفي عنهم الكذب والخيانة والكتمان، ويجب في حقهم المرض والأكل والنكاح.

وللشيخ محمد عبد الرحمن السَّكُّوتي قصيدة أخرى في الموضوع ذاته، ومما يقوله فيها:

(رجز)

« ...الله رحمانٌ سلامٌ مؤمنُ عزيزُ قُدُّوسُ وَلِيٌّ مُهيمن

مَلِكُ مُلْكٍ صبورٌ مُنتقمُ عَدْلٌ مُقَدِّمُ مُؤَخِّرٌ حَكيمُ

حفيظَ مُبد يءٌ رقيبُ نُورُ بَرُّ عَفُوٌّ مَاجدُ مَجِيدٌ مُقتدر

رحيمُ باسطَ رؤوفٌ ظاهرُ بَاطنُ قَيُّومُ قَوِيٌّ قَادرُ

غَنِيٌّ مُغْنِيٌّ مُتَعالٍ وَاحدُ حَسيبُ مُحصيُ حَيٌّ مُحيي وَاجِدُ

أَوَّلُ بَاقٍ حَقٌّ بَاعثٌ شَهِيدْ بَديعُ بَاريءٌ مُصوِّرُ مُعِيدْ

سَمِيعُ فَتَّاحُ بَصِيرٌ صَمَدُ خَبِيرُ قَابِضٌ حَمِيدُ أَحَدُ

رَشِيدُ مُقسِطَ حَكِيمٌ رَافِعُ مُعِزَّ خَافِضٌ مُذلٌّ مَانِعُ

لَطيفُ رَزَّاقُ وَدُودٌ نَافِعُ مُجيبٌ خَالِقُ مَتِينٌ جَامِعُ

شَكُورٌ وَهَّابٌ غَفُورٌ غفَّارُ عَليمٌ واسعٌ حليمُ قهَّارُ

مُمِيتُ وَارِثٌ مُقيتُ جبَّارُ عَظِيمُ ذَو الجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ ضَارُّ

هَادٍ كَبِيرٌ مُتَكَبِّرٌ جَلِيلُ كريمُ تَوَّابُ عَلِيٌّ وَالِيٌّ وَكِيلُ... »

فنلاحظ أن الشاعر قد رَصَّعَ نصه ببعضٍ من أسماء الله الحُسنى، يُمكننا التوصُّل إليها بيسر في القصيدة.

وقد أولى كبار المتصوفة اهتماماً كبيراً بأسماء الله الحسنى وصفاته، إما لتبيين فضائل إحصائها، أو لتوضيح فضل الدعاء بها؛ لكونها وسيلة من الوسائل التي تُوصل إلى مرضاة المحبوب عزَّ وجلَّ.

فها هو الكاشاني في معجمه يُخصص لها باباً مستقلاً عَنْوَنَهُ بـ:"إحصاء الأسماء الإلهية" يقول فيه: «هي التَّحقُّق بها في الحضرة الواحدية بالفنا عن الرسوم الخَلقية والبقاء ببقاء الحضرة الأحدية،وإنَّ إحصاءها بالتَّخَلُّقِ بها فهو يُوجب دخول جنَّة الوراثة بصحة المتابعة، وهي المُشار إليها بقوله تعالى: {أُولَئِكَ هُمُ الوَارِثُونَ الذِينَ يَرِثُونَ الفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونْ}... »[105].

ونجد صوفياً آخر هو أبو طالب المكي؛ يَذْكُرُ أحاديث عدة عن فضل الدعاء بالأسماء الإلهية، من بينها: «...رُوينا عن علي رضي الله عنه، عن النبي " أن الله تبارك وتعالى يُمجِّد نفسه كل يومٍ، يقول سبحانه وتعالى: إني أنا الله لا إله إلا أنا رب العالمين، إني أنا الله لا إله إلا أنا الحي القيوم، إني أنا الله لا إله إلا أنا العلي العظيم، إني أنا الله لا إله إلا أنا العفو الغفور، إني أنا الله لا إله إلا أنا مُبديء كل شيء ومعيده .... »[105]، ثم يُعلِّق أبو طالب المكي على هذا الحديث قائلاً: «...من دَعَى بهذه الأسماء كُتب من الساجدين المُخبتين الذين يُجاورون مُحمَّداً "، وإبراهيم وموسى وعيسى، والنبيئين صلوات الله عليهم أجمعين في دار السلام، وله ثواب العابدين في السموات والأرض ... »[106].

ونختم حديثنا هاهنا بما أورده القشيري بعد حديثه عن ضرورة معرفة الله تعالى، يقول عن صفاته عزَّ وجلَّ : « الحروف آياته، ووجوده إثباته، ومعرفته توحيده، وتوحيده تمييزه من خلقه، ما تُصُوِّرَ في الخيال فهو بخلافه، كيف يَحِلُّ به ما منه بِدْأُهُ ؟ أو يعود إليه ما هو أنشأه؟. لا تقابله الظنون، قُربه كرامته، وبُعده إهانته. عُلُوُّهُ من غير تَوَقُّلٍ، ومجيئه من غير تنقُّلٍ، هو الأول والآخر، والظاهر والباطن، والقريب والبعيد، الذي ليس كمثله شيءٌ وهو السميع العليم»[106].

وهذا كله يُبَرِّرُ ويؤسِّس لما ذهب إليه شعراء توات من حديث عن الذات الإلهية، وما تعبر عنها من أسماء وصفاتٍ، يجب على المُريد أن يُحصيها؛ وأن يستعين بها في دعائه.

4. 1. 2. محمد (النور المحمدي) في النص الصوفي:

تَعْتَبِرُ الصوفية محمداً صلى الله عليه وسلم نور الله الذي كان له وُجودٌ قبل وجود الخلق، فهو قَبْلَ كلِّ موجودٍ وبعد كل موجودٍ، وهم في ذلك يعتمدون على بعض الأحاديث النبوية، لَعَلَّ أكثرها شُيوعاً عندهم الحديث الذي رواه قتادة (كُنْتُ أَوَّلَ النَّاسِ فِي الخَلْقِ وَآخِرَهُمْ فِي

البَعْثِ) ، وحديث أبو نعيم في الحلية (كُنْتُ نَبِيّاً وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالجَسَدِ) ، ومن الأدلة عندهم أولِّيَتُهُ، وكون الأنبياء تحدثوا عنه، وبَشَّرُوا به وذَكَروا اسمه، قال تعالى، حكاية عن عيسى بن مريم {وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ } سورة الصف الآية 05.

وقال سهل بن عبد الله التستري في تفسير قوله تعالى: {إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً} سورة الأعراف آية 172، قال: « إن الله تعالى قبل أن يخلق آدم عليه السلام قال للملائكة: إني جاعلٌ في الأرض خليفةً، وخلق آدم عليه السلام من طين العِزَّةِ، من نور " »[107]، وهو نفسه ما ذهب إليه محيي الدين ابن عربي.

ولعلَّ أول من نادى بنظرية (فكرة) النور المحمدي هو الحلاج، وتقضي هذه النظرية: - كما أسلفنا- بقِدم نور سيدنا محمد" ، وتجعله مصدر الخلق جميعاً، فعنه صدرت الموجودات، ومن أنواره ظهرت أنوار النبوات، وما صور الأنبياء إلا صُوَرٌ من ذلك النور الأزلي؛ وقد كانت الصورة الكاملة في سيدنا محمد بن عبد الله خاتم النبيين وأول الخلق أجمعين. وقد عَقد الحلاج لشرح هذه النظرية أو الفكرة فصلاً في كتابه (الطواسين)؛ سمَّاه :" طاسين السِّراج"، قال في أوله: « طس سراجٌ من نور الغيب، وبدأ وعاد، وجاوز السراج وساد، قمرٌ تجلَّى من بين الأقمار، بُرجه في فلك الأسرار، سمَّاه الحق أمِّياً لجمع همته... »[40]، ثم قال: « أنوار النبوة من نوره برزت، وأنوارهم من نوره ظهرت، وليس في الأنوار نورٌ أنور وأظهر وأقدم من القِدم؛ سوى نور صاحب الكرم، همَّته سبقت الهمم، وجوده سَبَقَ العَدم، واسمه سبق القلم، لأنه كان قبل الأمم»[40] ثم قال: « الحق به وبه الحقيقة، هو الأول في الوصلة، هو الآخر في النبوة، والباطن بالحقيقة، والظاهر بالمعرفة »[40]. والظاهر أن الحلاَّج كان متأثراً في هذه النظرية بعناصر أجنبية؛ « فالعنصر المسيحي فيها ظاهرٌ، والنظرية ليست مسيحية الأصل، ولكنها يونانية نُقلت إلى المسيحية، ثم نَقَلها الحلاج إلى التصوف...» [108] على حدِّ قول عبد الحكيم حسَّان.

ونعتقد أن كثيراً من الصوفية ـ على غرار الحلاَّج ـ يعتبرون النور المحمدي باقياً بقاءً سرمدياً؛ يُنير هذا الكون بعد منام الرسول "، ذلك أن الرسول في نظرهم خليفة الله في الأرض وهذه الخلافة لم تُقيَّد بمكانٍ ولا زمانٍ، ولذلك فهو(الرسول) حاضرٌ مع كل كائنٍ بذاته في كل مكان وكل زمان، هذا هو تصوُّر الصوفية للنور المحمدي أو الحقيقة المحمدية كما يسمونها أحيانا، وهي تختلف عندهم عن الصورة المحمدية الجسدية، إذ الأولى مبدأ الحياة ومحور العالم وروح الأشياء والمنبع الذي يفيض منه على العارفين معرفتهم بالله، في حين أن الثانية تقتصر على حياةٍ بشريةٍ عاديةٍ أدَّتْ المهمة الموكولة بها في زمان ومكان معينين.

ويمكننا القول: إن فكرة النور المحمدي اتخذت لها مكاناً معتبراً في نسيج الفكر الصوفي، وكما كان لها أثرها في التصوف؛ كان لها أثرٌ مُماثلٌ في الأدب، « فقد كانت عاملاً هاماً في

استئناف مدح الرسول" على أسلوبٍ يتفق وهذه النظرية، بعد أن كانت المدائح في عهده لا تختلف عن المدائح العادية في الأدب العربي، ومُدَّاحُ الرسول عليه السلام وهم مشهورون في الأدب العربي يستقون من معين الحلاَّج وينسجون على منواله »[109]، وذلك في مختلف العصور الإسلامية، وسنرى أن هذا هو أيضاً ديدن شعراء مدونتنا.

لقد قمنا بهذا التقديم لنُبرِّر فصلنا المنهجي بين ما سمَّيناه النُّور المحمدي في أشعار القوم وبين مديح الرسول صلى الله عليه وسلم، فالأول يتعلق بتصور صوفي محض ينتقل فيه الرسول من طبيعة البشرية إلى طبيعة روحانية أزلية؛ فيها يُغنِّي الصوفي غناءه في الذات الإلهية، وتأتي اللغة المعبرة عن هذا الغناء غارقةً في الرمز والتجريد، أما الثاني ففيه تُذْكَرُ شمائل الرسول وخصاله ومعجزاته بلغةٍ بعيدةٍ كُلَّ البعد عن الرمز والإشارة الصوفيين.

ولما كان الشاعر في تعبيره عن الحقيقة المحمدية إنما يذوب فيها غناءً؛ ويلتحم بها عشقاً دون تمايزٍ بلغةٍ صوفيةٍ محضةٍ، بدا لنا أنها أَدْخَلُ فيما أسميناه الشعر الصوفي النظري في حين بدا لنا أن المديح النبوي يندرج في ما أسميناه بـ" الشعر الصوفي العَمَلي"، وذلك لما يتميز به من انفصال بين الشاعر والممدوح، وبما يتسم به من وضوح في اللغة والتعبير.

ونشير إلى أن شعراء مدونتنا لم يفردوا قصائد خاصة بالحقيقة المحمدية؛ ولكنهم تعرضوا لها أحياناً في قصائدهم المديحية؛ فتطرقوا للحقيقة المحمدية؛ وذكروا أزليتها؛ وتحدثوا عن أوليتها وآخريتها، وسنعرض أمثلة عن ذلك.

ويذهب شعراء مدونتنا هذا المذهب من أن نور الكون كله مستمد من نوره "، نسبة للحديث الذي يُروى عنه "، الذي يقول فيه: (أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ نُورِي) هذا النور الذي ظهر على وجه آدم فيما بعد كما يذكر أحد شعراء مدونتنا وهو سيدي محمد ابن المبروك الذي يكثر عنده ذكر ما يتعلق بالحقيقة المحمدية:

(سريع)

« في وجه آدم بَدَا ضَوْؤُهُ صَارَ إلى حَوَّى رواه منيب ».

ويَنسب الصوفية إلى الرسول" أنه أصل هذا الوجود، فلقد خُلِقَ قبل خلق آدم، وذلك ما روي عنه" في أحاديث عدة منها قوله: (خُلِقْتُ وَعَلَيٌّ مِنْ نُورٍ وَاحِدٍ قَبْلَ أَنْ يُخْلَقَ آدَمُ بِأربعةَ عَشَرَ أَلْفِ عَامٍ).

وقوله: (كُنْتُ نَبِيّاً وَآدَمُ بَيْنَ الطِّينِ وَالتُّرَابِ).

يقول في ذلك سيدي محمد ابن المبروك:

(كامل)

« ياربِّ صَلِّ على النَّبِيِّ مُحمَّدٍ أَصْلُ الوُجُودِ وَمَعْدَنُ الأَسْرَارِ».

فالنبي محمد " أصل هذا الكون ولولاه لم نسمع بشيء في هذا الكون.

يقول في ذلك سيدي محمد ابن المبروك:

(وافر)

« فلولا طه لم تَسمعْ بلَــوْحٍ ولا قَلَمٍ وَلاَ عَرْشٍ وَكُرسِـــي
وَلاَ بَعْثٍ وَلا قسطاسِ وزنٍ ولا عَدْنٍ ولا حَشْرٍ بهَمْــسِ
ولا نَارٍ تُعذِّبُ مَنْ جَفَــاهُ ولا صُورٍ وَلاَ تَكْوِيرُ شَــمْسِ
وَلاَ حُورٍ كَوَاعِبَ غَانِيَـاتٍ يَجُدن بطيبِ أفواهٍ وكَــأْسِ
ولاَ رَدُّ المَظَالِمِ كيف كانـت وإن قَلَّتْ كخرذَلَةٍ وفَلْــسِ
ولا عشرٍ ولا خمسٍ تُصلَّى ولا صومٍ ولا حجٍّ بعــنسِ
ولا سعيٍ يليه طوافُ بيتٍ ولا هديٍ بأنعامٍ وتيـــسِ
وما كُنَّا ولا كَانَتْ دُنَانَــا ولا حــرثٍ ولا بُستانِ غَرْسٍ»

فالنور المحمدي أصل كل هاته الأشياء، ونستطيع تصوير ذلك في الرسم التالي:

إذن:

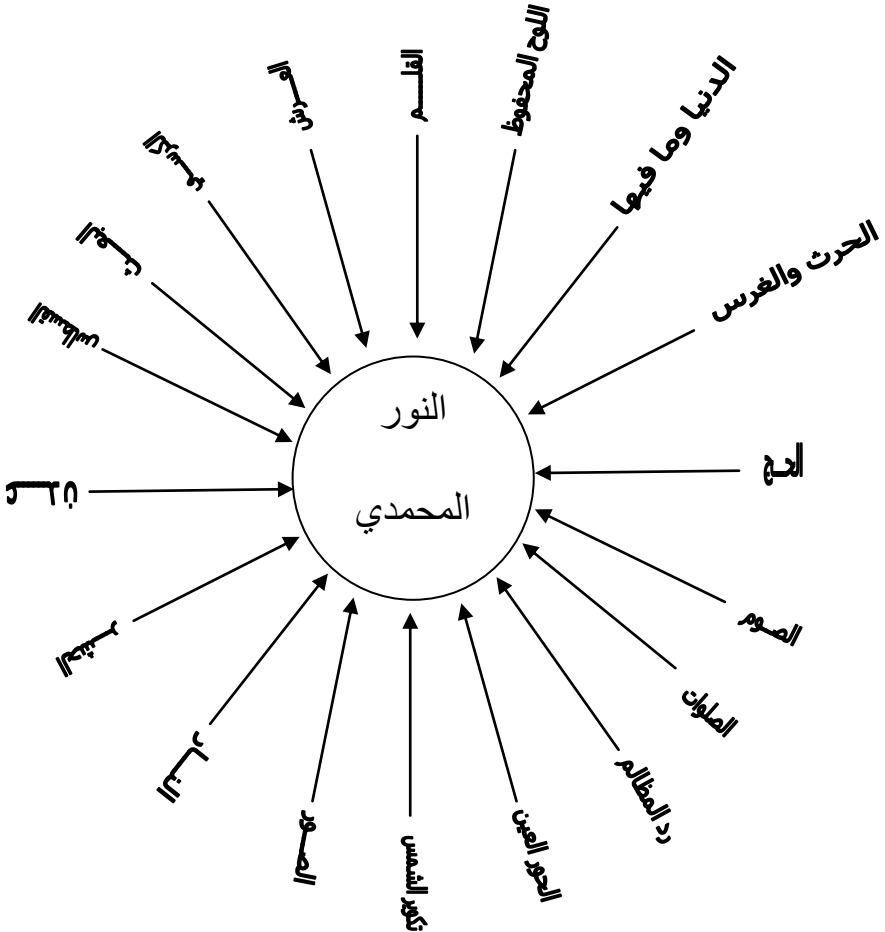

ويتردد هذا التصور في مجموعة من قصائد الشاعر ـ ذكرنا البعض منها فيما سبق ـ كلها تتحدث عن الرسول "؛ فهو عند الصوفية سِرٌّ مقدسٌ لولاه ما كان البشر، ولا كان الوجود قاطبة.

4. 1. 3. الشيخ في النص الصوفي:

تَبَوَّأَ الشيخ في التنظيم الصوفي مكانةً قُدُسيةً بوصفه الرابط بين الله والمريد، والمكمل لمهمة الرسول " التي بُعث من أجلها ، ولذلك هِيمَ به حبّاً كما هِيمَ بالنور المحمدي، وحيكت حوله الأساطير، ونُسجت فيه القصص الخيالية ودُوِّنت كراماته، واعتُبرت خوارقَ وفتوحاتٍ ربَّانِيَةٍ.

ولقد وردت في مدونتنا إشارات لبعض مستويات تقديس الشيخ، ففيها عَبَّرَ الشعراء عن ما يكنونه من حبٍّ دفينٍ لمشايخهم، وفيها استغاثوا بهؤلاء المشايخ ليحيطوهم بالعناية حتى تزول عن قلوبهم الحُجُبُ والأدران، كما أن هناك ذكراً لأسماء بعض المشايخ عبر ما تسمى بالسلسلة.

ونشير إلى أن أغلب القصائد التي يتحدث فيها الشاعر مع شيخه يقوم خطابها على ثنائية: الشيخ/ المُريد أو القطب/ السَّالِكُ.

فيجب على المريد أو السالك بدايةً أن يختار له شيخاً « فمن ليس له شيخ فشيخه الشيطان »[110] وأن يبقى على اتصالٍ به حتى بعد موته فقد « يموت الصوفي ولكنه يبقى مهتما بالحق »[111] كما يرى اليافعي.

ويذكر الشيخ سيد المختار الكنتي أنه على المريد أن يتواضع بين يدي شيخه، وهذا ما يعرف في عُرف الصوفية بالاطراح التام بين يدي الشيخ وذلك حين يقول: « إن المريد الصادق ملزمٌ بمُصاحبة المشايخ المربين بمشيئتهم لا بمشيئته، حتى يرى شيخه سماءً و أرضاً تُقِلُّهُ، تتجلى في شخصه ميمون التجليات وتقرب إليه بيمينه التَدَلِّيَات، لا يطلب عنه حولاً ولا يبغي عنه بدلاً »[112].

ومهما قيل في علاقة المريد بشيخه يظل القول الأهم فيها أنها علاقة ترابطٍ؛ تحكُمُها الطاعة الكاملة من طرف المريد لشيخه في السَّراء والضَّرَّاء، والحِلِّ والتِّرحال، ويمدحه خاصة بعد مماته فيتذكر مكارمه وَجُوده وفضله.

من الأمثلة على ذلك قول الشاعر ابن بادي الكنتي عند قبر شيخه باي:

« يا قبر من كان في الدنيا لنا الرَّشَدَا والعلم والنُّور والدستور والمَدَدَا
والمال والآل والأمَّ الشقيقة والـ أب الرَّفيق وكان الكَفَّ والعَضُدَا
عليك من دار قومٍ مُؤْمِنينَ مَضَواْ أسنى السَّلام وإنَّا لاَحقُونَ غَـدَا
أنْتُمْ لَنَا فَرَطٌ نحن لكم تبَـعٌ الله يأْمَنُنَـا من مكره أَبَـدَا »

فالشاعر مُعترفٌ بجميل شيخه؛ كيف لا وهو كان يمثل المرشد له، وكان العلم والنور والدستور والمدد والمال والآل والأم الشقيقة؛ وفي كلمة " الشقيقة" دلالة على القرب والرحمة والمودة، وكان الشيخ للشاعر/ المريد ؛كان له الأب الرفيق؛ وفي كلمة " الرفيق" كذلك دلالة بالغةٌ على الصحبة التي يفترض أن تكون بين كل أب وابنه، حتى يكون قريبا منه فيُطلع الابنُ والدَه على أسراره وهمومه، وكان كذلك الكَفَّ والعَضُدَ.

فالشيخ يمثل بالنسبة للشاعر/ المريد؛ ما يلي:

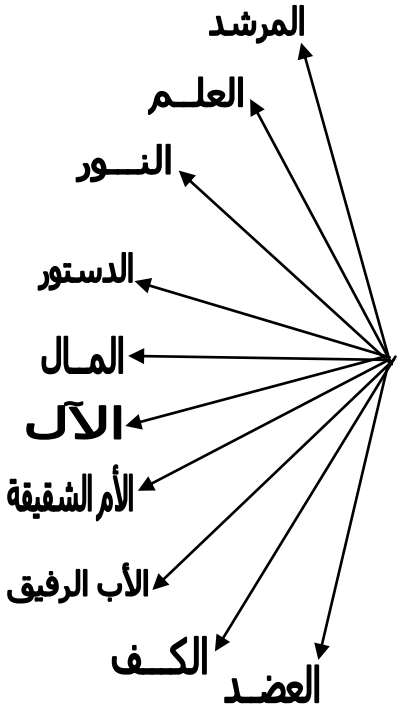

وكل هاته المتمثلات مهمة في حياة الإنسان فلا غنى له عنها.

ثم ينتقل الشاعر إلى الدعاء لشيخه:

« بحق سيدنا محمـد ربنـــا وآلـه لا تعذِّبْ شيخَنَا السَّيِّـــدَا

وخُفَّ بالروح والريحان روضَته واجعله في المَلَإِ الأعلى مَعَ الشُّهَدَا »

وهذا الدعاء طويلٌ طول شوق الشاعر/ المريد للقاء شيخه في جنة الخلد، التي فيها ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشرٍ، والنص على طوله يكشف صدق محبة الشاعر/ المريد لشيخه، وحرصه على الانتفاع بعلمه وبركته، وأن يمتد خير هذا الشيخ وبركته كذلك في أبنائه وذريته والصالحين من الأحياء والموتى والمريدين.

يقول الشاعر :

« يا رب بالمصطفى والآل أجمعهم والصحب والمقتفي وكل من عَبَدَا
والشيخ سيدنا المختار وعِتْرَتِهِ والشيخ سيدنا المختار من جهــدا
وشيخنا باي هذا من نلوذُ بـــــه وكل شيخٍ على أصل الهدى اعتمدا
وانبت بنيه نباتاً ربَّنَا حسنــاً ومن عَدُوّه اعْلِهِ منهم عُمُـــــدَا
ولا تَدَعْ حَاجةً لها رضِيتَ بِهَــا إلا وقضَّيْتَها وذَرَّيْتَها مَــدَدَا
يا ربِّ بالمصطفى آمن مواردها واقبل مقاصدنا وكُفَّ من رقــدا
واغفر لأمواتنا واغفر لنسواننــا واغفر لأحرارنا ومن غَدَا واغْـتَدَا
يا ربِّ يا ربِّ يا رحمان يا أحَـدُ يـا مالك الملك يا منَّان ما رَكَـدَا
بشيخنا باي صلته سالمــيــن ولا تقطع مــريــداً وإن كَسَدَا »

والنص الثاني في مدونتنا، والذي تتوضح فيه مرة أخرى علاقة الشاعر/ المريد بشيخه، هو للشاعر سيدي محمد إيداوعلي، لكن هذه المرة الشيخ ليس ميتا بل حي، والشاعر في هذا النص لا يكتفي بزيارة شيخه فحسب؛ بل يدعو كل مُحِبٍّ أن يزور محبوبَه؛ ولا يسمع لما يقوله العواذل من كلامٍ وإشاعاتٍ للتفرقة بينه وبين محبوبه.

وقبل أن نخوض غمار هذا النص نشير إلى ما أورده عبد الوهاب الشعراني أنَّ « مِنْ أَدَبِ المريد إذا زار شيخاً في قبره أن لا يعتقد أنه ميت لا يسمعه، بل الأدب أن يعتقد حياته البرزخية" لينال بركته، فإن العبد إذا زار وليا وذكر الله عند قبره، فلا بد أن ذلك الولي يجلس في قبره، ويذكر الله معه كما شهدنا ذلك مرارا مع الإمام الشافعي، ومع ذي النون المصري...، فإن لم يشهد ذلك فأقل مراتبه الإيمان بحياتهم المذكورة »[113].

وفي هذا كله اعتراف بمكانة هؤلاء المشايخ الذين تزار قبورهم ليس بغرض الوقوف عندها، بل للتبرك والترياق والانتفاع بهم والاعتراف بما قدَّموه، ويذهب علي زيعور إلى أبعد من ذلك في وجوب البحث والدراسة في بعض القضايا الهامة المتعلقة بقبور بعض الصوفيين،حيث يقول: « كثيرةٌ هي قبور الصوفيين التي تحتفظ بكرامات: فتشفى وتحفظ، وتصون من الخوف، وتقضي الحاجات، إن لقبور هؤلاء أفاعيلٌ جديرةٌ حقاً بالدراسة، فسُلطانها على النفوس، في اليقظة أم في الأحلام، بعيد الجذور وشديد الجور مما يُذكِّر بعبادة الموتى، أو تقديس الأسلاف »[114].

وهذا كله يجعل الشيخ يحتل مركزاً مهمّاً في الخطاب الشعري عند الصوفية، فالقضية تتعدى القرار والتمكين، لتصل إلى العقيدة والدين، وكذا الوقوف عندما أوتي الشيخ من عِلمٍ وأخلاقٍ فضلاً من ربِّ العالمين.

نعود للحديث عن قصيدة الشاعر سيدي محمد إيداوعلي التي افتتحها بفعل أمرٍ هو: " زُرْ" والذي غرضه التحضيض، وهي دعوةٌ صريحة لزيارة المشايخ والأحبة، ودعوة الشاعر لنفسه بزيارة شيخه " سيدي البكري" وعدم الاكتراث بأقوال العاذلين والوشاة.

يقول الشاعر مبتدئاً نصه بمقدمة غزلية:

(بسيط)

« زُرْ من هويت ولا تصبو لمن عذلا على هواه وسُقْ لربعه الإ بلا
وحُثَّ للسيد البكري رِكَابَ مِنَـــي تَجِدْ من العلم عند بابه الأمـلا
واذكر كريماً قَصَاهُ للعُلى خلـــقٌ عذبٌ وفاز بسؤْلٍ من به نَزَلا
وحيِّي منِّي حبيباً طال ما فَتَحَـــتْ مفاتح العلم منه للنُّهى سُبُـــلا
ومن تحلَّتْ له العلوم وانْكَشَفَـــتْ له رُموزُ السَّادات الفُضَـــلا »

ويواصل الشاعر ذكر مكارم وفضائل شيخه، موجهاً خطابه إلى آخر، على طريقة الشاعر الجاهلي امرؤ القيس الذي افتتح معلقته الشهيرة بقوله " قفا نب ك"؛ وصال الدارسون وجالوا في البحث عن هذين الذين وجه إليهما الخطاب، أهما صديقاه، أم صديقه وناقته، أم ناقته ونفسه... فشاعرنا كذلك يجعلنا نذهب كل مذهبٍ في معرفة المخاطَب (زُرْ ـ أنت)، وعموماً فالشيء الذي ندركه لأول وهلةٍ وهو أن الشاعر يعترف بمُريديته عند شيخه؛ الذي ألهمه بكتابة هذه القصيدة، والتي يرسلها إليه ليصلح ما اعوَجَّ فيها؛ ويقطع ما يشينها كما يقطع القَرْمُ الجلدة الضارة من أنف البعير.

يقول الشاعـــر:

« ومن أبـان هَوَاهُ مِنْ جَوَانِحِنَـا قصيدةً نظمها يَرِقُّ مَنْ عَقَـــلا
لَعَلَّ مَنْ نُسِجَتْ لَـــهُ يُهَذِّ بُهَا إِذْ هُوَ قَرْمٌ يُدَاوِي جَهْلَ مَنْ جَهِـلاَ
هو الذي لَمْ يَزَلْ إِحْسَانُ فِطْنَتِـهِ مِنَ القَرِيضِ المَرِيضِ يُصْلِحُ العِلَـلاَ
هو الذي إن عَجَزْتُ عَنْ زيارته عَجْزاً صُراخاً وَخَابَ سَعْيُ مَنْ بَخِلاَ
زَارَتْهُ بِكْرٌ مِنَ الأشعار نَاظِمُهَا عَنْ شَيْخِهِ قَدْ كَسَاهُ عَجْزُهُ الخَلَـلاَ
هُو الذِي لم تزل تَفْرِ أَنَامِلُهُ بِخَطِّهَا مِنْ ذَوِي الضَّلالةِ الحِيَـــلاَ »

فالخطاب في هذا النص يُظهر لنا بجلاءٍ أنَّ الشاعر مُحتفيٌ بشيخه، وهو أيضاً يذكر لنا بعضاً من صفاته وخصاله، وكأنه يدعونا إلى أن نعذره في محبة هذا المحبوب، لأنه متميز في صفاته وأخلاقه فهو (كريم) يفوز من يسأله، وانفتحت له مفاتح العلم، وانكشفت له رموز الصوفية الفضلاء، وخاض بحر العلم بعقله، ومتضلع في علم المنطق، وهو أيضاً بارعٌ في الكتابة والتأليف، وهو " قَرْمٌ" وقاض يعدل بين الناس، ولا يَرُدُّ مبتغيه بلا....

ثم يرسل الشاعر سلاماً لأبناء شيخه، مُظهراً لهم المحبة في الله.

يقول الشاعر:

« وابلغ بنيه سلاماً طيِّباً عاطـــراً يعمُّ عرف شذاه السَّهل والجبلـا
وخذ قريض عُبيدٍ جاء مُبتهـــلاً عُذراً عليه من الأكابر النُّبَـــــلا
وقُلْ لهم إن قلبي مُذْ هويتهُـــمُ ما زال في حبهم في الله مشتغـلا
أنا الذي أبتغي ما يبتغيه الـــذي من الإله وربِّ خَيْرَ مَنْ وَصَـــلا
مازلت أطلبـــه في كل آونـةٍ ولا يَرُدُّ كريمٌ كفَّ من ســـــألا
مازلتُ أسأل من مولاي لي ولهم ظلاً ظليلا بظل العرش متَّصـــلا
ولم أزل أسأل الرَّحمن لي ولهـم سِتْراً جميلاً على الغفران مشتملا »

فالخطاب هنا جاء متصاعداً يرتقي فيه الشاعر من إظهار محبته لشيخه والرغبة في زيارته؛ إلى ذكر بعض أخلاقه ومناقبه؛ إل ى الدعاء له بالتظلُّل تحت عرش الرحمن والنعيم في الجنة.ويمكننا أن نُصوِّر هذا الارتقاء والتصاعد في الخطاطة التالية:

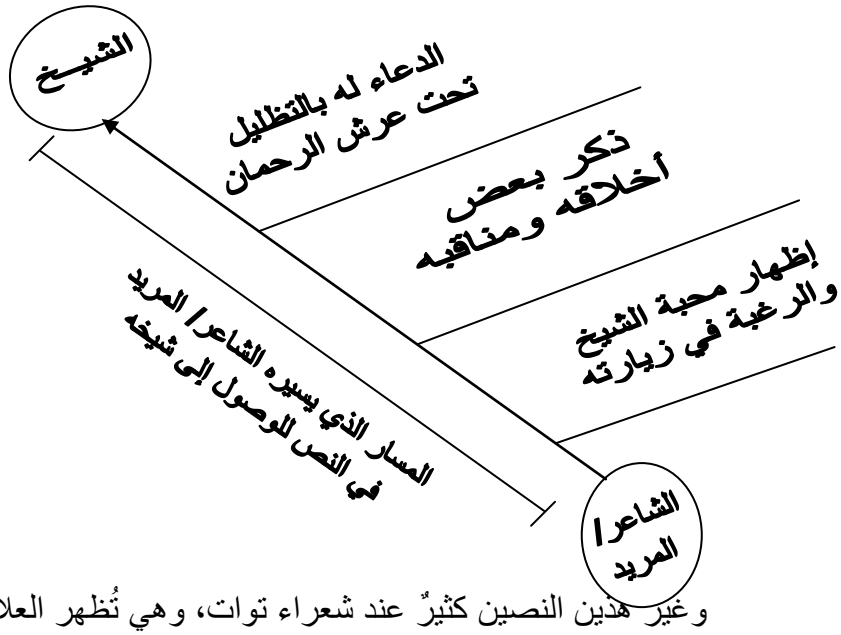

وغير هذين النصين كثيرٌ عند شعراء توات، وهي تُظهر العلاقة الوشيجة التي تربط الشاعر/ المريد بشيخه.

4. 2. الفصل الثاني:الأغراض العملية

4. 2. 1. مديح الرسول (صلى الله عليه وسلم):

تكاد تخضع كل المدائح النبوية الموجودة في المدونة إلى بنيةٍ ثابتةٍ لا تحيد عنها، ولقد تواترت هذه البنية خاصة عند الشاعر سيدي محمد ابن المبروك بدرجةٍ أوشكت فيها القصيدة

المديحية أن تكون استنساخاً لأصلٍ معيَّنٍ؛ وتقليداً لمثالٍ سابقٍ إذ لا نكاد نجد إلا تعديلاً بسيطاً في هذا النمط.

وهذا النمط المشترك الذي تخضع له القصيدة المديحية يتألف من عناصر ثلاثة لابد للشاعر أن يحترمها تِباعاً ، فلا يقدم فيها ولا يؤخر وهي:

1 - مقدمة طللية/ غزلية: فيها يذكر الشاعر أوصاف المتغزل بها، ويبكي أعصر الصبابة والوصال، يَخْلُصُ منها إلى العنصر الثاني وهو الغرض الرئيس.

2 - المديح النبوي: ويتمحور حول سيرة الرسول" العطرة وسنته ومنهاج حياته وشمائله وفضائله وبطولاته وانتصاراته ومعجزاته، ومن هذا المديح ينتقل الشاعر إلى العنصر الثالث.

3 - الدعاء والصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم): وفيه يدعو الشاعر مصلياً على النبي الكريم وآله وصحبه والتابعين، وقد يسبق الشاعر أحيانا هاته التصلية بالدعاء له بالمغفرة وحلول شفاعة النبي الكريم له يوم القيامة.

ولمَّا كانت جل النصوص تلتزم هذا النسق وهذه البنية مع تَغييرٍ طفيفٍ، رأينا أن نقتصر على نصٍّ واحدٍ يكون أنموذجاً لتشَكُّلِ المديح عند شعراء توات، وهذا النص المُختار للشاعر سيدي محمد بن المبروك بعنوان " بان الشيب في جسدي "، وما هذا النص باليتيم في ديوان الرجل، وإنما اقتصرنا عليه كشاهدٍ على بقية النصوص، لأن دراسته تُلقي الضوء على بقية النصوص الصوفية المديحية لخضوعها في هيكلها العام إلى نسقٍ واحدٍ.

النص:

قصيدة " بان الشيب في جسدي " من بحر البسيط

« [1] بانت سُعاد و بان الشيب في جسدي *** وأضرمت جُذْوةَ الجحيم في كبدي
[2] قد كنتُ ذا شَغَفٍ بها أعاهدهـا *** و أطرِقَرَّها بـذي الأسباب و الوتد
[3] و طال مالطَمَتْ خدي ذؤابتـها *** و قبلتني بها يَفْتَرُّ عَنْ بَـرَد
[4] عظيمه العَجُز بَضَّةٌ و كاعبـة *** بأربع تُقْبِلَـنْ إن مددت يَـدي
[5] لكشحهـا أجْتَني ثمـار بهجتـها *** تُعا نق الصَبَّ بالزَّنْدَيْن والعَضُد
[6] تَزري بشمس الضُّحى والبدر إن كشفت ** * عن وجهها الشَّجي لا تَخفى على أحد
[7] عجبت مُذْ قطعت حبل الوصال وقد *** رَدَّتْ إليَّ سهام الصَّدِّ و الكَمَد
[8] و خلَّفتنـــي بربع لا أنيس بـــه *** سوى السَّفْت و ما يَهُول من أسد
[9] قالت لدى البين لا تَطَأْ بساحتنـا *** قد صار فُؤْدُك مثل العِهْن لم يعد
[10] وأحْدَوْدَبَ المتن وانطوى الأديمُ *** وما أراك إلا قد ابتليتَ بالـدَّرد
[11] إليك عني فأيام الصِّبا ذهبـت *** ولست آنسُ بالمشيب للأبَـد
[12] فللوصلُ من مثلنا ءالٌ ببلقعـة *** تظُنُّـه الرَيَّ إن طلبت لم تَجِد
[13] فشَمِّرِ الذَّيْل عن ذكرى تَغَزُّلنـا *** وعامل الله بـالإخلاص واجتهد
[14] دَعِ الَتَّصَابي لا تسلك محَجَّتَـه *** إن المعاصي نَهْجُ الكفر والوَقَد

[15] وتُبْ لمن صَوَّرَ الورى بقدرتـه *** ربُّ العباد الإله الواحد الصَّمد
[16] يَقْضي بحُكم سَوِيٍّ لا مَرَدَّ لهـا *** قضـاه يفعل مـا يشاء إنْ يُـرد
[17] ولا تغرَّنَّـك الدُّنْـيا وزهرتُهـا *** لأنـَّه خُلق الإنسان فـي كَبـد
[18] واسْلُك سبيل رسول الله قدوتُـنا *** ودُمْ على دينه القويم لا تَحِـد
[19] شَيِّـعْ محاسنه تَظْفر بفائـدة *** يفدى بها مَنْ جنى مِنْ رِبْقة القَوَد
[20] أختاره الله من أعلا الورى نسباً *** لوحيـــه آيةٌ جَلَّتْ عَنِ العَدَد
[21] منـــها حنين الجذع حين بَدَّلـه *** بمنبر صنعةُ النَّجَّار من عَمَـد
[22] وكِلْمةُ الضَّبِّ في نادي صحابتـه *** وظبية الصَّيْد إذ حَنَّتْ إلى الولـد
[23] وقصة الجمل الذي اسْتَغاث بـه *** مـن اليهود عليهم لعنة الأحـد
[24] وماءُ ذات المزاد تين في سَفَـر *** منه روى الجيش أخذ الماء في الجَدَدِ
[25] لكنـَّه فاز بعد شُرْبِهِمُ كرمـا *** وزادها أَرَشٌ أَخْذُ الماء في الجَدَدِ
[26] وجـاش ماءٌ كثير من أصابعـه *** للقوم إذا قحطواْ ريَّ بلا رَبَـد
[27] وَرَدَّعينَقُتلدة التيقُلِعت *** فيغَـزْوةٍلمكـانهـا بخير يَد
[28] بـناءكسرىتداعيـيـوهولـده *** من أجل ذاك ثوى بالغِلِّ والحَسَـد
[29] ونـــارُ فارسٍ أُخمدت وماؤهـم *** قد غَارَ لم يعلموا ما حَلَّ بالبلـد
[30] وأسفر الليلُ عن ضياء وجْنَتـــه *** يَرَى الحجازيُ أرضَ الرُّوم من بَعَد
[31] وقصَّـــة الغار في أيَّام هجرتـــه *** والعنكبوت وذات البيض في السَّدَد
[32] خَفـي بذاك عن عيون طالبـــه *** ومَـدَّه ربُّـــه بأحسن المَـدَد
[33] قد اقتفـى إثرهُ سُراقـة ورأى *** من العجائب ما يُغني عن العَـدد
[34] وفِهْرُ أُمِّ جميلٍ إذْ أتته بِـــه *** رامَـتْ إذايتـه رُدَّتْ ولَمْ تَكِد
[35] مُـذْ جَاءَ في ذمِّها حَمَّالة الحَطـب *** في جيدها سَبْتٌ يُحكى مِنَ المَسَد
[36] هـو الشَّفيعُ غداً في الخلق كُلهـم *** حتَّى اليَهود وأهل النَّفْث في العُقد
[37] نخيل سلمان أثمرت وقد غرسـت *** فـي عامها وقضى كتابـة وفـد
[38] قَدْ كـان يَرْصُـدُ بعثةَ النَّبيّ ولم *** يَبْرَحْ إلى أنْ أتى لجيشه الحشـد
[39] أنصـارُه المُرتضين حَـلَّ أرضَهم *** ء اووهُ بالسَّيف والتَّرحيب في الوَمَدِ
[40] وجاء مـن هاجـر الكفَّارُ نَحْوهُـمُ *** فصار بَعْضُهُـمُ للبعض كالعَضُد
[41] قامـواْ بِأَمْـر النَّبـي لنصـر مِلَّته *** وجاهدواْ الكُفْر حتّى باءوا بالكَسَد
[42] فَسَلْ تبوكـاً وبدراً عـن قتالهـم *** وسـل حُنيناً ويوم الفتح مَعْ أُحُد
[43] ينبئك عن مـا جرى ببذل أنفُسهم *** نحـو الجهـاد بلا حَـدٍّ ولا أَمَد
[44] وأظهرواْ الدين واستَوَتْ قواعِـدُه *** وخلفوا سِرْبَهُمْ في عيشة الرَّغَـد
[45] ياربِّ صَلِّ على محمّـد وعلـى *** ءالـه والصَّحب والأتباع والوَلَد »

يقع النص ـ كما هو واضحٌ ـ في خمسةٍ وأربعين بيتاً من بحر البسيط، وقد التزم فيها الشاعر بالهيكل العام للنبويات (قصائد المديح النبوي)، والذي يتكون من ثلاثة عناصر تكوينية وردت في القصيدة تباعا على النحو التالي :

المقدمة – (النسيب) من البيت رقم:01 إلى البيت رقم: 19.

الغرض الرئيس – (مديح الرسول) من البيت رقم: 20 إلى البيت رقم:44.

الخاتمة – (الدعاء) البيت رقم:45.

وفي العنصر الأول يقف الشاعر عند ذكر اسم المحبوبة (سعاد) وما تميزت به من محاسن، والتي جعلتها فتنة للناظرين.

والشاعر في هذه المقدمة الغزلية بنى قصيدته سيراً على نهج قصيدة كعب بن زهير المشهورة " بانت سعاد " وكذا شاعر الرسول حسان بن ثابت في بعض قصائده.

وبعد عنصر المقدمة الغزلية والتي قد تكون في قصائد أخرى طلليه يخلص الشاعر إلى غرضه الرئيس عبر الأبيات التي يتحقق فيها الارتحال فنياً من الواقع المدنس بالخطيئة والذنوب، إلى واقعٍ آخر مقدَّسٍ يَنْشُدُ فيه الشاعر التوبة والرجوع إلى جادة الصواب:

« قالت لدى البين لا تطأ بساحتنـــا قـد صار فؤدك مثل العهن لم يعد

واحدودب المتن وانطوى الأديم وما أراك إلا قد ابتليـــــت بالدرد »

إلى قوله:

« دع التصابي لا تسلك محجتـــه إن المعاصي نهجُ الكفر والوَقَـــد

وتُبْ لمن صَوَّرَ الورى بقدرتـه ربُّ العباد الإله الواحد الصمـــــد»

وصولً عند قوله:

« واسْلُكْ سبيل رسول الله قدوتنـــا ودُمْ على دينه القـــويم لا تَحِـدِ

شَيِّعْ محاسنه تظفر بفائـــدة يُفدى بـــه من جنى من ربقة القـود »

لقد كَرَّسَتْ هذه الأبيات التي تشكل قنطرة بين المقدمة والغرض الأساس للدعوة إلى التوبة، وترك التصابي، ولكن أليس الرسول وسيلة إلى رحمةً الله وشفيعاً في جنته؟ وبالتالي ينبغي لمن كانت الرحمة مطلبه أن يتوجه بالثناء والتبجيل والشكر لوسيلتها، وأن يرتمي في أحضانه ويمدحه عساه يظفر بمطلبه.

ويواصل الشاعر في هذا النص تصوير معجزات الرسول "، ويمكن أن نرد ما جاء من مدح في هذا الجزء الأساسي من القصيدة إلى ثلاثة محاور ذكر فيها الشاعر معجزات الرسول ثم ذكر مولده وعاد بعدها لإتمام معجزات الرسول "، وختمها بالحديث عن غزواته.

1 -معجزات الرسول:

أ - حنين الجذع.

ب -تكليم الضب.

ج - قصة الظبية التي حَنَّتْ لأولادها.

د - قصة الجمل الذي استغاث بالرسول ".

ه - ماء ذات المزادتين.

و - نبوع الماء من بين أصابعه ".

ز - رَدُّ عين قتادة.

ح - قصة غار حراء.

ط - رؤية سراقة للعجائب لمَّا تبع الرسول ".

ي - فهر أم جميل.

ك - نخيل سلمان التي أثمرت في عامها

2 -ذكر ولادته:

أ - انهداد إيوان كسرى.

ب - خمود نار فارس.

ج - غور الماء.

د - أسفر الليل عن ضياء وجنته.

3 - غزواته:

أ - تبوك.

ب - بدر.

ج -حنين.

د - فتح مكة.

ه - أحد.

بعد هذا التصوير الملحمي للرسول " يبدأ الشاعر بالعنصر الثالث والأخيـــر (الخاتمة) وهو الدعاء والتوسل، وقد جاء قصيراً جداً في هذا النص، لكنه قد يكون أطول وأوسع في نصوص أخرى، وقد جاء هذا العنصر في النص الذي بين أيدينا في بيت شعري واحد تضمن الصلاة على النبي " وعلى آله وأصحابه وأتباعهم وذرياتهم .

يتجلى من هذا العنصر الختامي ـ في هذا النص ويتضح خاصة في نصوص أخرى في المدونة ـ أن للمديح وظيفةٌ نفعيةٌ تكفيريةٌ، إذ أن النوال المطلوب من الشاعر ليس مالاً يحصل عليه ولاحظوةً يَنْعَمُ بها، وإنما يريد منه رحمةً تكون له عُدَّة للأهوال، فكل ما يريد الشاعر من وراء مدحته النبوية إنما هو البحث عن الخلاص الأخروي والأمل في النجاة يوم الحساب، ولذا نجده يتضرع إلى رسول الله " بهذا النداء والتوسل والدعاء؛ يلوذ به ويطمع في شفاعته، فهو أكرم الرسل، وهو الذي أوعد من مَدَحه ولو بشطر كلمةٍ بالجنة، فيتمنى الشاعر أن يدخلها؛ كيف لا وهو الذي طرَّزَ في مدح الرسول " القصائد الطوال.

لقد وضعت هذه القصيدة المديحية في هيكلها العام قالباً جاهزاً التزم به معظم شعراء منطقة توات، فلقد بدأت بعنصر النسيب حيث الهروب من الحاضر المدنس بالذنوب، والركوب إلى

ماضي بطولي مقدس (مديح الرسول ")، ثم في الأخير يتجه الشاعر للدعاء للرسول الكريم "
والتوسل به طلبا للخلاص والشفاعة يوم القيامة.

ويمكن بناءً على هذا التصور العام تجسيم بنية القصيدة المديحية عند الشاعر سيدي محمد ابن المبروك كما هي عند غيره من شعراء المدونة؛ وشعراء المنطقة ككل في الرسم البياني الآتي:

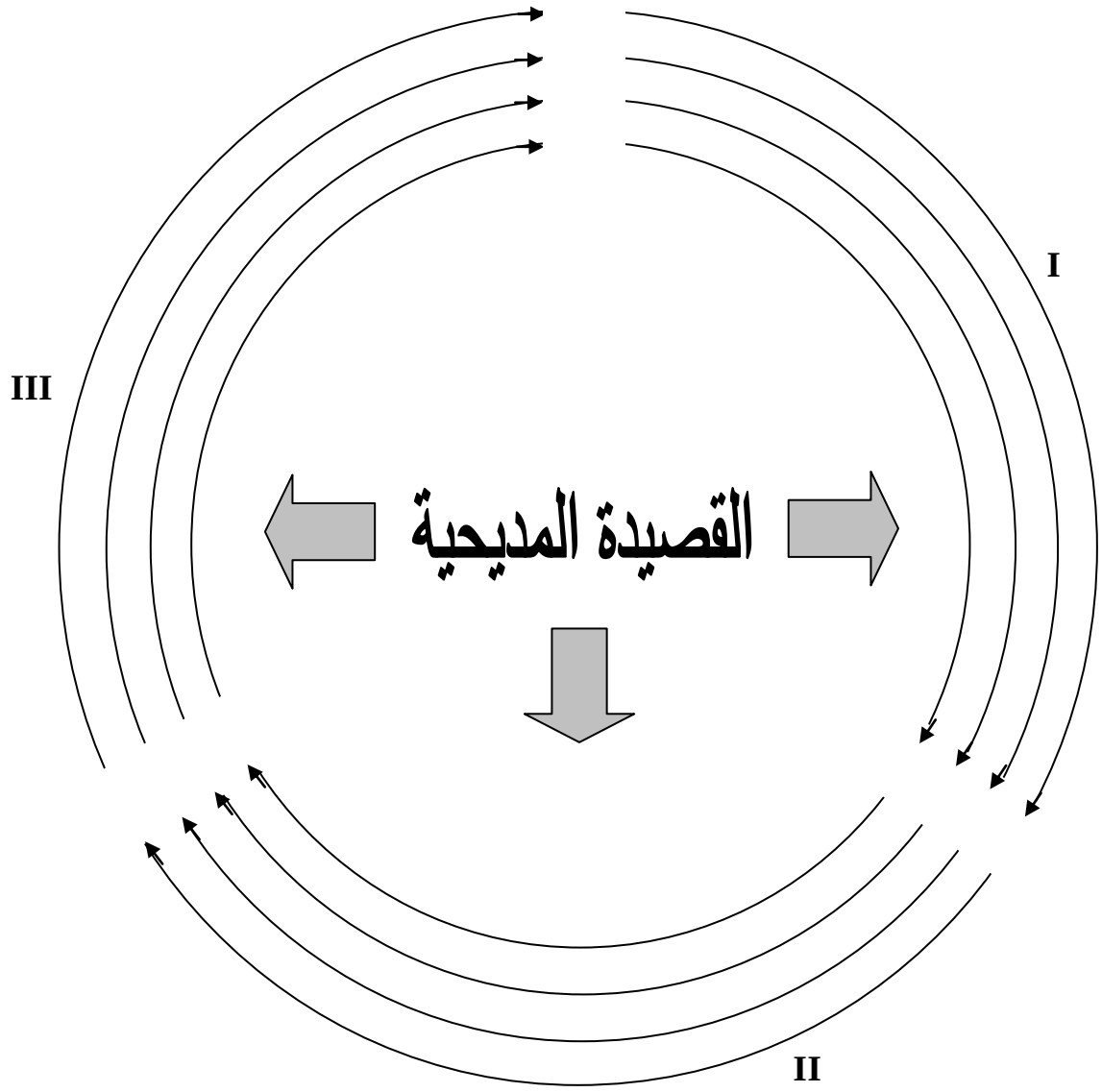

تجسيمٌ لبنية القصيدة المديحية:

1 -تشير الدائرة الداخلية إلى الأبعاد التشخيصية:

(1- الشاعر، 2- النبي، 3- الله).

2 -تشير الدائرة الوسطى إلى العناصر التكوينية:

(1- النسيب، 2- التصور الملحمي للرسول، 3- الاعتراف وطلب الخلاص والدعاء).

3 -تشير الدائرة الخارجية إلى الغايات الوظيفية:

(1- بدء الرحلة، 2- تحقيق الرحلة، 3- نتيجة الرحلة).

أما إذا توجهنا شطر النصين اللذين كُتبا بطريقةٍ غير مألوفةٍ، فإننا سنعتبرهما "صورةً"، وقبل أن نلج معاني كلٍّ منهما، أرى أنه من الواجب الإشارة إلى بعض النقاط نوجزها فيما يلي:

فالنص الأول يُصوِّرُ شكل نجمة، ويمكننا أن نتساءل عن علاقة ذلك بموضوع القصيدة، الذي هو المديح النبوي. وجواب ذلك في نظرنا هو أن الشاعر موقنٌ بالمكانة الرفيعة للنبي "، لذلك ارتأى أن لا يقدم نصه بالطريقة والشكل المعروفين للقصيدة العربية، وإنما أراد أن يقدم وَشْياً وحُلَّةً، كيف والممدوح مزكًّى من طرف الله سبحانه وتعالى، الذي يقول عن نبيه " : {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} سورة القلم آية 04.

يقول الشاعر مُبيّناً هدفه من تقديم هذا النص:

(سريع)

« فانسج له وشي الثنا حُلّةً وانظم له حِلْيَ الثّنَا جَوْهَرَا »

والشاعر يطمع أن يكون هذا المدح سبباً في أن يُسقى من نهر الكوثر، وها هو يُنشد في ذلك:

« عساك يوم العرض حين الظما تكون مِمَّنْ أوتي الكوثرا»

وهو يقف عاجزاً ككل الشعراء عن عَدِّ أوصاف المصطفى "، وهو يعترف بذلك قائلاً:

«مع اعترافٍ أنَّ أوصَافَهُ عنهُنَّ كُلُّ واصفٍ قَصُرَا»

فشكل النجمة التي كتب النص على صورتها، تحيلنا على النجوم ووظائفها المختلفة، ونحسب أن لها أربعة وظائف:

أولاها: وهي وظيفة جمالية تزيينية للسماء، يقول تعالى: {وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ...} سورة الملك آية 05. ويقول أيضاً :{... وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً ... } سورة فصلت آية 12.

ثانيتها: وظيفة الهداية، هداية الحائرين في ظلمات البَرِّ والبحر، يقول تعالى : {وَهُوَ الذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَاتِ البَرِّ وَالبَحْرِ ....} سورة الأنعام آية 97.

ثالثتها: وظيفة طرد الشياطين الذين يسترقون السمع، يقول الله تعالى: {وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ} سورة الملك آية 05.

رابعتها: هي تسبيح الله وذكره وعبادته، يقول سبحانه تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالجِبَالُ....} سورة الحج آية 18.

وهذه الصفات كلها موجودة في النبي الكريم "، فشمائله الخَلقية والخُلُقية تُبهر العقول وتسلب الألباب، يقول حسان بن ثابت:

« وأجملُ منك لم تَرَ قطّ عيني وأفضلُ منك لم تَلِدِ النِّسَاءُ

خُلقت مبرءاً من كلِّ عيبٍ كأنّك قد خُلقت كَمَا تشاءُ »

وهو أيضاً مبعوثٌ ليُخرج الناس من عبادة العباد، إلى عبادة ربِّ العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة، ومن جور الأديان وبطشها إلى سماحة الإسلام وعدله. يقول تعالى مخاطباً نبيه ":{ أَلَرَ..كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ العَزِيزِ الحَمِيدِ} سورة إبراهيم آية 01.

وقد دافع النبي " عن الإسلام، وطرد عنه كل العابثين والراغبين في تشويهه، وهي المهمة الحضارية المنوطة بكل مسلم.يقول الله تعالى: {مُحمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءٌ عَلَى الكُفَّارِ... } سورة الفتح آية 29.

ويُمكننا أن نعتبر القصيدتين عبارة عن أيقونة ذات نسقٍ جماليٍ (مُصوَّرة)، أو علامة تعطي أهمية بالغةً للشكل، وتَتَبُّعِ الخطوط المكوِّنة لكل قصيدةٍ؛ لتستوي الصورة في الأولى على شكل نجمة وفي الثانية ـ كما سيأتي ـ على شكل كوكبٍ، وهنا لا يكتفي القاريء برؤية هاتين الصورتين أمام عينيه فقط (يسمى هذا بالصمت اللغوي عند رولان بارث)، وإنما يسعى إلى إعطائهما معنىً ما، لأن هدف العلامة هنا ليس للإشارة فقط إلى الوجود المحض، وإنما هي الدلالة على أمرٍ ما، لتتشكل بذلك ما سمَّاها بارث بـ" لذَّة النص " (plaisire du téxte).

وفي القصيدة الأولى (التي جاءت على صورة نجمة)، أَبَى الشاعر إلا أن يُقدم قصيدته بشكل مختلف ـ كما أشرنا سلفاً ـ شكل الصورة، لتُشكِّلَ ما يُعرف بـ " خطاب الصورة "، وامتنع عن تقديمه عن طريق الخطاب اللفظي وحده، ونشير هنا أن الخطاب اللفظي يقبل التفكيك إلى عناصر يقوم المتلقي بإعادة تركيبها ليحصل له معناها، في حين أن خطاب الصورة تركيبيٌّ، لا يقبل التقطيع إلى عناصر صغرى مستقلةً بحيث تبدو الصورة ككتلة تَختزِن في بنياتها دلالات لا تتجزأ، وهو ما يُكسبها طاقةً إبلاغيةً لا تُضاهى، هذا من ناحيةٍ ومن ناحيةٍ أخرى فإن علامات اللسان وحدها تقوم على الاعتباط والمواضعة (أي العلاقة فيها بين الدال والمرجع غير معلنةٍ) في حين أن الصورة تقوم على التشبيه والمواضعة.

وإذا ركَّزنا في كلا النصين على الرسالة فسنجد أن الهدف من كتابتهما يتفرع إلى هدفين:

الهدف الأول: وهو مدح النبي " بالثناء عليه وذكر بعضٍ من شمائله وخصاله، أما الهدف الثاني وهو تقديم صورةٍ استعارية للنبي الكريم " من خلال تشبيهه بالنجمة في القصيدة الأولى؛ أو الكوكب في القصيدة الثانية. ومنه سنشارك جاكوبسون فيما ذهب إليه أن الخطاب الأدبي يختلف عن غيره من أنواع الخطاب بتركيزه على الرسالة، فالقصيدة تُلفتنا إلى شكلها وصورها ومعناها الأدبي، قبل أن تلفتنا إلى الشِّعر أو القاريء أو غيره، أما إذا تأملنا الأمر من منظور القاريء أو المتلقي فإنه يُمكننا القول إن القصيدة ليس لها وجودٌ فعليٌّ إلا عند قراءتها؛ وإن معناها لا يُمكن مناقشته إلا بقُرَّائها. إننا لا نختلف في التفسير إلا لأن طرائقنا في القراءة مختلفة، ولأن القاريء هو الذي يطبق الشفرة التي كُتبت بها الرسالة فيحقق معناها؛ وإلا ظل المعنى مجرد إمكانٍ فحسب. وإذا تأملنا أبسط أمثلة التفسير وجدنا أنَّ المُستقبِل غالباً ما يكون منغمساً في تشكيل معنى.

ونشير إضافةً إلى كل ما سبق أن التعايش بين الصورة واللغة قديمٌ؛ وضاربٌ بجذوره في عمق التاريخ.

وإذا كان " بيوزنس " قد اعتبر " الخطاب اللفظي " نظام مباشر والكتابة نظامٌ بديلٌ، فإننا نعتبر أن كتابة النص الشعري بالطريقة المألوفة نظام مباشر، أما الكتابة على طريقة نصينا السابقين، فهي نظامٌ بديلٌ (من الدرجة الأولى).

والنص الثاني كذلك موضوعه المديح النبوي، وهو يشير بطرفٍ خفيٍ إلى ما يسميه الصوفية بـ " النور المحمدي ".

وقد صور الشاعر قصيدته على شكل كوكب، ومن خصائص الكوكب الاستدارة والإنارة، وقد صَوَّرَ الله تعالى نوره الذي أضاء به السماوات والأرض تصويراً رائعاً حيث يقول: {اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ المِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّها كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَ شَرْقَيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ

نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } سورة النور آية 35.

وهذا النور الذي في الكواكب يُشعُّ جمالاً وبهاءً في الكون يقول عز وجل: {إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الكَوَاكِبِ } سورة الصافات آية 06.

والرسول " قد أضاء الكون منذ أن وُلد.

وهو يتلقى الدعم من الله سبحانه وتعالى يقول الشاعر في ذلك:

(بسيط)

« مرءٌ غدا المَلأ الأعلى له مَدَدَا من كلِّ عاديةٍ منصورةِ العَلَمِ »

ومنه فإن الصورة التي جاء عليها النص (صورة كوكب)، أراد الشاعر من خلالها ـ في رأينا ـ أن يُثبت وجه التصاقب بين المصطفى " والكواكب، فهي توحي لنا بالإنارة والعلو وعالمية المنفعة، قال سبحانه في حق نبيه: { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِين } سورة الأنبياء آية 107.

4. 2.2. المناجاة والوعظ:

تتجذر المناجاة والوعظ في صميم عنصرٍ من عناصر التراث الإسلامي هو الدعاء، الذي ترجع أصوله إلى الرسول "، فقد أكدت أغلب الأخبار التي روت سيرة النبي أنه كان دائم الذكر لله والدعاء له، وأنه كان يشيد بأهمية الدعاء في تقريب الإنسان من الله، وقد قدم الغزالي في الإحياء آداب الدعاء وهي عشرة منها: « أن يترصد الداعي لدعائه الأوقات الشريفة كيوم عرفة من السَّنَة، ورمضان من الأشهر، ويوم الجمعة كل أسبوع، ووقت السحر من سائر الليل ...» [115]. ومنها أيضاً: « أن يُلِحَّ في الدعاء ويكرِّره ثلاثاً »[116].

وكل هذا يدل على المكانة الهامة التي يحتلها الدعاء في علاقة المسلم بربه، وليس غريباً أن تحتل مناجاة الله والوعظ إلى طريقه مكاناً فسيحاً عند الصوفيين لعلاقتهم الخاصة بالله ولاستحضارهم الدائم للموت، ولقد لاحظنا كل القصائد العملية في المدونة والتي تتمحض للمناجاة والوعظ وللتربية، جاءت على عكس القصائد النظرية (الله، محمد، الشيخ)، فهي تمتاز بالسهولة والوضوح كما جاءت الصورة فيها بسيطةً نادرةً، وقد يكون مَرَدُّ ذلك، سَعْيُ الشعراء المُربِّينَ إلى إيصال مواعظهم وتوجيهاتهم إلى أكبر عددٍ من مريديهم، والذين هم في الغالب من عامة الناس لا يستطيعون فَكَّ غريب الصور التي تحتجب غامض الأسلوب وشارد المعنى، كما تعكس هذه المواعظ منحىً في التفكير لا يختلف عن الفهم السائد و" الرسمي" للشريعة الإسلامية، التي

تتوخى الوضوح، ويتجلى ذلك من خلال اقتباس الشعراء لمعاني القرآن الكريم، وجعلهم إياها دلائل نصية شرعية على صِحَّةِ دعواهم.

وسنعرض نماذج من نصوص الدعاء والوعظ.

أ ـ الدعاء:

تُعرِّفُ آمنة بلعلى الدعاء بأنه « فعل الكلام الذي تجتمع فيه أفعال جزئية كالطلب بالأمر والنداء والشرط »[117]، ويرى القشيري أن الدعاء هو « مفتاح الحاجة ، وهو مُستروح أصحاب الفاقات، وملجأ المضطرين، ومتنفس ذوي المآرب. وقد ذم الله قوماً تركوا الدعاء، فقال: {... ويقبضون أيديهم... }، قيل لا يَمُدُّونها بالسؤال »[118].

ومن هنا تتبين أهمية الدعاء في الشعر الصوفي، ونجد أنَّ قصائده شائعة عند أغلب شعراء توات.

وعموماً فقد خضعت النصوص الدُّعَائية لبنيةٍ واحدةٍ؛ إذ أنها تنفتح بالمناجاة وتنغلق بها، وغالباً ما يأتي الوعظ في صدر القصيدة الدعائية دون أن يُخلَّ بالتزام الشاعر لهذه البنية، ويتمحور الخطاب في هذه النصوص حول الشاعر الذي يُظهر فاقته وضعفه وفداحة جُرمه، ويشكو ما أصابه من ضيقٍ وحرجٍ، مما يكثر من توارد ضمير المتكلم في النص سواء المفرد أو الجمع ومن أمثلة القصائد الدعائية عند الشاعر محمد البكري بن عبد الرحمن؛ الذي تكثر القصائد الدعائية في ديوانه ، ومنها القصيدة التي تضمنتها مدونتنا، وهو يعترف في بدايتها بفداحة جُرمه، وأنه إذا ضاقت أحواله ليس له منها من مخرجٍ إلا الدعاء، فيقول:

(رجز)

«الحمد لله الغنيّ ذِي النِّعَمْ الرَّازق الفتَّاح دافع النِّقَمْ

ثم صلاةُ الله والسَّلام على الذي من جُوده الإسْلاَمُ

وآلهِ وصحبهِ الأجْوَاد والتَّابعين قادتي الأسياد

وبعد فالبكري إذا ما اضطرا وأجحفت حاجته مضطراً

ليس له من حيلةٍ إلا الدُّعا وقرع باب الله خير من دعا

يقول يا غني يا فتاح يا خير من نادى به اللحلاح ...»

ويواصل الشاعر ابتهالاته لله مُظهراً ما به من فاقةٍ واحتياجٍ، مبينا ما به من وَهَنٍ وَضُعْفٍ، عبر مجموعةٍ من التصويرات الدقيقة التي استعان فيها بذكر أسماء الله الحسنى، التي لها فضلٌ كبيرٌ في إجابة الدعاء حين يدعو المُستغيث بها؛ وقد ورد تأكيد ذلك في أربعة آيات قرآنية وهي:

1 ـ يقول تعالى: {وَللهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} سورة الأعراف آية 180.

2ـ يقول تعالى: {قُلْ ادْعُواْ اللهَ أَو ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيّاً مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى... } سورة الإسراء آية .110

3ـ {اللهُ لاَ إِلَه إِلاَّ هُوَ لَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى} سورة طه آية .08

4 ـ {هُوَ اللهُ الخَالِقُ البَارِيءُ المُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ } سورة الحشر آية 24.

وقد ذكر الشاعر ما يقارب السبعة والأربعين اسماً من أسماء الله الحسنى ومعانيها، ولعل الشاعر في ذلك يؤكد ما ذهب إليه بعض الصوفية في تبيين فضل الدعاء بأسماء الله الحسنى؛ فهاهو أبو طالب المكي يقول في فضل الدعاء بها: «... واستحب له أن يَدْعُ الله عز وجل بأسمائه التسع والتسعين في كل يوم وليلة مَرَّةً، فإنه روي عن النبي ": من أحصاها دخل الجنة. وهي مَعرفة في جميع القرآن. فمن دعا الله عز وجل مخلصاًً موقناً كان كمن ختمه.... وإذا دعا فليدعه بمعاني أسمائه فإنها صفاته فهو يحب ذلك، وإنما أظهرها ليعرف بها وليدعو بها مثل أن تقول: يا جبار اجبر قلبي، يا غفار اغفر ذنبي، يا تواب تُبْ علي، يا سلام سلمني »[119]، وهذا كله فضلٌ من الله على عباده، ليدعوه فيستجيب لهم.

والشاعر يلقب نفسه أثناء الدعاء بـ"البكري " ولم يلقب نفسه بألقاب الرفعة التي ربما يسمعها من الناس، وهذا من باب التواضع وهو بين يدي الله سبحانه وتعالى.

واستخدم لفظة " اللَّحْلاَح " ليدل على إلحاحه في الدعاء من ناحية وحاجته وفاقته من ناحية أخرى .

وفي نهاية النص يعود الشاعر إلى المناجاة من جديد، ثم يختم نصه بالصلاة على النبي ": (رجز)

« وارزقني يا رب دخول جنتك في زمرة الأخيار أهل خِلّتِكْ

واكْشِفْ لَنَا هُنَالِكَ الحِجَابَا يا خَيْرَ مَنْ أعْطَى وَمَنْ أجَابَا

وَسِيلَتِي إليك يا خَيْرَ من عُبد وخَيْرَ مَنْ صَلّى وَخَيْرَ مَنْ سَجَدْ

محمد أفضل من خلقته وكلُّ من إلى الوَرَى أرسلته

وخيرَ من ولدَتِ النِّسَاءُ وجرَّه الصَّبَاحُ والمَسَاءُ

صَلّى عليه رَبُّنَا الوَهَّابُ وآلهِ وَصحْبِه الأقطابُ

ما انقشعت بحامه الغيوم وزالت الأحزان والهموم »

ولعل من أصدق صور المناجاة الروحية عند الرجل، هوذلك الدعاء النابع من أحاسيس عبد يحسن الظن بمولاه:

(رجز)

« يا كاشف الكُرُوب والأحزان يا واهب السُّرورِ وَالإحْسَانِ

يَا غَافِرَ الذَّنُوبِ وَالجَرَائِمِ يَا كاشِفَ الهُمُومِ فِي العَظَائِمِ

وَيَا جَمِيلُ يَا جَلِيلُ يَا حَكِيمْ وَيَا سَلاَمُ يَا مُعِزَّ يَا عَظِيمْ

وَيَا لَطِيفُ يَا لَطِيفُ يَا لَطِيفْ وَيَا مُقِيتُ يَا مُجِيباً للضَّعِيفْ »

ب ـ الوعظ:

يُوجَّهُ الخطاب في النصوص الوعظية ـ على عكس النصوص الدُّعَائية ـ إلى مخاطَبٍ بُغية توجيهه ووعظه، مما يجعلها تمتاز بكثافة صيغة الأمر وكثرة ضمير المخاطب، ولكن الخطاب فيها مطلقٌ يتجاوز الإنسان المعني ليشمل بَنِي الإنسان عامة، ومن هنا كانت كونية هذه النصوص الوعظية.

ونشير أن الوعظ عند بعض شعراء المدونة ارتبط بالمديح النبوي، حيث يَحُثُّ هؤلاء الشعراء مخاطَبيهم على الزهد في الدنيا مبينين لهم فساد هذا العالم، ويدعونهم إلى التوبة وطلب شفاعة النبي "، الذي آتاه الله تعالى الشفاعة.

ومن الأمثلة على ذلك قصيدة الشاعر سيدي محمد ابن المبروك، التي يُبيّن في بدايتها اغترار مخاطَبه (كلُّ من يجري وراء الدنيا؛ وغَرَّهُ بَريقُها) بالدنيا التي وَرَّى عنها ولقبها بـ" ليلى" فيقول لمخاطَبه بعد أن فَقَد ليلاه:

(بسيط)

« عَدِمت ليلى أخي وقلبك احترقا من أجل فُرْقَتِهَا العُظْمَى وَمَا سَبَقَا

عَاهَدْتَهَا في الدُّجى ليلاً بقبَّتهـا وكنت تُطرقها به إذا اتسقـا

تهدي بِنَدٍّ وعُود عُرف مَجمرها يسبي الحشا نفحُ زندها إذا عَبَقَـا

وأنت من حَرَم أهلها على حذرٍ مُولَّه القلب صبّاً خائفاً قلقـا»

ونلاحظ من خلال هذه الأبيات أن الشاعر قد بنى خطابه على ثنائية: الغياب/الحضور أو الماضي/الحاضر، فالغياب والحضور؛ غياب ليلى بعدما كانت حاضرةً؛ وكان المخاطَب يستأنس بحضورها ووصالها ليلاً بقبتها، فما لبثت أن انصرمت حبال الوصال وتحول اللقاء إلى فراق؛ وأضحت تلك الأيام كلها مجرد ذكريات؛ وأصبحت في عداد الماضي، هذا الماضي الذي يختلف اختلافاً كبيراً عن الحاضر؛ حيث أصبح وحيداً يحتسي ألم المرارة والبِعاد بِعاد ليلى؛ ويتحرق قلبه شوقاً إلى لقائها.

وقد أَسَّسَ الشاعر لهذه الثنائية باستعمال لفظتي: " عَدِمْتَ" و " عَاهَدْتَهَا"أو" عَهِدْتَهَا"، فالأولى تدل على فقدان الشيء؛ أما الثانية فتدل على حضوره، بل نجد في هذه اللفظة (عَهِدْتَهَا) تكراراً لحضور الشيء ومعاهدته، وفي ذلك دلالة واضحةٌ على تبادل التعلُّق بين المُتعاهدين.

ثم ينتقل الشاعر بعد هذه الوقفة الطللية إلى الوعظ، فهو يعظ مخاطَبه، داعياً إياه إلى الاستقامة من غفلته واتباع طريق نبي الهدى، ونظم المدائح فيه":

« فلا أرى لك يا ذا ثَمَّ مَطْمَعَـةً فالخير في نظم مدح من مَحَا طُرُقا

وأسَّسَ الدِّينَ بعد دهر ضيعته فيا له من صباح فجرِه انْفَلَقَـ ـ»

وقد جاء الوعظ هنا على شكل نُصحٍ وإرشادٍ، عقد فيه الشاعر مقارنة بين ما يسعى إليه هذا المخاطب من مُتع الدنيا وبين اتباع نهج الرسول "؛ والانشغال بمدحه، وتجسد الجانب الأول من هذه المقابلة في قول الشاعر:" فلا أرى لك يا ذا تمَّ مطمعةً" ، وهو توحي بالدعوة إلى الابتعاد وترك هذا السبيل الذي لا طائل من ورائه، والشاعر هنا يقف مع مخاطبته وقفة الناصح والعرف الخبير.

أما الجانب الثاني من المقابلة فورد في قول الشاعر: " فالخير في نَظْمِ مَدْحِ مَنْ مَحَا طُرُقا"، وتعتبركل الأبيات التي جاءت بعد هذا القول امتداداً طبيعياً له؛ حيث يشرع الشاعر في تعداد صفات الرسول " وذكرٍ لمعجزاته، مبيناً أن هذه الكفة (مدح الرسول واتباعه) تغلب الكفة الأولى (الانشغال بليلى)، وواضحٌ أن الشاعر هنا يسعى لإقناع مخاطَبه، لأن الإقناع ـ في اعتقادي ـ شرطٌ أساسيٌ من شروط الوعظ.

ونجد الشاعر في قصيدةٍ أخرى يأمر مخاطَبه أن بالتخلي عن هذه الدنيا الخادعة بمظاهرها؛ والتي تُغيِّرُ شكلها ولونها وأسماءها، والشاعر لقبها هذه المرة بـ " سُليمى"، فهو يقول واعظاً:

(سريع)

« وَدِّعْ سُليماك وكُنْ كارها لحيِّها واذكُرْ خِصال الحبيبْ

الطاهر الطيِّب من جاءنا بمعجزات ما نَفَاها مُريـــبْ»

فالشاعر هنا يبني خطابه على ثلاثة أفعال جاءت على صيغة الأمر وهي " ودِّع" و" كن كارها" أي إكره و"اذكر"، ويمكننا في يسر معرفة أن الشاعر، يوجه مُخاطبه إلى مسألتين أو قضيتين: أولاهما: الابتعاد عن ليلى؛ وقطع الصلة بكل ما يمكن أن يربط بها (حيها)، ويجسد هذه القضية فعل الأمر الأول " ودِّع" والثاني " كُن كارهاً"، أما القضية الثانية فهي مرتبطة بالفعل " اذكر" .

ونشير أن خطاب الوعظ في هذه القصيدة جاء بشكل مباشر دون أن يُسبَق بمقدمةٍ طلليةٍ أو غزلية، وبالمرة هاهنا يَعتبر الشاعر اتِّباع هذه الدنيا جرياً وراء شهوات النفس والهوى، بل اعتبره ضرباً من التَّصَابي الذي يُبقي صاحبه دائما في الحضيض الأسفل، وأن أفضل سعيٍ يقوم به الإنسان هو اتباع سبيل نبي الهدى؛ الذي أفاض الشاعر في ذكر صفاته ومعجزاته.

يؤكد الشاعر ذلك في قوله:

(بسيط)

« يا ويْحَكَ أقلع عن الهوى محجَّتُهُ تَهوي بصاحبها لحفرة اللّهبِ

قتلتَ نفسك دَعِ التَّصابيَ لا يَرقى مُصاحِبُهُ لِذَوِي الرُّتَبِ »

إنها دعواتُ وعظٍ صادرة عن إنسانٍ جرَّب الحياة وخاف مقام ربه، فأراد أن يَرُدَّ مخاطَبَه إلى طريق الله، مبيِّناً له زوال الحياة الدنيا، وداعياً إياه إلى الإسراع بالتوبة النصوح، والاشتغال بمدح النبي ، وكل هذا يُبَدِّدُ قنوط المذنب ويدخله في دائرة الصالحين.

ومن قصائد الوعظ كذلك في مدونتنا قصيدة الشاعر محمد عبد القادر الفلاني التي سماها بـ" النصيحة الكافية والموعظة الشافية "، والعنوان له في النصوص الشعرية خاصة دلالة إيحائية، فهو « بإنتاجيته الدلالية...يؤسس سياقاً دلالياً يُهيّء المُستقبِل لتلَقّي " العمل" »[120] ولذلك فإن الشاعر يُخبرنا منذ البداية بالهدف الذي يصبو إليه، وهو أن ينصح ويعظ، وقد وصف نصيحته بالكافية، أي أنها لا تحتاج إلى إضافة، ومن كان مُحتاجاً فهي تكفيه، ويصف موعظته بالشافية، التي تُريح ضمير السائل؛ ومبتغي المتنفس والمخرج لِمَا تعترض طريقه من صعاب، وهي المخرج والمنجا...

ويُطلعنا الشاعر مَرَّةً أخرى على هدفه من هذه القصيدة حيث يقول:

(رجز)

« الحَمْدُ لله الذي قَدْ أمَرَا بالوَعْظِ وَالنَّصْحِ جميعَ الأمَرَا

لذلك أرْسَلَ الرَّسُولَ لِلأنَامِ عليه أفْضَلُ الصَّلاةِ وَالسَّلاَمِ

ثَمَّ عَلَى الصَّحْبِ الكِرَامِ وَعَلَى أزْوَاجِهِ وَصَحْبِهِ وَمنْ تَلاَ »

إلى أن يقول:

« وبَعْدُ فَاعْلَمْ أنَّنِي أرَدْتُ نُصْحاً لإِخْوَانِي وَمَا قَصَّرتُ

مِنَ الدُّعَا لَهُمْ فِي كُلِّ وَقْتٍ نَسْألُ رَبِّي أنْ يُجِيبَ دَعْوَتِي... »

وقد ذكر الشاعر ما يقارب اثنين وخمسين نصيحةً وموعظةً، يُمكننا أن نُدخلها ضمن بابي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ابتدأها بالدعوة إلى الصبر فقال:

« أوصيكم بالصَّبر يا إخواني واجْتَهِدُوا في طاعةِ الرَّحْمَنِ »

وقد ذكر القشيري في رسالته فضل الصبر، واعتبره من "المقامات" أو "مدارج أرباب السلوك"، وابتدأ الحديث عنه بقوله تعالى: {وَاصْبِرْ، وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِالله } سورة آية 127.

ثم ذكر بعض الأقوال والأحاديث، منها قول الجنيد: المسير من الدنيا إلى الآخرة سهلٌ هَيِّنٌ على المؤمن، وهجر الخلق في جنب الله شديدٌ، والمسير من النفس إلى الله تعالى صعبٌ شديدٌ، والصبر مع الله عز وجل أشدُّ. فسئل عن الصبر فقال: تَجَرُّعُ المرارة من غير تعبيسٍ ....

وقَدَّمَ الشاعر كثيراً من الأوامر بالمعروف منها: " اجتهدوا في طاعة الرحمن "، " المداراة لكل الناس "، " صغيركم يوقر الكبير، كذا الكبير يرحم الصغير "، " توافقوا تعاونوا على التقى "، غضوا الأبصار " و " اجتنبوا الرِّبا وقول الزور "...

وأعطى أيضاً كثيراً من النواهي عن المنكر منها: "لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا " و " لا تنازعوا ولا تخاصموا ولا تقاطعوا ولا تظالموا " و لا تغفلوا " ...

وحثَّ الشاعر على ضرورة الاعتبار بمن مضى من الأسلاف، يقول في ذلك:

« تفكَّروا واتَّعظوا بمن مضى من الأبَا أجَلُهُمْ قَدِ انْقَضَى

وفارقوا الأمْوَالَ والبَنِينَا وفي التَّرابِ صَارُواْ سَاكِنِينَا

تمزَّقت أعضاؤُهم يَا حَسْرَتِي وعُوِّضُوا اسْتِنَاسَهُمْ بالوِحشة

صارت عظامهم رميماً بَالِيَه فِي ظَلمة القَبْرِ ونفسٍ بَالِيَه

لا شكَّ أنْ نلحَقَهُمْ عَلَى الأثَرْ يَا وَيْحَنَا فَلاَ مُجِيدُ لا مَفَرْ »

ففي لفظتي "تفكَّروا" و" اتعظوا" دعوة صريحة من الشاعر إلى التأمل، وخاصة مما ذكره الشاعر من الأمور التي من بينها: موت الآباء ورحيلهم عن الحياة، ففي ذلك عبرة كبيرة حيث ذهبوا وفارقوا كل ما جمعوه من أموالٍ، وتركوا أبناءهم أيتاماً، واستُبدلوا بمساكنهم التي كانت عامرة ببيوت أخرى موحشة؛ تسكنها الديدان التي ستُحيل أجسادهم إلى رميمٍ.

ويختم الشاعر تلك الأبيات، بتأكيده أننا إلى حيث سار الآباء والأجداد والموتى سائرون، واعتمد في تأكيد ذلك على لفظة " لاشكَّ" أي لاريب في ذلك يقول الله سبحانه وتعالى في ذلك: { أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا تُرجعون سورة المؤمنون آية 115}، ويقول أيضاً مُخاطباً نبيه وهو أفضل الخلق: {إنك ميتٌ وإنهم ميتون} سورة الزمر آية 30.

فإذا كان هذا مصيرُ البشر جميعاً فالشاعر يدعو إلى الاعتبار والاتعاظ بكل ذلك؛ وإعداد العُدَّة ليوم الرحيل؛ ثم إعداد الإجابة للسؤال يوم القيامة.

وينتقل الشاعر في إطار البناء الموضوعاتي لقصيدته إلى التحذير من الغرور بالمال، خاصةً إذا كان مصدره حرام لأنه لا محالة سيتركه أيضاً؛ إما بسبب الموت أو أن حاله سيؤول إلى الفقر؛ وفي كلتا الحالتين سيُحاسب عليه يوم القيامة:

« وصاحبُ المال فلا يَغْتَرُّ بماله قد يعتريه الضُّرُّ

لاَ سِيَمَا إنِ اقْتَنَاهُ مِنْ حَرَامْ كَالنَّهْبِ وَالغَصْبِ وَكَثْرَةِ الخِصَامْ

لاَ بُدَّ أنْ يُنْزَعَ مِنْهُ عَاجِلاً إمَّا بِمَوْتٍ أوْ لِفَقرٍ آيِلاَ »

وحَذَّرَ أيضاً من الفرح بالمَنَاصِبِ والمَسْؤُولِيَاتِ، لأنها أمانةٌ وهي يوم القيامة خزيٌ وندامةٌ، ولأنها تكليفٌ قبل أن تكون تشريفاً، يقول:

« وكُلُّ مَنْ يَفْرَحُ بِالإِمَارَه خَابَ وَلَمْ يَنَلْ سِوَى النَّدَامَه

وَعَزْلُهُ عَنِ الإِمَارَةِ وَجَبْ فَوْراً وَيَبْقَى خَائِفاً مِنَ الطَّلَبْ

يَوْمَ القِيَامَةِ تُغَلُّ يَدُهُ لِلْعُنْقِ لَمْ يُنْجِهِ إلاّ عَدْلُهُ

فَإِنْ أتَى بِمَخْرَجٍ لَهُ نَجَا وَفَازَ بِالأمْرِ الذِي قَدْ رَجَا

وَإِلاّ ضَلَّ سَعْيُهُ وَعَمَلُهْ وَشهِدَتْ وَنَطَقَتْ جَوَارِحُهْ

بِفِعْلِه وَظُلْمِهِ وَمَا اكْتَسَبْ خَيْراً وَشَرّاً رَبِّ فَرِّج الكُرَبْ »

ويوضح لنا الشاعر في هذه الأبيات بأن من فرح بالإمارة فيجب أن يعزل منها فوراً؛ لأنه لا يريد من ورائها العدل بين الناس وإحقاق الحق، فهو إن عمل على إحقاق الحق فقد نرجا، وإن كان خلاف ذلك فستشهد عليه جميع جوارحه بما اقترفه.

وبذلك يكون الشاعر قد أكَّد مرة أخرى على ضرورة السعي إلى العمل الصالح في هذه الحياة الدنيا التي ستؤول حتماً إلى الفناء.

وهكذا يكون الشاعر قد جمع لنا عدة موضوعات في الوعظ والإرشاد، يسعى من خلالها إلى إصلاح حال الناس، في الدين والدنيا.

ويختم لنا رحلته الوعظية بالدعاء للجميع بالوقاية من الخطإ، وأن يجمعهم على التقى والصلاح، ويطلب الدعاء له بالمغفرة والاستقامة وإصلاح البنين:

« فنسأل الله يَقيكم الزَّلَلْ ويَجمع الكلَّ لصالحِ العَمَلْ

بالله فادْعُوا لي بِرَدِّ غُربتي وبسلامتي وبالمَغْفِرَةِ

وبِنَجَاتِي وَبإصْلاَحِ البَنِينْ وَبِاتِّبَاعِ دِينِ أحْمَدِ الأمِينْ

وكثيراً ما نجد القصائد الوعظية تُختتم بالدعاء؛ كأن يدعو الشاعر للمسلمين أو لقاريء القصيدة أو لمن نسخها ونشرها بين الناس، وغالباً ما يكون هذا الدعاء لإصلاح الأحوال في الدنيا والآخرة ومغفرة الذنوب والدخول إلى الجنة والنجاة من النار والنجاة من عذاب القبر والثبات عند السؤال؛ أو الدعاء من أجل لقاء النبي " والشراب من حوضه؛ وقد تتعداها جميعاً إلى رؤية وجه الله سبحانه وتعالى.

وإلى هنا نتمنى أن نكون قد وضعنا أيدينا على بعض القضايا التي تخُصُّ موضوع الوعظ عند شعراء توات؛ من خلال هذين النموذجين في مدونتنا، وليسا باليتيمين عندهم، بل هناك عدة نماذج، وهي تكاد تتفق على أسلوبٍ واحدٍ وبناءٍ مُوحَّدٍ، أساسه توجيه الناس ووعظهم، وتعريفهم بطريقة التعامل مع المحبوب عزَّ وجلَّ؛ بأمرهم بالقيام بما هو أَصْوَبُ، وتحذيرهم من بعض المخالفات التي تُنافي الشَّرع؛ وتُبعد صاحبها عن السَّلامة الرُّوحيَّة، وتمنعه من الارتقاء في مدارج السَّالكين الرَّاغبين في الوصول إلى الصَّفاء الرُّوحي.

الخاتمة

نحن نُدرك أنَّ ما توصلنا إليه من نتائج في بحثنا هذا ؛ لا يُكافؤ منطقياً ضخامة وزخم التراث الشعري الصوفي الذي تَزْخَرُ به منطقة توات، ولكن نحسب أن هذه النتائج يمكن أن تشكل لَبِنَةً تُضاف إليها لَبنات أخرى، لإحياء وبعث هذا التراث، ومن جملة تلك النتائج المُتَوصّلِ إليها نذكر:

- دخلت إلى منطقة توات كثير من الطرق الصوفية منها: القادرية، التيجانية والطيبية (الوزانية) وغيرها، وقد لعبت دوراً كبيراً في عديد المجالات، ففي المجال الديني سعت إلى نشر الدين الإسلامي؛ وترسيخ عقيدته لدى سكان المنطقة، وفي المجال الثقافي قامت باحتضان مدارس القرآن التي كانت تُدرَّس فيها مختلف العلوم، ولا أدلَّ على ذلك من العدد الكبير من الكتب والمخطوطات في شتى العلوم؛ والتي تزخر بها الخزائن ومكتبات زوايا الطرق الصوفية بالمنطقة. أما في المجالين الاجتماعي والاقتصادي؛ فقد تحولت الطرق الصوفية والزوايا التابعة لها إلى مكانٍ خيريٍ يأوي إليه كل محتاجٍ وعابر سبيل؛ فصارت بذلك ينبوع حياةٍ لا ينضب.

- تزخر منطقة توات بالتراث الأدبي خاصة منه الشعر، في الفترة الممتدة بين القرن 11هـ والقرن 14هـ، وهذا التراث ما زال بحاجة إلى جمعٍ وتحقيقٍ؛ خاصة من طرف الباحثين المختصين.

- لقد استطاع شعراء توات أن يُعبِّرُوا عَمَّا جاشت به صدورهم، حول بعض قضايا التصوف.

- لقد استثمر بعض شعراء توات ما يتيحه الخط العربي من فُرَصِ الكتابة، فَصوَّرُوا نُصوصهم لتُصَاقِبَ ما يذهبون إليه من معاني وموضوعات.

- استقرت القصائد التي تتمحض للدعاء والوعظ والإرشاد على بنيةٍ واحدةٍ، فهي تنفتح بالمناجاة وتنغلق بها، فالشاعر يَلِجُهَا دون مقدمةٍ طلليةٍ ، ويختمها أحياناً بقفل التَّصْلِيَةِ.

ـ تميزت القصائد المديحية بالبنية التركيبية، حيث تُبدأ بمقدمةٍ طلليةٍ أو غزليةٍ، ثم إعلان التوبة؛ أو الدعوة إلى التخلي عن المُتغزَّلِ بها، مُروراً بالغرض الرئيس وانتهاءً بقفل التَّصْلِيَةِ.

ـ التزام شعراء المدونة بالبحور الطويلة الأساسية في العروض العربي، و جاءت أبيات بحر "الرجز" وفيرةً.

ـ بَرَعَ بعض شعراء توات في كتابة الشعر، إذ يكتبون قصائدهم أحياناً على بحرٍ، ثم ينقلون تلك القصائد إلى بحرٍ آخر بإضافة كلمةٍ إلى كلا الشطرين، مثل ما هو عند الشاعر سيدي محمد بن المبروك في قصيدة " عدمت ليلى".

ـ نَوَّعَ شعراء توات في استخدامهم للقوافي المقيَّدَةِ تَارَةً والمُطْلَقَةِ تَارةً أخرى، وق د غلب استخدام الأولى على الثانية.

ـ حظيت أصوات (الباء والراء والميم والدال واللام) بأكثر استعمالٍ من طرف شعراء المدونة واستخدامها روياً، وهذا يدل على تمسك شعراء توات بالنموذج الشكلي القديم للقصيدة العربية.

ـ يَكْثُرُ التصريع عند شعراء مدونتنا، مما يُبيِّنُ شِدَّة اهتمامهم به.

ـ استغلَّ شعراؤنا كل احتمالات الصوت التنغيمية فكَرَّروا وردَّدوا وقطَّعوا، ووظَّفُوا أحياناً تنغيمات الصوت وإيقاعه.

ـ لقد تميز المعجم الشعري الصوفي عند شعرائنا بالتداخل، فتارةً نجده يتناص مع السجل القرآني وتارةً مع السجل الغزلي، وأخرى مع السجل الخمري.

ـ تندرج بعضٌ من أشعار شعرائنا ضمن الأغراض النظرية(الذات الإلهية ، الحقيقة المحمدية، الحضرة المشيخية) بأسلوب يكاد يكون غامضاً يُكثر من الاستعارة ولا يعبأ بالتشبيه فسمَّيناه "غرضاً نظرياً" لتشبعه بمفاهيم صوفية مجردة، ولغياب ما يُحيل عليه من مدلولاتٍ في أرض الواقع. وتندرج أيضاً ضمن "الأغراض العملية" (مدح الرسول" ؛ والدعاء والوعظ)،

وهي التي تُعالج بعض القضايا العملية الواقعية التي لها صلة بحياة المريد والشيخ على حدٍّ السواء، كعلاقة المريد بالشيخ؛ إلى غير ذلك بأسلوبٍ شَفَّافٍ بسيطٍ يُهمِّش الاستعارة، ويتَّخذ من التشبيه الحسي وسيلةً لتقريب قصده ومبتغاه؛ فسميناه "غرضاً عملياً" لارتباطه بالواقع.

ولأن منطقة توات كانت على ارتباط وثيقٍ بالحواضر الثقافية والعلمية التي كانت تحيط بها مثل الأزواد وبلاد شنقيط وغدامس والمغرب الأقصى...؛ فيُمكن المقارنة بين واقع الطرق الصوفية في توات وغيرها من تلك المناطق المجاورة لها؛ وكذا يمكن الوقوف عند تأثر شعراء تلك الحواضر بعضهم ببعض، وهذا الموضوع يَصْلُحُ أن يكون مشروع بحثٍ مستقبلي نقف عنده نحن أو غيرنا من الباحثين الآخرين، كما يُمكن الإشارة فيه إلى تجلي الخطاب الصوفي الشعري عند شعراء شنقيط مثلاً الذي يتقارب في كثيرٍ من جوانبه بالشعر الصوفي عند شعراء توات كما هو الحال عند بعض من شعراء شنقيط منهم: الشيخ سيد المختار الكنتي الكبير؛ الذي يُتداولُ شعره كثيراً في توات، والشيخ سيدي البكاي؛ وشعره أيضاً حاضرٌ بتوات.

الملاحق:

1- المُلحق الشعري1:
(تحقيق نصوص الدراسة)

1/ قصائد الشاعر سيدي محمد بن المبروك :

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله، وللفقيه العالم العلامة والبحر الفهّامة البليغ سيدي محمد بن المبروك البُداوي ثم الهَدَّاجي رحمه الله تعالى ورضي الله عنه في مدحه للمصطفى صلى الله عليه وسلم.

[صَلَوَاتُ الإِلَهِ] [من بحر الخفيف]

[1] صَلواتُ الإله تَتْرى على من *** اسمُه أحمد البشير النذير
[2]و سلامٌ ما هَبَّتِ الرِّيح ليلاً *** و نهاراً و ما يفُوح عبير
[3]برسول الإله جئتَ شفيعاً *** لا يَخيب الذي به يستجير
[4] إننا ضعفاء يا ربِّ لكن *** أحمدٌ سندٌ و ركنٌ كبير
[5] خاتم الرسل سيد الكون طرّاً *** شافع الخلق مهتدٍ و بشير
[6] مُعجزاته لا تُحدُّ بعَدٍّ *** حنَّ جذعٌ له وانْشَقَّ المُنير
[7] سَلْ أخي قيقعان فهو شهيدٌ *** و أبو قيسٍ بذاك جدير/ **ورقة3- و**
[8] وأتته الظباء و الضبُّ تسعى *** و اشتكى ربهُ إليه البعير
[9] و الحصى سَبَّحت بكفِّ حبيبي *** و بَدَا للأقوامِ ماءٌ نمير
[10] و بصاعٍ طعام ألف جياع *** شبعوا كلهم وذاك يسير
[11] هزم الجَيش بالحصى إذ رماهم *** يوم بدرٍ بها ورب قدير
[12] و أتته الأشجار حين دعاها *** ليتني لَو حضرت حين تسير
[13] و استجيب له الدعاء بغيث *** بعد محلٍ و المحلُ أمرٌ عسير
[14] و الغمامة لا تُفارقه ما *** دامتِ الشمس في السماء تدور
[15] يا رسول الإله جئت كئيباً *** من جرائمي و الزمان يجورُ
[16] يا رسول الإله فُكَّ وثاقي *** إنني عبدٌ من ذنوبي أسير
[17] يا رسول الإله أنت مُجيري *** من جهنم مُذْ يلوح الزَّفير
[18] يا حبيب الإله رُمْتُ أماناً *** من عواقب دهري إني فقير
[19] يا مُغيث الورى قصدنا حماكم *** نستغيث أغث فأنت المجير
[20] وسل الله أن يجودَ بغيثٍ *** تخضرُّ الأرض بالكلا و تنور
[21] ربَّنا استجب بجاهه عزماً *** أنت نعم المولى و نعم النصير
[22] دمِّر الظالمين يا ربِّ و اهْدِم *** كيدهم و بنيانهم يا خبير
[23] رَبِّ بالمصطفى النبي محمد *** قطب جمع الورى السراج المنير/**ورقة3- ظ**
[24] و بآله و الصحابة طُرّاً *** استجب استجب لنا يا صبور

وله أيضاً هذه القصيدة وضعها على حروف التهجي لكل بيت حرف على اصطلاح المغاربة تجِ على اصطلاح المشارقة:

[1] ارْتَـجِي فَضْلَ مَنْ دَنَـا فَتَدَلَّى *** وَأُعِدَّ جَـدَاهُ للمُعضِلاَتِ
[2] بَـاتَ يَخْتَرِقُ الطِّبَاقَ دَنَا مِـنْ *** قَـابَ قَوْسَيْنِ جَاءَ بِالصَّلَوَاتِ
[3] تَنْـتَهِي لِلْخَمْسينَ إِذْ رَدَّهُ مُـو *** سَى فَوَلّـَى بِخمسٍ الوَاضِحَاتِ
[4] ثَبَّتَ اللهُ قَلْـبَهُ لِتَـــلَقِّي *** الـوَحْيِ مَعْ جَبْرَءِيلَ أَيَّ ثَبَاتِ
[5] جَـمَعَ اللهُ رُسْـلَهُ وَالنَّبِيـ *** ـئِينَ فَقَدَّمَـهُ بِغَـيْرِ افْتِيَاتِ
[6]حَفَظَ اللهُ وَحْـيَهُ بِـــانْتِثَارِ *** الشُّهْبِ وَاللهُ يَـرْفَعُ الدَّرَجَـاتِ
[7] خَـلَقَ اللهُ خَلْـقَهُ كُلُّـهُمْ مِـنْ *** فَضْلِهِ كُـلُّ جَـامِدٍ وَنَبَاتِ
[8] دَمَّـرَ اللهُ كُـلَّ مَنْ رَمَاهُ بِسُوءٍ *** فَـانْـزَوَى بِـالقِتَالِ وَالغَارَاتِ
[9] ذَلَّ مَـنْ يَبْتَغِي العُـلُوَّ عَلَـيْهِ *** فَهْوَ سَيُّدُهُمْ وَمَـوْلَـى الوُلاَتِ
[10] رَفَـعَ اللهُ قَـدْرَهُ وَحَـبَاهُ*** وَاجْتَـبَاهُ وَخَصَّهُ بِـالصَّلاَتِ
[11] زَرَعَ اللهُ حُبَّهُ فِـــي قُـلُوبِ*** المُومِنِينَ طُـرّاً مَـعَ المُومِنَاتِ
[12] طَلَعَ الـبَدْرُ مِـنْ سَنَاهُ أَضَاءَتْ*** مِنْهُ شَمْسُ الضُّحَى عَلَى الفَلَوَاتِ
[13] ظُلْمَةُ الشِّرْكِ قَـدْ أَزَاحَ دُجَـاهَا*** وَعَلَى الدِّينُ فِي جَمِيعِ الجِهَاتِ**/ورقة4- و**
[14] كَلَّمَ الضَّبَّ وَالغَزَالَـةَ وَالذِّيبَ *** رَسُولاً أَتَـى لَـنَا بِـالخَيْرَاتِ
[15] لَيْتَنِي كُنْتُ فِـي زَمَنِ حَـوَاهُ *** أَكْتَفِي بِـهِ عَـنْ جَنَا الثَّمَرَاتِ
[16] مَـنْ لَنَا بِوُصُولِ طَيْبَةٍ إِذْ كَـا *** نَ بِـهَا قَـبْرُهُ قُبَيْلَ المَمَاتِ
[17] نَـرْتَـوِي وَنَقُولُ حَمْداً لِمَنْ مَنْ *** نَ عَلَـيْنَا بِهَذِهِ الـقُرُبَـاتِ
[18] صَدَّنِـي همٌّ واكْتِسَابُ مَـعَاصٍ *** خَلَّفَانِـي فِـي مَرْبَعِ السَّيِّئَاتِ
[19] ضَاعَ عُمْرِي مِـنْ فِرَاقٍ مَعَ الحُبْ *** بِ الـذِي قَـدْ حَبَانِي قَبْلَ نَبَاتِ
[20] عَـاقَنِي الـذَّنْبُ عَنْ مَوَاطِنِهِ إِذْ *** كُنْتُ عَـبْداً أَمِـيلُ لِلشَّهَوَاتِ
[21] غَلَبَتْنِي نَـوَائِبُ الـدَّهْرِ حَتَّى *** صِرْتُ فِي رِقِّهَا حَلِيفَ العُرَاتِ
[22] فَـرَّ صَبْرِي وَحَارَ أَمْرِي أَيَا خَيْـ *** ـرَ الوَرَى جِئْتُ هَذِهِ أَبْيَاتِ
[23] قَدْ رَفَعْتُ الأُمُورَ لِلمُصْطَفَى المُخْـ*** ـتَارِ يَـرْفَعُهَا لمُحْيِي الرُّفَاتِ
[24] سَيِّدُ الـرُّسْلِ خَـاتِمُ الأَنْبِيَا مَنْ *** جَـاءَنَـا بِالفُرْقَانِ قَبْلَ الوَفَاتِ
[25] شَائِعُ الفَضْلِ يَوْمَ لاَ يَنْفَعُ الابِـ *** ـنُ أَبُـوهُ وَالكُلُّ فِي الغَمَرَاتِ
[26] هُوَ أَرْحَمُ مِنْ أَبِي وَمِنْ الْـ *** أُمِّ يَجُـودُ بِـأَعْظَمِ النَّفَقَاتِ
[27] وَيَفُكُّ مِـنَ الجَحِيمِ إِذَا مَـا *** ضَجَّتِ الكَافِرُونَ بِـالزَّفَرَاتِ
[28] لاَ يمُنُّ وَلاَ يَفُـوهُ بِفُحشٍ *** وَيُكَافِي المُدَّاح بِـالغُرُفَاتِ**/ ورقة4- ظ**
[29] يَا إِلَهَ السَّمَاءِ صَلِّ عَلَى مَنْ *** جَـاءَنَـا بِالكِتَابِ وَالمُعْجِزَاتِ
[30] أَنْتَ فَضَّلْتَهُ وَأَكْرمْتَ مَثْوَاهُ *** نَصَرْتَهُ بِـالصَّبا وَالـرُّمَـاتِ
[31] بَزَغَتْ شَمْسُهُ بِهَا أَفَلَ الكُفْـ *** ـرُ وَصَارَ ضَعِيفاً بَعْدَ الصَّوَلاَتِ
[32] تَبَّ مَنْ جَحَدَ الحَقِيقَةَ مَا يَجْـ *** ـحَدُهَا غيرُ كَـافِرٍ وبُـغَاتِ
[33] ثُلَّةٌ مِـنْ أَصْحَابِهِ نَصَـرُوهُ *** وَجَمَاعةٌ هَـاجَـرُواْ لِلْفَـلاَتِ
[34] جَـمَعَ اللهُ شَمْلَهُمْ وَأَبَـادُواْ *** الكُفْرَ وَاسْتَأْصَلُوهُ بِـالمُرْهَفَاتِ
[35] حَرَبُوا ذَا العُزَّى وَأَهْلَ مَنَاةٍ *** وَجُمُوعاً تَمَسَّكُوا بِـــاللاَّتِ
[36] خَوَّلوا نِعْمَةَ الغَنِيمَةِ وَالأَسْـ *** ـرِ وَأُعْطُوْاْ رِضَـاءَهُ وَالجَنَّاتِ
[37] دَفَعُوا كُـلَّ مَنْ يُطيعُ هَـوَاهُ *** وَطَـغَى بِـالجُيُوشِ وَالعَادِيَـاتِ
[38] ذَالِكُمْ فَضْلُ اللهِ بَاعُوا بِـهِ عَنْ *** غَيْرِهِمُ إِنَّـهُمُ أَجَـلُّ السُّرَاتِ
[39] رَضِيَ اللهُ عَنْهُم وَرَضُوا عَنْـ *** ـهُ جَـزَاهُمْ بِـأَفْضَلِ البَرَكَاتِ
[40] زَلَّ مَـنْ لاَ يُحبُّهُمْ وَتَعَـدَّى *** وَطَـغَى فَهُمْ هُـدَاتُ الـهُدَاتِ
[41] سَلْ حُنيناً وَسَلْ مَوَاطِنَ بَدْرٍ *** عَـنْ قِتَالِهِمْ مَـعَ بَنِي المُشْرِكَاتِ
[42] شَاهَدُوا الفَتْحَ وَالحُدَيْبِيَةَ البَيْـ *** ـعَةُ فِيهَا حَكَاهُ نَقْلُ الـرُّوَاتِ

[43] صَدَّهُمْ عَدُوٌّ أَحَاطَ بِبَيْتِ الـ *** لَّهِ عَنْهُ وَعَنْ حَصَا الجَمَرَاتِ**/ورقة5- و**

[44] ضَرِبُوا مُهَجَ اليَهُودِ وَأَجْلَوْاْ *** جُلَّهُمْ نَحْوَ الشَّامِ بِالمِنْسَاتِ

[45] طَوَّقُوهُمْ عِقْدَ السَّكِينَةِ وَالذْ *** ذُلِّ يَعُمَّانِهِمْ مَعَ النَّسَمَاتِ

[46] ظِلُّ خَيْرِ الوَرَى تَفَيَّأَ وَامْتَدَّ *** عَلَى المُسلمينَ فِي الغَزَوَاتِ

[47] عَجَباً لِلْكُفَّارِ زَادُوا ضَلاَلاً*** بِنَبِيٍّ تَسَرْبَلَ البَيِّنَاتِ

[48] غَرَّهُمْ إِبْلِيسُ اللَّعِينُ فَأَدْلَى*** ذَا النِّفَاقِ لأَسْفَلِ الدَّرَكَاتِ

[49] فِي بَرَاءَةٍ ذِكْرُهُمْ مِنْهُمْ مَنْ *** عَاهَدَ اللهَ ظَنَّ بِالصَّدَقَاتِ

[50] قَدْ نَهَى اللهُ عَنْ صَلاَتِهِمْ المُخـ *** ـتَارَ دُونَ جَنَائِزِ الأَمْوَاتِ

[51] كَمْ حَبَائِلَ للنَّبِي نَصَبُوهَا *** أَوْقَعَتْهُمْ بِأَشْنَعِ المُهْلِكَاتِ

[52] لَيْتَهُمْ آمَنُواْ وَمَا نَافَقُواْ فِي *** الدِّينِ إِذْ جَاءَهُمْ بِعَذْبٍ فُرَاتِ

[53] مُنِعُواْ مِنْ نَعِيمِ جَنَّةِ عَدْنٍ *** بِاكْتِسَابِ النِّفَاقِ وَالمُوبِقَاتِ

[54] نَزَعَ اللهُ مِنْ قُلُوبِهِمُ الإِيـ *** ـمَانَ أَدَّاهُمُ إِلَى الحَسَرَاتِ

[55] وَهَدَى كُلَّ مُومِنٍ حُبُّ ءَالِ *** المُصْطَفَى مَنْ أَتَى وَمَنْ هُوَ آتِ

[56] هُمُ أَهْلُ الصَّفَا وَأَهْلُ الوَفَا *** وَ الشَّرَفِ المُنْتَمَى مِنَ العَدَمَاتِ

[57] لاَ يَلُوذُ بِهِمْ مُتَيَّمُ إِلاَّ *** نَقَلُوهُ إِلَى ذُرَى المَكْرُمَاتِ

[58] يَا إِلَهِي بِهِمْ سَأَلْتُكَ يَا الْـ *** لَّهُ وَبِالخُلفا أَقِلْ عَثَرَاتِ**/ ورقة5- ظ**

وله أيضا قصيدة [جُدْ إِلَهِي]في مدح الكعبة الشريفة [من بحر المحدث]

[1] جُدْ إلهي بموافـات التي *** قد سَبَتْ لبي ولي فيها غرام

[2] أصلها مـن جنة قد نَزَلَتْ *** حسنها إن قوبلت ليس يرام

[3] حُلـلاً ثـم حُلْياً لُبست *** من حرير ونَضَار كل عام

[4] قد يُجازى أجـرَه من حَجَّها *** هي تلك الكعبة البيت الحرام

[5] هَيَّجت حُبَّ مُحبيها الـتي *** هي مرصاد دعـاءِ لإمام

[6] ليُجب الداعـي الذي كتبت *** له أشواطُ طوافٍ في المقام

[7] لا تُخَيّب لي رجاء يا من له *** كل شيء من حظ ذاك الزحام

[8] لأحُجَّ البيت مـع من حَجَّه *** مُحْرِما أدخل من باب السلام

[9] وأزور المصطفى الهادي الذي *** أَسَّسّ الدين به كان القَوام

[10] جاءنا بالوحـي من عندك يا *** ربنا فهو شفيعٌ فـي الأنام

[11] صَلِّ يا رَبِّ على المختار ما *** طلع الفجر ومـا جن الظلام

انتهت وله أيضا هذه القصيدة [الهَوْجَاءُ ذَاتُ الهَدَجِ][من بحر المُحدث]

[1] ارْكَبِ الهَوْجاء ذاتُ الهَدَجِ *** واشدُدَنْ كُورَكَ فوق الثَّبَجِ

[2] تلك عَنْسٌ شَمْلَلٌ يَعْمُلَةٌ *** ذات سَنْجِما بها من هَيَجِ**/ورقة6 - و**

[3] افْنِ ظِلَّ اليوم بالسَّيْرِ بها *** واسْرِ ليلا واهتدي بالأَرَجِ

[4] لكرام نزلوا ذا سلم *** فيهم ذات السَّنَا والغَنَجِ

[5] بضّةٌ ذات سناءٍ دحضَتْ *** و أشارت بِكُعُودِ الزَّغْبَجِ

[6] غدَةٌ غانيةٌ في خدرها *** قد توارت مالها من مُدْرَجِ

[7] دونها الأبطال في غاب الفنا *** و هزبراً يا له من خَدْرج

[8] اقتحم ذاك إذا كنت فتى *** بحسام و اختفى بالدَّ لَج

[9] وادخُلِ الستر عليها واحتفظ *** ما علَى صَبٍّ جَنَا مِنْ حَرَجِ

[10] كنت قبل اليوم ذا حب بها *** فقلت الآل بادي الأمج

[11] اتركنها وامتدح خير الورى *** سيد الرسل الكِرام السُّرج

[12] أحمد المختار هادٍ مهتدٍ *** سيد الكونين خير الدنج

[13] وإمـام الأنبيـا وَ هْوَ الـذي *** جـاء بالوحـي فيا نِعْمَ المجـي
[14] قد أتـانـا بـه من عنـدك يـا *** ربَّـنـا فـهو سـراج السُّـرُجِ
[15] فَهَجَتْـهُ قـومُـه مُـذْ جـاءَهـم *** بكتـابٍ فيه قَطْـعُ الحُجـجِ
[16] جعلـواْ القـرءان سحـرٌ مفتـرىّ *** جـهـلوا تـبّاً لأهـل الهَـوَجِ
[17] سَخـرواْ منـه وقـالواْ شاعـرٌ *** ذاك بعضٌ من مقال الهَمَجِ/**ورقة6- ظ**
[18] أخرجـواْ خيـر الورى من مكـة *** و لقد آواهُ غارُ الأخلـجِ
[19] هَجَـرواْ المختـار قومـاً كفرواْ *** و أتى يعمر دار الخـزرجِ
[20] وديَـار الأوس أنصـارُ الـنبـي *** و بـلادٌ بـإزاء الـحـبُـجِ
[21] مَـعَ من قـد هاجـرواْ و اتبعـواْ *** سُبُـلَ خيـرٍ يا له مـن نَهَـجِ
[22] قَدْ أبادواْ الكفر بالسيـفِ وكَـمْ *** قطعواْ يَـوْمَ الوَغَى مِنْ مُهَـجِ
[23] قتلـواْ السبعـة أصحـابُ السَّلـى *** يومَ بَدْرٍ وأتـواْ بـالـبـردجِ
[24] بعد ضيـقِ العيـش عـن كلِّهِـمُ *** قد أتـاهم ربنا بـالخَـرْفَجِ
[25] فـأصـاب الأرضَ طَـلٌّ وابِـلٌ *** أنبتت تِلْكمُ نـبات الحـنـدجِ
[26] جـاءت الأرضُ بـأنـواع الكـلا *** دَرَّتِ الشاة لهم بِـالسَّعْـبَـجِ
[27] رضيَ الرَّحمان عنهم ورضـواْ *** عنه طُرّاً هُمُ أهل الصَّوْلَـجِ
[28] رَبَّنَـا صَـلِّ علـى المختـار مـا *** نَفَحَتْ رِيْحُ الصَّبَاب المُسهَجِ
[29] وعلـى آل النبـي مـا صفحـت *** تلكم الـريح غُصَيْنَ السُّنَـجِ
[30] وعلـى أصحـابـه مـا تُـلِيَتْ *** ارْكبِ الهوجـاءَ ذات الـهَـدَجِ

وله أيضا رحمه الله [سَلَبَتْ سَلْمَاكَ أَلْبَابَ اللُّبَابْ] [من بحر الخفيف]

[1] سَلَبَـتْ سَلْمَـاك ألـبابَ اللُّبَابْ *** ورَمَتْني يوم بَانَتْ بشهابْ/**ورقة 7- و**
[2] خَلَّفَتْني فـي معـانـي الحَـيِّ لا *** أسمعنْ صوتاً سوى نَعْبِ غُرَابْ
[3] فـي رُسـوم عَفِيَـتْ آثـارهـا *** بـحـوب و ندا صبَّ سحـاب
[4] لاَ أرى إلاَّ رمـــادا لُـبَـداً *** و آثاف أُلقيت فوق تُـرَابْ
[5] و وحـوشـاً تعتـريهـا بُكْـرَةً *** تختفـي إن جـنَّ ليلٌ بهضـابْ
[6] فمتـى قُـلتُ لهـا مُخْـتَـبِـراً *** أين سار الحيُّ صَمْتٌ لا جَوَابْ
[7] بَـلْ أجابت بلسـانِ الحـال مـا *** بَالُ هَذا يَخْطبُ الفقر الَيبَـابْ
[8] سـالنـي عن مِعْشَـر حُبُّهُـمُ *** مِـثل ظِـلٍّ زائلٍ أو كَسَـرَابْ
[9] فَلَـوْ أفْنَـى دهرَهُ في مدح مَـنْ *** خَتـم الـرُّسلَ جميعاً لأصـابْ
[10] أحمـد المحمـود في الدنيـا و في *** ظُلمـة القبرِ وفي يومِ الحِسَـابْ
[11] ابن عبـد الله عبـد المُطـلـب *** جدُّهُ أُعطىَ من فصلِ الخطـابْ
[12] هـاشمٌ عبـد مـنـافٍ بَـعْـده *** و قُصيٌّ يـقـتـفـيه وكِـلاَبْ
[13] مُـرّةٌ كَـعْـبٌ لُـؤَيٌّ غـالِـبٌ *** بَعْـدَ فهـرٍ مَالِكٌ نلت الثَّـوَابْ
[14] تُمَّـتَ النَّـضْـرُ كِـنـانَـة بعـده *** و خزيْمةُ مدركةْ حزْت الصَّوَابْ
[15] ثـم إلـيـاسٌ يـلـيـه مُـضَـرٌ *** و نزارٌ ومَعْدٌ لا ارْتِـيـابْ
[16] أصْـلُـهم عـدنـانُ مع من بعـده *** فيهُمُ الريب به تم النِّصَابْ/**ورقة7- ظ**
[17] غيـر إسمـاعيل إبراهيـمهـمْ *** مع نـوحٍ شِـئْتَ جَدٌّ لا يُعَـابْ
[18] و أبـونـــا آدمٌ أصـلُـهُـمُ *** لم يقـع منهم سفاحٌ ذا عُجَـابْ
[19] ثـم مـن حـوى إلـــى آمنة *** أمهات طـاهرات لا خِـلاَبْ
[20] لا تـرى أكـرم منـه نَسـباً *** شَرُف الأصْلُ بذا الفرْعِ وطابْ
[21] قد سرى من حرم للمنتهى *** وَرءا اللهَ به دون حِـجـَابْ
[22] قـالـه نَجـل أبي الفضَـل و قَدْ *** نَقَـلَـتْ عائشة وحي الخطابْ
[23] ذاك والـقـومُ هُـجُـوع وهو مـا *** علمـوا منـه رقياً و أنـــابْ
[24] فَدَعَـاهُـم مُـنْـجـداً لـهـم *** فبدا منهم نفور و اجتنـابْ

[25] كُل ما جاء به صَدَّقْتَه *** يا أبا بكر و آيات الكتابْ
[26] يا خَدِيْجُ يها بلال يا علي *** ثم يا زيد ظفرتم باللُّبابْ
[27] فجزاكم ربُّنا خيراً على *** فعلكم صرتم به خير صِحابْ
[28] بكُمُ سُؤْلي لمن مَلَّكَكُمْ *** بعقولٍ وجِفانٍ كَالْجَوابْ
[29] و قُدُورٍ راسياتٍ للقِرى *** تُنْضِجُ اللحمَ و تعني للثوابْ
[30] بأبي حفص أغِثْ يا عمر *** و تمام العشر نادِ قد أجابْ
[31] و بمن آمن مِنْ صحب و مَنْ *** جاهد الكفر بِخَيْلٍ و ركابْ/**ورقة 8- و**
[32] و بناتُ المصطفى ثم بنيه *** و أُهيل البيت سُؤْلي يُسْتجابْ
[33] و أبي يِعلى و عباس فكم *** حَبَّ من قوم وكهل و شبابْ
[34] أبتغي أَمْناً و مَنّاً في الدُّنا *** ولدى الموت و في معنى التَّبَابْ
[35] لا أرى بَأْساً و لا *** للعدى جنساً و لا بَخْسِ المئابْ
[36] و استر الله عُيُوبي كلَّهَا *** و اغْفِرِ الذنب الذي يُدْني العذابْ
[37] و تَحَمَّلْ تبعاتي كلَّها *** لذويها و تجاوزْ في الحسابْ
[38] و تداركني بلطف منك يا *** ربَّنا عبدك في الإسلام شابْ
[39] سَمِعَ الوَعْدَ جاء به *** مرسلٌ كَلَّمَه خَيرُ الضِّبَابْ
[40] صَلِّ يَا رَبِّ على المختار ما *** تُلي الحَمد و تنزيل الكتابْ
[41] و على الآل مع الأصْحَابِ مَا *** نَدَّ وَعْلٌ لِذُرَى أعلا الضّرابْ

وله أيضا رحمه الله هذه القصيدة [ذِكْرُ الخُرُودِ] [من بحر المتقارب]

[1] هَجَرْتُ تَغُزُّل ذكر الخُرُود *** و مَدْحي لِذِكْر النَّبي يَعُودُ
[2] كَتَبْتُ رُسَيْمَ طلاق الغِنَا *** بتَسْجيلِ قاضٍ ووضع شُهُود
[3] لكي يستحيل جزاءُ الذي *** جَنَيْتُ من أجل تَعَدِّ الحُدود
[4] و يا من جسمي و روحي غدا *** من الطبقات ذوات الوقود/**ورقة 8- ظ**
[5] و يرفق بي مَلكُ الموت إنْ *** أتاني يُعَالجها للصُّعُود
[6] ضريحي إذا ما حللتُ به *** وجدتُ ضياءً و خير لُحود
[7] و عند السؤال إذا ما أتى *** يُخاطب بالوَعْد لا بالوَعِيْد
[8] و يَحْجبُني اللهُ عن برقه *** وصوتٌ له مثل صوت الرُّعود
[9] و تُطوى مسافةُ حَشري إن *** وفَدْتُ إليه أنا والوفود
[10] وقوفي به قدر مكتوبة *** يُرى أوفواق لذات العُقود
[11] و يُثْبِت أجري و ذنبيَ لا *** إذا نُصبت كَفْتَاء العَمود
[12] صراط الإله أمُرُّ به *** كَلَمْح البريق لحوض الوُرود
[13] أُعَلَّلُ منه و أغبطه *** و أَسْكُنُ بعدُ جنان الخُلود
[14] و أَكْبَرُ منه رضَاءُ الإله *** و أكبر منها مُحَيَّى الوَدود
[15] إلهي حَقِّقْ رجاءي بها *** و اقْضي دُيُوني لأهل العقود
[16] و عاملْ بلُطفك في هذه *** مع الحِلم في تلك ياذا الوُجود
[17] بجاه رسولك ذاك الذي *** بِبَكْرٍ أتى و النساء و العقود
[18] و ياسينَ و الملكِ ثُمَّ سَبَا *** و كَهفٍ و نحلٍ و حِجْر وهُود
[19] و طَهَ و صَاد و قاف ونون *** وعَمَّ و إذ هم عليها قعود/**ورقة9- و**
[20] شفاعته للورى كلهم *** تَعُمُّ مُطيعَهُمُ و الكَنود
[21] فياتون ءادمَ ثم لنوح *** وموسى و عيسى و خير الجُدود
[22] خليل الإله قبيلَهما *** فَعَجْزُ الجميع يُرى و الصُّدود
[23] و يأتونه إذ يقول أنا *** لهذا على رَغْم أنْف الحَسُود
[24] يُناجي الإلهَ لدى عرشه *** يُقَدِّمُ قَبْلَ السؤال السُّجُود

[25] فيُعطى الشفاعة تلك التي *** يَعُمُّ بها المُجتَبَى و الصَّلُود
[26] فإن ظهرت ءاية للنبي *** فإبرازه بالنبي للوجود
[27] و ءاياتُهم كلهم ءاية *** له و انْبعاثهم للجُنود
[28] لخديه نور إذا ما ضحى *** محى ظلَه من ضياء الخدود
[29] و خير الشُّجُور دَعَاهَا له *** و جاءته تمشي بغير جُحود
[30] تَقِيْهِ حرارة شمس النهار *** غمامةُ جَوٍّ بِظِلٍّ تَجُود
[31] و شُقَّ له زُبْرُقانُ السَّمَا *** على فرقتين و الناس شُهود
[32] كما شُقَّ عن قلبه مرة *** بُعَيْدَ اثنتين و قَبْلَ الصُّعود
[33] و أُسريَ ليلاً به للعلا *** وَوَلَّى و أهلُ الحجاز رُقُود**/ورقة9- ظ**
[34] بإنجيل عيسى أَتَى وَصْفُهُ *** و توراة موسى مَحَتْهُ يَهود
[35] أَمَا سَمعوا فرقة لَهُمُ *** خنازيرُ رُدَّتْ و منهم قُرُود
[36] و أولاءِ بَاءوا بِمَسْكَنَة *** و ذُلٍّ يُصَاحبهم للهمود
[37] و إنَّ النَّصارى لَفِي مَعْزَلٍ *** عَنِ الدين حَلُّوا وراءَ بُرود
[38] ففي كل يوم تُقاتلهم *** فمنهم أسير يُرى في قيود
[39] ففي كُلِّ يوم تُقاتلهم *** عن الدين حَلُّوا وراء برود
[40] و بعضٌ يَفِرُّ إلى سَبْسَبٍ *** و كم من يَدٍ قُرنت للجنود
[41] و من مات مالت نوائحه *** لِشَقِّ الجُيوب و خَدْش الخُدود
[42] و بعضُ الجميع أُدين به *** كبعض لعاد وقوم ثمود
[43] صلاتك ربِّي على أحمدٍ *** و ءاله و الصَّحْب أهلِ السُّعُود

وله أيضا تقبل الله منه هذه القصيدة [قَصَدْتُ سُلَيْمَى لِمَنْزِلِهَا]
[من بحر المتقارب]

[1] قَصَدْتُ سُلَيْمى لمنزلها *** وجدتُبهقومَهمُنْكرينْ
[2] يَصيحون وَ هْيَ مُسَجَّيَة *** ظَنَنْت بذلك كلَّ الظُّنُون
[3] جَعَلْت أصيح صُيَاحهُمُ *** لأعرف مَا للبكا من شُؤون
[4] فلما جَلَسْتُ لَنَاديهِمُ *** تَبَدَّا لِعَيْنِيَ ماءٌ سَخُون
[5] و أثوابُ قُطْنٍ تُخاط لها *** عرفت بأَنْ قَدْ نَعَاها المَنون
[6] فزاد بكائيَ من فَقْدها *** غَشَاني مِنَ الوَجْدِ لَمْسُ جُنُون**/ورقة10- و**
[7] ظَلَلْتُ صَريعاً شَبيهاً بها *** فلا أستطيعنَّ رَفْعَ جُفُون
[8] و للقوم شُغْلٌ بتجهيزها *** و إنْ أَقْبَروها فلا يَغْفُلُون
[9] فَمُذْ فَرغُوا رَفَعوا نَعْشها *** و ساروا إلى رَمْسها مُهْطعين
[10] فَهَابَ قُسَيْمُهَمُ دَفْنُها *** و أنْ يجعلوها مَعَ الميِّتين
[11] فوعَّظَهم حِبْرُهم و بَكَواْ *** فما دفنوها إلى بَعْدَ حِين
[12] فَبَاءواْ إِلَىَّ وَهُمْ خُشَّعٌ *** لِوَعْظ نقيبهم يَسْمَعُون
[13] فقال أيا صاح قُمْ راجعاً *** لمن أمْرُهُ بين كافٍ و نُون
[14] لَوَ اَبْصرتَ لُهبان نَارِ لَظَي *** لَمَا نَظَرَتْ في النساء عُيُون
[15] وَ لَوْ لَمَحَتْ عَيْنُكَ الحُطَمه *** لَزدتَ فِراراً تَلَتْهُ شُجُون
[16] وَ لَوْ سَمِعتْ أُذْنُك الزَّفرات *** لذاب الجُسيم كماء مَهِين
[17] و لو شَمَمَ الأنفُ نَتْنَ الحميم *** لصار دماغك منه عِضين
[18] و في الموت وعظٌ و في القبر لا *** تَفُوتهما لو حَيِيْتَ سِنين
[19] و سُؤْلُ نَكير و صَاحبه *** يكون عذابا علَى الكافرين
[20] و في ذكر ما فَاتَ من عُمُرٍ *** لَوَعْظٌ مُبين لِهَجْم اليقين
[21] فإن كنت في هذه غافلاً *** فأنت صَلُودٌ لئيم لحون**/ورقة10- ظ**
[22] تنبَّهت من سكرتي قائلا *** لهُ يرحم الله عبداً يُعين

[23] على طاعة الله يرشدُنا *** و يَفْصِدُ عن كل داء دفين
[24] فقال أُخَيَّ عليك إذا *** أردتَ النجاة بنهج الأمين
[25] حَبيبُ الإلـــه و نُخْبتُه *** و رحمته خاتَمُ المرسلين
[26] و سيِّدهمْ و شفيعٌ الورى *** وقُدوتُهم قَاتِلُ المشركين
[27] بشيرٌ نذيرٌ مُبَشِّرُنَا *** رحيمٌ عطوفٌ على المؤمنين
[28] و برٌّ مُبِرٌّ كريمٌ بَدَا *** نداه لدينا كَصَبِّ الهُتُون
[29] و ماحٍ أُحيدٌ وحيدٌ و نورٌ *** سِراجٌ تَشَعْشَعَ للمُرسلين
[30] بفضلٍ جَدَاه السما رُفعت *** به سُطِحَتْ هذه الأَرَضُون
[31] هو القُطب و الناس مثل رَحَى *** تدور عليه بحرب و دين
[32] من ءاياته انْشقاق القمر *** و قُدَّ بناءٌ لكسرى اللَّعين
[33] و إطفاءُ نارٍ لفارسه *** بلاءٌ عليهم و غَوْرُ العُيُون
[34] و جِذع النُّخَيْلَة حَنَّ لَه *** من أجل فراق الرسول الحنين
[35] و كَلَّمه الضَبُّ في مجلس *** و ظبيةُ صائدها للبنين
[36] بَعِيرُ اليهودي أتى و اشْتكى *** إليه بمنطقه المستبين/ **ورقة11 - و**
[37] و أخبر بالغيب عن قتل سَعْدٍ *** و زيدٍ و جعفرٍ المهتدين
[38] و عن أهل بير معونة إذ *** و جاءهم عدوٌّ كثيرٌ عِزين
[39] و موتِ النجاشي في أرضه *** و أكلِ الصحيفة للمشركين
[40] و عن حاطبٍ و رسالته *** إلى القوم و هو من البدريين
[41] ذكرتُ قليلا من المعجزات *** و لَمْ أَصِلَنْ مَدَا المُكثرين
[42] لعلميَ أنِّي لستُ أَفِيْ بها *** في حياتي و لو بَعْد حِيْن
[43] فلا ينزح البحر عَبَّ حَمام *** فعجزي عن ذاك حَقٌّ مُبين
[44] لَوَ افْنَيْتُ عُمْرِيَ في مدحه *** لفُزتُ و صرتُ من المُفلحين
[45] و لكنْ قضى ربُّنَا أمرَهُ *** و قدَّره [الله] فيه استعين
[46] و فعليَ أقبح مِمَّا يُرى *** يُصاحب جسمي فبيس القَرين
[47] و ذنبي عظيمٌ يُثَبِّطُنِي *** إنَ اعْجبني عَمَلُ المُصلحين
[48] فيا نفسُ لا تَخْتَشي من كَرَبْ *** فإنَّ مع العُسر يُسراً يَهُون
[49] أُسَلِّمُ أمري و عُذري لمنْ *** يقولُ لأمره كُنْ فَيَكُون
[50] و لستُ أبالي بذنبٍ فَقَدْ *** تَمَسَّكَ قلبي بحبل متين
[51] صلاتك ربِّي على المُصطفى *** وءاله و الصَّحب و التَّابعين/**ورقة11-** ظ

وله أيضا عفا الله عنه هذه القصيدة [أَلاَ يَا قَوْمَنَا] [من بحر الوافر]

[1] أَلاَ يا قومَنا قَدْ بِتُّ أَمْسِ *** أُكَابد في سواد الليل رَمْسِ
[2] هو المِعْراضُ للإنسان مَهْمَا *** يَمُتْ يُلقى بسجنٍ أيُّ حَبْس
[3] تصير ذواتُنا فيه صَديداً *** وديدانا تسيرُ بغير لُبْس
[4] و تهبط روح كافرها هُبُوطا *** و تَصْعُد ذات إيمان لقُدس
[5] فَذَكَّرَني بما أَمْضِي إليه *** وبالجُرم الذي جَرِمَتْهُ نفسِ
[6] وأورثني الهُمومَ وضِقْتُ ذَرْعاً *** و قد حان الفراق و بَانَ يَأْس
[7] من الدنيا التي غَرَّتْ و غَارَتْ *** على اللَّهْ ي بها و كَفَتْ بِتَعْس
[8] فلا وِزْرٌ يَعُوذُ و لا صَديق *** سوى المُختار أحمدَ و اَلتَّأَس
[9] يُبَادرِنِي اسْمُهُ فأنا مُحَمَّد *** مَعَاذ الله أن يَرْضى بِبَخْس
[10] تَخَلَّص لِي الضَّمانُ وحُزْتُ فخراً *** بذلك قَدْ رَجَوْتُ نجاةَ رأسي
[11] فَيَاهِ به سألتك ذَرْ ذنوبي *** هباءً لا تُعَدُّ كيوم كَبْس
[12] هو الماحي المُفَضل و هو كافي *** و مفتاح الجِنان و روحُ قُدْس
[13] هو الذُّخْرُ المُعَدُّ لكل هَوْلٍ *** هو الفَرْطُ المُمَهِّدُ و هْوَ أُنْس

[14] هو المُنجي المُجير هو البشير *** هو السَّيْفُ المُجَرَّدُ وَهْوَ تَرْس/**ورقة12-و**
[15] يقي صدري المكاره و الرَّزَايا *** و يَحْمِنِي غداً من كُلِّ بأس
[16] و في الدُّنْيا يكون لنا كفيلاً *** فأُصبح في وقايته و أُمسي
[17] أتَى بكتابِ شِرعتِه إلينا *** و خَلَّفَه لنا يُبتلى بِدَرْس
[18] يُبَيِّنْ لنا الحَلالَ مع الحرامِ *** يُنَبِّه من تَدَبَّرَ لَيْسَ يُنسي
[19] فلولا طه لم تَسْمَعْ بِلَوْحٍ *** و لا قَلَم و لا عَرْش و كُرسي
[20] و لا بعثٍ و لا قِسْطاسِ وَزْنٍ *** ولا عَدْنٍ و لا حَشْرٍ بِهَمْس
[21] و لا نارٍ تُعَذِّبُ مَنْ جَفَاه *** و لا صُورٌ و لا تكويرُ شَمْس
[22] و لا حُورٌ كواعبُ غانياتٍ *** يُهْدِنَ بِطيب أفواهٍ و كأس
[23] و لا رَدُّ المظالم كيف كانت *** و إن قَلَّتْ كخرذلةٍ و فُلْس
[24] و لا عَشْرٍ و لا خمسٍ تُصَلَّى *** و لاصومٍ و لا حجٍ بِعَنْس
[25] و لا سعيٍ يليه طوافُ بيتٍ *** و لا هديٍ بأنعام و تَيْس
[26] و ما كُنَّا و لا كانت دُنانا *** و لا حرثٌ و لا بُستانُ غَرْسِ
[27] صلاةُ اللهِ ما غَنَّى هَزَارٌ *** على الأغصان في غَيْضَاتِ بَقْس
[28] عليه و آله و الصُّحب طُرّاً *** و مَنْ وَالاهُ مِنْ جِنٍّ و إِنْسِ

وله أيضا عفا الله عنه هذه القصيدة الدالية **/ ورقة 12 - ظ**

[بَانَ الشَّيْبُ فِي جَسَدِي] [من بحر البسيط]

[1] بانت سُعاد و بان الشيب في جسدي *** وأضرمت جُذْوةَ الجحيم في كبدي
[2] قد كنتُ ذا شَغَفٍ بها أعاهدها *** و أطرِقَنَّها بذي الأسباب و الوتد
[3] و طال مالطَمَتْ خدي ذؤابتها *** و قبلتني بما يَفْتَرُّ عَنْ بَرَد
[4] عظيمه العَجُز بَضَّةٌ و كاعبة *** بأربع تُقْبِلَنْ إن مددت يَدي
[5] لكشحها أجْتَني ثمار بهجتها *** تُعانق الصَبَّ بالزَّنْدَيْن والعَضُد
[6] تَزري بشمس الضُّحى والبدر إن كشفت ** * عن وجهها الشَّجي لا تَخفى على أحد
[7] عجبت مُذْ قطعت حبل الوصال وقد *** رَدَّتْ إليَّ سهام الصَّدِّ و الكَمَد
[8] و خلَّفتني بربع لا أنيس به *** سوى السَّفِيْت و ما يَهُول من أسد
[9] قالت لدى البين لا تَطَأْ بساحتنا *** قد صار فُؤْدُك مثل العِهْن لم يعد
[10] وأحْدَوْدَبَ المتن وانطوى الأديمُ *** وما أراك إلا قد ابتليتَ بالدَّرد
[11] إليك عني فأيام الصِّبا ذهبت *** ولست آنسُ بالمشيب للأبَد
[12] فللوصلُ من مثلنا ءالٌ ببلقعة *** تظُنُّه الرَيَّ إن طلبت لم تَجِد
[13] فشَمِّرِ الذَّيْل عن ذكرى تَغَزُّلنا *** وعامل الله بالإخلاص واجتهد
[14] دَعِ التَّصَابي لا تسلك محَجَّتَه *** إن المعاصي نَهْجُ الكفر والوَقَد
[15] وتُبْ لمن صَوَّرَ الورى بقدرته *** ربُّ العباد الإله الواحد الصَّمد/**ورقة13-و**
[16] يَقْضي بحُكم سَوِيٍّ لا مَرَدَّ لها *** قضاه يفعل ما يشاء إنْ يُرد
[17] ولا تغرَّنَّك الدُّنْيا وزهرتُها *** لأنَّه خُلق الإنسان في كَبد
[18] واسْلُك سبيل رسول الله قدوتُنا *** ودُمْ على دينه القويم لا تَحِد
[19] شَيِّعْ محاسنه تَظْفر بفائدة *** يفدى بها مَنْ جنى مِنْ رِبْقة القَوَد
[20] أختاره الله من أعلا الورى نسباً *** لوحيه آيةٌ جَلَّتْ عَنِ العَدَد
[21] منها حنين الجذع حين بَدَّله *** بمنبر صنعةُ النَّجَّار من عَمَد
[22] وكِلْمةُ الضَّبِّ في نادي صحابته *** وظبية الصَّيْد إذ حَنَّتْ إلى الولد
[23] وقصة الجمل الذي اسْتَغاث به *** من اليهود عليهم لعنة الأحد
[24] وماءُ ذات المزاد تين في سَفَر *** منه روى الجيش أخذ الماء في الجَدَدِ

[25] لكنـّه فاز بعد شُرْبِهِمُ كرمـا *** وزادها أَرَشٌ أَخْذُ الماء في الجَدَدِ
[26] وجـاش ماءٌ كثير من أصابعـه *** للقوم إذا قحطواْ ريٌّ بلا رَبَـد
[27] وَرَدَّعينَقُبّلدةالتيقُلعت *** فيغَزْوةٍلمكـانهـا بخير يَد
[28] بـناءكسرىتداعىيـومولـده *** من أجل ذاك ثوى بالغِلِّ والحَسَد
[29] ونـارُ فارسٍ أُخمدت وماؤهـم *** قد غَارَ لم يعلموا ما حَلَّ بالبلـد
[30] وأسفر الليلُ عن ضياء وجْنَتـه *** يَرَى الحجازيُ أرضَ الرُّوم من بَعَد
[31] وقصَّـة الغار في أيَّام هجرتـه *** والعنكبوت وذات البيض في السَّدَد/ورقة13- ظ
[32] خَفـي بذاك عن عيون طالبـه *** ومَدَّه ربُّـه بأحسن المَدَد
[33] قد اقتفـى إثرهُ سُراقـة ورأى *** من العجائب ما يُغني عن العَدد
[34] وفِهْرُ أُمِّ جميلٍ إذْ أتته بِـه *** رامَتْ إذايتـه رُدَّتْ ولَمْ تَكِد
[35] مُذْ جَاءَ في ذمِّها حَمَّالة الحَطب *** في جيدها سَبْتٌ يُحكى مِنَ المَسَد
[36] هو الشَّفيعُ غداً في الخلق كُلهم *** حتَّى اليَهود وأهل النَّفْث في العُقد
[37] نخيل سلمان أثمرت وقد غرست *** في عامها وقضى كتابـة وفد
[38] قَدْ كـان يَرْصُـدُ بعثةَ النَّبيّ ولم *** يَبْرَحْ إلى أنْ أتى لجيشه الحشد
[39] أنصـارُه المُرتضين حَـلَّ أرضَهم *** ء اووهُ بالسَّيف والتَّرحيب في الوَمَدِ
[40] وجاء من هاجر الكفَّارُ نَحْوهُمُ *** فصار بَعْضُهُـمُ للبعض كالعَضُد
[41] قاموا بِأَمْر النَّبـي لنصر مِلَّته *** وجاهدواْ الكُفْر حتّى باءوا بالكَسَد
[42] فَسَلْ تبوكـاً وبدراً عن قتالهم *** وسل حُنيناً ويوم الفتح مَعْ أُحُد
[43] ينبئك عن مـا جرى ببذل أنفُسهم *** نحـو الجهـاد بلا حَدٍّ ولا أَمَد
[44] وأظهرواْ الدين واستَوَتْ قواعِـدُه *** وخلفوا سِرْبَهُمْ في عيشة الرَّغَد
[45] ياربِّ صَلِّ على محمّد وعلـى *** ءالـه والصَّحب والأتباع والوَلد

وله أيضا تقبل الله منه هذه القصيدة في الطويل / ورقة14 - و

[نَفْسِيَ الأَمَّارَة]

[1] أَبَتْ نفسي الأمَّـــارة الرَّدَّ للهُدى * * * وما رجَعَتْ عَنِ الرذائل والرَّدا
[2] وبَـــاءتْ بِحُبٍّ لا تُطيق بحملـها * * * وغَرَّبها نـادٍ عظيمٌ مـن العِدا
[3] هواهـا وكلُّ شهوة وقرينـــها * * * فيا ليتـها هَوَتْ لمكَّة من كُدا
[4] وتدخُـــل من باب السَّلام لبيتِ مَنْ * * * تَفَرَّدَ بالملك العـظيم والابْتِـدا
[5] وتُسْلمـني لمـنْ خُلقت لأجـله * * * أطُـوفُ ببيت الله سَبْعاً تَعَبُّدا
[6] وأركـع ركعتين خلفَ مقـامه * * * وأَسْتَلم الرُّكن اليَمَاني والأَسْودا
[7] وأسعـى مِنَ الصَّفا إلى المَروة التي * * * هُنـالك سبعًا راجعاً مُتَرددا
[8] وءاتـــي مِنى بُعيدها عرفاتُنا * * * وأنْفُرُ للمبيت فَـاز مَنِ اهْتَدا
[9] وأقضـي مناسكـًا كَحَلْقٍ ورَمْيِنَا * * * وأنْحَرُ هَدْيـاً في مِنى قَدْ تَقَلَّدا
[10] أحِلُّ بهـنَّ ثـم آتي بعمـرة * * * وإحرامها في الحَجِّ إن كنْتُ مُفْردا
[11] ومهـمى أُقَضِّي ذاك بِتُّ مُعَوّلا * * * على رحلتي لمن بَـدا وتَأَيَّدا
[12] بروحٍ مِـنَ الله العظيم وَوَحْـيِهِ * * * ونَصْرٌ وَرُعْبٌ شَـائِعٌ قد تَأَبَّدا
[13] وخُلْقٌ كريـم زاده خَـلْقٌ فلا * * * يُضاهيه بَـدْرٌ نُورُه قد تَوَقَّدا
[14] ولا شمسٌ جَـوٍّ في النواحي ضياؤها * * * ولا نور غيرِه وإن بَلَـغَ المَدى
[15] فأصلُ جميعِ النُّور نورُ ضيائه * * * فلا تُشبه الفروعُ أصلاً تَفَرّدا/ورقة14ظ
[16] إذا مـا نَحَـى الحجيج نحو ديارِه *** وكُنْتُ به يُزاح عن قلبيَ الصَّدَا
[17] أُشاهِدُ أنـوارَ الحبيب ونورِه *** وتبدو لنا قُبى وقد ساعد النَّدا
[18] أَسِيْرُ ووَجْـدي بالحبيب يَقُودني *** إلى بيت خير مَنْ تَوَصَّفَ بالجَدَا
[19] وأُملي سلامي فارغ القلب قائلا *** سلامٌ عليك يـا حبيبي محمَّدا
[20] ورحمة ربنـا تلي بركـاته *** رسالتُـه أَبْلَغْتَهَـا مُتَجَرِّدا

[21] أمـــانتُه أَدَّيْتَـــها لعباده *** جزاك بخير مـالكُ المُلك سَرْمَدا
[22] أميلُ إلـــى الصِّدِّيقِ بَعْدُ مُسلما *** كذاك إلى الفَارِوق مَيْلاً مُجَدَّدا
[23] وأُثْني عليهما بمـــا قد عَلِمْتُهُ *** وأسأل منهُمُ الشَّفـاعة والفِدا
[24] أقولُ ودَمْعُ العين كالوَبْلِ صَبُّهُ *** وكُنْتُ مُسِنّاً شائبَ الرَّأس أَذْرَدَا
[25] فهذا مُحبُّكم أتـــى مُتمسِّكـًا *** بأذيال خيرِ الخلق يلتمس النَّـدا
[26] فحاشي ويأبى الله أن تُسلموه لا *** يُضام نزيلُكُم وإن صَحِبَ الدَّدَا
[27] وعند انْقضـاء نَحبه تُحْضرونه *** وفي كُلِّ هولٍ بَعْدَ ذاك تَجَـدّدا
[28] وإن حـال أمرُ الله دون دياركمْ *** فقلبيَ عن جسمـي ينُوب ليَحْمدا
[29] فهـاذي خُريدة رَقَّتْ بجَمالها *** من الفكر أُلبست حريـراً وعسجدا
[30] وجـاءتْ تَمِيْسُ لا تَزِنُّ بِرَيْبَةٍ *** أُزَفِّفُها إلى النّبي مُتَعَمِّدا/**ورقة 15 - و**
[31] سألتك يـــا ربِّ به وبـآله *** نجـاةً ولطفـاً لا يزول إذا بَدَا
[32] ودَارِكْ جميعَ مَنْ تَـلاَها مَحَبَّةً *** ومُستمعـاً ووالـديَّ ومَوْلدا
[33] وأشياخَنَا والمُسلمين جميعَهُمْ *** وخُـذْ بيدي ولا تَكِلْني إلى العِدَا
[34] صلاةٌ وتسليمٌ ورحمةُ ربِّنَـا *** على المُصطفى خير البريئة أحمدا
[35] وآله وأصحـابه ما دَرَّ شارقٌ *** وما رَدَّدَ القُمْرِي صوتًا وغَرَّدَا

وله أيضا عفا الله عنه وتقبل منه هذه القصيدة في بحر المنسرج

[عَدِمْتَ لَيْلَى]

[1] عَدِمْتَ ليلـى وقلبُك احْتَوَقَـا *** من أجـل فُرقتها وما سَبَقا
[2] عاهِدتها فـي الدُّجـى بقُبتها *** وكنت تُطـرقها إذا اتَّسَقـا
[3] تهدي بِنَدٍّ وَعُـود مَجْمَرها *** يُسبـي الحَشَا زندُها إذا عَبَقَا
[4] وأنت مِـنْ أهلها على حذر *** مؤلَّـه القلب خـائفاً قلقا
[5] من دونها الأُسْدُ في الوَجَار ومَنْ *** يَحمي حِمَـا حَيِّها قَدِ اتَّفَقا
[6] على أذى مَنْ يَـرُوم حُلَّتها *** إنْ جَنَّـهُ ليلُه إذَا وَسَقَـا
[7] فـلا أَرَ لك ثَـمَّ مَطْمَعَةً *** فالخيرُ في مدح من مَحا طُرُقا
[8] وأسَّسَ الـدِّينَ بَعْدَ ضَيْعته *** فيا لـه من صباح انْفَلَقا
[9] وجـاءه جبرئيل مَكْرُمـةً *** فسَدَّ عند نُزُوله الأُفُقَا/**ورقة 15 - ظ**
[10] مَهْمَا أتـاه بوحي خـالقه *** تَصَبَّبَ المُصطفـي به عَرَقا
[11] تراه مِنْ حَـرَم إلـى حَرَم *** أَسْرى به فـي لُوَيْلَةٍ وَرَقَا
[12] إلى عُـلا المُنتَهى وسِدْرَته *** فكُلَّما من حجـابٍ انْخَرَقا
[13] هناك كَلَّمَـه الإلـه على *** فرائضَ حَدَّهَا لـهُ نَسَقا
[14] أتـى وصـاحبُه يُنِيرُ به *** في ليلةٍ كـان ذاك وافْتَرِقا
[15] لمَّـا دعـا قومَه وأنذرهم *** مِمَّـا رأى كذَّبوه مُذْ نَطَقا
[16] رَمَـوْهُ بالإفك قال صاحبه *** في الغـار هذا رَسُولُكم صَدَقَا
[17] فـآمن المؤمـن السَّعيد به *** وكُـلُّ مَنْ ضَلَّ رأيُه مَرَقا
[18] الله فضَّـله وأرسـله *** اختـاره للعبـاد مَنْ خَلَقا
[19] ريَّـاه طيبة فلو نَفَحَتْ *** على فُـؤاد الكَفُور ما احْتَرقا
[20] ووجـهه الحسن منه مُقتَبَس *** وزاده ربُّـه لـه خُلُقا
[21] والفيضُ من راحتيه جاء وَقَدْ *** تأخَّـرَ النَّاسُ وَهْوَ مَنْ سَبَقَا
[22] له علـى كل مُحدث قَدَمٌ *** تُرابـه القُدْسُ قَطُّ ما زَلَقَا
[23] يا أحمد المُصطفى مديحُك ما *** يَبغـي به زُخْرُفا ولا ورقا
[24] حَلَّتْ بـه عِلَلٌ تُشَيِّعُهُ *** لرمسه وغرابُه نَعَقَا /**ورقة 16- و**
[25] فَمَـا له ملجأٌ سواك فـلا *** تَتْرُك نزيلَ الحما وإنْ سَرِقَا
[26] لكنَّـه رَامَ مَـا يَدُومُ له *** فإنَّـه فـي ذنوبه غَرِقَا
[27] وخاف مِنْ حَرِّ نـار خالقه *** وغيظِـها ذاك زادَهُ فوَقَا

[28] صلَّى عليك الإله ما طلعت *** شمسٌ ومَا عَمَّ نُورُها الوَرَقا
[29] وءالك الغُرِّ والصَّحَابة ما *** رأى بصيرٌ بِعينـه الشَّفَقَا

انتهت هذه القصيدة ثم جعلها أيضا في البسيط فقال :

[1] عَدِمتَ ليلـى **أخـي** وقلبُك احْتَرَقا *** من أجل فُرقتها **العُظمى** وما سَبَقا
[2] عاهِدتها في الدُّجـى **ليـلاً** بقُبَّتها *** وكُنْت تُطرقهـا **به** إذا اتَّسقا
[3] تُهدي بِنَدٍّ وعُـود **عُرْف** مَجمرها *** يُسبي الحشا **نَفْحُ** زندِها إذا عَبَقَا
[4] وأنت مـن **حَـرَم** أهلها على حَذَر *** مُوَلَّهَ القلب **صَبّاً** خـائفا قلقا
[5] من دونها الأسْد في الوَجَار **تَبْغي** ومَنْ *** يحمي حِمَا حَيِّها **جمعاً** قَدِ اتَّفقا
[6] علـى أذى من يَرُوم **حَرَم** حُلَّتها *** إنْ جَنَّهُ ليلُه **ذاك الـذي** وَسَقا
[7] فـلا أر لك **يـا ذا** ثَمَّ مَطمعةً *** فالخير في **نَظْم** مَدْح مَنْ مَحَا طُرُقا
[8] وأسَّسَ الـدِّينَ بعد **دهر** ضِيعته *** فيا لـه مِنْ صبـاح **فَجْرُهُ** انْفَلَقَا
[9] وجـاءَهُ جِبْريل **الرُّوح** مكرمة *** فَسَدَّ عند نُزوله **الهوى** الأُفُقا/ **ورقة16 - ظ**
[10] مَهْمَا أتَاه بِوحـي **الرَّب** خَـالقُهُ *** تَصَبَّبَ المُصطفى **الماحي** به عَرَقَا
[11] تراهُ من حَرَم **غدا** إلـى حَـرَم *** أَسرَى به **الرُّوح** فـي لُويلةٍ وَرَقَا
[12] إلى عُلا المُنتَهى **السَّـامي** وسِدرتِه *** فَكُلَّمَا من حجـابٍ **جـاءه** انْخَرقا
[13] هنـاك كلَّمـه الإله **حتَّى** على *** فرائضٍ حَدَّهَـا **المَولـي** له نَسَقا
[14] أتى وصَـاحبه **الذي** يُنيرُ به *** في ليلة كان ذاك **السِّـرُّ** وافْتَرَقا
[15] لمَّا دَعَـا قومَـه **جَهْراً** وأنذرهم *** مِمَّا رأى كَـذَّبُوه **بَرَّ** مُـذْ نَطَقا
[16] رمَـوه بالإفك **ثُمَّ** قـال صاحبُه *** في الغار هذا رسُولكم **نَعَـمْ** صَدَقَا
[17] فآمـن المؤمِـنُ السَّعيد **سُرَّ** به *** وكُلُّ مَـنْ ضَلَّ رأيُهُ **به** مَـرَقا
[18] الله فضَّله **حَقّـًا** وأرْسَـلَه *** اختاره للعبـاد **الغُرِّ** مَـنْ خَلَقا
[19] ريـَّاه طَـيِّبةٌ **جِدّاً** فَلَوْ نَفَحَتْ *** على فـؤاد الكَفُور **سَادَ** مَـا احْتَرقَا
[20] ووجهه الحُسْنُ **صار** مـنه مُقْتَبَسٌ *** وزاده **الله** ربُّـه لـه خُلُقا
[21] والفيض من راحتيه **كيف** جاء وقَدْ *** تـأخَّرَ النَّـاسُ **عَنْهُ** وَهْوَ مَنْ سَبَقَا
[22] لـه على كُـلِّ مُحْدَثٍ **بَدَا** قَدَمٌ *** تُرابُه القُدْسُ **حَـاشا** قَطُّ مَا زَلَقَا
[23] يا أحمد المصطفى **الهادي** مَدِيحُكَ مَا *** يبغي به **اليـومَ** زُخْرُفًا ولا وَرَقَا
[24] حَلَّتْ بِـه عِلَلٌ **شَتَّى** تُشَيِّعُهُ *** لرَمْسه **وَهْوَ مَنْ** غُرَابُهُ نَعَقَا/**ورقة17- و**
[25] فما له ملجأٌ **يُرْجـى** سِواك فَلاَ *** تَتْرُكْ نزيلَ الحِمَا يَشْـقى وإن سَرِقَا
[26] لكنَّه رَامَ **مِنْكَ** مَـا يَـدوم له *** فإنه **حَـارَ** فـي ذنُوبه غَرِقَا
[27] وخاف من **قُرْبِ** حَـرِّ نار خالقِه *** وغيظِهـا ذاك **يَـاهِ** زَادَه فَرَقَا
[28] صلَّى عليك الإله **النُّـورُ** ما طَلَعَتْ *** شَمْسٌ وَمَا عَمَّ **ضوءُ** نُورهَا الوَرَقَا
[29] وءالك الغُرِّ **طُـرّاً** والصَّحابةِ مَا *** رأى بَصيرٌ **بِضَـوْءِ** عَيْنِهِ الشَّفَقَا

وله أيضا رحمه الله وتقبل منه هذه القصيدة : [نَأَيْتُ وَضَجَّ نِضْوِي] [من الوافر]

[1] نَأَيتُ وضَجَّ نِضويَ في اغتراب*** وعَجَّ لما ألفيه ركـــاب
[2] تراكمتِ الهموم وضقت ذرعا *** وصِرت من الهوى مثل المُصاب
[3] أجوب القفر فـي ظلّ النَّهار *** وآوي في المبيت إلـى الضِّراب
[4] فليلـــي مظلم لا بـدر فيه *** ويومـي قمطرير ذا سـراب
[5] من أجل عقيلة أَزْرَتْ بلبي *** فصـرت كما ترى أُنْسَ كلاب
[6] وقفت بربعهـا يوما وكُنتُ *** أُســائله فَصُمَّ عنِ الجواب
[7] أجاب حـاله والحال يُنْبي *** وتفهمه العقول بـلا ارتياب
[8] فأَخْبَرَني بـأَنَّ الدَّهـرَ يفنى *** مبانيه تَؤُول إلـــى الخراب

[9] وأَنَّ فراق من أهـواهُ ياتي *** سريعاً عاجلا فدع التصابي/ **ورقة 17 - ظ**
[10] وحُبَّ الغانيـات فـإنهن *** ذواتُ الكيد حَقّـاً والخِلاب
[11] وشَمِّر ذيل جِدِّكَ لاتّبـاع *** شفيع الخلق فـي يوم الحساب
[12] رسول الله أفضـل من تَنَبّا *** وخيرُ الواطئين عـلى التُّراب
[13] وأَفْصَحُ من جميع النَّاطقين *** بحرف الضَّاد وفصـلٍ للخطاب
[14] حَبَاهُ إلهه ثُـمَّ اجتبـاه *** فنال من المنـازل قِدْرَ قَابِ
[15] لدى قوسين أو أدنى وكم من *** سماء جَـازَ ثَمَّةَ لم حجاب
[16] فأرسله إلـى جمع البرايا *** فآمنَ من هـداه من العذاب
[17] وضَلَّ الكافرون به ضلالا *** وكلٌّ منافق كـأبـي حُبَاب
[18] علوم الأولين بـه تَجَلَّتْ *** كعلم الآخِرين فـي الانتساب
[19] فما من مُرسـلٍ إلاَّ وصَلّى *** وراءَ المصطـفى أَرْيَ الشراب
[20] إمـامُهُمُ وسَيِّدُهُمْ جميعا *** وخيّرهم إلـى حُسن المآب
[21] مدائحه تـزيد الفخر فخرا *** فحُقَّ لذي المـدائح أن يُهاب
[22] وأنت مُصدَّقٌ فـي كل قول *** مدحتُ بـه النبي وكل نَاب
[23] فتسليم الجمـاد عليه يُروى *** فيـا لـه من نطق اللصاب
[24] كلام الوحشمعجزة كضب *** تَشَهَّدَ والغزالة والذئاب/**ورقة 18 - و**
[25] وأخبر بالغيوب الناس جهرا *** حكـى تصديقه جمع الصحاب
[26] تَسَمَّى قَبْـلَ مبعثه أميناً*** تَعَبَّدَ فـي المَفَاوز والشّعاب
[27] وفي الغار الذي بحراء يُلْفَى *** يُنَاجي مَنْ هداهُ إلى الصَّواب
[28] ألا يا أحمدُ المختـارُ كُنْ لي *** إذا ما القـوم قد سَلبوا ثيـابي
[29] وقالوا أغمضوه وصرتُ فَرْداً *** بلاَ خِـلٍّ يُسَلّي ولا ثَوَاب
[30] رَفَعْتُ إليكَ يا مولاي شَكْوَى *** كَبَزْل الكـافرين ذوي الكتاب
[31] عَطاؤُكَ مُستمر في حيـاتي *** عَلَيَّ فَلاَ تَـدَعْ يَوْمَ الذّهاب
[32] وقد قَرُبَ الرَّحيل وخِفْتُ مِمَّا *** جنيتُ لـدى الكُهولة والشباب
[33] وكم من زلَّـة بعد المَشيب *** وكنتَ لهـا تَوَدُّ إلى التباب
[34] فهذي خُرَيْدة سَمْحَاءَ جاءت *** تميسُ وزانَهَـا طِيبُ الخطاب
[35] وحِلْيٌ رائقٌ وعُقُـودُ دُرٍّ *** وديبـاجٌ مُمَهَّدَةُ الزَّرَاب
[36] صلاة الله تَتْرَى والسَّـلاَمُ *** ورحْمَتُهُ علـيك بلا حساب
[37] وآلك والصَّحَابة يـا مُحَمَّدْ *** فأنْتَ وسيـلتي يَوْمَ انْقِلاب

وله أيضا عفا الله عنه في الكامل [يَا وَيْحَ مَنْ تَبِعَ الهَوَى]

[1] يا وَيْحَ من تَبِع الهوى وغرورَه *** وابْتَاع دُنيـاه بعُقبى الدَّار/ **ورقة 18- ظ**
[2] لا يَعبأُ المَولـى بـه وبفعله *** مرصَاده يعتادُه في النـار
[3] إلا إذا ما تـاب منه خالصاً *** مُتَمسّكـاً بطريقة المُختـار
[4] مـاحِ الذُّنوب الهاشميِّ محمد *** قُطْبُ الوجود ونُخبة الأخيـار
[5] هـو رحمةٌ للعـالمين تخلصت *** مـن هاشم وخزيمة ونزار
[6] عدنـان أصْلُهم وكلُّهُمُ رَقَى *** فَنَنَ المَجَادة جُدُدُ الأنْـوار
[7] صلَّى عليه اللهُ جلَّ جلالُـه *** ما دارتِ الأفلاكُ بـالأقدار
[8] صلَّى عليه اللهُ جلَّ جلالُـه *** ما جَوَّدَ القُرآنَ صـوتُ القاري
[9] صلَّى عليه اللهُ جلَّ جلالُـه *** ما سار ركْـبٌ راكبَ الأَكْوار
[10] صلَّى عليه اللهُ جلَّ جلالُـه *** ما غَرَّدَ القُمريُّ فـي الأوكار
[11] صلَّى عليه اللهُ جلَّ جلالُـه *** ما فاح زهرُ الطِّيبِ في الأشجار
[12] صلَّى عليه اللهُ جلَّ جلالُـه *** ما اهتزَّ عـرشُ الله للأذكار
[13] صلَّى عليه اللهُ جلَّ جلالُـه *** ما عَمَّ نُورُ الشَّمْس فـي الأقْفَار

[14] صلَّى عليه اللهُ جلَّ جلالُــه *** عَدَدَ الحَصى والرَّمـل والأمْطار
[15] صلَّى عليه اللهُ جلَّ جلالُــه *** عَدَدَ النُّفوس وقَطْرِ كـلِّ بحار
[16] صَلَّى عليه اللهُ جلَّ جلالُــه *** عَدَدَ الغِنى واليُسر والافتقار/ **ورقة 19 - و**
[17] صلَّى عليه اللهُ جلَّ جلالُــه *** عَدَدَ الرَّجَا والخوف في الإعْصار
[18] صلَّى عليه اللهُ جلَّ جلالــه *** في كـل ليل دامس ونهـار
[19] صَلّى عليه اللهُ جلَّ جلالُــه *** ما مالتِ الــرُّكَّاب للأنصار
[20] صلَّى عليه اللهُ جلَّ جلالُــه *** ما صاحتِ الأديـاك في الأسحار
[21] صلَّى عليه اللهُ جلَّ جلالُــه *** ما خاض بحراً ســائحٌ وجوار
[22] صلَّى عليه اللهُ جلَّ جلالُــه *** ما راح ظَبْيٌ قاصدا وجــوار
[23] صلَّى عليه اللهُ جلَّ جلالُــه *** ما قُلّــدتْ وزرا ذوي الأوزار
[24] صلَّى عليه اللهُ جلَّ جلالُــه*** ما انْهَــلَّ وَبْلُ الدِّيمة المِدرار
[25] صلَّى عليه اللهُ جلَّ جلالُــه *** ما دامتِ الــعُبدانُ للأحرار
[26] صلَّى عليه اللهُ جلَّ جلالُــه *** ما هاج مَـوْجٌ في ظُهور بحار
[27] صلَّى عليه اللهُ جلَّ جلالُــه *** ما دام يُــذْكَرُ في حديث الغار
[28] صلَّى عليه اللهُ جلَّ جلالُــه*** ما مُسْهِرٌ غَــنَّى وما كَمُرَار
[29] صلَّى عليه اللهُ جلَّ جلالُــه *** ما سار ليلاً فــي المَهَابَة سار
[30] صلَّى عليه اللهُ جلَّ جلالُــه *** ما بَـاءَتِ الكُفَّــارُ بالزُّنَّار
[31] صلَّى عليه اللهُ جلَّ جلالُــه *** ما دَامَ مُلك الواحد القهَّار/ **ورقة 19 - ظ**
[32] صلَّى عليه اللهُ جلَّ جلالُــه *** ما دامَ حَمْــلُ الدِّينِ للأحبار
[33] صلَّى عليه اللهُ جلَّ جلالُــه *** ما راق ذا لي بَــلْ حَنينَ عِشار
[34] صلَّى عليه اللهُ جلَّ جلالُــه *** ما جَاءتِ الســـاعة بالأخبار
[35] صلَّى عليه اللهُ جلَّ جلالُــه *** عَدَدَ المَقيــل وعـَدَدَ الأقْطَار
[36] يا رَبّ صَلِّ على النَّبيّ محمدٍ *** أَصْلُ الوُجود ومـعدنُ الأسْرَار
[37] وعلى جَمَاعة آله وصِحابــه *** ما فاح في البُستــانِ زَهْرُ بَهَـار

وله أيضا رحمه الله وعفا عنه في الوافر [وَقَفْتُ بِرَبْعِ سَلْمَاكِ]

[1] وقفتُ بربع سلمــاكِ البعيد *** قَطَــعْتُ دُوَيْنَهُ كَمْ من بَــريد
[2] فقلتُ له مقالَــةَ من يُناجي *** ودمعُ العين يَجــري بالخدود
[3] ألا يا رَبْعَ حَيِّكَ أَيْنَ سَــارِي *** بِأُنْسِ الضَّبّ كــاعبة النُّهُود
[4] سَنَا أَسْنَانِهــا كَسَنَــا أَقَاحٍ *** أو البرد المُنَزَّل مِــنْ رعِود
[5] أَثِيثُ الفَــرْع داحضةٌ أَعَنَّى *** غَضِيضُ الطَّرْف إِذْعجزاتُ جِيد
[6] كَدُمْيَةِ روضةٍ جَــاءت تَهَدَّى *** لِمَرْتعهــا تَمِيلُ بــلا صُدود
[7] أتانيَ طيفُها في النَّــوم ليلاً *** فَذَكَّرَ ما تَوَارَى مــن عُهود
[8] نَعَمْ يا صاح قَلَّدَني بِــوجدٍ *** تُجددُ من هواها في مَزيد / **ورقة 20- و**
[9] فَذَكَّرَني المَشيبُ بمــا جَنَيْتُ *** وما هَدَمَتْهُ نفســي مِنْ مَشيد
[10] وكُنْتُ على شَفَا جُرُفٍ وهَــارٍ *** إذا ما انْهارَ يَقْضــي للوعيد
[11] فلا وَعْدٌ يكـونُ لنا سوى من *** طريــقِ محمدٍ قُطْبُ الوُجود
[12] وأوثَقُ عُــروةً للمسلمينَ *** ورُكْــنٌ غَيْرُ مُنْهَدِمٍ شَديد
[13] وطَوْدٌ شَامخُ المَعْنَى تَعَــلَّى *** علــى فَنَنِ المَفَاخرِ والسُّعُود
[14] فما في العالمين مثــل لمه*** رسُــولُ الله مَهْيَعُ كُلّ جُود
[15] تمنَّى الأنبياء بأنْ يكُــونوا *** مِنْ امَّتــه لدى المَولى المَجيد
[16] عظيمُ القَدْر مَنْبَعُ كُــلِّ خيرٍ*** كريـمُ الأصْل مُحْتَرَمُ الجُدود
[17] فلولا المُصطفى مَـا كان رِزْقٌ *** ولا مـــاءٌ تَدَفَّقَ للوُرُود
[18] ولا دُنيا ولا أُخرى ولاَ مَـنْ *** يُعَمِّــرُ ذي وتلك مِنَ العَبيد

[19] شجاعٌ إِذَا السَّوَادُ عَلاَ وُجُوهاً *** تَبَسَّـــمُ في مَقَالَته الجُنود
[20] هو الدعيس والقوم المُفَدَّى *** هُوَ المِفْضَالُ ذُو الرَّأْيِ السَّديد
[21] هو المِقْدَامُ والبَطَلُ المُكرُّ *** على العُدوان في يوم الهُمود
[22] صَمُوتٌ إذا تكلَّمَ قال حَقّاً *** تُشَيِّعُهُ الدَّفَاترُ للبَعيد **/ ورقة 20 - ظ**
[23] بصرير المُزن مِنْ جَدْوَاهُ حقّاً *** ولَوْ انْهَلَّ بالوَبْـل المُفيد
[24] به الأزهارُ والثَّمَرَاتُ طَابَتْ *** وأَنْبَتَتْ رَيَّاهُ حَبَّ الحَصيد
[25] صَبُورٌ لا تَذُودُ الصَّبْرَ عَنْهُ *** عَدَاوَةُ كُلِّ جَبَّارٍ عَنيد
[26] حَليمٌ لاَ يَزُولُ الحِلمُ منه *** سِوى حَقُّ المُهيمنِ والحُدود
[27] ويَغْضبُ لِلْمَنَاكر إِنْ رآها *** يَحُدُّ الظَّالمينَ بلا جُحُود
[28] هو البَحْرُ المُحيط بكُلِّ عِلْم *** فَلا حَرْفٌ يَميلُ إلى الشُّرُود
[29] برحمته خُلِقْنَا واهْتَدَيْنَا *** وشَوَّهَ بالنَّصَارى واليَهود
[30] لليل ولادةِ المُخْتَار نُورٌ *** عظيم شَامَهُ كَمْ مِنْ شُهُود
[31] لَقَدْ وَلَدَتْهُ مَخْتُوناً لِكَيْ لاَ *** تَرَاهُ الخَاتنون مَعَ القُعُود
[32] وليس لذاته ظِلٌّ تَرَاهُ *** يَسيرُ بِسَيْره كَذَوي القُدُود
[33] ولَمْ يَتَنَاوَبَنَّ الدَّهْرَ قَطُّ *** وَمَا احْتَلَمَ المُطَهَّرُ كالرُّقُود
[34] وتَبْتَلعُ البَسِيْطَةُ كُلَّ شَيْءٍ *** بَدَا مِنْ مَخْرَجَيْ ذَاكَ السَّعيد
[35] ولا يَطَأُ الذُّبَابُ أَدِيمَ عُضْوٍ *** مِنَ اعْضَاء المُمَهَّدِ والأُحَيْد
[36] يَرى مَنْ خَلْفَهُ بِبَصيرةٍ أَوْ *** يَرَى مَنْ في الهُبُوط مَعَ الصُّعُود
[37] فَكَمْ أَعْطى من الخيرات جُوداً *** يُغَذّي باللُّحُوم مَعَ الثَّريد**/ ورقة 21 - و**
[38] ومِنْ إبلٍ ومِنْ خَيْلٍ وكَمْ مِنْ *** عَبيدٍ أو لباسٍ أو نُقود
[39] ومِنْ رُطَب وأودعه إلينا *** لدى غَدَقٍ وفي طَلْعٍ نَضيد
[40] مَدَحْتُكَ يا رسولَ الله عُذْراً *** وأسألُ منكَ عَوْناً في المَزيد
[41] وأَنْ يَتَقَبَّلَ الرَّحْمَانُ قَوْلي *** وَمَا أَسْدَاهُ فِكري من قَصِيد
[42] ومن بيتٍ ومن حرفٍ يَدُورُ *** إلى مدحٍ قديمٍ أو جديد
[43] ويرزُقُنا الجنانَ وكُلَّ خَيْرٍ *** ويُطفيءُ في غَدٍ ذاتَ الوَقُود
[44] صلاةُ الله والسَّلامُ عَلَى *** خَيْرِ الوَرَى قُطْبُ الوُجُود
[45] وَجَمْعُ الآل ثُمَّ الصَّحْبِ طُرّاً *** وَتَابِعهم إلى يَوْمِ الخُلُود

وله أيضا رحمه الله وتقبل منه [أَلاَ صَلُّواْ عَلَى الهَادِي][من بحر الوافر]

[1] ألاَ صَلُّوا على الهادي تَنالوا *** ثواباً في ثوابٍ في ثواب
[2] فَمَنْ صلَّى عليه يُفَادُ عنه *** عذاباً في عذاب في عذاب
[3] يُبَرقعه الإله بِكُلّ ستر *** حجابًا في حجاب في حجاب
[4] ويُلبسه منَ انْواع اللّباس *** ثياباً في ثياب في ثياب
[5] ويَسقه منَ انْهَار الجِنان *** شراباً في شراب في شراب
[6] وألباناً تَسُوغُ لشاربيها *** حِلاباً في حِلاب في حِلاب**/ ورقة 21 - ظ**
[7] وأطعمهُ المَوائد ثُمَّ لَحْمٌ *** كبابًا في كبابٍ في كباب
[8] ورُطْبٌ ثَمَّ سَمرٌ ثم أَرْيٌ *** سِرابا في سِرابٍ في سرابِ
[9] ويَرْزُقُه غداً في دار عَدْنٍ *** قِباباً في قِبابٍ في قِباب
[10] فأرسله الإله لَنَا وكان *** حُبَاباً في حُبابٍ في حُباب
[11] لقدْ فَرَضَ الجِهادَ وجاء مَعْهُ *** صِحابا في صِحابٍ في صِحاب
[12] بِخَيْلٍ صَافِنَاتٍ ثُمَّ كَمْ مِنْ *** رِكَابٍ في رِكَابٍ في رِكاب
[13] وسُمْرٍ أو سُيُوفٍ أو بِنُبْلٍ *** جِعَابٌ في جِعَابٍ في جِعاب
[14] فَكَمْ هَدَمُواْ مِنَ الأمصَار صِرْفٌ *** يَبَاباً في يَبَابٍ في يَبَاب
[15] وكم قَتَلُواْ مِنَ الأبطال صَارُواْ *** تُراباً في تُرابٍ في تُرَاب

[16] أَتَى بكتابــه الفُرْقَــانُ فيه *** خِطابا فـي خِطابٍ فـي خِطاب
[17] وآيــةٌ بِهــا نُسخت علوم *** كتاباً فـي كتابٍ فـــي كتاب
[18] بدعوتـــه جرى وَبْلٌ هَمَا مِنْ *** سحاباً فـي سَحابٍ في سَحاب
[19] فَزَهْـرُ الأرض مُخْتَلفٌ كَزَهْرٍ *** هِضاباً فـي هِضابٍ فـي هِضاب
[20] فَكَمْ أَطْفَـــى مِنَ النّيران حَتّى *** شِهَاباً فـي شِهابٍ فـــي شِهاب
[21] وكم أَشْفَى ذوي العَاهَاتِ حَتّى *** مُصاباً في مُصابٍ في مُصاب/ **ورقة 22 - و**
[22] وكم أعْطَـى مِنَ الدُّنْيَا فَأَغْنَى *** رِقاباً فـي رِقابٍ فـــي رِقاب
[23] وَمِنْ ذَهَبٍ مُصَفًّـــى رَاوَدَتْهُ *** ضِراباً فـي ضِرابٍ في ضِرَاب
[24] فأعْرَضَ عَنْ مَخَائِلها رآهـا *** سِراباً فـي سِرابٍ فـي سِراب
[25] ومِنْ يُمْنَاهُ جَاشَ المَاءُ يَحْكـي *** عُباباً فـي عُبابٍ فـي عُباب
[26] صَـــلاةُ الله عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدْ *** وآلك يَـاالمُطَهَّرُ والصِّحَاب

وله أيضا رحمه الله في البحر السريع [وَدِّعْ سُلَيْمَاكَ]

[1] وَدِّعْ سُلَيْمَـاكَ وَكُنْ كَارها *** لِحَيِّهَا واذْكُرْ خِصَـالَ الحَبيبْ
[2] الطَّـاهرُ الطَّيّبُ مَنْ جَاءَنَا *** بمُعجزات ما نَفَـاهَا مُريب
[3] وبكتـــابِ الله آيَـــاته *** قَدْ نَسَخَتْ إنجيلَ عيسى القَريب
[4] زَبُورُ داوودَ وتَـوْراةُ مَنْ *** أَيَّدَهُ اللهُ بكَـمّـنْ نَقيب
[5]كلَّمهُ اللهُ عَلَّـى طَـوْرهُ *** حينا فَخَرَّ صَعِقـاً في مَغيب
[6]لمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبحـــانك *** تُبْتُ إليك فـــي كلام مغيب
[7]ثم اصْطَفَاه الله من قـومه *** للوَحْـــي والتَّكليم لاَ يَسْتريب
[8]هذا وقد كان تَمَنَّى بـــأنْ *** يَكون مِـــنُ امَّته هذا النجيب
[9] أَوَّلُ رُسْل الله فضلا وآ *** خِرُهُم بعثـا مُجَـابٌ مُجيب/ **ورقة 22- ظ**
[10]اختاره المَولى من أَصْلاَب مَنِ*** اخْتَـارَهُم فَهُوَ الأصيل النَّسيب
[11]إنْ غَابَ نُورُ الشَّمس في يومه*** فَنُوره أصـــلٌ لـــه لا يَغيب
[12]والرُّسْلُ والأَمْلاَكُ أَنْـوَارُهُمُ *** مِنْ نُـــوره كُلُّهُمْ قَدْ يُصيب
[13]فَكَمْ شَفَى مِنْ عِـــلَّةٍ لَمْسُهُ *** أَكْبَرُهَا كُـــلُّ رئيسٍ طبيب
[14]وكَمْ فَقير كَـــانَ ذَا مُتربة *** دَعَا لَـــه ذاك الدُّعاءُ اسْتُجِيْب
[15]فَصَار ذا عِـــزٍّ وذا ثَرْوَةٍ *** وَسِعَةٌ تَكْفـــي وَمَالٌ رَحيب
[16]أَخْبَرَ بالغيب مِـــراراً فَمَا *** تَخَلَّفَ القولُ بـــأمر الرَّقيب
[17]مِنْ كُلِّ صُلْبٍ طَـاهِرٍ قَدْ أَتَى *** لِكُلِّ رَحِـمٍ طَـاهر لا يَخيب
[18]في وجه آدم بَـــدَا ضَوْؤُهُ*** صَارَ إلـى حَوَّى رواه مُنيب
[19]وهَكَذا مَـــرَّ بِـــآبائِه *** كَمَـــا لَـــهُ في أُمِّ ذَبيب
[20]آمنة نَـــالَتْ فَخَـاراً به *** مِـــن دونِهِنَّ يا لَهُ من مَهيب
[21]زاد بليلٍ شَاعَتْ أضْـواؤُهُ *** حَتّـَى تَرَاءى الشَّامُ أَحْرى القَريب
[22]وَسَقَطَتْ أصنـــامُهُم كُلُّهَا *** وانْكَسَـرَتْ أَزْلاَمُهُم والصَّليب
[23]وَكُلَّ مَـن يَسْتَرقُ السَّمْعَ قَدْ*** أَتَتْهُ شُهْبَـــانُ الإله الحَسِيب
[24]ثُوَيبَـةُ أَرْضَعَتْ خَيْرَ الوَرَى *** حَليمَةٌ جَاءَتْ بِجُهْدٍ صَعِيب/**ورقة 23 - و**
[25]سَرَتْ بِـهِ تَعْـدُو بِآتَانِهَا *** وشَاؤُهَا دَرَّتْ لَـــهُ بالحَلِيب
[26]فَكَثُرَ العَيْشُ عَلَـــى قَوْمِهَا *** حَازَتْ لَهُمْ سَعْـداً بِوَقْتٍ جَدِيب
[27]شَبَّ مُطاعـــاً بَيْنَ أَقْوَامِهِ *** فَمَا رَأَواْ مِنْـــهُ خِصَالاً تَعِيب
[28]حَتَّى إذَا مَا جَاء بالوَحي مِنْ *** قِبَلِ مَـــوْلاَهُ هَجَاهُ الكُليب
[29]فَشَتَمَ الكُفْرَ وَأَصْنَـــامَهُمْ *** فَمِنْهُمْ مُـــؤَذًّا وَمِنْهُمْ كَئِيب
[30]وهَاجَرُواْ المُخْتَارُ أُمِّ القُرى *** فَبِأَذَاهُمْ ضَـــاقَ للهِ رَحِيب
[31]نَصَرَهُ الأَنْصَـارُ مُذْ جَاءَهُمْ *** آوَوْهُ بِـالمَالِ وَحَدِّ القَضِيب

[32]وَكُلُّ مَنْ هَاجَرَ في مَوْضِعٍ *** أَتَى فَصَارُواْ في خَمِيسٍ صَعِيب
[33]وَجَاهَدُوا الكُفَّارَ في غَيْرِ مَا *** مَوْضِعٍ أَذَلُّوهُمْ لِـذَاتِ اللَّهيب
[34]فَكَمْ جُيُوشٍ بـَدَّدُواْ شَمْلَهَا *** لَوْ شَامَهَا طِفْلٌ رَضِيعٌ يَشِيب
[35]سَــلْ أُحُداً ثُمَّ حُنَيناً كَذَا *** وَيَـوْمَ بَــدْرٍ عَنْهُمُ والقَلِيب
[36]وَسلْ غَدَاةَ الفَتْح عَنْ فِعْلِـهِمْ *** نَصْرٌ مِـنَ الله وَفَتْـحٌ قَرِيب
[37]صلَّى عليك اللهُ يـَا أَحْمَدُ مَا *** سَجَعَ القُمْـرِيُّ فَوْقَ القَضِيب
[38]صلَّى عليك اللهُ يـَا حَامِدُ مَا *** غَــرَّدَ المُسَهِّرُ والعَرْدَلِيب
[39]صلَّى عليك اللهُ يـَا وَاحِدُ مَا *** دَامَ مِنْ صَوْتِ الغُرَابِ النَّعِيب/**ورقة 23- ظ**
[40]صلَّى عليك اللهُ يـَا طَاهِرُمَا *** مَاسَ فــي بـُرْدٍ شَبَابٌ قَشِيب
[41]صلَّى عليك اللهُ يـَا طَيِّبُ مَا *** جَاءَتِ النَّــخْلُ بِرَطْبٍ يَطِيب
[42]صلَّى عليك اللهُ يـَا سَيِّدُ مَا *** حَمَلَتْ كَـرْمٌ بِحَــبِّ الزَّبِيب
[43]صلَّى عليك اللهُ يـَا مُقْتَفِي مَا *** ذَكَّــرَ النَّاسَ بِـوَعْظٍ خَطِيب
[44]والآلِ والصَّحْبِ وَأَتْبَـاعِهِمْ *** وَكُـلَّ زَوْجٍ صُنْتَهَــا والقَرِيب

وله أيضا رحمه الله وتقبل منه في البحر المنسرح [سَلْ رَبْعَ مَيَّةَ]

[1] سَلْ رَبْـعَ مَيّةَ مُـذْ جَوَائِحُها *** عن حيِّها ثُــمَّ عن أقاربها
[2] يُنبئك عــن بَضَّــةٍ مُهفهفة *** سَبَــى قُلوبَك حُسْنُ حَاجِبها
[3] وفَرْعُهــا حَلَكٌ تُسَرْبِــلُهُ *** لَفَّتْ سَنَا الحُسن في جَوَاربها
[4] مُحَيَّــاهَا قَمَرٌ إِذَا جَلَسَتْ *** كَأَنَّهَــا البَدْرُ في صَوَاحبها
[5] تَبَسَّمَتْ عــن حُبَابٍ ذي بَـرَدٍ *** وريقُهــا كَمُــدَام شَاربها
[6] أَلَــذُّ مِـنْ عسل وأَبْرَقُ مِنْ *** رَاحٍ إذا مَــا بَــدَا بِشَاربها
[7] وجيدها يــا لِجِيدِ كَـاعبةٍ *** ما رِيء في النَّاس ضَوْءُ ثَاقِبها
[8] والذَّيْلُ حَشْوُ السِّوَار مِنْ غَنَم *** بَنانُها فــي غُصين جَانبها
[9] مُرصَّــعٌ عِقدُهَـا بجوهَرَةٍ *** لَـو اطَّلَعْتَ عَلَى تَرَائِبِها **/ ورقة 24- و**
[10] وبَطْنُهـا لَــوَجَدْتَهَا جَمَعَتْ *** خَلْقـًا وخُلُقًا على مَرَاتِبها
[11] يُعْجزهَــا عَجْزُهَا إذا وَقَفَتْ *** فَيَــا لَهَا ذَاكَ مِـن عَجَائبها
[12] مَلِيحَــةُ الشَّكْل فَوْقَ وَجْنَتِهَا *** سِرٌّ يَلُــوحُ إلـى مُصَاحبها
[13] أَزْرَتْ بِـأُولي النُّهى بها حَوَرٌ *** احْـذَرْ وَرَاقب جَنَا حَلا سِبِها
[14] إذا رَأَيْتَ سَنَــاءَهَــا لاَمِعٌ *** كَــمْ واحدٍ عَنَّ في تَجَارِبها
[15] إلى الرَّدَى ثُمَّ كَمْ وكَمْ هَلَكَتْ *** جَلَــداً وعَدَّتْهُ من مَنَاقبها
[16] لكِنَّهَــــــــــــا للفنَا تَؤُولُ فَدَعْ *** تَغُزَّلَهَــا الذي جَبَا جَبَها
[17] وامْدَحْ مَنِ اشْتَكَتْ الغَزَالَةُ قُلْ *** لَــهُ وَوَلَّتْ لِـعَهْدِ طَالِبِها
[18] بُعَيْدَ أَن ذَهَبَتْ إلــى وَلَـدٍ *** وأرْضَعَتْهُ لِبَــانَ حالبها
[19] فَـآمَنَ العَـرَبيُّ وانْطَلَقَتْ *** تَعْدُو بـأرض قَصرَتْ بِسَاقِبِها
[20] وصَاحِبُ الضَبِّ صَادَهُ وأَتَى *** جَمَاعَةَ الصَّحْبِ في شَطَائِبِها
[21] فَقَــالَ لا أُومِنَنَّ بِصَاحِبِكُمْ *** أَوْ يُؤمِنُ الضَبُّ في عَصَائِبِهَا
[22] فَصَـرَّحَ الضَّبُّ بالمَرَام بَدَا *** بِعُصبة شَــرُفَتْ بِشَاذِبِهَا
[23] والذيبُ قِصَّتُهُ لَنَــا ظَهَرَتْ *** ظُهُورَ نَهارِ القُرى بِرَاكِبِها
[24] والجِــذْعُ حَنَّ لخطبةٍ فُقدت *** لَكِنَّهُ مِنْ فِرَاقِ خَاطِبِها **/ ورق24 - ظ**
[25] والسَّرْحُ جَاءَتْ إليهِ مُذْ دُعِيَتْ*** فَيَا لَهَا لَهَـمْ تَسُغْ لِحَاطِبِها
[26] لَقَــدْ أَظَلَّتْهُ والغَمَـامَةُ مِنْ*** غَزَالَة الحَرَّ مَـعْ مَصَائِبِها
[27] والنَّاضِجُ البَـازِلُ اشْتَكَـى تَعَبا*** بقوله قَضَّ فــي تَرَاكِبِها
[28] وزُبْرُقَانُ السَّمَــاءِ شُقَّ لَهُ*** سَهَلْ عَنْهُ مَكَّةَ مَعْ عَرَاقِبِها
[29] والمَاءُ للجيش جَــاشَ مِنْ يَدِهِ*** سَكَباً يُرَى من سَنَا رواحبها

[30] مَهْمَــا أَتَتْــهُ قَبيلَةٌ قَصَدَتْ*** نَ ِدَاهُ سَــحَّ سَحَــابُ ثَاقِبِها
[31] بها رَمَى الجَيْشَ بالحَصَى وَعَمَتْ*** عُيُونُهُمْ كُــلُّهُمْ بِحَاصِبِهَا
[32] لَـمْ تَسْتَرِقْ جِنَّةٌ سَمَــاعَ هُدَى*** لَكِنَّهَــا رُميتْ بِثَــاقِبِها
[33] دَيْنُ الأَرَاشيِّ اقْتَضَاهُ حِينَ أَتَى *** بِصَلْهَبٍ مِـنْ قِوَا جَرَاجِبها
[34] ورَاوَدَتْــهُ الجِبالُ مِنْ ذَهَبٍ *** عَنْ نَفْسِهِ مَـالَ عَنْ شَوَائِبها
[35] وقِصَّةُ المَرْأَةِ التي انْبَعَثَتْ *** لِمَكَّةَ بِكِتَــابِ خَاطِبِها
[36] وَذَاتُ عِذْقٍ زَهَا إِلَيْهِ دَنَتْ *** حُبّاً وَمَــا بَخِلَتْ بِرَاكِبِها
[37] واهْتَزَّ طَوْدٌ حِـرَى فَسَكَّنَهُ *** سَمَا الطِّبَاقُ سِرّاً بِلاَ حِبِها
[38] وقِصَّةُ العَــرَبِيِّ حِينَ شَكَا *** مَحَلاً وَقَدْ عَـمَّ في سَبَاسِبِها
[39] دَعَا لَــهُ وَسَقَــي بِوَابِلِهِ *** في حِينِهِ سَحَّ مِنْ سَحَائِبِها/**ورقة 25- و**
[40] فلَثَّتِ الأَرْضُ للــوَرَى نِعَماً *** وَفَكَّكَّ النَـاس مِنْ مَسَاغِبِها
[41] وقِصَّةُ الغَارِ قَدْ حَـوَتْ عَجَبَا *** بِهِ اخْتَفَى عَنْ عُيُونِ خَائِبِها
[42] بَاضَتْ حَمَــامَتُهُ وَقَدْ نَسَجَتْ*** خَيْرُ العَنَاكِبِ مِنْ هَبَاهِبِها
[43] وَقِصَّةُ الفَــارسيِّ تُعْجِبُنِي *** إِذَا تَلاَهَــا لِسَانُ وَاهِبِها
[44] وَذَاتُ مَــاءِ المَزَادَتَيْنِ رَأَتْ *** مِنَ العَجَـائِبِ في جَلاَئِبِهَا
[45] ذِرَاعُ شَــاةٍ بَدَا بِمَا كَتَمَتْ *** يَهُودِيَّةٌ بِــذِى شَوَائِبِهَا
[46] إِيَّاكَ والسُّــمَّ لَيْسَ يَعْدِ لُهُ *** سُمُّ الأَفَاعِي وَذِي عَقَارِبِها
[47] جَلَّتْ مَفَــاخِرُهُ عَنِ العَدَدِ *** حَارَ النَّحَارِيرُ فِيَ جَحَارِبِها
[48] آيُ النَّبِيْئِيْنَ قُــلْ بِهَا نُسِخَتْ *** يَا آلَ مُضَرٍ سَنَّتْ بِرَاسِبِهَا
[49] مَا مِثْلُهُ آدَمِــيٌّ وَلاَ مَلَكٌ *** ظَهَرَ طَيِّبُهُ لُــذْ بِعَاكِبِهَا
[50] صَلَّى عَلَيْهِ الإِلَــهُ مَا طَلَعَتْ *** شَمْسٌ وَمَا سَحَّ مِنْ سَحَائِبِها
[51] وَمَا مُطَوَّقَةُ الحِمَــى سَجَعَتْ *** وَصَوْتُهَــا ازْدَادَ عَنْ قَبَاقِبِها
[52] وَمَــا تَلَى مُنْشِــدٌ بِلَهْجَتِهِ *** سَلْ رَبْــعَ مَيَّةَ مُذْ جَوَائِبِها

انتهت القصيدة ثم جعلها في البسيط فقال :

[1] سَلْ رَبْعَ مَيَّةَ **تُحْظَى** مُذْ جَوَائِبُها *** عَنْ حَيِّهَا ثُمَّ عَنْ **سَنَا** أَقَارِبِها/**ورقة 25- ظ**
[2] يُنْبِئُكَ عَــنْ بَضَّــةٍ **غَرَّا** مُهَفْهَفَةٍ *** سَبَــا قُلَّيْبَكَ حُسْنُ **قَوْسِ** حَاجِبِها
[3] دَلاَلُهَــا حَلَكٌ **لَيْــلٌ** تُسَرْبِلُهُ *** لَفَّتْ سَنَــا الحُسْنِ **لفّاً** في جَوَارِبِها
[4] مُحيَّــاهَــا قَمَرٌ **يُرى** إِذَا جَلَسَتْ *** كَأَنَّها البَــدْرُ في **سَمَا** صَوَاحِبِها
[5] تَبَسَّمَتْ عَنْ حُبــاب **الثَّغْرِ** ذِي بَرَدٍ *** وريقُهَا كَمُدَام **كَــأْسٍ** شَارِبِها
[6] أَلَذُّ مِنْ عَسَلٍ **صَــافٍ** وَأَبْرَقُ مِنْ *** رَاحٍ إِذَا مَا بَــدَا **بِرَشْفٍ** بِشَارِبِها
[7] وَجِيْدُهَا يَــا لِجَيْدِ **صَدْرٍ** كَــاعِبَةٍ *** مَا رِيءَ في النَّاسِ **مِثْلُ** ضَوْءِ ثَاقِبِها
[8] والذَّيْلُ حَشْوُ السِّوَارِ **بَانٍ** مِنْ غَنَم *** بَنَانُهَا فــي غُصَيْنِ **زَنْدٍ** مَنْكَبِهَا
[9] مُرَصَّعٌ عِقْدُهَــا **حُلًى** بِجَوهَرَةٍ *** لَوِ اطَّلَّعْتَ علَــى **ضِيَاءِ** تَرَائِبِها
[10] وَبَطْنِهَا لَوَجَــدْتَ **كَشْحَهَا** جَمَعَتْ*** خَلْقا وخُلْقــا **نَمَا** علَى مَرَاتِبِها
[11] يُعْجِزُهَا عَجْزُهَــا **ضَخْمٌ** إِذا وَقَفَتْ *** فَيَا لَهَــا ذَاكَ مِنْ **أَدْنَا عَجَائِبِها**
[12] مَلِيحَةُ الشَّكْلِ فَوْقَ **حَــرٍ** وَجْنَتِهَا *** سِرٌّ يَلُــوحُ **صَبَّتْ** إِلَى مَصَائِبِها
[13] أَزْرَتْ بِأُولِيْ النُّهَى **وَجْداً** بِهَا حَوَرٌ *** احْذَرْ وَرَاقِبْ جَنَا **سَمَا** حَلاَ سِبِهَا
[14] إِذَا رَأَيْتَ **سَنَــا** سَنَــائِهَا لاَمِعٌ *** كَمْ وَاحِدٍ عَــنَّ **كَمْداً** في تَجَارِبِها
[15] إِلَى الرَّدَى ثَمَّ كَــمْ **أَنْجَتْ** وَكَمْ هَلَكَتْ *** جَلْداً وعــدَّته **خَلْفاً** مِنْ مَنَاقِبِها
[16] لَكِنَّهَا لِلْفنَا تَــؤُولُ **فَــاقْنَعْ** وَدَعْ *** أَ**خِي** تَغَزُّلَها لِذِي جَبَاجِبِها/ **ورقة 26- و**
[17] وَامْدَحْ مَنِ اشْتَكَتِ **العَ ِنَــا** الغَزَالةُ قُلْ *** لَــهُ وَوَلَّتْ **تَفِيْ** لِعَــهْدِ طَالِبِهَا
[18] بُعَيْدَ أَنْ ذَهَبَتْ **تَسْعَــى** إِلَى وَلَدٍ *** وَأَرْضَعَتْهُ لِبــانَ **ثَدْيِ** حَالِبِها
[19] فَآمَنَ العَــرَبِيُّ **شَوْقاً** وانْطَلَقَتْ *** تَعْدُو بِأَرْضِ **كَلاً** قَضَّتْ بِسَاقِبِها

[20] وَصَـاحِبُ الضَبِّ **لَمَّا** صَادَهُ وَأَتَى *** جَمَاعَةَ الصَّحْبِ **يَوْماً** فِي شَطَائِبِها
[21] فَقَـــالَ لاَ أُومِنَنَّ **إِذاً** بِصَـاحِبِكُمْ *** أَوْ يُؤمِنُ الضَّبُّ **هَذَا** فِي عَصَائِبِها
[22] فَصَرَّحَ الضَّبُّ **فَـــاهَ** بِالمَـرَامِ بَدَا *** بِعُصْبَةٍ شَرُفَتْ **بِفَضْـــلِ** شَاذِبِها
[23] والذِيبُ قِصَّتُهُ **أَيْضـاً** لَنَا ظَهَـرَتْ *** ظُهُورَ نَـارِ القِرَى **لَيْلاً** بِرَاكِبِهَا
[24] والجِذْعُ حَـنَّ لِخُطْبَةٍ **بِـــهِ** فُقِدَتْ *** لَكِنَّهُ مِنْ فِـرَاقِ جِسْمٍ خَاطِبِها
[25] والسَّرْحُ جَاءَتْ **تَرَى** إِلَيْـهِ مُذْ دُعِيَتْ*** فَيَـا لَهَا لَـمْ تَسُغْ **لِنَارٍ** حَاطِبِهَا
[26] لَقَـــدْ أَظَلَّتْهُ **فَيْئاً** وَالغَمَـــامَةُ مِنْ*** غَزَالَـةِ الحَرِّ **سِيْئَتْ** مَعْ مَصَائِبِها
[27] والنَّاضِـجُ البَـازِلُ اشْتَكَى **لَهُ** تَعَباً *** بِقَولِـةٍ قَضَّ فِي **أَفْشَـا** تَرَاكِبِها
[28] وَزُبْرُقَـانِ السَّمَـاءِ شُقَّ **طَوْعاً** لَهُ*** سَلْ عَنْهُ مَكَّةَ مَعْ **عُـــلاَ** عَرَاقِبِها
[29] وَالمَاءُ لِـلجَيْشِ جَـاشَ مِنْ **رَحَى** يَدِهِ *** سَكْباً يُرى مِنْ سَنَـا**تٍ** رَوَاحِبِها
[30] مَهْمَـــا أَتَتْهُ قَبِيلَةٌ **وَقَـــدْ** قَصَدَتْ *** نَدَاهُ سَحَّ سَحَابُ **جُـــودِ** ثَاقِبِها
[31] بِهَا رَمَى الجَيْشَ **رَمْياً** بِالحَصَى وَعَمَتْ ***
عُيُونُهُمْ كُلُّهُمْ **بِرَمْلٍ** حَاصِبِها/ **ورقة 26- ظ**
[32] لَمْ تَسْتَرِقْ جِـنَّةٌ سَمَاعَ **وَحْيِ** هُدَى*** لَكِنَّهَـــا رُمِيَتْ **بِشُهْبِ** ثَاقِبِها
[33] دَيْنُ الأَرَاشِيِّ **لَـــهُ** اقْتَضَاهُ حِينَ أَتَى*** **بِقُـبٍّ** بِصَلْهَبَ مِنْ قَوَا جَرَاجِبِها
[34] وَرَاوَدَتْهُ الجِبَالُ **الشُّـــمُّ** مِنْ ذَهَبٍ *** عَنْ نَفْسِهِ مَالَ **زُهْداً** عَنْ شَوَائِبِها
[35] وَقِصَّةُ المَرأَةِ التـــي **لَهَـا** انْبَعَثَتْ*** لِمَكَّـةَ بِكِتَـاب **سِجِلٍّ** خَاطِبِها
[36] وذَاتُ عِذْقٍ زَهَـــا إِلَيْهِ **لَمَّـا** دَنَتْ *** حُبّـاً ومَـا بَخِلَتْ **إِذاً** بِرَاكِبِها
[37] وَاهْتَزَّ طَوْدٌ حِرَى **بِـــهِ** فَسَكَّنَهُ*** سَمَـا الطِّبَاقِ سَرَا **لَيْلاً** بِلاَ حِبِها
[38] وقِصَّةُ العَرَبِـــيِّ حِينَ **جَـاءَ** شَكَا *** مَحَلاً وَقَدْ عَمَّ في **صَحْوٍ** سَبَاسِبِهَا
[39] دَعَـا لَـــهُ وَسُقِيَ **بِوَدْقٍ** وَابِلِهِ*** فِي حِينِهِ سَحَّ مِنْ **وَطْفَلَ** سَحَائِبِهَا
[40] فَـأَدَّتْ الأَرْضُ **مِنْهُ** لِلوَرَى نِعَماً *** وَفَكَّكَ النَّاسَ مِنْ **هَوَى** مَسَاغِبِها
[41] وَقِصَّـــةُ الغَارِ **تُتْلَى** قَدْ حَوَتْ عَجَبا *** بِهِ اخْتَفَى **لاَذَ** عَنْ عُيُونِ خَائِبِهَا
[42] بَاضَتْ حَمَـامَتُهُ **الحَصَدَا** وَقَدْ نُسِجَتْ *** خَيْرُ العَنَاكِبِ **نَسْجاً** مِنْ هَبَاهِبِها
[43] وَقِصَّةُ الفَـــارِسِيِّ **فَامْلِي** تُعْجِبُنِي *** إِذَا تَـــلاَهَا لِسَانُ **نُطْقٍ** وَاهِبِها
[44] وَذَاتُ مَاءِ المَـــزَادَتَيْنِ **فِيهِ** رَأَتْ *** مِنَ العَجَـائِبِ **سَيْلاً** فِي جَلاَئِبِها
[45] ذِرَاعُ شَاةٍ بَدَا **جَهْـــراً** بِمَا كَتَمَتْ *** **بِهِ** يَهُودِيَّـــةٌ لِـذِي شَوَائِبِها
[46] إِيَّاكَ والسُّمَّ **شَرٌّ** لَيْسَ يَعْدِ لُهُ *** سُمُّ الأَفَاعِي **وَلَيْسَ** ذِي عَقَارِبِها/**ورقة 27- و**
[47] جَلَّتْ مَفَاخِرُهُ **العُظْمَـــى** عَنِ العَدَدِ *** حَارَ النَّحَارِيرُ **فَهْماً** فِي حَجَارِبِهَا
[48] آيُ النِّبِيئِينَ **بَاءَتْ** قُـلْ بِهَا نُسِخَتْ *** يَا آلَ **عُلاً** مُضَرٍ سَنَّتْ بَرَاسِبِها
[49] مَا مِثْلُهُ آدَمِـــيٌّ **قَـطُّ** وَلاَ مَلَكٌ *** ظَهَـرَ طِيبُهُ لَذْ **وَالْجَاً** بِعَاكِبِهَا
[50] صَلَّى عَلَيْكَ الإِلَهُ **الحَـقُّ** مَا طَلَعَتْ *** شَمْسٌ وَمَا سَحَّ مِنْ سَحَابٍ **ثَائِبِهَا**
[51] وَمَا مُطَوَّقَةُ الحِمَـــى **بِهِ** سَجَعَتْ *** وَصَوْتُهَا ازْدَادَ **لَحّاً** مِنْ قَبَاقِبِهَا
[52] وَمَا تَلَى مُنْشِدٌ **ذِكْـــراً** بِلَهْجَتِهِ *** سَلْ رَبْعَ مَيَّةَ **تَحْظَى** مُذْ جَوَانِبِهَا

وله أيضا رحمه الله وتقبل منه في البسيط [جَفَاكَ دَهْرُكَ]

[1] جَفَاكَ دَهْرُكَ مَا ظَفِـرْتَ بِالأَرَبِ *** قَطَعْتَهُ في سَبِيلِ الغَـيِّ وَالطَّرَبِ
[2] سَبَتْكَ مَيَّةُ مُذْ طَـرَقْتَ حُلَّتَهَا *** لِحُسْنِ صُورَتِهَا اشْرَأَبَّ كُـلُّ صَبِ
[3] لَبِيبَةُ الفَرْعِ خَدُّهَـا نَضَارَتُهُ *** كَمِثْلِ زَهْرٍ طَرِيٍّ الوَرْدُ في الشِّعَبِ
[4] مَلِيحَةُ الشَّكْـلِ بَضَّةٌ مُهَفْهَفَةٌ *** عَظِيمَـةُ الإِلْيَتِينِ كَـاعِبُ اللُّعَبِ
[5] غَضِيضَةُ الطَّرْفِ مُنْتَمَى لَهَا حَوَرٌ *** تَبَسَّمَتْ عَنْ جَوَاهِرِي بِذِي شَنَـَب
[6] وَزَانَهَا بلَجٌ فِـي طَلْعِـَهَا فَلَجٌ *** بِعَيْنِهَا دَعَـجٌ كَثِيفَةُ الـــهُدُب
[7] يَا رُبَّ لَيْلٍ قَصَـدَتَ فِيهِ مَرْبَعَهَا *** وَاصَلْتَ سَيْرَكَ فِي دُجَـاكَ بِالخَبَبِ
[8] فَمَا وَجَدْتَ سِـوى غُرْبَان بَيْنَكُمَا *** مَلأْنَ سَمْعَكَ بِالنَّعِيبِ واللُّجُبِ/**ورقة 27- ظ**
[9] وَخِلْتَ رَسْمَ التِي تَهْوَى خَلاَ وَعَفَا *** قَدْ غَيَّرَتْهُ هُبُوبُ الرِّيـــحِ وَالسُّحُب
[10] رَكَدْتَ حِيناً بِـــهِ وَسِرْتَ مُخْتَبِراً *** حَتَّى وَقَفْتَ عَلَـى الأَحْدَاثِ فِي شِعَبِ
[11] عَلِمْتَ أَنَّ خُرُودَكَ التِـــي فُقِدَتْ *** هُنَاكَ مَصْرَعُهَـا فَبُـؤْتَ بِالغَضَبِ
[12] يَا وَيْحَكَ أَقْلِعْ عَنِ الهَوَى مَحَـجَّتُهُ *** تَهْوِي بِصَاحِبِهَا لِحُفْـرَةِ اللَّهَبِ
[13] قَتَلْتَ نَفْسَكَ دَعِ التَّصَـــابِيَ لاَ *** يَرْقَـى مُصَـاحِبُهُ لِذَوِي الرُّتَـَبِ
[14] جَنَا جَنَانُكَ مُذْ جَنَا ثمَـارَ هَوَى *** أَهْوَتْكَ أَهْوَاؤُهُ يَا صَـــاحِ للعَطَب
[15] ما كفَّ كَفُّكَ عَنْ كَشْفِ المَحَاوِرِ فِي *** جُنَحِ الظَّلاَمِ وَكَمْ خَـرَقْتَ مِنْ حُجُب
[16] هُنَاكَ تَعْرِفُ قَدْرَ مَـا جَنَتْهُ فَمَنْ *** لَهَـا مُجيراً غَـــدَاةَ البَيْنِ وَالتَّعَبِ
[17] ألا مَنِ المَاءُ جَاشَ مِـنْ أَنَامِلِهِ *** لِلْقَوْمِ لمَّا رَوواْ سَقَـوْهُ فِي القِرَب
[18] ومن مزادتي الضعينة اشتُهرت *** آياته للجيوش وهـــي لم تغب
[19] حتى سُقُوا منهما ما غاض رَيُّهُما *** فكان إســـلام صرفها بذا السبب
[20] وَمِـنْ بِغَارِ حِرَى بَدَا تَعَبُّدُهُ *** وَجَـاءَهُ فِيهِ وَحْـــيٌ غَيْرُ مُكْتَسِبِ
[21] وَمَـنْ تَفَرَّدَ بِالإِسْرَاءِ وَالشَّرَفِ *** وَالجُودِ وَالمَجْدِ وَالعِلْـــمِ وَالأَدَبِ
[22] وَالحِلْمِ وَالفَضْلِ وَالصَّلاَحِ وَالنُّسُك *** وَالعِزِّ وَالجَاهِ وَالإِقْـــدَامِ وَالنَّسَبِ
[23] وَمَنْ شَفَاعَتُهُ فِـي الحَشْرِ نَافِعَةٌ *** للنَّاسِ كُلِّهِمُ القَرِيبِ وَالجُنُبِ / **ورقة 28- و**
[24] وَمَنْ دَعَا السَّرحَ إِذْ جَاءَتْهُ طَائِعَةٌ *** تَمْشِـــيْ إِلَيْهِ عَلَى سَاقٍ بِلاَ عُقُب
[25] أَهْلاً وَسَهْلاً بِرَاكِـبِ البُرَاقِ وَمَنْ *** حَبَـا بِـهِ وَبِـوَحْيِهِ وَبِالشُّهُبِ
[26] إِذْ رَمْيُهَا مَقْمَعٌ لِكُـــلِّ مُسْتَرِقٍ *** سَمْعـًا لِئِلاَّ يَشُوبَ الدينَ بالكَذِبِ
[27] إِنْ رُمْتَ تِعْدَادَ آيَاتِهِ فَـدُونَكَهَا *** نَظْمـاً وَنَثْراً فَـلاَ تُحَدُّ بالطَّلَبِ
[28] مِـنْ قَبْـــلِ خَلْقِ آدمَ مَآثِرُهُ *** عَمَّتْ عَلَى العُجْمِ وَالأَكْوَانِ وَالعَرَبِ
[29] فِي الكَوْنِ كَانَ سَنَا يَحِلُّ جَبْهَةَ مَنْ *** يُلقَـى إِلَيْهِ بِـهِ اسْتَنَـارَ كُلُّ أَبِ
[30] وَكُلُّ مَنْ حَمَـلَتْ بِهِ يَصِيرُ لَهَا *** مِنْ أُمَّهَـاتِ ذَوَاتِ الحُسْنِ وَالحَسَبِ
[31] فَازَتْ بِإِبْرَازِهِ لِلنَّـــاسِ آمِنَةٌ *** مِـــنْ دُونِهُنَّ بِـلاَ كَدٍّ وَلاَ تَعَبِ
[32] إِبْنَةُ وَهْبٍ حَمَلَتْ مَـنْ يَلُوذُ بِهِ *** أَهْلُ السَّمَاءِ وَأَهْلُ الأَرْضِ ثُمَّ كُلُّ نَبِي
[33] مِنْ آلِ عَدْنَانَ ثُمَّ مِـنْ كِنَانَةَ ثُـ *** ـمَّ مِـنْ لُـؤَيٍّ وَآلِ عَبْدِ المُطَّلِبِ
[34] فَكَـــانَ نُخْبَةُ عَبْدِ اللهِ نُخْبَتُهُمْ *** حَوَى بِهِ الفَضْـلَ وَارْتَقَى ذُرَى الرُّتَبِ
[35] فَجَلَّ مِقْـدَارُهُ عَنِ اللَّحَاقِ بِهِ *** أُنْظُرْ شَمَـــائِلَهُ فِـي مُحْكَمِ الكُتُبِ
[36] وَارْفَعْهُ فَوْقَ اتِّصَافِ الخَلْقِ كُلِّهِمُ *** وَدُونَ وَصْفِ الإِلَـــهِ ثُمَّ لاَ تُشِبِ
[37] مَقَامُهُ عَزَّ عَـنْ رُسُلِ الإِلَهِ وَعَنْ *** أَمْلاَكِهِمْ كُلُّهُمْ يَجْثُواْ عَلَـــى الرُّكَبِ
[38] تَأَدُّبـــاً لأُحَيْدٍ ذِكْرُهُ اقْتَرَنَ *** بِذِكْرِ خَالِقِهِ فِي الذِّكْرِ وَالخُطَبِ/**ورقة 28- ظ**
[39] مَنْ لَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِ حَلَّ نَارَ لَظَى *** يُعَدُّ مِـنَ اهْـلِ مَقْتِ اللهِ وَالسَّلَبِ
[40] إِنَّ الصَّـلاَةَ عَلَى النَّبِيِّ مَكْرُمَةٌ *** تُفْجِـــيْ الهُمُومَ مَعَ الغُمُومِ وَالكَرَبِ
[41] تُرضِي الإِلَهَ وَتُشفِي مَنْ بِهِ سَقَمٌ *** تَقْضِي الـحَوَائِجَ وَهِيَ مَرْهَمُ الوَصَب
[42] ثُمَّ مَا لاَ رَأَتْ عَيْنٌ[كَذَا] وَلاَ سَمِعَتْ *** أُذْنٌ بِهِ فِي جِنَـــانِ الخُلْدِ وَالعَرَبِ
[43] سِوَاكُ حُـلَّةِ نُورٍ إِنْ مَرَرْتَ بِهَا *** عَلَـــى الصِّرَاطِ تَقِيكَ أَعْظَمَ الرُّتَبِ

[44] مَنْ حَادَ عَنْ نَهْجِهِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ *** ويُحْرَمَنْ مِـنَ القُطُوفِ وَالعِنَبِ
[45] سَيَعْلَمُونَ غَـداً بِأَنَّ مَصْرَعَهُمْ *** للنَّـــارِ يَنْقَلِبُــونَ أيَّ مُنْقلبِ
[46] صَلاَتُكَ الله تَتْرَى وَالسَّلاَمُ عَلَى *** مَـوْلَى المَدينةِ خَيْرُ رَاكِبِي النُّجُبِ

وله أيضاً عفا الله عنه هذه القصيدة في الطويل [تَبَاعَدَ رَيْعَانُ الشَّبَابِ]

[1] تَبَاعَدَ رَيْعَان الشَّبَـابِ الغَزِيرِ *** وَجَـاءَ المَشِيبُ أَيْنَ عَنْهُ أَطِيْرُ
[2] بَـدَا شَيُوبُهُ بعارضيَّ وجِمَّتي *** ومـا هو إلا نَـاصِحٌ وَنَذِيرُ
[3] فَـأَيْقَظَنِي بِعِلَّةٍ بَـعْدَ عِلَّةٍ *** وَمَرَّتْ عَلَى جِسْمِي الكَئِيبِ دُهُورُ
[4] فَرَامَ التُّـرَابَ لاَسْتَقَامَ لِقَوْسِهِ *** وَحَلَّتْ بِـهِ مَغَابِنٌ وَهُصُورُ
[5] وكُـلُّ عَقِيلَةٍ رَمَتْنِي بِهَجْرِهَا *** إذا رُمْـتُ قُرْبَ مَنْ لَهُنَّ خُدُورُ
[6] وكُنتُ بدهر غَـابِرٍ لَـوْ سَمِعْتَنِي ***
يَرُعْنَ إلى صوتي وتُلْقَى السُّتُورُ/ورقة29- و
[7] وتبدو شُمُـوسٌ يَخْسف البدرُ دونها *** يَفُوحُ من أجْـل طيبهن عَبير
[8] أُنَـادمهنَّ بـالصَّبيح وصُبْحة *** ومن مَزَجَتْ منهُنَّ غيري أغير
[9] أُسَامرهنَّ في الدُّجَـا ذا صَبابة *** وإنّي بأسـرار الغواني خَبير
[10] فكُنَّ وكُنْتُ في طُـروب ونُزهة *** سنينٌ لهـا مضت بها وشهور
[11] فـلا أذكـرن زلة قد جنيتها *** يراها إله العـرش وهي فجور
[12] وما لـي إلاَّ أَنْ أتـوبَ لرَبِّنَا *** دَعَتْنِي دَواعِـي آلـةٍ وَقُبُور
[13] وخير اكتساب المرء في عَجْزِ عُمْرِهِ *** مديح رسـولِ الله نِعْمَ البَشِير
[14] إذا كنتُ مـن ذوي الشُؤْن بمَدْحه *** فـلا يُفْزِعَنِّي مِنْ كِلاَبٍ نُفُورُ
[15] ولا لَسْـعُ عَقْرَبٍ وَلاَ نَهْشُ حَيَّةٍ *** ولا وَحْـيُ خَنَّاس بقلبي يَدُور
[16] ولا كيـد كـائدٍ ولا شرُّ حاسدٍ *** ولا نَفْـثُ عاقدٍ بِسِحْرٍ يُشير
[17] ألا ليت شعري هـل أفوز برحلةٍ *** إلى قبره الشَّـريفِ كَيْمَا أزور
[18] على بازلٍ يَطْوِي الفَـلاَ بِخِفَافِهِ *** إذا مَـا لعينيه تَبَدَّتْ قُصُور
[19] وإن رأتا السَّـراب ذلك دَأْبُهُ *** إلى المَوْطِنِ الذِي تُكنُّ الصُّدُور
[20] فلا جَنَّةٌ إلاَّ التـي بَيْنَ قَبْرِهِ *** وَمَنْبَـرُهُ بِذَاكَ كَـانَ يَسِيرُ
[21] ولا زُخْرُفٌ إلاَّ حُـلَىٌّ مَقَامه *** فليس له منَ النُّظَّار نَظِيرُ/ ورقة29- ظ
[22] أُعَفِّر خدي في تُـرَاب رياضه *** ويشملني فضـلٌ ومُلْكٌ كبير
[23] وعزٌّ وجاهٌ لا يَـزول ورفعة *** تصـاحبني ونعمة وسرور
[24] ويُسْرٌ ونَصْرٌ في أمـوريَ كُلها *** فـلا يُفْـزِعَنّي مُنْكر ونَكير
[25] وكُـلُّ مَلَمَّة يَهُول نـزولهـا *** وإن رُفعت بفضله لا تخُـور
[26] لقد مَنَـحَ الإله أُمَّةَ أحمد *** نبيا عَـلاَهُمْ من ضيائه نور
[27] فمن مُعجزاته كـلامُ غزالة *** وضَـبٌّ وذِيبٌ يَتْـلُوهُ بَعِيرُ
[28] فلا ضَـوْءٌ إلاَّ وَجْهُهُ إِنْ نَظَرْتَهُ *** تَوَى مِنْ ضِيَائِهِ الوُجُوه تَنَوَّرُ
[29] وإن لمست يمنـاك يمنى محمد *** فلا يشبهن لـين تلك حرير
[30] وإن هَبَّت الرّيـاح يَوْماً بعُرْفه *** تَطيبت مهمـا فلح منها عبير
[31] فما اقتبست أنوارها الشمس إلا من *** سناه الذي به استنارت عصور
[32] على العالم العلوي من فيض جوده *** مع العالم السفلي فاضت بحور
[33] مداه على مَـدِّ النَبيئين قَدْ عَلاَ *** وباعُهُمُ عَنْ بلاغ طَـةَ قَصِير
[34] فـلا مـرسل إلا وبشر قومه *** ببعثته العُظمى وغَـرَّ الغُرُور
[35] لقد صدق القرآن من جاء قبله *** الانجيل والتوراة ثم الزبور
[36] حوى كُلَّ ما في الكُتْب إذْ ما أتى به ***
عليه رحى الرُّسْل الكرام تدور/ورقة30- و
[37] بمَوْلده الكُفـَّار أَصْبَحَ شَملهم *** على الأرض أشتاتا دعاهم ثبور

[38] وأدَّاه ـم إلـى الجحيم ونهجه *** إذا ما لظى لهـا عليهم زفير
[39] فيـا ويحهم يوم التنادي إذا لقوا *** بها سمعوا الشهيق وهـي تفور
[40] تكـاد إذا مـن غيظها تتميز *** وتطلب غير مـا بهـا وتمور
[41] عقاربها كـالبخت يعظم لسعها *** فـلاَ مَنْفَذٌ لهم ولا مَـنْ يُجير
[42] ويُسقون مـن حميمها أيَّ جُرْعَة *** إذا مـا دُعُواْ لَهَا فبيس المَصير
[43] فما قُوبلتْ نَصيحَةُ الرُّسْل عندهم *** ومـا آمنوا لَمَّـا دَعَوْه نَذير
[44] به الرُّسل والأمْلاَكُ كان ارتفاعهم *** وكُلُّـهم بمـا أقولُ بصير
[45] فـإن عَلَّمّ الأسمـاءَ آدمُ رَبَّهُ *** بعلم الـهذوات فِقْتَهُ يـا مُنير
[46] وإنْ كان أصلاً كُنْتَ زَهراً عَلَوْتَهُ *** مـن أجلك خَـلْقُهُ فَأنْتَ المُنير
[47] وإن كان نُوحاً فـي سفينته نَجَا *** فَأَنْتَ النُّجَـاة للورى والجير
[48] وإن رُزقَ الخليل خُـلَّة رَبَّه *** فأنْتَ حبيبه الـخليل الشهير
[49] وإن حَازَ يُوسف من الحُسن شطره *** لك الحُسن طُـرّاً والسَّنَا والسُّرور
[50] وإنْ كَلَّمَ الكليم في الطور ربـه *** على قَابَ قَوْسَيْن الذي لَكَ طَوْرا
[51] وإنْ أَلاَنَ اللهُ الحَديد لهـداود ***

بفَضْلك سرده ولاَنَتْ صُخُور/**ورقة 30- ظ**

[52] وماء سَلْمَانَ تغير مـن الصبا *** إذا مـا منحتـها بنصر تيسير
[53] كلام ذراع الشاة وهـو جميد مـا *** يضاهيه نطق هـده ـد ونظير
[54] بُعثت أخيراً أَوَّلُ الفضل أَصْلُهُ *** فكلُّـهم بنور نور ينور
[55] رَقَيْتَ ورَاءَه ـم وأنتَ إمـامُهم *** حَبلَكَ إلهُكَ العَـزيزُ الغَفُور
[56] فيا أحمد يا حـامد يا مـحمد *** ويا طـاهر يا ناصر يا بشير
[57] ويا مُقَدر يا حـاشر يـا مُهيمن *** ويافاضلٌ مُفَضَّـلٌ يا أَجير
[58] أجبْ وَلَدَ المَبْرُوك أَعْنـي مُحَمَّدا *** إجـابةَ مَبْسُوط اليدين الشهير
[59] عُبَيْدك مقصوصُ الجناحين سر بـه *** غَداً وَهْوَ فـي سجن الذنوب أسير
[60] تراني في باب الخَافي خَلْفَ جَنَابه *** أَغِثْ صِفْرَ كَفّ ما لرَحْلي بَعير
[61] يَخَافُ العذابَ غير أنَّ اعتصامـه *** بحبلك جُـدْ نَـدا يَدَيْكَ كَثير
[62] ففي رَجَب في عام أشفق مدحت مَنْ *** عليه جَـزَاءُ جَـنَّة وقُصُور
[63] على صاحب اللواء أزْكَـى تَحية *** وأزكـى صـلاة يقتفيها نُشُور

هذه قصيدة في مدح النبي " لمؤلفها سيدي محمد بن المبروك البدوي رحمه الله ونفعنا به

[ارْتَجِي فَضْلَ مَنْ دَنَا] [من بحر الخفيف]

[1] ارْتجـى فضـل من دنى فَتَدَلَّى * * * وأعد جـداه لـلمـحدثـات
[2] استوى راكبا بظـهر البـراق * * * المسجد الأقصا منتهى الخطوات
[3] بات يختـرق الطبـاق دنا عن * * * قاب قـوسين جاء بالصلـوات
[4] بالعشا بعد الظهر والعصر و * ** المغرب تتبعها صلاة الغداة
[5] تنتهي للخمسيـن إذ ردّهُ موسى ** * فولّى بخمسنا الـزاكيـات
[6] تحتو فضلها قد أورح في الـ ** * ـعشر الذي جاءنا من الركعات
[7] ثبت الله قلبـه لتلقي الـوحـي * ** مع جـبرائيل أي ثـبـات
[8] ثـم أرسله إلـى الخلق طرا ** * وتحدى فـهابه كـل عـاة
[9] جمـع الله رسـله والنبيئـين * * * فقدمـه بغـير افتيـات
[10] جـاء للمومنين وهـو بشـير * * * ونذيـر للـكافـرين الكُماة
[11] حفـظ الله وحيـه بانتشهار * * * الشعب والله رافـع الدرجـات
[12] حرقت مئة تروم استراق السمع *** كـي لا يُلقى إلـى الكـاهنـات
[13] خلـق الله خلـقه كلهم مـن * * * جوده كـل جامد ونبـات
[14] خلفته قـريش حين أتـاهم * ** بنواهـي الإله والـواجبات

[15] دمـر الله من رمـاه بسوء * * * فانزوى بالقتـال والغـارات
[16] دمعت عين النساء على القتلى * * * ولم يشفعن بـالعـبرات
[17] ذل مـن يبتغـي العلو عليه * * * فهو سيدهم ومولى الولاة/ **ورقة1- و**
[18] ذكـره للمحب أري وراح * * * يُستعاذ بـه من النازعات
[19] رفـع الله قدره وحبـاه * * * واجتبـاه وخصـه بالصـلات
[20] رُتَبٌ لـم يصـل إليها نبـي * * * لا ولا مَلَكٌ من الحَدَثات
[21] زرع الله حبـه في قلـوب * * * المومنين طـرا مع المومنات
[22] حققوا أنـه نبـي كـريم * * * يُهتدى به في دجىالظلمات
[23] طلع البدر من سناه أضـاءت * * * منـه شمس الضحى على الفلوات
[24] طعن الكفر بالرماح والنـــ * * * ـبل وبـالسيف وانتباذ الحصات
[25] ظلمـــة الشرك قد أزاح دجاها * * * وعلا الدين في جميع الجهـات
[26] ظَفَّر الله شرعـه وهداه * * * وكفـاه النسـيان و الغـفلات
[27] كلم الضب والغـزالة والذ * * * يب رسولا أتى لنـا بالخيرات
[28] كُفَّ كَفُّ الذي يروم أذاه * * * سقط السيف في فَنَا السمرات
[29] ليتني كنت فـي زمان حواه * * * أكتفي بـه عـن جل القربات
[30] ليس لي ملجئا سواه ولا منجا * * * أَلـوذ بـه مـن البليات
[31] من لنـا بوصول طيبة إذ كا * * * ن بهـا قبره قبـيل الممـات
[32] مُسْلمين مُسَلّمين عليه * * * وعلـى صاحبه بالغايات
[33] نرتـوي ونقول حمدا لمن * * * مَنَّ علينا بهذه الصالحات
[34] نـرتعي في ريـاضه بقلوب * * * شفها الحب فيه والحدقـات
[35] صَدَّني هَـمٌّ واكتساب معاص * * * خلفتني في مـربع السيئات
[36] صَدَرَتْ مني في الصبا ثم دامت * * * كفكفتني بالسوط والمِنْسَات
[37] ضاع عمري عن فراق مع الحب * * * الذي قد حباني قبل نبات/**ورقة1- ظ**
[38] ضمـني دينه وفضل قـراه * * * أرتجيه هنا وفـي الميقات
[39] عاقنـي الذنـب عن مواطنه إذ *** كنت عبداً أميـلُ للشهـوات
[40] عـوقتـني وأقلقتني وأزرت * * * بجَناني وارتـه بـالغَمَّات
[41] غلبتنـي نوائـبُ الدهر حتى *** صرت في رقها حَليف العُراتِ
[42] غربتني ومـا رأيت صديقا * * * أُشفَين به على الأعنات
[43] فَرَّ صبري و حار أمري أيا خيـ *** ـر الهوى جئت هذه أبـيات
[44] فسرت ما بالقلب من كمد * * * أنت شفاه من هذه الحالات
[45] قد رفعت الأمور للمصطفى المختار *** يرفعها لمحيي الرفـات
[46] قُضيَتْ حـاجتي بأحمد والغيث * * * يُنْجَ بـه من المعصرات
[47] سيد الرسلِ خاتـم الأنبياء من * * * جاءنا بالفرقان قبل الفوات
[48] سـعدت بـوجوده بنت وهب * * * يا لها افتخرت على الأمهات
[49] شافع الخلق يوم لا ينفع الإبـ *** ـن أبله و الكُلُّ فـي الغمرات
[50] شـاب فيه الـرضيع والأم عنه * * * وهـي مرضعة من الذاهلات
[51] هـو أرحـم من أبٍ و من الأمِّ *** يجود بأعظم النـفقـات
[52] هـو مفـتاح رحمة الله عين * * * العز من لا يُقاس بالمثُلات
[53] و يفـكَّ من الجحيـم إذا مـا *** احترق الكافرون بالزفرات
[54] ويقـود إلـى النعيم ويَحمينا * * * الردا والهموم والنـزوات
[55] لا يمُنُّ و لا يفـوه بفحـش *** و يكافي المُداح بالغرفـات
[56] لا يفرط فيه حاشا ويأبى اللـ * * * ـه وهو المجيب للدعوات/**ورقة 2- و**
[57] يـا إلـه السماء صَلِّ على من *** جاءنا بالكتاب و المعجزات
[58] يـاهُ يـاهُ وآلـه والصحاب * * * الأكرمين وجملة الزوجات

[59] أنت فضلته و أكرمت مثواه *** نصرته بالصبا و الرّمات
[60] أنت أتحفته بالشفاعة والـ * * * كوثر والحوض للعفات
[61] بزغت شمسه بها أفلَ الكفر *** و صار ضعيفاً بعد الصولات
[62] بدد الله شملهم زهق البا * * * طِلِ مُذْ جاء الحق بالبينات
[63] تبّ من جحد الحقيقة ما *** يجحدها غير خاسرٍ وبغات
[64] ثم فضل المولى العليم أحمد * * * خير الورى بديع الصفات
[65] ثُلّةٌ من أصحابه نصروه *** و جماعةٌ هاجروا في الفَلات
[66] ثم حَلَّت جماعة بالنجاشي * * * فَبَرَّ بهم وبالمحصنات
[67] جمع الله شملهم و أبادوا *** الكفر و استأصلوه بالمِرْهِفات
[68] جردوها وأبرزوها لأعلى * * * كلمة الحق أفضل الكلمات
[69] حاربوا كل من يدين بود * * * ويغوث تَعُق ثم منات
[70] حل بأسهم بأصحاب نَسْرٍ * * * وديار العُزى وأهل اللات
[71] حاربوا ذا العِزى و أهل منًاةٍ *** و جموعاً تمسكوا بالات
[72] حولوا نعمة الغنيمة و الأسْـ *** ـر و أعطوا رضاءه و الجنات
[73] خربوا خير المُصور لما * * * فزعوا بالركاب والصافنات
[74] دفعوا كل من يُطيع هواه * * * وطغى بالسلاح والعاديات
[75] دمغوا قيصر الروم وكسرى * * * أذنوا لجموعهم بالشتات
[76] ذالكم فضل الله باؤا به عن *** غيرهم أنهم أجل الثقلات/ **ورقة2- ظ**
[77] ذبحوا كعبا ابن الأشراف ليلاً * * * وأبا رافع كثير الويلات
[78] رضي الله عنهم ورضوا عنه *** جزاهم بأفضل البركات
[79] رفعوا ملة الرسول فصالت *** بعد أن كانت من ذوي الخافيات
[80] ذل من لا يحبهم وتعدى *** الحدى كلهم هداة الهداة
[81] زرعوا الدين بالركاب وبالخيل *** وحد السلاح والجاريات
[82] سل حنينا وسل مواطن بدر *** عن قتالهم مَعْ بني المشركات
[83] سلمت عيرهم وقادهم الله *** لمأوى الحمام فوق الكفاتي
[84] شاهدوا الفتح والحديبية *** البيعة حكاه فيها نقل الروات
[85] شرعوا في الحلاق والنحر والطْـ * * * ـطيب كفاهم عن حجة الحُجُرات
[86] صدهم عدوٌ أحاط ببيت الـ *** ـلّه عنه وعن حصا الجمرات
[87] صَدَّ عن منى والحَطيم وزمزم * * * ثم الصفا وعن عرفات
[88] ضربوا مُهَجَ اليهود وأجلوا *** جُلَّهم نحو الشام مَأْوى العُصرات
[89] ضيعتهم أحبارهم كتموا وصف * * * النبي العظيم في التوراة
[90] طوقوهم عقد السكينة والذْ * * * ذُلِّ رضوا بالزُّنَّار وسم الروات
[91] طبع الله في قلوبهم البغض * * * لأحمد والعمى والصمات
[92] ظِلُّ خير الورى بقيّاً وامْتَدَّ *** على المسلمين و الغزوات
[93] ظَهَّرَ الله دينه ثم أخفى * * * دين أهل الكتاب بالكليات
[94] عجبا للكفار زادوا ضلالا *** بالذي جاء بالآي البينات
[95] عرفوه وأنكروه وحادوا * * * عن طريق الهدى طريق النجاة / **ورقة3- و**
[96] غرهم إبليس اللعين فأدلى *** ذا النفاق لأسفل الدركات
[97] غلبتهم أهواؤهم حسدا * * * واشتغلوا بالخداع و الزلات
[98] في براءةَ ذكرهم منهم من *** عاهد الله ضَنَّ بالصدقات
[99] فإن أعطوا استغفر لهم جاء * * * فيها مع ما معه من الآيات
[100] قد نهى الله عن صلاتهم المخـ * * * ـتار دون جنائز الأموات
[102] قلبوا الدين أسلموا ليصونوا * * * مالهم ودماءهم للحياة
[103] كم حبائل للنبي نصبوها *** فرمتهم بأشنع المهلكات

[104] كفرتهم وأسلمتهم إلـى دار* * * الحريق لأسفل الطبقات
[105] ليتهـم ءامنـوا وما نافقوا في * * * الـديـن إذ جاءهم بعذب فرات
[106] لحقوا بـإخوانهم قوم نـوح * * * وثمـود وعـاد السابقات
[107] مُنعوا مـن نعيم جنـات عدن * * * باكتسـاب النفـاق والموبقات
[108] مـالَهُمْ مـالَهُمْ قلوب تعي الحق * * * وتبغض هـذه الكيـفيـات
[109] نزع الله مـن قلـوبهم الإيمان *** أداهـم إلـى الحسرات
[110] نـارهم سُعرت وجنة أُزلفت * * * للمحسنين والمحـسنـات
[111] وهدى كـل مومـن حب آل *** المصطفى من أتى ومن هـو آت
[112] وعدهم صـادق وفضلهم أنما * * * مـن المسموعات والمرئيات
[113] هـم أهل الصفا وأهل الوفا والشرْ * * * شَرَف المستفاد في العدمات
[114] شرعوأ فـي الحلاق والنحر * * * والطيب كفاهم عن حجة الحجرات
[115] هم سرات الورى وأجود من حا* * * تِمِ طَيْءٍ بأكثر العطيـات
[116] لا يلوذ بهم متيم إلا وهـو * * * إلى ذرى الكرمات **/ ورقة 3 ـ ظ**
[117] لا يملـون مـن نزيلهم إذ فـي * * * جوارهم يحـق مبلتـي
[118] يا إلاهـي بهم سألتك يا الهْ * * * لَهُ وبالخلفاء أقل عثراتـي
[119] يوم موتـي وفي حياتي وحشر * * * وأُجُوزُ الصراط كالعاصفات
[120] صـل يا رب ثم سلم على مـن * * * هـو بين الورى بديع الصفـات

انتهت والحمد لله أولا وآخرا يوم 13 ربيع الأول عام 1269 هـ عُبيد ربه محمد يدا بن محمد السالم بمدرسته .

2/ قصائد الشاعر سيدي محمد إيداوعلي :

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله
[رِكَابُ أَحِبَّتِي][من بحر الوافر]

[1] عليك صـلاة ربـك ما أراقت *** رُعُودُ سَحَائبٍ مـاءً زُلالا
[2] رِكَـابُ أَحِبَّتي قَـصَدَتْ إلاَلاَ *** فأضْحَى الصَّبر بَعْدَهُمُ مُحَـالا
[3] فقلت لصـاحبي لَمَّـا تَـوَلَّتْ *** تَمَسَّكْ بِـالسُّلُوِّ فَقَـالَ لاَلاَ
[4] فكيف الصَّبر عنـهم والتَّسـلي *** ولم أر فـي السَّوِيْ مِنْهُمْ خَيَالا
[5] ولـم أر فـي منـازلهم أنيسا *** وذَكَّرَني ارْتحَـالُهُمُ غَـزَالا
[6] تَوَطَّـنَ فـي الْحَشَا ولـه مَحَلٌّ *** رَفِيعٌ في الجَـوَانح لَنْ يَزَالاَ
[7] فأَجْـرى ذكرُه غَيْرَاتِ قَلْبي *** وقلبي في ريـاض الحُبِّ جَالا
[8] ولمَّـا أَنْ خَبِرْتُ الأرضَ دَهْراً *** وأَعْمَلْتُ الـرَّكائبَ والنِّعَالا
[9] وصِرْتُ لِكُـلِّ مَهْمَهَةٍ ضَميراً *** فأضحت لِـيْ مَرَامِيْها مَجَالا
[10] أَجَلْتُ بِهَـا مَطَايـا الشَّوْق حتَّى *** لَحَظْتُ بِبَابِ مَنْ أَهْوَى رِحَالا
[11] وهَيَّـجَ حُبُّ مَـنْ أهواه مَا بِيْ *** وضـاق الصَّدْرُ واعْتَلَّ اعْتِلاَلا
[12] لَـوْ ابْتُلِيَ الجبـالُ بِحَمْلِ ما بي *** لأعْجَزَ حَمْلُ ما بِـيَ الجِبَالا
[13] لقد جُنَّتْ جُنُـونُ الشَّوْقِ مِـنِّيْ *** وخفت بها عـلى قلبي خبالا
[14] مَلأْتُ دَمَ اللَّوَاحظِ مِـنْ شُؤُوني *** فَلَوْلاَ الصَّبْرُ كَفْكَفَهَـا لَسَـالا
[15] فأنْحَلَني الجَـوى والـدَّمْعَ مِنِّيْ *** لِأَجْـل البَيْن يَنْهَمِـلُ انْهِمَالاَ

[16] وذابَ بِحُبِّ مَـنْ أَهـْواه لَحْمِي *** فَلَيْتَ الصَّبْرَ وَلاَّني وِصَالاَ/ورقة 1- و
[17] فلَـوْلا أَنَّنِي جَـلْدٌ صَـبُورٌ *** لَطَـاشَ العَقْـلُ واخْتَلَّ اخْتِلاَلا
[18] ولكنّـي أُسَكِّـنُ بَثَّ قَـلْبِيْ *** بِحُبِّ خِيَـارِ مَنْ وَطِيءَ الرِّمَالاَ
[19] على أنَّ الهَـوى أَفْنَـى احْتِيَالِـيْ *** وَلَمْ أَرَ لِـيْ مَعَ الحُبِّ احْتِيَالاَ
[20] وحَمَّلَني هَـوْلُ المُخْتَـارِ دَهْرِي *** مِـنَ الأشْـوَاقِ أَحْمَـالًا ثِقالا
[21] وَزَيَّلْ حُبُّهُ صَبْرِيْ بِمَـا لَـوْ مَـا *** زالَ بِبَعْضِهِ رُضْـوى لَـزَالا
[22] وقُلْتُ لِـلائِمِيْ فِـيْ الحُبِّ قَوْلاً *** صَحِيْحـاً قاطعـاً منه الجِدالا
[23] رسُـولٌ أفضلُ الأَرْسَـالِ طُرّاً *** وأَسْنَـى مِـنْ جَمِيْعِهِمُ جَمَالا
[24]وَأَنْمَاهُمْ وأَعْلا مِنْ جَمِيع الخَلْقِ قَدْراً *** وَأَقْصَاهُمْ لَدَى المَوْلى كَمَالا
[25] وأَكْـرَمُ الأَكْرَمِيْنَ من البَرَايَـا *** وأَحْسَنُـهُمْ وأَكْثَـرُهُمْ نَـوَالا
[26] وأزْكَـى المُرْسَلِينَ غَذَاةَ حَشْرٍ *** لَدَى المَـوْلَى وَأَنْجَحُهُمْ سُؤَالا
[27] وأرفَعُهُمْ لَـدَى البَـاري مَحَـلاً *** وَأَجْمَلُـهُمْ وَأَصْـدَقُهُمْ مَقَالا
[28] وأَجْودهُم ببذلِ المـالِ كَمَّـا *** وأكْـرَمُ مِنْهُمُ عَمّـًا وَخَالا
[29] وأسْمَحُهُمْ وأَطْوَلُـهُم يمينـا *** وأفْضَلُهُمْ وأنْـدَاهُم شِمَـالا
[30] وأطيبُ مُحْتذا وأَجَـلُّ دِيْنـًا *** وأَشْرَفُ منهم صَحْـبًا وآلا
[31] وأَشْجَعُهُمْ غَـدَاةَ الحَرْب قَلْبا *** إذا طَلَب الكُمـاةُ بها نِزَالا
[32] وأكثُر هَيبةً فـي الحرب مِنْهُمْ *** وأعلاهُم وأكْمَلُهُمْ جَلاَلاَ /ورقة 1- ظ
[33] وأشـرَفُهُمْ وأوضَحُهُمْ بَيَـانا *** وأَكْثَرُ للعِدَى منهم قِتَـالا
[34] وأَوْفَـاهُمْ لمنْ وافَـاهُ عَهْدا *** ومِيثَـاقـًا وأحْسَنُهُمْ فِعَـالا
[35] وأَنْمَـى خَشْيةً لله منـهُمْ *** وأبْذَلُهُمْ لِذي الحَـاجَـات مَالا
[36] وأجْمَلُهم وأحـلاهُمْ كلامـًا *** وأطيَبُهُمْ وأَنْمَـاهُمْ خِصَـالا
[37] ألا يـا واسِعَ الأرْسَـال جَاهاً *** وأَكثَرَهُمْ بخـالقه شِغَـالا
[38] ويـَا مَنْ لَـمْ يَزَلْ بَرّاً رَحيمًا *** سَلِ الرَّحمـانَ لي رِزقاً حَلالا
[39] وسَلْ لـي من إلهِ العرشِ سِرّاً *** مَصُونـاً لا أخافُ لهُ زَوالا
[40] وسل لـي منه غفران الخطايا *** وسل لــي من مواهبه نوالا
[41] وَسَلْ لأبِـي وأُمِّـيْ منه سِتْراً *** وغُفْرانـًا وجَنِّبْني الضَّـلالا
[42] وسَـلْ لأحِبَّتِي عَفْواً جَميلا *** مِنَ الغُفْرانِ يَتَّصِلُ اتِّصَـالا
[43] وكُنْ لِي نَاصِراً مَـا دُمْتُ حَيّاً *** على الأعْدَا وأَصْلِحْ لي مِثَالا
[44] وَسَلْ لي من إلهي طُولَ عُمْري *** وسَهِّلْ لي لِزَوْرتك ارْتِحَـالا
[45] لكي تُمْحَى المَـآثم والمَعَاصي *** وأَمْتَثِلُ التُّقَـى فيه امْتِثَـالا
[46] وَسَلْ لي حُسْنَ خاتمةٍ وَجُدْ لي *** بِوَصْلٍ لا أخافُ به انْخِـزَالا
[47] وكُنْ يَـا خَيْرَ خَلْقِ الله طُرّاً *** شفيعاً لــي وجَنِّبْني الوَبَالا
[48] لأنّي في الهَوى أَفْنَيْتُ عُمْري *** وَلاَحَ الشَّيْبُ واشْتَعَـلَ اشْتِعَالا
[49] عليك صَلاَةُ رَبِّكَ مـا أراقتْ *** رُعُـودُ سَحَائبٍ مَاءً زُلالا
[50] ومـا قال المَشُوقُ وَرَاءَ نُوقٍ *** رِكَابُ أَحِبَّتِـيْ قَصَدَتْ إلالا/ ورقة2 - و

[زُرْ مَنْ هَوَيْتَ] [من بحر البسيط]

[1] زُرْ مَنْ هَوَيْتَ وَلاَ تَصْبُو لِمَنْ عَذَلاَ *** عَلَى هَـوَاهُ وَسُقْ لِرَبْعِهِ الإِبِـلاَ
[2] وَحُثَّ للسَّيِّدِ البَكْرِي رِكَـابَ مِنَى *** تَجِدْ مِنَ العِلْمِ عِنْدَ بَـابِـهِ الأَمَـلاَ
[3] وَاذْكُرْ كَرِيمًا قَصَـاهُ لِلْعُلَـى خُلُقٌ *** عَذْبٌ وَفَازَ بِسُؤْلِ مَـنْ بِهِ نَزَلاَ
[4] وَحَيِّي مِنِّي حَبِيبـاً طَالَ مَا فَتَحَتْ *** مَفَاتِـحُ العِلْمِ مِنْـهُ لِلنُّـهَى سُبُلاً

[5] وَمَنْ تَجلَّتْ لَـهُ العُلُومُ وَانْكَشَفَتْ *** لَـهُ رُمُـوزُ السَّـادَاتِ الـفُضَلاَ
[6] وَمَنْ بِهِ خَاضَ بَحْرَ العِلْمَ نُورُ حِجَى *** وَمَنْ أَجَالَ فِـي بَحْرِ المَنْطِقِ المُقَلا
[7] وَمَنْ حَوَى مِنْ فُنُونِ العِلْـمِ مَرْتَبَةً *** مَـا حَـلَّهَا قَبْـلَهُ فِي الفِقْهِ مَنْ دَخَلاَ
[8] وَمَنْ جَنَتْ تَمْرَ سِرِّ الحُرُوفِ رَاحَتُهُ *** فَنَالَ مِـنْ سِرِّ سِـرِّ شَهْدِهِ عَسَلاَ
[9] وَمَنْ مَتَى مَا سَلَوْتُ عَنْ زِيـَارَتِهِ *** عَجِبْتُ مِنْ أَنَّ قَلْبِـي كَيْفَ عَنْهُ سَلاَ
[10] وَمَنْ تَحَلَّى مِنَ الصَّبْرِ الجَمِيلِ ومِنْ *** مَكَارِمٍ حَازَ قَـدْرَهَـا المَدَى حُلَلاَ
[11] وَمَنْ تَقَاصَرَ نَظْمِي عَـنْ مَنَاقِبِه *** وَجَـاوَزَ الذِّكْـرُ مِنْهَا لِلْعُلَى زُحَلاَ
[12] وَمَنْ أَبَانَ هَوَاهُ مِـنْ جَـوَانِحِنَا *** قَصِيدَةٌ نَظْمُهَا يَـرِقُّ مَـنْ عَـقِلاَ
[13] لَعَلَّ مَـنْ نُسِجَتْ لَـــهُ يُهَذِّبُهَا *** إِذْ هُـوَ قَرَمٌ يُدَاوِي جَهْلَ مَنْ جَهِلاَ
[14] هُوَ الذِي لَمْ يَزَلْ إِحْسَـانُ فِطْنَتِهِ *** مِنَ القَرِيضِ المَرِيضَ يُصْلِحُ الـعِلَلاَ
[15] هُوَ الذِي إِنْ عَجَزْتُ عَنْ زِيـَارَتِهِ *** عَجْزاً صُرَاخاً وَخَابَ سَعْيُ مَنْ بَخِلاَ

ورقة 1- و

[16] زَارَتْهُ بِكْرٌ مِـنَ الأَشْعَارِ نَـاظِمُهَا *** عَنْ شَيْخِهِ قَدْ كَسَاهُ عَجْزُهُ الـخَلَلاَ
[17] هُوَ الذِي لَـــمْ تَزَلْ تَفْرِ أَنَـامِلُهُ *** بِخَطِّهَا مِـنْ ذَوِي الضَّلاَلَةِ الـحِيَلاَ
[18] قَاضٍ مَتَى مَا نَظَرْتُ فِـي عَلاَمَتِهِ *** بِحُسْنِهَا عَـادَ جَفْنُ العَيْنِ مُكْتَحِلاَ
[19] قَاضٍ مَتَى مَا نَمَا وَجْدِ بِهِ وَزَكَى *** أَعْمَلْتُ عِيسَى الهَوَى إِلَيْهِ مُرْتَحِلاَ
[20] قَاضٍ قَضَى اللهُ أَنِّـي مِـنْ أَحِبَّتِهِ *** بِحُكْمِـهِ فَـرَضَيْتُ مِـنْهُ مَا فَعَلاَ
[21] جَوَاهِرُ السِّـرِّ عِنْـدَهُ خِزَانَتُهَا *** حَشَـاهُ مِـــنْ رَدِّ مُبْتَغِيهِ مِنْهُ بِلاَ
[22] هَذَا الذِي قَـدْ سَمِعْتُ مِـنْ مَنَاقِبِهِ *** عَنِ الصَّدُوقِ هُنَـا أَثْبَتُّهُ جُمَـلاَ
[23] وَابْلِغْ بَنِيهِ سَلاَماً طَيِّبـاً عَاطِراً *** يَعُمُّ عُرْفُ شَـذَاهُ السَّهْلَ وَالجَبَلاَ
[24] وَخُذْ قَرِيضَ عُبَيْدٍ جَـاءَ مُبْتَهِلاً *** عُذْراً عَلَيْهِ مِـنَ الأَكَـابِرِ النُّبَلاَ
[25] وَقُـلْ لَهُمْ إِنَّ قَلْبِي مُـذْ هَوَيْتُهُمُ *** مَا زَالَ فِـي حُبِّهِمْ فِـي اللهِ مُشْتَغِلاَ
[26] أَنَـا الذِي أَبْتَغِي مَا يَبْتَغِيهِ الذِي *** مِنَ الإِلَـهِ وَرَبِّ خَيْرَ مَـنْ وَصَلاَ
[27] مَا زِلْتُ أَطْلُبُهُ فِـي كُـلِّ آونَةٍ *** وَلاَ يَـرُدُّ كَرِيمٌ كَفَّ مَنْ سَأَلاَ
[28] مَا زِلْتُ أَسْأَلُ مِنْ مَوْلاَيَ لِيْ وَلَهُمْ *** ظِـلاًّ ظَلِيلاً بِظِلِّ العَرْشِ مُتَّصِلاَ
[29] وَلَمْ أَزَلْ أَسْأَلُ الرَّحْمَنَ لِـي وَلَهُمْ *** سِتْراً جَمِيـلاً عَلَى الغُفْرَانِ مُشْتَمِلاَ

انْتَهَتْ بِحَمْدِ اللهِ تَعَالَى وحُسن عَوْنِهِ **/ ورقة 1 - ظ**

[هَلْ مَا كَتَمْتَ... يُعْلَمُ ؟][من بحر الكامل]

[1] هَلْ مَـا كَتَمْتَ عَنِ الحَواسِدِ يُعْلَمُ [؟] أَمْ كُـلُّ مَـا أَوْدَعْتَ سَلْمَـى يُكْتَـمُ
[2] أَمْ دَخلت السِّر التي أَوْدَعْتَهَا [؟] ضَلّتْ بِهَا بَيْنَ العِدا تَتَكَلّـمُ
[3] أَمْ أَنْتَ قَيْسِـيُّ الصَّبَابَـةِ والهَـوَى[؟] أَمْ أَنْتَ حِبٌّ بِالحِسَانِ مُـهَيَّـمُ
[4] أَمْ رَبْـعُ سَلْمَى قَدْ شَجَتْكَ طَلُولُهُ [؟] أَمْ أَنْتَ مِـنْ تِذْكَارِهِ لاَ تَسْأَمُ

ورقة 1- و

[5] أَمْ هَلْ بُكَـاكَ عَلَى الدِّيَارِ عَزِيزُهُ[؟] مَـا زِلْتَ تَـهْوَاهَا وَأَنْـتَ مُتَيَّـمُ
[6] أَمْ هَلْ وُقوفُكَ عِنْدَ دَارٍ قَدْ عَفَتْ[؟] مِنْـهَـا مَـرَابِعُ مَنْ هَوَيْتَ تَرَحَّـمُ
[7] أَمْ حَسِبْـتَ الـدَّارَ وَالمغْنَى لَهَـا[؟] وَالـدَّارُ دَارٌ فَرَّقَتْـهَا جُرْهُـمُ
[8] مَالدَّارُ بالـدَّارِ التِي تَهْوَى وَلاَ ذَا الرَّبْعُ بِالـرَّبْـعِ الذِي تَتَـوَهَّمُ
[9] بَلْ دَارُ سَلْمَـى بَيْنَ رَامَـةَ والثَّقَى مَـازَالَ يَنْدُبُهَـا الغُـرَابُ الأَسْحَمُ
[10] لمَّـا رَأَيْتُ اللّيْـلَ نَـاحَ غُرَابُـهُ وَالبَيْنُ مِنْ أَسَـدِ العَـرِينَـةِ أَظْلَـمُ
[11] سَحَّتْ دُمُوعُكَ حِينَ عَلّمَكَ البُكَا ذَاكَ الغُرَابُ وَدَمْـعُ عَيْنِـكَ [.....]
[12] وَسَألْتَ رَبْعَ الدَّارِ عَنْ آيَـاتِهِ أَيْـنَ الجَدِيدُ وَأَيْنَ مِنْـهَا الأَقْـدَمُ
[13] فَوَقَفْتَ بِالمَعْنَى وَأَنْتَ أَخُ◌َواجَوَا وَبِـ◌َـا أَهْـل تِلْكَ الـدَّارِ صَبٌّ مُغْرَمُ

[14] وَظَلَلْتَ تَسْأَلُهُ ◌َكَأَنَّكَ جَاهِـــلُ وَالـرَّبْـعُ يَـفْـهَـمُ نُـطْـقَ◌َهُ مَنْ يَفْهَمُ
[15] وَالرَّبْعُ يُخْبِرُ أَنَّ سَلْمَـــى غَادَرَتْ مَعْنَـاهُ تَـألَـفُـهُ الطّيُـورُ الحُـــوَّمُ
[16] والدّ◌َارُ أَمْسَتْ بَعْدَ سَلْمَى بَلْقَعَـا وَالحَـيُّ مَـوْعِـدُهُ البَـقِـيعُ وَزَمْـــزَمُ
[17] أَفَلاَ تَرَي سَلْمَـاكَ لَمَّا خَلَّفَـــتْ كَبِـدَا المَـشُوقِ بِسَيْـفِ وَجْـدٍ تُحْمَمُ
[18] نَظَرَتْ بِعَيْنِيَّ بِذِعْـرٍ وَكَـأَنَّهَـــا رَشَا يُنَاغِيهِغَزَالٌ أَوْشَـمُ/**ورقة 1- ظ**
[19] وَدُجَـا فَرِيقِ تَرَائِبٍ كَسَنْجَلٍ مِـنْ فَـرْعِـهَـا اللّحُودِ لَيْـلٌ مُظْلِمُ
[20] وَبَدَا تُحَيْتَ اللّيْلِ صُبْحٌ جَيْـمُنُهُ وَاللّيْلُ مَا شَـانَتْ دُجَـاهُ الأَنْجُـــمُ
[21] وَتَـبَسَّمَتْ فَـأَرَاكَ صَفْوُ شَتِيتِـهَا يَوْمَ النَّـوَى وَالبَـيْـنُ مِنْـهَـا المَبْسَمُ
[22] مَهْمَى نَظَـرْتَ إِلَـى مَحَـاسِنِ ذَاتِهَا وَالطّرْفُ فِـي الحُسْـنِ البَدِيـعِ يُنَعَّمُ
[23] أَلْقَتْ عَلَـى شَمْسِ الضُّحَـى شَفَعاً وَقَدْ خِلْنَـا ضِيـَاءَ الشَّمْسِ لَهْنـاً يُضْـــرَمُ
[24] مـَا زِلْـتَ تَـذْكُرُ مِـنْ غَرَائِبِ حُسْنِهَا عَجَبـاً وَمَـا أَخْفَيْـتَ مِنْهَـا أَعْظَـمُ
[25] وَعَـجِبْتُ مِنْ يَرِدْ مَنَابِتُهُ اللّمْنَـى وَمِـنِ افْـتِـرَارِ يُـسْتَبَـانُ وَيُكْتَـمُ
[26] وَعَجِبْتُ مِنْ لَهَبٍ بَدَا مِنْ بَـرْقَـعٍ لاَ ذَا يُـــوَارِي ذَا وَلاَ ذَا يَـخْـطُـمُ
[27] وَعَـجِبْتُ مِـنْ تَـجْوِيعِـهَا لِرِشَاجِهَا عَجَبـًا وَحِـلْـــيُ السَّـاقِ لاَ يَتَرَنَّمُ
[28] لَـمَّـا دَهَاهَا مِنْـكَ لَـوْنُ ذَوَائِبٍ بَيْـضٌ يُـشَـاكِـهُ لَـوْ نُـهُنَّ الجُرَّمُ
[29] أَبْـدَتْ مَصُونَـكَ لِلّـوُشَاتِ وَسِـرُّهَا فِـي القَلْـبِ مِنْكَ عَنِ الحَوَاسِدِ يُكْتَمُ
[30] وَتَـرْتَ رَنْـوَ مُخَادِعٍ وَتَـجَـاهَلَتْ إِنَّ الخِـدَاعَ عَـنِ المُـحِـبِّ مُـحَرَّمُ
[31] وَ رَمَـتْكَ عَمْداً بِالصُّدُودِ وَبِالجَفَـــا وَحَشَـاكَ مِـنْ أَلَـمِ الجَـوَى يَتَحَسَّمُ
[32] فَمَتَـى رَمَتْكَ بِصَـدِّهَا وَبِهَجْرِهَا وَلِكُلِّ حُـرٍّ دَحْلَـةٌ لاَ تُعْلَـمُ **/ ورقة 2- و**
[33] إِصْبِـرْ لَهَا كَـيْ تَـنْتَنِي يَـوْماً لَهَا فَـالصَّبْـرُ لِلـرُّتَبِ العَـوَالِي سُلّمُ
[34] مَـا لِـي أَرَاهَـا قَدْ شَجَتْكَ وَأَنْتَ فِي حَـالِ الشَّـدَائِـدِ لاَ تَرُوعُكَ.....
[35] فَبَكَيْتَ بِالنّـوَى وَقَـوْمُكَ مَـعْشَرٌ صَبِـرٌ بِـصُـرْفِ الـدَّهْرِ لاَ تَتَأَلَّـمُ
[36] إِنْ كُنْتَ تَسْمَـعُ مِـنْ مُحِبٍّ نَـاصِحٍ نُـصْحـاً وَصُ◌ْعْمُ فِرَاقِ سَلْمَى عَلْقَمُ
[37] هَـوِّنْ عَلَيْكَ فِـرَاقَ كُلِّ مُفَارَقٍ بَعْـدَ النّبِـيِّ فَـذَاكَ وَيْحَـكَ سُلّـمُ
[38] فَبِفَقْدِهِ ضَاقَـتْ بِسَاكِنِهَـا الـدُّنَـا فَتَـصَـاغَـرَتْ فِـي نـاظِرِي مَبْسَـمُ
[39] ضَاقَ الزّمـانُ فَسَـاءَ قَلْبٌ ضَيْقُـهُ إِنْ لَـمْ يَـكُـنْ فِيـهِ النَّبِـيُّ الأَكْرَمُ
[40] لَوْ كُنْتُ أَمْلِكُ مَا هَـوَيْتَ مِنَ البُكَا يَجْـرِي مِـنَ اجْفُنِي عَنِ الوَجْهِ عَلّـمُ
[41] هُـوَ الذِي مَهْمَا نَمَا وَجْـدِي بِهِ وَالقَلْـبُ مِنِّـي بِـالمَحَبَّـةِ مُفْـهَـمُ
[42] لِـذَوِي القَرِيـضِ سُنّـةٌ مَدْحِـهِ كَمَـا بَشَّـرَ النَّـدَى النَّبِيُّ بَنِيهِ أَحْرَمُوا
[43] هُوَ الذِي قَـدْ رَاقَنِي ذِكْـرِي لـهُ وَيَـرُوقُ مِنْـهُ الـذِكْـرُ مَـنْ هُوَ مُغْرَمُ
[44] فَمَنْ بِـهِ قِدْ بَشّرَتْ قَمَرٌ السَّمـا شُهُـبُ الثّـرَيـَّا وَالسُّهَـا و.....
[45] بَـدْرٌ تُنَاغِـيـهِ الأَهِلّـةُ رَحْمَةً وَاللّـهُ بِـالبَدْرِ المُنَاغِـي أَرْحَمُ
[46] هُـوَ الحَلِيمُ وَغَيْرُهُ يَتَحَلّـمُ **/ ورقة 2- ظ** هُـوَ الكَرِيمُ المُصْطَفـى وَالمُنْتَقَى
[47] هُـوَ الذِي مَا زَاقَ قَطّ طُرَافَـهَ مِـنْ زِيـنَـةِ الـدُّنْيَـا الدَّنِيَّةِ مَرْهَمُ
[48] هُوَ الـذِي تَـغَـنّـي مَـوَاهِبُ كَفِّهِ مَـنْ هُـوَ مُحْتَـاجٌ وَمَـنْ هُـوَ مُعْدَمُ
[49] فَطِـنٌ لَبِـيـبٌ وَاهِبٌ مُتَـأَدِّبُ بَحْـرُ العَـطَـايَـا بَاسِطَ اليَدِ مُنْعِمُ
[50] قَـرْمٌ قَـرِيـبٌ مُحْسِـنٌ مُتَقَـرِّبُ وَالٍ وَهُـوبٌ بِالجَـدَا مُتَـكَـرِّمُ
[51] هُـوَ الـذِي يَسْـقِي الزّلاَلَ بِكَفِّـهِ هُـوَ الـذِي فِـي النّـائِبَـاتِ يُـيَمَّمُ
[52] هُـوَ الجَوَادُ وَلاَ يَخْسَرْ مَـثِيلُهُ فِـي الدِّيـنِ وَالـدُّنْيَـا وَلاَ هُوَ يَعْلَمُ
[53] هُوَ الـذِي تُـقْرِي المُـبِينَ جِفَانُهُ كَرَماً وَضِيقُ الضّيـقِ مِنْهُ يُطْـعِمُ
[54] هُـوَ الذِي يُـرْدِي العَدُوَّ بِسَـيْـفِهِ وَيَـعُـودُ مِنْـهُ السَّيْـفُ وَهْـوَ مُثَلّمُ
[55] فَـإِذَا تَضَاعَنِتِ الفَوَارِسُ بِـالقَنَـا فَـصَـرِيعُ مَـارِنِـهِ الشّجَاعُ المُعْلَمُ
[56] سَـلْ عَـنْ عَوَائِـدِ رُمْحِهِ بَدْراً وَسَلْ أُحُـداً فَـــإِنَّ الشّأنَ مِنْهُ أَعْظَمُ
[57] سَلْ عَنْ شَجَـاعَتِهِ الكُمَاتُ تَجِدْ لَهَا ذِكْـراً طَـويـلاً لاَ يُحِيـطَ بِهِ فَمُ

[58] أقْسِمُ بِـذَاتِ الله أنَّ مُحَمَّـداً ... مِـنْ سَـائِرِ الـوَرَى أجَـلُّ وَأكْـرَمُ
[59] كَـمَا الْتَقَى الجَمْعَانِ وَاشْتَدَّ فِي الوَغَى ... حَمِيّـاً لِلْفُـرْسَـانِ فِيـهِ مُجَمْجَمُ
[60] أرْدَى ابْنِـي فِي المَجَالِ وَجِسْمُهُ ... مُلْقَى يُسَرْبِلُ بِالدِّمَا وَيُـعَمَّـمُ/**ورقة 3- و**
[61] كَمْ كمِيٍّ صَارَ صَيْـدَ رِمَـاحِـهِ ... وَمُدَمَّـمُ أرَدَاهُ وَهُـوَ مُـكْـرَمُ
[62] وَمُدَرَّعٌ قَدْ غَادَرَتْهُ رِمَـاحُـهُ ... وَشُحُـونُـهُ يَقْـتَـاتُ مِنْـهَا قَشْـعَمُ
[63] تَلْغ الكِلاَبُ دِمَاؤُهُ وَلُـحُومَـهُ ... ظَلّتْ بِهَـا الأسْـدُ الضَـرَائِـمُ تُطْعَمُ
[64] فُرْسَـانُ بَـدْرٍ يَشْهَدُونَ بِأنَّهُ ... يَلْقَـي الـعَوَابِسَ وَالـدَّرَاوِعُ يَبْسُـمُ
[65] يَرِدُ المَنِيَّةَ وَهُوَ غَيْرُ مُـدَرَّعٍ ... وَالرُّمْحُ أسْمَـرُ وَالحُسَـامُ مُطَهَّـمُ
[66] لَكُمَا تَضَارَبَتِ الجَحَافِلُ فِي الوَغَى ... وَاللّـهُ يُرْدِ مَنْ يَـشَـاءُ وَيَـرْحَـمُ
[67] نَصْرُ الإلهِ نَبِيَّـهُ وَجُنُـودَهُ ... فَأتَـاهُ مِـنْ أهْلٍ مِنَ السَّمَـاءِ عَرَمْـرَمُ
[68] جَبْـرَيِّلُ يَسْحَـبُـهُ وَرَاءَ مُحَمَّدٍ ... وَمُحَمَّـدٌ عَلَـى الجَمِيعِ مُـقَدَّمُ
[69] وَحَوَى القَلِيْـبُ مِـنَ العَدُوِّ سُرَاتُهُمْ ... وَجَـزَاؤُهُمْ بَعْـدَ المَمَاتِ جَهَنَّمُ
[70] يَا مَنْ يَـرُومُ قَصِيـدَةً شَدَ رِيَّةً ... أسْـلاَكُـهَـا فِي الرَّصْفِ لاَ تَتَصَرَّمُ
[71] خُذْهَا مِنَ المَنْظُومِ بِكْراً لَـمْ تَـزَلْ ... مِنّا بَـأفْـوَاهِ البَصَـائِـرِ تَلْثُمُ
[72] خُذْهَا وَلَمْ يُنْسَـجْ عَـلَى مِنْـوَالِهَا ... نَسْـجٌ بَدِيعٌ وَهُـوَ دُرٌّ يُنْظَـمُ
[73] وَاتْرُكْ مَجَـانِينَ الهَوَى إنَّ الهَوَى ... أَلَمٌ يُشَهَّدُ وَالحَـوَاسِـدُ نُـوَّمُ
[74] وَاعْلَمْ بِأنِّـي مِنْ مَجَـانِيـنِ الهَوَى ... وَجُنُونُـهُ بَيْنَ الجَوَانِحِ جُثَّـمُ/**ورقة 3- ظ**
[75] وَأشِرْ عَلَـى الحُسَّـادِ سِلْكَ مُنَظِفِي ... وَاقْرَعْ بِـهِ بَـابَ المُسَامِحِ مِنْهُمُ
[76] وَاعْرِضْ عَنِ اقْوَالِ الوُشَـاةِ وَقُلْ لَهُمْ ... وَلِسَـانُ الحَـالِ عَـنِ الهَـوَى يُتَرْجِمُ
[77] لاَ تَعْجَبُواْ مِـنْ سِلْـكِ نَظْمِـي إنّـهُ ... رِزْقٌ عَلَـى قَبْرِ المَحَبَّـةِ يُقْسَـمُ
[78] يَا سائِلِيـنَ عَنِ المَحَبَّةِ في الحَشَا ... إنَّ المَحَبَّـةَ قَـدْرُهَا لاَ يُعْلَـمُ
[79] لَكِـنْ لَهَـا فِـي العَاشِقِينَ أدِلّـةٌ ... تَبْـدُو فَيُعْـرَفُ بَعْـضُـهَـا مُتَوَسِّمُ
[80] عَيْـنٌ مُسَـعَّدَةٌ وَجِسْمٌ نَاحِلٌ ... وَخَـوَاطِـرٌ فِـي بَحْـرِ شَوْقٍ عُـوَّمُ
[81] وَتَـذَلّـلٌ وَتَوَاضُعٌ وَتَحَـزّنٌ ... وَرِضَى عَـنِ المَـحْبُوبِ فِيهَا يُحَكَّمُ
[82] وَتَدَبُّرٌ وَتَـفَكّرٌ فِـي كُـلِّ مَا ... يُبْنَـي بِـهِ سُـرُرُ السُّلُوِّ وَيُهْدَمُ
[83] وَبُكَـا وَدَمْعٌ بِالتّذَكُّـرِ سَائِـلُ ... طَـوْراً وَطَـوْراً فِـي الجَوَانِحِ يُسْجَمُ
[84] إسْمَعْ عَلاَمَـةَ الهَوَى وَاعْمَلْ بِهَـا ... مِـنْ مُخْبِرٍ فِي القَـوْلِ لاَ يَتَـلَعْثَـمُ
[85] وَ اعْلَـمْ بِـأنّي ذُقْتُـهَا وَخَبِرْتُهَا ... فِي حُـبِّ مَـنْ يُـولِي الجَمِيلَ وَيُنْعِمُ
[86] وَلَقِيتُ مَا لَمْ يَلْقَى قَيْسٌ مِثْلَـهُ ... قَـلْبِـي وَلاَ لِقَـاهُ قَـطّ مُتَيِّـمُ
[87] وَبَقِيتُ مِنْ حُبِّـي لأحْمَدَ ذَا جوَى ... أَسْتَصْـغِرُ الجَـدَا لَـدَيَّ فَيَـعْظُمُ
[88] وَبَلَغْتُ جُهْدِي فِـي مَدَائِحِهِ لِمَا ... حَـقَّقْتُـهُ إنِّي عُبَيْدٌ مُجْـرِمُ / **ورقة 4- و**
[89] فَوَجَدْتُهَا لِلذَنْـبِ مَـاءً بَـارِداً ... بَـلْ هِـيَ أمْحَـقُ لِلـدُّمُوعِ وَأهْدَمُ
[90] وَنَظَمْتُ مِنْـهَـا لُؤْلـؤاً أصْـدَافُـهُ ... فِكْـرِي وَسِـلْكُ النَّـظْمِ سِلْكٌ مُبْرَمُ
[91] مَـعَ أنَّنِـي لَقَيْتُ فِـي أمْـدَاحِـهِ ... مِسْكـاً بِـهِ أهْـلُ المَحَبَّـةِ تَرْحَمُ
[92] فَنَشَيْتُ طِيبًا لَـمْ تَطِـبْ بِمِثَـالِـهِ ... بَيْـنَ العَقَـائِـلِ فِـي اللَّطِيفَةِ مَنْشِمُ
[93] لَمَّـا عَصَرْتُ جَرَّ الهَـوَى حِبَالَهُ ... بِمُـدَامَـةٍ كَـانَـتْ تُصَـانُ وَتُخْتَمُ
[94] وَلَو ضَعْتُ مِنْ حُبِّي لَهُ دُونَ الوَرَى ... إبْرِيـقُ وِدٍّ بِـالصَّبَابَـةِ مُفْعَـمُ
[95] ذُقْـتُ التِي لَوْ شَمَّ قَيْسٌ دِنَّهَا ... يَـوماً لأسْكِرَهُ وهْـوَ مُفَـعَّمُ
[96] فَشَرِبْتُ شُـرْبًا لاَ يُفَارِقُ رَبَّـهُ ... نَفْسِـي وَرُوحِـي وَالأعَادِي وُحَّـمُ
[97] هَذَا شَرَابٌ مَعْنَـوِيٌّ شُرْبُـهُ ... هَـذَا شَـرَابٌ فِـي الفُـؤَادِ يُقَدَّمُ

[98] هَاذَا شَرَابٌ مِنْ مَدِيحِ مُحَمَّدٍ هَذَا شَرَابٌ لاَحَ مِنْـهُ مَغْنَـمُ
[99] هَذَا شَرَابٌ لاَ تَزَالُ خُتُومُهُ بِيَمِينِ مَادِحِهِ تُفَكُّ وَتُهْزَمُ
[100] هَذَا شَرَابٌ كَامِنٌ لَمْ يَطْلَعُ دَهْراً عَلَيْهِ مُهَنْدِسٌ أَوْ مُنْجِّمُ
[101] هَذَا مَدِيحٌ لَسْتُ عَنْهُ بِمُقْلِعٍ فِي هذِهِ الدُّنْيَا وَلاَ أَنَا مُنَجِمُ **/ ورقة4- ظ**
[102] لَوْ عِشْتُ عُمْرَ النَّسْرِ فِي نَظْمِي لَهُ وَالفِكْرُ يَنْظُمُ وَاللِّسَانُ يُتَرْجِمُ
[103] نَفَذَ القَرِيضُ وَبَحْرُ مَدْحِ مُحَمَّدٍ مَعَ كَثْرَةِ الغُرَّاءِ فِيهِ عَصَمْصَمُ
[104] صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ مَا نَفَحَ الكِبَا وَشَدَا عَلَى أَوْكَارِهِ مُتَرَنِّمُ
[105] وَعَلَى جَمِيعِ الآلِ مَا قَالَ امْرُؤٌ هَلْ مَا كَتَمْتَ عَنِ الحَوَاسِدِ يُعْلَمُ[؟]

[فَاطِمَةُ البَتُولُ] [من بحر الوافر]

[1] فُدِيتُ وَجِيهَةً كَقَلْبٍ مُحِبّا ــــ وَءَاوَتْهُ إِلَى ظِلٍّ ظَلِيلِ
[2] فَلَيْسَ مِنَ الرَّغَائِبِ ذِي المَزَايَا ــــ مِنَ الزَّهْرَاءِ فَاطِمَةُ البَتُولِ
[3] فَإِنَّ الفَضْلَ مِنْ يَمِّ المَعَالِي ــــ وَمِنْ عَادَاتِهِمْ بَذْلٌ بَذِيلُ
[4] أَفَاطِمُ بِالحَبِيبِ أَبِيكَ طَهَ ــــ خُذِي بِيَدِي ثُمَّ انْظُرَا لِي
[5] وفِي الدَّارَيْنِ جُودٌ بِالتَّهَانِي ــــ عَلَى الحَلَبِيِّ عَبْدُكُمُ الذَّلِيلُ
[6] وَمِنْهُ عَلَيْكُمَا وَالآلِ طُرّاً ــــ سَلاَمٌ مَا شَدَتْ وَرَقُ الظَّلِيلِ**/ ورقة 5- و**

[مُكْثِرِي الزَّلَلِ] [من بحر البسيط]

[1] اللهُ أَعْلَمُ مَا بِالقَلْبِ مِنْ وَجَلٍ ذَنْبِي كَبِيرٌ فَأَرْجُو المَوْلَى يَغْفِرُ لِي
[2] بِجَاهِ خَيْرِ الوَرَى أَحْمَدُ يَشْفَعُ فِي مَا لِلْمَسَاكِينِ مِثْلَ مُكْثِرِ الزَّلَلِ
إِلاَّ شَفَاعَةُ خَيْرِ الخَلْقِ وَالرُّسُولِ
[3] اللهَ رَبِّ فَمَا العُذْرُ وَمَا الحِيَلُ ــــ لَوْلاَ شَفَاعَةُ مَنْ يَمْحِي بِهِ الزَّلَلُ
[4] شُدُّواْ المَطَايَا لِخَيْرِ الخَلْقِ وَارتحلوا ــــ يَا مُذْنِبِينَ قِفُواْ بِبَابِهِ وَاسْأَلُواْ
بِهِ المَفَازَ تَنَالُواْ غَايَةَ الأَمَلِ
[5] اللهُ يُلْحِقُنِي بِرَبْعِ رَوْضَتِهِ ــــ قَلْبِي عَلِيلٌ وَمُشْتَاقٌ لِرُؤْيَتِهِ
[6] نِعْمَ الشَّفِيعُ وَقَدْ جِئْتُ لِرُتَبِهِ ــــ وَقَفْتُ حَوْلَ حِمَاهُ أَسْتَجِيرُ بِهِ
مُنَكَّسَ الرَّأسِ مِنْ ذَنْبٍ وَمِنْ خَجَلِ
[7] اللهَ أَرْجُوكَ يَا مَوْلاَنَا تَرْزُقُنِي ــــ حُسْنَ المَآبِ وَفَضْلاً مِنْكَ يَشْمَلُنِي
[8] لَعَلَّ عَفْوَكَ بَعْدَ الذَّنْبِ يُدْرِكُنِي ــــ عَسَى عِنَايَةُ لُطْفِ اللهِ تُلْحِقُنِي
بِالسَّابِقِينَ فَقَدْ عُوِّقْتُ مِنْ كَسَلِ
[9] اللهُ أَعْلَمُ أَنَّ الرُّوحَ قَدْ فَرِحَتْ ــــ بِبَعْثِ خَيْرِ الوَرَى لِلْخَلْقِ وَارْتَحِلَتْ
[10] نَحْوَ المَدِينةِ شَوْقاً فِيهِ وابْتَسَمَتْ ــــ لَمْ أَنْسَ قَطّ لَوَيْلَةَ لَنَا سَلَفَتْ
بِطِيبَةَ وَزَمَانُ السَّعْدِ أَقْبَلَلِ
[11] اللهُ مَوْلاَيَ هَبْ لِي مِنْ مَوَاهِبِهِ ــــ جَنَّاتِ عَدْنٍ وَنُسْقَ مِنْ حَقَائِقِهِ**/ ورقة 5- ظ**

[إِنَّ الجَفْنَ عَبْرَانُ] [من بحر البسيط]

[1] يَارَبّ صَلِّ عَلَى المُخْتَارِ مَاسَجَعَتْ بِحُسْنِ سَجْعٍ عَلَى الأَكْوَانِ وَرْشَانُ
[2] اكْفُفْ دُمُوعَكَ إِنَّ الجِفْنَ عَبْرَانُ بِرَبْعِ دَارٍ وَمَا بِالدَّارِ غَيْرَانُ
[3] تَبْكِي عَلَيْهَا وَمَا فِي رَبْعِهَا أَحَدٌ مِنَ الأَنَاسِ وَأَهْلُ الرَّبْعِ قَدْ بَانُواْ

[4] فَزَارَنِي مِنْهُمُ ضَيْفٌ فَقُلْتُ لَـــهُ وَالقَلْبُ مِنِّي عَلَى الأحْبَابِ وَلْهَانُ
[5] أهْلاً بِضَيْفٍ مِنَ اللّيْلِ فَأيْقَظَـــنِي مِنَ المَنَـــام وَجَفْنُ اللّيْلِ وَسْنَـــانُ
[6] وَارِثَ الوَجْدُ في الأحْشَاءِ نَارَ جَوَى مَا قَارَنَ النَّـــارَ في الفُؤَادِ دُخَّـانُ
[7] يَنَامُ لَيْلاً وَعَيْنِي لاَ تَنَامُ جَـــوَى فَهَلْ يُفِيقُ مِـنَ الغَـرَام هَيْمَانُ/ **ورقة 6 - و**
[8] لَقَدْ تَذَكّرْتُ أيَّـامَ الوِصَـــالِ التِي مَضَتْ وَشَطّتْ بِمَنْ أهْوَاهُ أرْكَانُ
[9] جُنَّتْ جُنُونِي إِذَا جُنَّ الجُنُـونُ بِـهَا وَجُـــنَّ وَجْـــدٌ وَللجُنُونِ طَغْيَانُ
[10] إِنَّ المَجَانِينَ تُرْجَـى [مِنْ] إِفَاقَتِـــهِمْ إِلاّ أنَـــا إِنَّنِي بِـالشَّوْقِ نَشْوَانُ
[11] كَمْ أضْرَمَ الحُبُّ نَارَ الشَّوْقِ في كَبِدِي مَا فَارَتِ النَّـــارُ في الفُؤَادِ دُخَّانُ
[2] لَوْ تَعْلَمُ الشَّمُّ مَا في القَلْبِ مِـنْ شَغَفٍ لَذَابَ رُضْوَى بِهَا وَسُخّ تِلْهَانُ
[13] وَدُكَّ يَذْبُلُ وَانْفَرَّتْ فَـوَا أجَلِي وَهُدَّ سُلّمَى كَمَـا تُهَدُّ بُنْيَانُ
[14] لمَّا وَقَفْتُ بِدَارٍ كُـنْتُ أعْـهَدُ مَنْ أحِبُّ فِيهِمْ وَهُـمْ في الدَّارِ جِيرَانُ
[15] سَألْتُـــهَا عَنْ أنَاسٍ كُنْتُ أعْـرِفُهُمْ وَقَدْ مَضَتْ لَهُـــمُ في الدَّارِ أزْمَانُ
[16] وَلَمْ تَبِينُ جَـوَابِـــي تُـرْبُ دَارِهِمُ إِذ لَمْ تَجِدْ مَخْـرَجاً لِلنَّطْقِ تُرْبَانُ
[17] وَالدَّارُ تَنْطِقُ نُطْقاً وَهْيَ صَـــامِتَةٌ سُكُوتُهـــا لِـــذَوِي الأَلْبَابِ بُقْيَانُ
[18] مَا زَالَ فِيهَا لِسَانُ الحَـالِ يُجْـبِرُنِي إِنَّ الأحِبَّةَ فِيهَـا مُـــدَّةً كَـــانُوا
[19] وَإِنَّمَا قَدْ عَفَتْ مِنْ عَـهْدِ مَـارِيَـةٍ وَذَبْيُهَـا بَعْدَ حِـينِ الـدَّارِ عُرْيَانُ
[20] وَأَرْضُهَا مِنْ رِيَاضِ الزّهْـــرِ عَاطِلَـةٌ وَكَانَ قَبْـلُ بِهَـا شَمْـتٌ وَسَعْدَانُ
[21] مَا زَالَ يُلْبِسُهَا النَّسْـرِينُ حُـلّتَـهُ وَاليَاسَمِينُ وَزَهْرُ الرَّوْضِ أَلْوَانُ/ **ورقة6- ظ**
[22] أهِيمُ بِالمُصْطَفَى وَالوَجْدُ خَـــامَرَنِي كَمَـــا بِمَيَّةَ قَبْلُ هَـــــامَ غِيلاَنُ
[23] لِمَ لاَ أهِيمُ بِأفْضِلِ الـوَرَى نَسَبـاً وَدَمْـــعُ عَيْنِي لَهُ سُخّ وَتُهْتَانُ
[24] أهِيمُ بِالمُصْطَفَى إِذَا شَطّتْ مَـــنَازِلُهُ وَقَـدْ شَجَتْنِي مِـــنَ الفِرَاقِ أحْزَانُ
[25] لِمَ لاَ أهِيمُ بِهِ وَهْوَ الذِي خَـمَدَتْ بِنُـــورِ مَـــوْلِـــدِهِ لِلْفُرْسِ نِيرَانُ
[26] وَغَـاضُ نَهْرِهِمْ بِـــهِ وَمَـاؤُهُـمُ وَالنَّهْرُ قَبْـــــلَ حَبِيبِ اللهِ مَـــلآنُ

[27] وَأَشْرَقَتْ بِالسَّنَـا فِي لَيْـلِ مَوْلِـدِهِ ... مِـنَ السُّرُورِ بِخَيْرِ الرُّسْلِ بُلْـدَانُ
[28] فَعَمَّهَا نُـورُهُ والأَرْضُ مُشْرِقَـةٌ ... وَقَـدْ أَضَاءَتْ بِـهِ بَصْرَى وَكِنْعَانُ
[29] لِـمَ لاَ أَهِيمُ بِهِ وَهْوَ الذِي سَقَطَتْ ... بِيُمْنِ مَوْلِـدِهِ المَيْمُـونِ أَوْثَـانُ
[30] لِـمَ لاَ أَهِيمُ بِهِ وَهْوَ الذِي شَهِدَتْ ... بِأَنَّـهُ خَيْـرُ خَلْقِ اللهِ وَهْنَـانُ
[31] لِـمَ لاَ أَهِيمُ بِـهِ وَهْوَ الذِي هَتَفَتْ ... بِصِـدْقِ لَهْجَتِهِ جِـنٌّ وَكُهَّـانُ
[32] لِـمَ لاَ أَهِيمُ بِـهِ وَهْوَ الذِي فَرِحَتْ ... بِحُسْنِ عِـزَّتِهِ حُـورٌ وَوِلْـدَانُ
[33] لِـمَ لاَ أَهِيمُ بِـهِ وَهْـوَ المُنَى وَلَهُ ... فَضْلٌ بِـهِ نَـالَ مَا يَهْوَاهُ عَدْنَانُ
[34] لِـمَ لاَ أَهِيمُ بِمَنْ سَـمَا لِمَنْـزِلَةٍ ... مَـا حَلَّهَا قَبْلَ خَيْرِ الرُّسْلِ إِنْسَانُ
[35] لِـمَ لاَ أَهِيمُ بِمَنْ ضَلَّتْ ضَـوَارِمُهُ ... بِهَـا تُشَفُّ مِنَ الكُفَّارِ أَبْـدَانُ/ **ورقة 7- و**
[36] دَعْ ذِكْـرَ مَا قَدْ مَضَى وَاعْمَلْ فَمَيْتُلَةٌ ... لَهَـا صُلْبٌ بِهَا تُـرَضُّ ضِرَّانُ
[37] شِمِلَّةٌ عِرْمَسٌ حِـرْفٌ جَمَالِيَةٌ ... تُدَكُّ مِـنْ سِـرِّهَا أُكْمٌ وَخِزَّانُ
[38] عَيْرَانُهُ عَنْهَدَلٌ عَلْبَاءُنَـاحِيَةٍ ... كَـأَنَّهَا أَصْلَمُالأُذُنَيْنِ مَـرْضَانُ
[39] ضَعْلٌ تُسَابِقُهُ شَمْطَاءُ قَـدْ تَرَكَتْ ... فِي الرَّوْضِ بِيضاً لَهَا نَـاوِيهِ خُيَّانُ
[40] طَوْراً يُبَدِّدُهَا وَالأَكْـمُ مِنْسَـمُهَا ... وَتَنْطَـوِي تَحْتَهَا بِالسَّيْرِ غِيضَانُ
[41] وَشَدَّ مُحْـرِمُهَا بِـالعَرْضِ مُرْتَحِلاً ... لِخَيْرِ مَـنْ نَحْـوَهُ تُشَدُّ كُـورَانُ
[42] مَهْمَا بَـدَتْ رَوْضَةُ المُخْتَارِ وَارْتَفَعَتْ ... مِـنْ طِيبَةَ وَبَـدَا النَّخِيلُ وَالبَـانُ
[43] انْزِلْ عَلَى الرِّجْلِ إِذْلاَلاً لِمَنْ خَضَعَتْ ... لِعِزِّ عِـزِّ عُـلاَهُ الإِنْسُ وَالجَـانُ
[44] وَاخْلَعْ نِعَـالَكَ وَامْشِ غَيْرِ مُنْتَـعِلٍ ... لِهَيْبَةِ المُصْطَفَى وَالـرَّأْسُ عُرْيَانُ
[45] وَقَبِّلِ التُّرْبَ تَعْظِيماً لِتُـرْبَـتِهِ ... وَقَرِّبِ الدَّمْـعَ إِنَّ الـدَّمْعَ قُرْبَـانُ
[46] وَسِرْ عَلَى الرَّأْسِ إِنْ وَجَدْتَ ذَاكَ بِهَا ... وَاضْـرَعْ لِمَـوْلاَكَ إِنَّ اللهَ حَنَّـانُ
[47] وَاخْضَعْ لِـرَبِّكَ كَـيْ تُحْظَى بِمِنَّتِهِ ... فَـإِنَّ رَبَّ العُـلاَ بِالفَضْلِ مَنَّـانُ
[48] وَابْلِغْهُ حَـالَةَ بَـاكٍ مِـنْ تَذَكُّرِهِ ... كَمَا بَكَـى لِـزَوَالِ المُلْكِ نُعْمَـانُ
[49] كَمَا بَكَتْ صَخْرَهَا الخَنْسَاءُ مِنْ أَسَفٍ ... وَمَـا بَكَتْ لِفِرَاقِ الجِذْعِ أَخْدَانُ/ **ورقة 7- ظ**
[50] وَظَلَّ كِسْرَى دَلِيلاً يَـوْمَ مَـوْلِدِهِ ... وَانْقَضَّ مَنْـزِلُهُ وَارْتَـجَّ إِيْـوَانُ
[51] وَزَالَ عَنْهُ جَـلاَلُ المُلْكِ وَانْصَدَعَتْ ... مِنْ بَيْتِ كِسْرَى بِخَيْرِ الخَلْقِ بُنْيَانُ
[52] هُـوَ الـذِي نَطَقَتْ بِصِـدْقِ بِعْثَتِهِ ... صُـمُّ الصُّخُورِ وَخَـاطَبَتْهُ غِـزْلاَنُ
[53] هُـوَ الذِي قَـدْ دَعَـا لِنَهْجِ مِلَّتِهِ ... قَوْمـاً وَهُمْ عَنْ طَرِيقِ الحَقِّ عُـمْيَانُ
[54] نَجَّاهُمُ اللهُ قَـدْ ضَلَّتْ عُقُولُهُمُ ... وَكُفْرُهُمْ بِـرَسُولِ اللهِ بُهْتَـانُ
[55] لمَّا عَلِمْتُ بِقَلْـبِ صِـدْقِ سَيِّـدِنَا ... وَأَنَّ أَعْـدَاءَهُ هُمُ الذِينَ خَـانُوا

[56] عَجِبْتُ مِنْ كِبْرِهِمْ بِهِ وَقَدْ عَـلِمَتْ ... كُهُونُهُمْ صِدْقَـهُ حَقّاً وَشُبَّانُ
[57] كَمْ كَذَبُوهُ وَحَادُواْ عَنْ طَـرِيـقَتِـهِ ... وَكَمْ أَتَـاهُمْ عَلَى التَّصْدِيقِ بُرْهَانُ
[58] كَمْ جَادَلُوهُ وَكَـمْ مَالَتْ بِأَنْفُسِهِـمْ ... عَنْ الهُدَى عَنْ طَرِيقِ الإِفْكِ صُلْبَانُ
[59] يَاصَـاحِ دَعْ كُفْـرَهُمْ بِدِينِ سَيِّدِنَا ... وَقُـلْ يَمُـدُّكَ بِـالتَّوْفِيقِ دَيَّانُ
[60] الحَمْدُ للهِ مَازَالَـتْ تُصَـدِّقُهُ ... مِنَّـا النَّفُوسُ وَفي القُلُوبِ إِيمَـانُ
[61] لَعَلَّ تَصْدِيقَـنَا بِصِدْقِ مِلَّـتِهِ ... بِـهِ يَسُدُّنَـا في القَـبْرِ رُومَـانُ
[62] أَقْسَـمْتُ بِاللهِ أَنَّ عُـدَّ دَوْلَتِـهِ ... مَانَـالَهَـا يُـوسُفُ وَلاَ سُلَيْمَانُ
[63] فَكَمْ غَزَا غَزَوَاتٍ شَـأْنُهَـا عَـجَبٌ ... وَمَـا غَزَا غَزْوَهُ في الدَّهْرِ سُلْطَانُ/**ورقة 8- و**
[64] مِنْهَا حُنَيْنٌ وَمِنْـهَا يَـوْمَ غَزْوَتِهِ ... لِأَهْـلِ خَيْبَرِ وَالأَمْـلاَكُ أَعْوَانُ
[65] وَغَزْوَةُ القَاعِ لِلْمُخْتَـارِ شَـاهِـدَةٌ ... بِمَـا جَـرَى وَكَـذَا بَدْرٍ وَوِدَّانُ
[66] وَيَوْمَ غَـزْوَتِهِ الغَـرَّى إِلَى أُحُـدٍ ... وَرُمْحُهُ لِـدَمِ الأَبْطَـالِ ظَمْآنُ
[67] وَيَوْمَ مَكَّـةَ إِذْ جَاءَتْ عَسَاكِرُهُ ... وَفَوْقَ رُؤُوسِهِمْ في الحَـرْبِ تِيجَانُ
[68] يَؤُمُّهُمُ خَيْـرُ خَـلْقِ اللهِ كُلِّهِـمُ ... وَالنُّورُ مِنْ خَيْرِ وَجْهِ الرُّسْلِ عُمْدَانُ
[69] صَحَابَةُ المُصْطَفَـى للهِ دَرُّهُـمُ ... مَا خَـالَفُوا قَـطّ أَوَامِـرَهُ وَلاَ خَانُوا

[70] هُمُ الكُمَاتُ فَلاَ تَخْـــفَى عَلاَمَتُهُمْ فَمَـــا لَهُـمْ فِي بِـــلاَدِ اللهِ أقْرَانُ
[71] سَمَّاهُمُ رُحَّماً لأجْلِ رَحْـــمَتِهِـمْ رَبُّ الأنَـــام وَهُـــمْ فِي اللهِ إِخْوَانُ
[72] كَمْ جَاهَدُوا وَغَزَوا مَعَ النَّـبِـيِّ وَكَمْ دَارَتْ عَـلَيْهِمُ مِـنَ الصُّنُوفِ كِيسَانُ
[73] يَمْشُونَ للمَوْتِ وَالبُشْرَى تُمَـــيِّـزُهُمْ عَلَيْـهِمُ مِـــنْ لِبَاسِ الحَرْبِ أَلْوَانُ
[74] تَعَلَّمُواْ مِنْهُ بَعْضَ بَعْـضَ جُـزْءَتِهِ وَهُـمْ بِهَـامِدَةِ الجِهَـــادِ شُجْعَانُ
[75] فَمِنْهُمُ الصَّادِقُ الصِّدِّيقُ مَنْ شَهِدَتْ بِـأَنَّهُ أَفْضَلُ الأَصْحَـــابِ خُلْصَانُ
[76] وَمِنْهُمُ عُمَرٌ نَاهِيكَ مِنْ عُـــمَـرِ بِـهِ اسْتَقَامَتْ لِـــدِينِ اللهِ أَدْيَـانُ
[77] مِنْهُـمْ مَنُ اشْتُهِرَتْ بَلْوَاهُ وَاتَّضَحَتْ فِي النَّاسِ ذَاكَ شَهِيدُ الدَّارِ عُثْمَانُ/**ورقة 8- ظ**
[78] مِنْهُـــمْ عَلِيٌّ فَكَـــمْ بِسَيْـفِهِ قُطِعَتْ جَمَاجِـمٌ وَاحْـتَمَى بِالخَيْلِ مَيْدَانُ
[79] وَطَلْحَـــةَ مِنْهُـمُ لاَ تَنْسَ جُرْأَتَهُ وَفَخْرَهُ وَسِـــــلاَحُ الجَيْشِ شُهْبَانُ
[80] ابْنُ الزَّبَيْرِ الذِي تَـــرْدَى مَـوَارِدِهِ وَأَيْنَ جُرْأَتُـــهُ وَالـــــرُّمْحُ خَطَرَانُ
[81] وَابْنُ سَعْدٍ وَمَا حَـــــوَاهُ مِنْ شَرَفٍ نِبَـــا لَـــهُ عَنْ جُـسُوم الكُفْرِ مَلآنُ
[82] وَاذْكُرْ سَعِيداً وَلاَ تَنْـــبُذْ مَفَـاخِرَهُ إِذَا تَنَـــاوَبَتِ الأبْـــدَانُ مُـــرَّانُ
[83] أَبُو عُبَيْدَةَ أَيْنَ حُسْنُ شِيمَتِـهِ رِمَـــاحُهُ فِي مَجَـــالِ الخَيْلِ أَشْطَانُ
[84] أَيْنَ ابْنُ عَوْفٍ لَهُ فَضْـــلٌ وَمَـفْخَرَةٌ إِذَا تَـــدَاعَتْ لِبَـــحْرِ المَوْتِ فُرْسَانُ
[85] جِمَالُ حَمْزَةَ لاَ تَخْـــفَى عَلَى أَحَدٍ لَّيْتَ الإِلَـــهَ لَـــهُ فِي الحَرْبِ أَمْعَانُ
[86] فَرْعٌ تَفَرَّعَ مِنْ فَـرْعٍ نَمَـــا شَرَفاً جُدُودُهُ مِـــنْ كِرَامِ النَّاسِ خِلْصَانُ
[87] وَأَيْنَ مَا جَمَعَ العَبَّـاسُ مِنْ كَـــرَمٍ وَجُرِّدَتْ عَنْ سُيُوفِ الجَيْشِ غِمْدَانُ
[88] وَجَعْفَرٌ لَمْ تَزَلْ تَبْـكِي لِمَصْـــرَعِهِ مِنَ السَّحَـــائِبِ بَعْدَ الـمَوْتِ أَجْفَانُ
[89] وَأَيْنَ ضَرْبُ عُقَيْـــلٍ لِلْـــعَدُوِّ وَقَدْ تَنَاكَرَتْ فِي الـــوَغَى بِالسَّيْفِ خِلاَّنُ
[90] آلُ النَّبِيِّ وَخَيْرُ النَّسْـــكِ حُبُّـهُمُ هُمُ الكُمَاتُ وَهُـمْ فِي الحَرْبِ شُجْعَانُ
[91] إِنِّي سَأَلْتُ مِنْ إِلَهِ بِجَـــاهِـــهِمُ عَفْـواً يُقَـارِنُهُ سِتْرٌ وَ رِضْـــوَانُ
[92] اللهُ شَرَّفَهَـــــمْ عَنْ كُلِّ ذِي شَرَفٍ لاَ يَعْتَـرِيكَ لِـحُبِّ الـكُلِّ نِسْيَانُ
[93] مَازِلتَ بِالمُصْطَفَى يَـاصَاحِ ذَا شَغَفٍ إِنَّ الـصَّحْبَ لَـــهُ ذَلٌّ وَإِذْعَـــانُ
[94] مُعَـاتِبِي عَـنْ هَـــوَاهُ كَيْفَ عنبكني إِنَّ المَـلاَمَ عَلَى هَـوَاهُ كُفْـــرَانُ
[95] يَا مَادِحاً تَبْتَغِـي حَـــصْراً لِمَفْخَرَةٍ هَـــذَا لِلَبِّكَ يَـــاذَا اللَّبِّ نُقْصَـانُ
[96] هَـــوِّنْ عَلَيْكَ فَلَيْسَ المَـدْحُ مَبْلَغُهُ فَقِسْ بِعَقْلِكَ إِنَّ العَقْـــلِ مِيـــزَانُ
[97] لاَ المَدْحُ مِنْ مَادِحٍ يَحْـــوِي مَدَائِحَهُ لَـــوْ قَـــالَ مَا قَالَهُ كَعْبٌ وَحَسَّانُ
[98] كَمْ أَطْنَبَتْ قَبْلَكَ المُـــدَّاحُ فِي مَدْحِهِ لَهَا لِذِي العُقُولِ فِي اليَاقُوتِ رُجْحَانُ
[99] فَكَمْ تَـــزِيدُ تَضُمُّ المَـدْحُ فِيهِ وَكَمْ عَدَّتْ وَرَاحَتْ بِنَشْدِ المَـــدْحِ رُكْبَانُ
[100] وَكَمْ بِـــأَمْدَاحِهِ سُـــرَّتْ مَسَاجِدُنَا وَكَـــمْ بِهَا سُـــرَّتْ أَقْطَارٌ وَأَكْوَانُ
[101] وَكَمْ حَدَى أَيْنُقُ الهَـوَى إِلَيْهِ هَوَى وَعَـــاقَنِي عَـــنْ حَبِيبِ اللهِ عِصْيَانُ
[102] وَكَمْ أَتَتْ قَبْرَهُ الـزَّوَّارُ مِـــنْ شَغَفٍ بِـــهِ وَحَطّ أَسِيرُ الذَّنْبِ جُـــرْمَانُ
[103] وكَمْ أَتَـى البَيْتَ مَـنْ دَعَتْهُ سَابِقَةٌ مِـنَ السَّعَادَةِ وَالمَحْـرُومُ وَلْهَـانُ
[104] إِنِّي وَرَأسِي قَـدْ شَـــابَتْ مَفَارِقُهُ فِي المَدْحِ يَامَنْ لَهُ الفَضْـــلِ وَإِحْسَانُ
[105] قَرَعْتُ بَـابَ الـهُدَى بِامْتِدَاحِكُمُ فِي الحَشْرِ يَرْحَمُ هَذَا الشَّيْبَ رَحْمَانُ
[106] يَـاخَيْرَ مَـــنْ زَارَتْ الأَمْلاَكُ تُرْبَتَهُ فَسَـرْبَلَتْ جِسْمَهُ فِي القَبْرِ أَكْـــوَانُ
[107] سَلْ لِـي مِنَ اللهِ رَبِّي حُسْنَ خَاتِمَةٍ لِيَمْحَقَ الذَّنْبَ مِـنْ مُـــلاَّكِ إِحْسَانُ
[108] وَارْحَمْ عُبَيْداً جِـــوَارَ أَمْنِكَ مَطْلَبُهُ فِي جَنَّةٍ سُـورُهَـــا دُرٌّ وَعُقْيَـــانُ
[109] فِيهَا مِنَ الحُورِ أَتْرَابٌ كَـــوَاعِبُهَا نُجُـــلُ العُيُـونِ كَـــأَنَّهُنَّ غِزْلاَنُ
[110] قُصُورُهُنَّ قُصُـورُ فَوْقَهَـــا غُرَفٌ فِيهَـــا مِـــنَ المِسْكِ وَالكَافُورِ كُثْبَانُ
[111] تَـــلأْلأَتْ مِـــنْ بَيْضِهِنَّ جُـــدْرَانُ يَرْفُلْنَ فِي حُلَلٍ بَيْنَ الخِيَامِ وَقَـــدْ
[112] يَاصَاحِ قُـــلْ مَدْحَهُ وَكُـــنْ تُرَدِّدُهُ وَاحْسِنْ يُـــوَافِيكَ مَـوْلاَكَ إِحْسَانُ
[113] يَارَبِّ صَلِّ عَلَى المُخْتَارِ مَا سَجَعَتْ بِحُسْنِ سَجْع عَلَى الكَـــوْنِ وَرْشَانُ

[114] وَمَا شَدَا هَائِمٌ بِالهَاشِمِيِّ هَـــوَى اكْفُفْ دُمُـــوعَكَ إِنَّ الجَفْنَ عَبْرَانُ

3/ قصيدة للشاعر محمد عبد القادر الفلاني

النَّصِيحَةُ الكَافِيَةُ وَالمَوْعِظَةُ الشَّافِيَةُ [من بحر الرجز]

[1] الحَمْدُ لله الـذِي قَدْ أَمَـرَا *** بِالوَعْظِ وَالنُّصْحِ جَمِيعَ الأُمَرَا
[2] لِذلكَ أَرْسَلَ الرَّسُولَ لـلأَنَـامْ *** عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلاَةِ وَالسَّلاَمْ
[3] ثُمَّ عَلَى الصَّحْبِ الكِرَامِ وَعَلَى *** أَزْوَاجِـهِ وَصَحْبِهِ وَمَـنْ تَلاَ
[4] قَدْ حَضَّهُمْ عَلَى اتِّبَاعِ السُّنَّه *** وَحَـذَّرَ الخَلْقَ ارْتِكَابَ البِدْعَه
[5] فَبَلَغَ الـوَحْـيُ لِكُلِّ الـنَّاسِ *** وَأَتْبَعَ الطَّرِيقَ بِـالْقِسْـطَاسِ
[6] مَنْ سَبَقَتْ لَهُ السَّعَادَةُ فِي الأَزَلْ *** وَضِدُّهُ الشَّقِيُّ ضَـلَّ وَأَضَلْ
[7] فَـبَاءَ بِـالْغَضَبِ وَالخُسْرَانِ *** وَالظُّلْمِ وَالطُّغْيَانِ وَالحِرْمَانِ
[8] وَبَـعْدُ فَـاعْلَمْ أَنَّـنِي أَرَدْتُ *** نُصْحاً لإِخْـوَانِـي وَمَا قَصَّرْتُ
[9] مِنَ الـدُّعَا لَهُمْ فِي كُلِّ وَقْتِ *** نَسْأَلُ رَبِّـي أَنْ يُجِيبَ دَعْوَتِي
[10] أُوصِيكُمْ بِالصَّبْرِ يَـا إِخْـوَانِي *** وَاجْتَهِدُوا فِـي طَاعَةِ الرَّحْمَنِ
[11] وَبِـالـمُدَارَاةِ لِـكُلِّ الـنَّاسِ *** أَعَـاذَكُمْ رَبِّ مِـنَ الوَسْوَاسِ
[12] لِقَـوْلِـهِ بُعِثْتُ بِـالـمُدَارَه *** دَارُواْ لِتَسْلَمُواْ مِـنْ كُـلِّ آفَه
[13] صَغِيرُكُمْ يُـوقِّرُ الكَبِـيرَا *** كَـذَا الكَبِيرُ يَـرْحَمُ الصَّغِيرَا
[14] وَكُـونُواْ إِخْوَاناً كَمَا فِي السَّابِقِ *** وَاسْتَمِعُوا النُّصْحَ لِـكُلِّ نَـاطِقِ
[15] بِهَا مُحِـبّاً لَكُمْ مُـوَافِـقَا *** وَتَـابِـعاً لِلْحَقِّ لاَ مُـنَافِـقَا
[16] وَلاَ تَـبَاغَضُواْ وَلاَ تَحَـاسَدُواْ *** وَلاَ تَـدَابَـرُواْ فَـرَبِّيْ وَاحِدُ
[17] وَلاَ تَنَازَعُـواْ وَلاَ تَخَـاصَمُواْ *** وَلاَ تَقَـاطَـعُواْ وَلاَ تَظَـالَمُواْ
[18] تَحَبَّبُواْ وَافْشُواْ السَّـلاَمَ تُنْصَرُواْ *** لاَ تَغْفُلُواْ وَلِلـصَّلاةِ بَكِّـرُواْ
[19] تَـوَافَقُواْ تَعَاوَنُـواْ عَلَى التُّقَى *** وَخَالِفُواْ طَرِيقَ أَصْحَـابِ الشَّقَا
[20] مُرُواْ بِمَعْرُوفٍ وَانْهَواْ عَنْ مُنْكَرِ *** وَصَّى بِذَاكَ الخَلْقَ خَيْرُ البَشَرِ
[21] مَـكَارِمِ الأَخْلاَقِ قَـوْمٌ اتَّصَفُواْ *** وَالكَـيْلَ وَالمِـيزَانَ لاَ تُطَفِّفُواْ
[22] وَغُضُّوا الأَبْصَارَ عَـنِ المَحَارِمِ *** وَكُفُّـواْ سَمْعَكُمْ عَـنِ الـمَآثِمِ
[23] وَاجْتَنِبُواْ الرِّبَـا وَقَـوْلَ الزُّورِ *** وَكُـلَّ فِعْلٍ مُـنْكَـرٍ مَهْجُورِ
[24] وَالكِبَرَ وَالفُسُوقَ وَالعِصْيَانَـا *** وَالغَـيْبَةَ وَالنَّمِـيمَةَ وَالبُهْـتَانَا
[25] وَصُحْبَةَ الأَشْـرَارِ وَالـلِّئَامِ *** عَـافَـاكُمُ رَبِّـي مِنَ الأَسْقَامِ
[26] وَأَكْـلَ أَمْـوَالِ اليَتَامَى وَالرِّشَا *** أَكْلُهُمَا يُـورِثُ نَـاراً فِي الحَشَا
[27] وَالكَـذِبَ وَالنِّـفَاقَ وَالـرِّيَـاءَ *** وَالسُّـحْتَ وَالسُّخْطَ وَالإِزْدِرَاءَ
[28] ثُـمَّ عُقُـوقَ الأُمَّـهَاتِ وَالَـبَا *** فَيَجِبُ الـلَّوْمُ عَلَى مَـنْ كَذَبَـا
[29] وَلاَ تَغُرَّنَّـكُمْ الـدُّنْـيَا الـتِي *** غَـرَّتْ مَـنِ اتَّبَعَهَا بِـالْفِتْنَةِ
[30] فَحُـبُّهَا رَأْسُ الخَطَايَـا كُلِّهَا *** كَـمَا سَمِعْتُمْ مَـا أَتَـى فِي ذَمِّهَا
[31] وُصُونُـوا أَلْسِنَتَكُمْ عَـنِ القَبِيحِ *** مِنَ الكَلاَمِ وَافْهَمُواْ قَولاً صَحِيحْ
[32] فِـي ذَمِّـهِ قَـدْ وَرَدَتْ آثَارُ *** لَـنَا رَوَاهَـا الـسَّادَةُ الأَخْـيَارُ
[33] عَـلَى النَّبِيِّ الطَّـاهِرِ المُخْتَارِ *** وَقَـانَـا رَبِّ مِـنْ عَذَابِ النَّارِ
[34] رَبِّ أَعِنَّا لِامْتِـثَالِ الأَمْـرِ *** وَاهْدِ الجَمِيعَ لاِجْتِـنَابِ الوِزْرِ
[35] وَحَـافِظُواْ عَلَى اتِّـبَاعِ السَّنَّه *** وَلاَزِمُـواْ الصَّلاَةَ فِـي الجَمَاعَه

[36] وَعَلِّمُواْ الأَبْنَاءَ وَالإِخْـوَانَــا *** فِـي كُـلِّ وَقْتٍ سِرّاً أَوْ إِعْلاَنَا
[37] لِكَـيْ تَنَـالُـواْ الأَجْرَ وَالثَّوابَا *** وَالفَـوْزَ وَالنَّـجَاةَ وَالصَّوَابَـا
[38] وَذَكِّـرُوا إِخْـوَانَكُمْ أَهْلَ البَلَدْ *** أَعْـطَاكُمُ الإِلـهُ الأَمْنَ وَالرَّشَدْ
[39] تَفَكَّرُواْ وَاتَّعِـظُواْ بِمَنْ مَضَى *** مِـنَ الأَبَـا أَجَلُهُمْ قَدِ انْقَضَى
[40] وَفَـارَقُـواْ الأَمْوالَ وَالبَنِينَا *** وَفِـي الـتُّرَابِ صَـارُواْ سَاكِنِينَا
[41] تَمَزَّقَتْ أَعْضَاؤُهُمْ يَـا حَسْرَتِي *** وَعَـوَّضُواْ اسْتِئَانَهُمْ بِـالوِحْشَةِ
[42] صَارَتْ عِـظَامُهُمْ رَمِيماً بَـالِيَهْ *** فِـي ظُلْمَةِ القَبْرِ وَنَفْسٍ بَالِيَهْ
[43] لاَ شَكَّ أَنْ نَلْحَـقَهُمْ عَلَى الأَثَرْ *** يَـا وَيْحَنَا فَـلاَ مُجِيدُ لاَ مَفَـرْ
[44] وَالمَوْتُ لاَبُـدَّ لِـكُلِّ أَحَـدِ *** فَـاجْعَلْ خِتَامَ عُمْرِي دِينَ أَحْمَدِ
[45] الحُـكْمُ بِـالـدَّوَامِ وَالبَـقَاءِ *** للهِ وَاجِبٌ بِـــلاَ امْـــتِرَاءِ
[46] وَالحُكْمُ بِـالمَوْتِ وَبِـالْفَـنَاءِ *** لِلْخَلْقِ حَـــتْمٌ حَتَّى الاَنْبِـيَاءِ
[47] يَبْلَى وَيَفْنَى جَسَدُ الإِنْـسَانِ *** شَيْئاً فَشَيْئاً غَـرَّهُ الـتَّوَانِـــي
[48] وَيَنْقَضِي العُـمْرُ بِـالأَيَّــامِ *** وَبِالشُّهُورِ فَـاسْتَمِعْ كَـلاَمِي
[49] وَكُـلُّ مَنْ ذَهَبَ عُمْرُهُ وَمَـا *** حَصَلَ فِـيهِ نَفْعُهُ قَـدْ نَـدِمَا
[50] لَكِـنْ فِـي وَقْتٍ لاَ يُفِيدُ النَّدَمُ *** قَـدْ غَـــرَّهُ شَيْطَانُهُ لَوْ يَعْلَمُ
[51] وَاحْرِصْ أَخِي كَيْ لاَ يَمُرَّ ضَائِعا *** عُـمْرُكَ بِـاللَّهْوِ فَتَبْقَى جَائِعَا
[52] وَالعُمْرُ هُـوَ رَأْسُ مَـالِ العَبْدِ *** فَلْيَجْتَهِدْ قَبْلَ لُحَـوقِ الكَـــمْدِ
[53] أَحِبَّتِي دُومُـواْ عَلَى تَقْوَى الإِلَهْ *** وَلاَ تَخَـافُواْ ضُرَّ مَخْلُوقٍ سِوَاهْ
[54] مِـنْ غَيْرِ رَبِّـي يَسْتَحِيلُ الضُّرُّ *** وَالنَّفْعُ فَـاسْمَعْ يَا أَخِي مَا أَذْكُرُ
[55] يَنْفَعُ مَـنْ أَرَادَهُ بِـــالفَضْلِ *** وَغَيْرُهُ يَضُـرُّهُ بِـالـعَدْلِ
[56] وَالخَـيْرُ لاَ يُعْـطِيهِ إِلاَّ اللهُ *** فَانْـبُذْ وَدَعْ جَمِيعَ مَـنْ سِوَاهُ
[57] وَصَـاحِبُ المَالِ فَـلاَ يَغْتَرُّ *** بِمَالِـهِ قَـدْ يَعْـتَرِيهِ الضُّرُّ
[58] لاَسِيمَا إِنِ اقْـتَنَاهُ مِـنْ حَـرَامْ *** كَالنَّهْبِ وَالغَصْبِ وَكَثْرَةِ الخِصَامْ
[59] لاَ بُـدَّ أَنْ يَـنْزَعَ مِـنْهُ عَاجِلاَ *** إِمَّـا بِمَـوْتٍ أَوْ لِفَـقْرٍ آيِـلاَ
[60] يَفُوزُ مَـنْ لأَحْمَدَ قَـدِ اتَّـبَعْ *** وَمَـنْ لِنَفْسِهِ عَـنِ الهَوَى مَنَعْ
[61] وَيـَا خَـسَارَ مَنْ بَغَى وَعَانَدَا *** وَمَـنْ بِظُلْمِهِ فِـي الأَرْضِ فَسَدَا
[62] يَلْحَقُهُ الـــذُّلُّ بِـلاَ مَحَالَـه *** يَـا وَيْلَهُ مِـنْ أَيْـنَ لَهُ السَّلاَمَه
[63] فِـي دُنْـيَاهُ وَأُخْـرَاهُ مُعَذَّبُ *** إِنْ لَـمْ يَتُبْ فَفِي الجَحِيمِ يُسْحَبُ
[64] بِـوَجْهِهِ وَرَأْسِـهِ وَجَبْـهَتِهْ *** جَـازَاهُ رَبُّـــهُ لِسُوءِ صَنْعَتِهْ
[65] وَكُـلُّ مَـنْ يَفْرَحُ بِالإِمَارَه *** خَـابَ وَلَـمْ يَنَلْ سِوَى النَّدَامَه
[66] وَعَـزْلُـهُ عَنِ الإِمَارَةِ وَجَبْ *** فَـوْراً وَيَبْقَى خَـائِفاً مِنَ الطَّلَبْ
[67] يَـوْمَ القِيَامَـةِ تُغَلُّ يَـدُهُ *** لِلْعُنُقِ لَـمْ يُنْجِهِ إِلاَّ عَـدْلُـهُ
[68] فَـإِنْ أَتَـى بِمَخْرَجٍ لَـهُ نَـجَا *** وَفَـازَ بِـالأَمْرِ الذِي كَانَ رَجَا
[69] وَإِلاَّ ضَـلَّ سَعْـيُهُ وَعَمَلُهْ *** وَشَهِدَتْ وَنَطَـقَتْ جَـوَارِحُـهْ
[70] بِفِعْلِهِ وَظُلْمِهِ ومَـا اكْتَسَبْ *** خَيْراً وَشَـرّاً رَبِّ فَـرِّجِ الكُـرَبْ
[71] فَنَـسْأَلُ اللهَ يَقِيكُمُ الـزَّلَلْ *** وَيَجْمَعُ الكُـلَّ لِصَالِـحِ العَمَلْ
[72] بِاللهِ فَـادْعُواْ لِي بِرَدِّ غُرْبَتِي *** وَبِسَـلاَمَتِي وَبِـــالْمَغْـفِرَةِ
[73] وَبِنَجَاتِي وَبِـــإِصْلاَحِ البَنِينْ *** وَبِـاتِّبَاعِ دِيـــنِ أَحْمَدِ الأَمِينْ

4/ قصيدة للشاعر محمد البكري بن عبد الرحمن

[...لَيْسَ لِي مِنْ حِيلَةٍ إلاَّ الدُّعَا] [من بحر الرجز]

[1] الحَمْدُ للهِ الغَنِيِّ ذِي النِّـعَمْ *** الـرَّازِقِ الفَتَّاحِ دَافِـعِ النِّقَمْ
[2] ثُـمَّ صَـلاَةُ اللهِ وَالسَّـلاَمُ *** عَلَى الذِي مِـنْ جُودِهِ الإِسْلاَمُ
[3] وَآلِــهِ وَصَحْبِهِ الأَجْـوَادِ *** وَالتَّابِعِينَ قَـادَتِـي الأَسْـيَادِ
[4] وَبَعْدُ فَـالبَكْرِي إِذَا مَـا اضْطُرَّا *** وَأَجْحَفَتْ حَـاجَتُهُ مُضْطَرّا
[5] لَيْسَ لَـهُ مِـنْ حِيلَةٍ إِلاّ الـدُّعَا *** وَقَـرْعُ بَابِ اللهِ خَيْرُ من دَعَا
[6] يَقُولُ يَـا غَنِيُّ يَـــا فَتَّاحُ *** يَـا خَيْرَ مَنْ نَادَى بِهِ اللَّحْلاَحُ
[7] وَيَـا كَرِيمُ يَا جَوَادُ يَـا رَحِيمْ *** وَيَـا حَلِيمُ يَـا غَفُورُ يَا عليم
[8] يَـا بَـاسِطَ العَطَاءِ يَـا مَنَّانُ *** يَـا رَازِقَ الأَكْـوَانِ يَا حَنَّانُ
[9] يَـا مَالِكَ المُلْكِ وَيَـا رَحْمَنُ *** فَمَا لِغَيْرِ رَبِّـنَا امْتِـنَانُ
[10] يَـا مَنْ لَـهُ الإِيجَادُ وَالإِمْدَادُ *** يَـا مَنْ لَـهُ الأَمْلاَكُ وَالأَجْنَادُ
[11] يَـا مَنْ لَهُ العَفْوُ الكَبِيرُ سَرْمَدَا *** يَـا مَنْ لَـهُ الفَضْلُ العَظِيمُ أَبَدَا
[12] يَـا كَاشِفَ الكُرُوبِ وَالأَحْزَانِ *** يَـا وَاهِبَ السُّـرُورِ وَالإِحْسَانِ
[13] يَـا غَافِرَ الـذُّنُوبِ وَالجَرَائِمِ *** يَـا كَاشِفَ الهُمُومِ فِـي العَظَائِمِ
[14] وَيَا جَمِيلُ يَـا جَلِيلُ يَا حَكِيمْ *** وَيَـا سَلاَمُ يَـا مُعِزُّ يَا عَظِيمْ
[15] وَيَـا لَطِيفُ يَا لَطِيفُ يَا لَطِيفْ *** وَيَـا مُقِيتُ يَـا مُجِيباً للضَّعِيفْ
[16] وَيَـا مُمِدَّ الـكُلِّ بِـــالآلاَءِ*** وَيَـا عَظِيمَ النُّورِ وَالـوَلاَءِ
[17] يَـا مُبْدِيَ العَطَايَا يَـا دَيَّـانُ *** يَـا كَاشِفَ الـرَّزَايَا يَا حَنَّانُ
[18] أَيَـا رَؤُوفُ يَا عَطُوفُ يَا كَبِيرْ *** أَيَـا وَدُودُ يَـا وَلِـيُّ يَا خَبِيرْ
[19] بِكَ إِلَـهِي خَيْرُ الـدَّارَيْـنِ *** فَسَهِّلَنْ فِـي قَضَـاءِ الـدَّيْنِ
[20] وَخَفِّفِ الظَّـهْرَ مِـنَ الأَوْزَارِ *** وَخَفِّفِ الجِسْمَ مِـنَ الأَضْـرَارِ
[21] وَاجْعَلْ لَـنَا مِنْ دُونِ مَا يَخَافُ *** سُـورَ حَـدِيدٍ مِنْكَ لاَ يُـطَافُ
[22] وَأَسْـبِلِ السِّـتْرَ عَلَيَّ أَبَـدَا *** فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَفِي الأُخْرَى غَدَا
[23] وَأَسْتَـعِيذُ بِـكَ يَـا حَفِيظُ *** مِـنَ الخَصَاصَةِ الـتِي تَغِيظُ
[24] وَفَـقْرُ قَلْبِي وَافْتِقَارِي لِسِـوَاكْ *** وَفَقْرُ كِيسِي مِنْ غَصَاوَةِ آلاَكْ
[25] وَهَـيِّأَنْ لِـي سَبَبَ السَّعَادَه *** وَمَـا لَـنَا بِفِعْلِهِ اسْتِـفَادَه
[26] وَاجْعَلْنِي مُخْلِصاً حَنِيفاً صَادِقـا *** وَدَيِّـناً وَخَـيِّراً [و]حَاذِقَـا
[27] وَوَسِّـعَنْ يَـا وَاسِـعُ عَلَيْ *** حَتَّى يَفِيضَ الخَيْرُ مِنْ حَـوْلِي
[28] وَاجْعَلْنِي فِي ذَاكَ كَرِيماً مُخْلِصاً *** كَـيْ لاَ يَكُونَ مَـا أَجُودُ قالِصاً
[29] وَأَلْبِسنِي عِـزَّةً بَيْنَ الـوَرَى *** وَهَيْئَةً وَشَـارَةً لِمَنْ يَـرَى
[30] عَبْدُكَ عَـاجِزٌ ضَعِيفٌ لاَ يَقُومْ *** بِـالْجَلْبِ وَالدَّفْعِ لِمَنْ لَهُ يَرُومْ
[31] وَلَيْسَ لِـي مِنْ حِيلَةٍ فِي الرِّزْقِ *** إِلاَّ نِـدَائِي يَـا مَلِيكَ الحَقِّ
[32] إِنِّـي جَهُولٌ مَعَ عِلْمِي كَيْفَ لاَ *** أَكُـونُ فِـي جَهْلِي غَبِيّاً جَاهِلاَ
[33] فَـجُدْ عَلَيَّ وَعَلَى الأَبْـنَاءِ*** بِنِعْمَةِ الـدَّارَيْـنِ فِـي الإِمْلاَءِ
[34] وَاجْعَـلْهُمْ أَئِـمَّةً هُـدَاةً *** فِـي جُمْلَةِ الـبَرَرَةِ الـقَادَاتِ

[35] يُـوحِّـدُونَكَ وَيَعْرِفُـونَكْ *** يُمَـجِّدُونَكَ وَيُشْـهِدُونَـكْ
[36] وَكُنْ لَنَا فِي كُلِّ سَوْلٍ حَافِظا *** وَعَنَّا كُـنْ لِكُلِّ رِجْسٍ لاَفِظَا
[37] وَلاَ تَدَعْ خَوَاطِرَ الضَّـلالِ *** تَخْطُرُ فِي القَلْبِ يَـا ذَا الجَلاَلِ
[38] وَاليُمْنَ فَاجْعَلْ فِـي لِسَانِي وَيَدِي *** وَفِـي فُـؤَادِي وَجَمِيعِ الجَسَدِ
[39] يَـا مَنْ يَـرَى وَلاَ يَرَى بِالعَيْنِ *** نَجِّـنَا مِنْ غِشَاوَةِ العَيْـنَيْنِ
[40] وَافْتَحْ لَـنَا البَصِـيرَةَ المَكْنُونَه *** فَتْحاً يَـرَى الحَقَائِقَ المَصُونَه
[41] وَاجْعَلْ لَنَا مِـنْ كُلِّ هَـمٍّ فَرَجَا *** وَمِنْ جَمِيعِ الضَّيِّقَاتِ مَخْـرَجَا
[42] وَاجْعَلْ لَـنَا مِنْ غَمَرَاتِ المَوْتِ *** عَقْلاً وَإِيمانـاً بِـدُونِ فَـوْتِ
[43] وَبَشِّـرِ العَبْدَ الضَّعِيفَ بِـرِضَاكْ *** عِنْدَ الْتِفَافِ السَّاقِ بِالسَّاقِ هُنَاكْ
[44] وَاجْعَلْنِي مِمَّنْ يَفْـرَحُونَ بِلِقَاكْ *** وَبِمُفَارَقَـةِ كُـلِّ مَنْ سِوَاكْ
[45] وَابْعَثْ لَـنَا قَبْلَ السُّؤَالِ رُومَانْ *** لِنَهْتَدِي لأُصُـولِ الإِيـمَانْ
[46] وَاجْعَلْ لِـرُوحِي بَعْدَ ذَا سَرَاحَا *** فِـي البَرْزَخِ الأَعْلَى فَلَنْ تُرَاحَا
[47] بَـاقِـيَةٌ نَـاعِمَةٌ مُبَشَّرَهْ *** ذَاكِـرَةٌ عَـارِفَـةٌ مُخَبَّره
[48] مَتَى إِذَا مَـا حَقَّتِ الحَـقَائِقْ *** وَبُعِثَتْ لِـرَبِّـهَا الخَـلاَئِقْ
[49] وَوَضَعَتْ حَـوَامِـلُ الـنِّسَاءِ *** وَعُطِّلَتْ مَـزِيَّةُ الكَـوْمَـاءِ
[50] وَشَـابَتِ الـوِلْـدَانُ وَالرَّضِيعُ *** وَخَضَـعَ الجَبَّارُ وَالـرَّفِيعُ
[51] وَبَـلَغَ الحَـنَاجِرَ الـقُلُوبُ *** وَانْكَشَفَتْ هُنَالِكَ الغُـيُوبُ
[52] وَالـنَّاسُ بَيْنَ فَـائِزٍ وَهَـالِكِ *** وَمُـوبَـقٍ بِفِعْلِهِ وَسَـالِكِ
[53] فَـاجْعَلْنِي يَـا رَبِّ مِنَ الأَبْرَارِ *** السَّالِمِينَ مِـنْ عَـذَابِ النَّارِ
[54] وَأَعْطِـنِي صَحِيفَتِي بِـاليُمْنَى*** وَثَقِّلِ المِيزَانَ لِـي بِـالحُسْنَى
[55] وَلاَ تُـنَاقِشْنِي لَدَى الحِـسَابِ *** وَمَـنْ يُنَاقَشْ فَهْوَ فِـي العَذَابِ
[56] وَاجْعَلْنِي كَـالْبَرْقِ نَـمُرُّ مُسْرِعَا *** عَلَى الصِّرَاطِ وَإِنَـائِـي مُتْرَعَا
[57] مِنْ حَوْضِ أَحْمَدِ الحَبِيبِ المُصْطَفَى *** صَلَّى عَلَـيْهِ اللهُ مَـا عَذْبٌ صَفَا
[58] وَارْزُقْنِي يَـا رَبِّ دُخُـولَ جَنَّتِكْ *** فِـي زُمْرَةِ الأَخْيَارِ أَهْلِ خِلَّتِكْ
[59] وَاكْشِفْ لَـنَا هُنَالِكَ الحِجَابَـا *** يَا خَيْرَ مَنْ أَعْطَى وَمَـنْ أَجَابَا
[60] وَسِيلَتِي إِلَيْكَ يَـا خَـيْرَ مَنْ عُبِدْ *** وَخَيْرَ مَنْ صَلَّى وَخَيْرَ مَنْ سَجَدْ
[61] مُحَـمَّدٌ أَفْضَلُ مَـنْ خَلَقْتَهُ *** وَكَـلُّ مَـنْ إِلَى الوَرَى أَرْسَلْتَهُ
[62] وَخَـيْرُ مَـنْ وَلَـدَتِ النِّسَاءُ *** وَجَـرَّهُ الصَّـبَاحُ وَالمَسَاءُ
[63] صَلَّى عَلَـيْهِ رَبُّـنَا الـوَهَّابُ *** وَآلِـهِ وَصَحْبِهِ الأَقْـطَابُ
[64] مَـاانْقَشَعَتْ بِـحَامِهِ الغُـيُومُ *** وَزَالَـتِ الأَحْـزَانُ وَالْهُمُومُ

5/ قصائد الشاعر السيد الزروق :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وللأديب الشاعر المُفَلَّقِ من قصيدة مَدَحَ بها أمير المؤمنين مولانا وسيدنا محمد بن مولانا عبد الله بن مولانا اسماعيل، السيد الزروق بن سيدي محمد بن موسى التواتي البُداوي ونصه: [من بحر الطويل]

[1] أَرِقْتُ لِبَـرْقٍ فِـي الـدُّجَا يَتَـأَلَّقُ *** وَشَوَّقَنِي وَالصَّبُّ مِثْلِي يُشَوَّقُ
[2] وَذَكَّرَنِـي إِذْ شَمَّتْهُ ثَغْرَ غَـادَةٍ *** تَكَـادُ بِريـَّاهَا البَسِيطَةِ تَعْبِقُ
[3] وَوَعْداً لَهَـا فُرْشاً بِـهِ البَرْقُ خُلَّبَا *** فَلَيْسَ لِكُلّ مِنْهَا الـدَّهْرُ مُصْدَقُ
[4] شُغِفْتُ بِهَـا حُبّـاً وَذُبْتُ صَبَـابَةً ***

وَمِنْ هَجْرِهَا قَدْ شَابَ فَوْدٌ وَمَفْرَقُ

[5] وَلِـي بِجِمَـارِ الشَّوْقِ قَلْبٌ مُحَصَّبُ *** وَجِسْمٌ حَطِيمٌ مِـنْ سِهَامٍ تَفَوَّقُ
[6] وَجَفْنٌ جَفَـاهُ الشَّـهْدُ يُسِيحُ دُمُـوعَهُ *** كَمَسْجُونٍ فِي أُخْدُودٍ وَخَدٍّ مُدْلَقُ
[7] عَلَـى أَنَّهَـا قَـالَتْ سَـلَوْتَ بِغَـيْرِنَا *** فَمَالَكَ مِـنْ عَهْدٍ وَمَالَكَ مَوْثِقُ
[8] وَأَضْرَمَـتِ الأَحْشَـاءُ نَـاراً بِعُتْبِهَا *** فَإِنِّي تَمِـيمِي وَحُبِّـي المُحْرِقُ
[9] عَلَـى أَنَّنِـي فِي الحُبِّ لَسْتُ بِمُشْرِكٍ *** سِوَاهَا بِهَا فَالظُّلْمُ مِنْـهَا مُحَقَّقُ
[10] عَلَـى أَنَّ ذَاكَ الظُّلْمَ حُلْوٌ كَظَـلْمِهَا *** كَمَا عَتْبُهَا عَنِّـي سَلاَهُ مُعَتَّقُ
[11] نَدِمْتُ عَلَى التَّشْبِيبِ فِي الشِّعْرِ بِاسْمِهَا *** وَتَـرْكُ التَّشَكِّي بِالمُحِبِّينَ أَلْيَقُ
[12] كَمَـا نَدِمَ الكَسْعِيُّ عَلَى كَسْرِ قَوْسِهِ *** وَحَكَاهُ فِي بَيْنِ النَّوَارِ الفَرَزْدَقُ
[13] مَتَى أَرْتَجِـي وَصْـلاً وَبَيْنِي وَبَيْنَهَا *** بِقَاعٌ وَغِيضَانٌ وَبَيْدَاءُ سَمْلَقُ
[14] وَلَسْتُ أَقُولُ الـذَّنْبَ للـدَّهْرِ إِنَّـهُ *** لِكُلِّ اجْتِمَاعٍ مِنْ حَبِيبٍ تَفَرُّقُ
[15] وَلاَ لِلطُّيُورِ وَقَـدْ مَـرَرْنَ سَـوَانِحًا *** وَلاَ لِغُـرَابٍ كَانَ بِالبَيْنِ يَنْعَقُ
[16] بَلِ الذَّنْبُ يَـوْمَ البَيْنِ نَـاءَتْ بِحَمْلِهِ *** جِمَالٌ قَـدْ أَتَيْنَ بِالجِمَالِ وَأَيْنُقُ
[17] نَعَمْ وَحُنَـاتٌ حَـائِرُونَ عَلَى الهُدَى *** هُـمُ أَدْلَجُوا بَالِيَعْمُلاَتِ وَأَعْنُقُ
[18] وَشَدُّواْ مَطَـايَـاهَا وَحَلُّواْ عِقَالَهَا *** وَهُمْ أَطْـرَبُوهَا بِالغِنَاءِ وَشَوَّقُوا
[19] وَهُـمْ خَلَّفُونِي هَائِمـاً بِرُبُوعِهَا *** أُسَائِلُ وَضْماً دَارِسًا لَيْسَ يَنْطِقُ
[20] لَعُمْرُكَ مَا مِثْلِي عَلَـى الهَجْرِ قَادِرُ *** وَلاَ ذَاتُ حُسْنٍ مِثْلُهَا الصَّبُّ يَعْشَقُ
[21] وَلاَ لأَمِـيرِ المُـؤْمِنِينَ مُحَـمَّدٌ *** جَـوَادٌ لَـدَيْهِمُ المَـدِيحُ المُنَمَّقُ
[22] فَلَـوْ شَـهِدَ الغَرِبِيُّ أَكُفَّ جُـودِهِ *** وَكَيْفَ النَّدَى مِـنْ كَـفِّهِ يَتَدَفَّقُ
[23] وَأَبْصَـرَهَا عَـضَّ الأَنَـامِلِ نَادِماً *** عَلَى قَوْلِهِ بَابُ البَوَاعِثِ مُغْلَقُ... إلخ

القصيدة بطولها وقلت للأمير حين شرفني مُكْرِمًا من حضرته السعيدة :

[1] يَـامَـنْ بِنُورِ وَجْهِهِ أَحْيَ المَلِكْ *** وَمَنْ بِجُـودِ كَفِّهِ الفَقْرُ هَلَكْ
[2] تَقَبَّـلَ الـرَّحْمَنُ مِنْكَ عَمَلَكْ *** وَلاَ أَرَا لَهَا ذُو الجَلاَلِ بَدَلَكْ
[3] وَدُمْتَ فَـرْداً بِـالعُلاَ لاَ بَدَّلَكْ *** سِـوَى بَنِيكَ السَّالِكِينَ سُبُلَكْ
[4] لاَ خَيَّبَ الرَّحْمَـنُ فِيـهِمْ أَمَـلَكْ *** وَلاَ رَجَـاءَ قَـاصِدٍ قَدْ أَمَّلَكْ
[5] بِـحَقِّ مَـنْ بِـأَمْرِهِ دَارَ الفَلَكْ *** وَالفُلْكُ مِـنْ ثَبَجِ المَاءِ سَلَكْ
[6] وَمُنْقِذِ الـغَرْقَى وَرَازِقِ السَّمَكْ *** وَجَـاعِلِ الأَرْضَ لَهَا الأُفُقْ
[7] مِنْكَ وَمَنْ أَطَاعَ مِنْ رَسُولٍ وَمَلَكْ *** وَمِنْ إِمَـامٍ عَادِلٍ فِيمَا مَلَكْ

وله أيضا على ابنه مولانا اليزيد ما نصُّهُ : [من بحر الوافر]

[1] مِنِ الكِتْمَانِ بَـرِّحْ فِي خَفَاءِ *** وَمِنْ سَعْدِي تَتَابَعَ لِي جَفَاءُ
[2] وَشَبَّ لَهِيبُ شَوْقٍ فِي فُؤَادِي *** بِطُولِ الدَّهْرِ لَيْسَ لَهُ انْطِفَاءُ
[3] عَلِقْتُ بِهَا وَقَدْ مَلَكَتْ جِنَانِي *** فَتَفْعَلُ فِـي المُتَيَّمِ مَا تَشَاءُ
[4] لَهَا مِنْ نَفْسِهَا رَوْضٌ أَرِيضٌ *** مَحَاسِنُهُ أَحَـاطَ بِـهِ الرِّدَاءُ
[5] يُرِينَ السِّحْرَ حَـاجِبُهَا عَيَانًا *** وَلَفْظُ اللَّحْظِ قَلْبِي لَهُ غِشَاءُ
[6] وَثَغْرٌ كَالْعَقِيقِ لَهُ رِضَابٌ *** شَهِـيٌّ لِلْمُـدَامِ لَـهُ انْتِمَاءُ
[7] وَلَوْلاَ الظُّلْمُ مَـا شَحَّتْ بِظُلْمٍ *** وَنَفْسِـي لَـهَا لِرِقَّتِهِ ظَمَاءُ
[8] وَضِقْتُ بِهَجْـرِهَا لَكِنْ بِمَدْحٍ *** لِمَـوْلاَنَـا اليَزِيدِ لَنَا عُلاَءُ
[9] هُمَـامٌ مَـاجِدٌ قَـرِبٌ تَقِيٌّ *** تُلاَزِمُهُ المَـهَابَةُ وَالحَيَاءُ
[10] هُمَـامٌ فَـاضِـلٌ نَجْمٌ سَعِيدٌ *** يَصُحُّ لَنَـا بِطَلْعَتِهِ اقْتِـدَاءُ
[11] هُمَـامٌ لَـوْ دُعِـي أَرِيـحِيٌّ *** بِفِعْلِ المَكْرُمَاتِ لَهُ اعْتِنَاءُ
[12] أَعَـزَّ الدِّينَ وَالدُّنْيَا جَمِيعًا *** كَمَـا صِينَتْ بِعِفَّتِهِ دِمَـاءُ
[13] حَمَا العَلْيَاءَ طِفْلاً فِي صِبَاهُ *** وَفَـازَ بِـهِ بِـدَايَتُهُ انْتِهَاءُ
[14] أَبَاين المُصْطَفَى خَيْرُ البَرَايَا *** بِحُبِّـكَ السَّعَـادَةُ وَالشَّقَـاءُ

[15] فَـدُونَكَهَا مُـهَذَّبَةَ المَعَانِي *** يَلِذُّ بِـهَا التَـرَنُّمُ وَالغِنَـاءُ
[16] فَجُدْ بِقَبُولِهَا فَضْلاً وَجُودًا *** فَمِنْكَ قَبُـولَهَا مِنِّـي عَنَـاءً
[17] فَلاَ زَالَتْ بِكَ الأَيَّامُ تَزْهُواْ *** كَمَا تَـزْهُواْ بِنُجُومِهَا السَّمَاءُ
مع ما تعلق منها بحفظ زوايا خطه **/ ورقة 1- و**

6/ قصيدة لمحمد بن بادي بن باي الكبير

قصيدة [الزِّيَارَةِ] [من بحر البسيط]
« .....ثم تقول اللهم شفعه فينا، اللهم اقض حاجتي بجاهه وجاههم عندك، وتقرأ الإخلاص والكوثر والكافرون وإذا زلزلت، وتنوي له ثواب ذلك قبل الشروع، ثم تقول بعد التمام اللهم أوصل شيخنا ثواب ما قرأناه وأجر ما تلوناه، يا رب يسر وتبارك الملك فذلك أحسن، ومازاد من القرآن أفضل ثم يقرأ قصيدة الزيارة أيضا وهي هذه:

[1] يَاقَبْرَ مَـنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا لَنَا الرَّشَدَا *** وَالعِلْمَ والنُّـورَ والدُّسْتُورَ وَالمَدَدَا
[2] وَالمَـالَ والآلَ وَالأُمَّ الشَّفِيقَةَ وَالـ *** أَبَ الرَّفِيقَ وَكَـانَ الكَفَّ وَالعَضُدَا
[3] عَلَيْكَ مِـنْ دَارِ قَوْمٍ مُومِنِينَ مَضَواْ *** أَسْنَى السَّـلاَمِ وَإِنَّـا لاَحِقُونَ غَدَا
[4] أَنْتُمْ لَنَـا فَـرَطٌ نَحْنُ لَكُـمْ تَبَعٌ *** اللهُ يَـأْمُنُنَا مِـنْ مَكْـرِهِ أَبَدَا
[5] بِحَـقِّ سَيِّدِنَـا مُحَـمَّدٍ رَبَّـنَا *** وَآلِـهِ لاَ تُعَـذِّبْ شَيْخَنَـا السَّيِّدَا
[6] وَحُفَّ بِالرُّوحِ وَالـرَّيْحَانِ رَوْضَتَهُ *** وَاجْعَلْهُ فِي المَلَإِ الأَعْلَى مَعَ الشُّهَدَا
[7] وَمَنْ تَنَبَّوْ وَصَدِيْقَيَّ الـوَرَى كَـرَمَا *** وَجَـازِهِ خَيْرَ مَـا جَازَيْتَ مَنْ جَهِدَا
[8] وَمِـنْ بَنِيهِ وَأَهْلِيهِ وَمَسْكَنِهِ *** أَبْدِلْـهُ خَيْراً مِـنَ الجَنَّاتِ قَدْ خَلُدَا
[9] عَالِي القُصُور وَحَـالِي الحُورِ تُجْبِرُهُ *** الوِلْـدَانُ فِيهَا وَخِـلاَّنٌ تَقِي الكَمَدَا
[10] عَلَى الـزَّرَابِي فِـي أَسِرَّةٍ ذَخِرَتْ *** نَمَـارِقٌ جَـاوَزَتْ أَرَائِكاً مَـدَدَا
[11] وَلْتُفْرِشَنَّ لَـهُ خُضْرَ الـرَّفَارِفِ بَلْ *** وَعَبْقَرِيّاً حِسَـانـاً يُنْـعِمُ الجَسَـدَا
[12] وَاسْقِ الأَبَارِيقَ وَالأَكْوَابُ قَدْ مُلِئَتْ *** بِالـزَّنْجَبِيلِ وَصَافِي السَّلْسَبِيلِ جَدَا
[13] إِلَى الرَّحِيقِ إِلَى صَافِي المَعِينِ إِلَـى *** دَنَـا القُطُـوفِ الَتِي قَدْ ذُلِّلَتْ أَبَدَا
[14] وَاجْـنِ الفَـوَاكِهَ مِمَّا اخْتَارَ دَائِرَةً *** بِلَحْمِ طَيْرٍ كَمَا قَدْ اشْتَهَى رَغَدَا
[15] إِلَـى قُصُورٍ بِـهَا الأَنْهَارُ نَـابِعَةٌ *** وَالزَّهْـرَ وَالنُّورَ قَدْ أَنَابَهَا الجُدُدَا
[16] أَنْـهَارُ مَـاءٍ زُلاَلٍ غَيْرِ آسِنِ إِنْ *** يُشْرَبْ وَخَمْرٌ لَـذِيذٌ يَجْلُبُ الغِيَدَا
[17] وَمُنْتَقَى العَسَلِ المُصَـفَّى إِلَـى *** الأَنْهَارِ مِنْ لَبَنٍ مَـا إِنْ يَتَّقِي صَدَا
[18] وَلْتُكْسِهِ الخُضْرَ مِنْ أَثْـوَابِ سُنْدُسِهَا *** رَيّـاً وَإِسْتَبْرَقـاً وَاسْمَعِ الغَـرَدَا
[19] وَحُـلَّ مِـنْ فِضَّةٍ أَسَـاوِراً حَسُنَتْ *** وَرَوِّهِ المَشْـرَبَ الطَّـهُورَ وَالفَنَدَا
[20] وَنَـزِّهْهُ بِغُـرُفَاتِ الجِنَانِ إِلَـى *** مَخْضُودِ سِدْرٍ بِهَا الطَّلْحُ مَا نَضَدَا
[21] وَلْتَرْضَ عَنْهُ وَعَنْكَ رَضِّهِ أَبَـدَا *** وَلْتَرْضَ عَنَّـا بِهِ يَا خَيْرَ مَنْ عَبَدَا
[22] وَوَسِّعِ القَبْرَ أَمْيَـالاً مُضَـاعَفَةً *** وَامْلأْهُ نُوراً إِلَى أَعْلَى العُلاَ صَعَدَا
[23] وَآنِسْ وِحْشَتَهُ فِيهِ لَـهُ وَقِـلْ *** رَوْعَـاتِـهِ وَاغْفِرَنْ خَطِيئَةً حَصَدَا
[24] وَاجْعَلْ لَهُ العَمَلَ الأَسْنَى الأَنِيسَ وَمِنْ *** مَكَانِهِ فِـي الجِنَانِ افْتَحْ لَهُ الوَصَدَا
[25] وَاجْعَلْهُ يَـا رَبِّ بِـالأَشْيَاخِ أَجْمَعِهِمْ *** وَقَـدْ أَظَلْتَ لَـهُ بَيْنَ الجَمِيعِ يَدَا
[26] إِلَـى أَحِبَّتِهِ طُـرّاً وَجِـيرَتِهِ *** وَانْقِذْ بِـهِ مِنْهُمْ مَنْ يَشْتَكِي صَفَدَا
[27] أَقِرَّ عَيْنَيْهِ بِـالجَاهِ المُنَـفَّذِ فِـي ***كُلِّ العَلاَئِقِ مَنْ دَانٍ وَمِنْ بَعُدَا**/ ورقة04- و**
[28] وَرَسِّ أَقْدَامَ مَـنْ أَبْـدَى إِرَادَتَـهُ *** بَيْنَ القَرَانِينِ الـذَّوْقِ قَـدْ حُمِدَا
[29] وَلاَ تَبِتَّنَّ مُـرْ بِـالشَّيْخِ مُتْ وَارَ *** فَتْ الفَضْلِ وَارْحَمَنْ مَـنْ قَصَدَا
[30] وَنَـافِعُ العِلْمِ ذُو قَـدْ زَانَهُ عَمَلٌ *** كَمَـا عَلَى طَالِبِيهِ مِنْهُ مَـا قَصَدَا
[31] وَمَـنْ تَوَسَّمَ وَسْمَ الخَيْرِ فِيهِ أَمِـنْ *** لَـهُ حَتَّى الـوَسْمَ.....
[32] وَلاَ تَلَتْ لِبَنِيهِ الـدَّهْرِ مِـنْ عَمَلٍ *** .....

[33] وَجَـازِهِ أَوْفَرَ الجَزَاءَ وَأَكْثَرَهُ *** .....
[34] وَجَازَ أَحْسَنَهُ دَهْـراً عَلَيْهَا بِمَا *** .....
[35] ..... *** .....
[36] يَا رَبِّ مَنْ عَلَى حَالِ الطَالِبِينَ إِلَى *** .....
[37] يَا رَبِّ مَنْ كَانَ مَلْجَأً اللاَجِئِينَ لَجَى *** .....
[38] ..... *** .....
[39] يَا رَبِّ مَنْ كَانَ يَغْذُو فِي مَصَالِحَنَا *** .....
[40] يَا رَبِّ مَنْ كَانَ نُعْمَى ..... *** .....
[41] يَا رَبِّ مَنْ كَـانَ قَـوَّامَ الدَّيَاجِ *** .....
[42] يَا رَبِّ مَنْ كَـانَ كَسَّابَ العَدِيمِ *** .....
[43] يَا رَبِّ مَنْ كَـانَ أَزْوَاجَ الأَيَامَى *** .....
[44] يَا رَبِّ مَنْ كَانَ طَـرَفاً وَالتَّلِيدِ لِمَنْ *** .....
[45] يَا رَبِّ فَاغْفِرْ لَـهُ وَارْحَمْهُ وَاعْفُ *** .....
[46] وَنَقِّهِ مِنْ خَطَـايَـاهُ كَـمَا نُقِّيَتْ *** بِيضُ الثِّيَابِ تَخُوضُ الثَّلْجَ وَالبَرَدَا
[47] يَا رَبِّ عَبْدُكَ هُـوَ ابْـنُ لِعَبْدٍ كَذَا *** وَأَنْتَ أَعْلَمْ بَالبَادِي وَمَـنْ جَحَدَا
[48] اللَّهُمَّ إِنْ كَـانَ مُحْسناً فَزِدْ عَلَى *** ..... تَجَاوَزْ عَنْهُ مَـا سَرَدَا
[49] اللَّهُمَّ بِالمُصْطَفَى جِئْنَا لَـهُ شِفَعاً *** بِالمُصْطَفَـى فِيهِ.....
[50] يَا رَبِّ مَنْ كَانَ فِـي الدُّنْيَا سَدَدَا *** يَحُوطُنَا كُنْ بِـأُخْرَاهُ لَهُ سَدَدَا
[51] يَا رَبِّ مَنْ كَانَ فِـي الدُّنْيَا لَنَا مَدَدَا *** يُرْثِينَا كُنْ بِـأُخْرَاهُ لَـهُ مَدَدَا
[52] يَا رَبِّ مَنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا لَنَا عَدَدَا *** يَمُدُّنَـا كُنْ بِـأُخْرَاهُ لَـهُ عَدَدَا
[53] يَا رَبِّ مَنْ كَانَ فِي الدُّنْيَـا لَنَا سَنَدَا *** يَشُدُّنَـا كُنْ بِـأُخْرَاهُ لَهُ سَنَدَا
[54] يَا رَبِّ عَنَّا جَزَاءَ مَـا عَلِمْنَا لَـهُ *** تَوَلَّ وَارَبِّ وَضَاعِفْ وَارْفَعْ العَمَدَا
[55] وَكُـنْ لَـهُ خَلَفَا مِنَّا جَدَى وَلَنَا *** مِنْهُ وَمَـنْ نُوَلِّهِ الجَمَّ الجَزِيلَ جَدَا
[56] يَا رَبِّ مِمَّا فَقَدْنَـاهُ كَـانَ هُوَ خَلَفَا *** فَكُنْ لَـهُ خَلَفَا مِـنَ الذِي فُقِدَا
[57] يَا رَبِّ قَـدْ كَـانَ يَأْوِينَا وَيُكْرِمُنَا *** وَيُوسِعُ العَدْلَ وَالإِحْسَـانَ وَالفَيَدَا
[58] يَا رَبِّ أَلْبَسَـنَا يَـا رَبِّ آنَسَنَا *** يَا رَبِّ أَجْلَسَنَا فِي الخَيْرِ مَـا قَعَدَا
[59] يَا رَبِّ أَطْعَمَـنَا يَـا رَبِّ نَعَّمَنَا *** يَا رَبِّ أَفْعَمَنَا حَيَـاتَهُ رَشَـدَا
[60] يَا رَبِّ سَيِّدَنَا يَـا رَبِّ سَـوَّدنَـا *** يَا رَبِّ عَوِّدَنَـا الطَّـرِيقَ وَالتَّلَدَا
[61] يَا رَبِّ أَمِّرَنا يَـا رَبِّ وَازِرَنَـا *** يَا رَبِّ دَابِرَنَا فِيمَا يَجُرُّ رَدَا

ورقة05- ظ

[62] يَا رَبِّ كَـانَ لَـنَا السَّاقِي وَكَانَ لَنَا *** الشَّوَاقِي وَكَانَ لَنَا الرَّاقِي لِمَنْ وَجَدَا
[63] يَا رَبِّ أَطْعَمَنَا طَـاوٍ وَيُلْبِسُنَا *** عَارٍ وَيَرْوِي لَـنَا صَـادٍ وَقَدْ وَقَدَا
[64] يَا رَبِّ يُبْصِرُ حَـاجَاتٍ لَـنَا كَثُرَتْ *** مِنْ حَيْثُ تَخْفَى فَيَقْضِيهَا بِمَا اعْتَمَدَا
[65] يَا رَبِّ يَمْرُضُ إِنْ يَمْرَضْ وَيَحْزَنُ إِنْ *** نَمْنَعُ وَيَصْـفَحُ إِنْ نَعْثُرْ وَمَا حَقَدَا
[66] يَا رَبِّ قَـرَّبَ حَتَّى ظَنَّ كُلُّ فَتَى *** أَنَّ ابْنَهُ لاَ الإِبْنَ الـذِي وَلَـدَا
[67] وَأَوْسَـعَ الصَّفْحَ حَتَّى ذَا سَـوَاسِيَةٍ *** أُسُودَنَا وَالأُلَـى أَضْحَواْ لَهُمْ عَبَدَا
[68] وَطَنَبَ الحُلْمَ حَتَّى لاَ يُـرَى أَدَبٌ *** يُرْجَى لَهُ وَهْوَ مِنْ كُلِّ لَهُ اسْتَنَدَا
[69] وَخَيِّمِ السِّتْرِ حَتَّى لاَ يُـرَى خَلَلاً *** لِمُسْلِمٍ عِنْدَهُ رَاءَ وَلاَ فَـنَدَا
[70] لله أَوْحَـدَ عُـمَّ حُسْنَهُ خُلُـقاً *** كُلُّ الخَـلاَئِقِ عَادِيهَا وَمَنْ جَمَدَا
[71] لله بَحْـرٌ مِـنْهُ كَـانَ لَـنَا *** عَيْشاً وَبَـدْراً لَنَا جَيْشاً بِمَا حَشَدَا
[72] لله فَـرْدٌ مِـنْهُ كَـانَ لَنَا *** بَيْتَ القَصِيدِ وَمَقْلِيدَ الـوَصِيدِ هُدَا
[73] لله أَوْحَـدُ كَانَ الـدَّهْرُ يُخْبِؤُهُ *** حِلْياً لآخِـرِهِ كَـيْ يُحْسِنَ اليَدَا
[74] لله مِنْـهُ لِيَيْـلاَتٍ مَضَـيْنَ لَـنَا *** نَجْنِي بِـهَا ثَمَـراً وَنَسْقِي الشَّهَدَا
[75] وَنَمْتَرِي مَطَـراً لاَ نَخْتَشِي ضَجَراً *** يَرْتَسِي وَلاَ خَطَراً لِمَنْ جَـرَدَا

[76] وَيَـزِيدُ بِتِكْـرَارِ السُّؤَالِ وَنَى *** بَلَـى يَـزِيدُ بِتِكْرَارِ السُّؤَالِ نَدَى
[77] وَلاَ يُعَقِّبْ مَنَـامـاً يُنَـوِّلُـهُ *** بَلَى يُعَقِّبُ نِسْيَانـاً لَـهُ وُجِدَا
[78] تِلْكَ اللَّيَالِي التِي مَنْ كَـانَ يُلْبِسُهَا *** حَتَّى مَضَتْ يَشْتَهِينَ الدَّهْرَ مَا فَقَدَا
[79] مَا كَانَ أَهْنَأَهَا مَـا كَـانَ أَمْرَأَهَا *** مَـا كَـانَ أَبْـرَأَهَا لِمُذْهِلٍ قَصَدَا
[80] مَا كَانَ أَبْرَعَهَا مَا كَـانَ أَتْـرَعَهَا *** مَـا كَـانَ أَزْرَعَـهَا لِمُعْدَمٍ هَمَدَا
[81] بَاهِي بِـهَا عَجْزَ هَـذَا الدَّهْرِ أَوَّلَهُ *** حَتَّى تَشَـابَـهَ أَطْـرَافاً لِمَّنْ قَصَدَا
[82] ضَحَّى بِـهَا فِيهِ لِلتَّجْدِيدِ مُحْسِنُهُمْ *** غَوْثُ البَرِيَّةِ مُحْيِي الدِّينِ مَنْ صَعَدَا
[83] مَنْ مِنْهُ بِهَا مَـا كَـانَ مُنْدَرِساً *** وَشَدَّ مِنْهُ بِهَا مَـا كَانَ قَـدْ فَسَدَا
[84] بِالبَيْتِ مِنْـهَا سُوَيْـعَاتٌ لَنَا رَجَعَتْ *** أَوْ سَاعَةٌ غَيْرَ أَنَّ الخَلْقَ مَـا خَلُدَا
[85] إِنَّـا لله وَإِنَّـا رَاجِعُـونَ لَـهُ *** مِنْ فَقْدِهَا ذُو عِـدَا أَنْفَاسُنَا كَبِدَا
[86] وَالمُـلْكُ لله لاَ لِغَـيْرِهِ وَلَـهُ *** ذَاكَ الدَّوَامَ بِالبَقَاءِ قَـدِ انْفَرَدَا
[87] لَوْ كَانَ للخَلْقِ كَـانَ النَّبِيُّ وَفِـي *** قَبْضِ النَّبِيِّ تَـأَسٍّ للوَرَى أَبَـدَا
[88] يَا رَبِّ آجِرْ وَهَـانَـا فِـي مُصِيبَتِنَا *** وَكُنْ لَنَا خَلَفاً مِـنْ كُـلِّ مَنْ فُقِدَا
[89] يَا رَبِّ مِنْ شَيْخِنَا مِنْ فَضْلِهِ الجَمِّ مَنْ *** مِنْهُ لَنَا خَلَفاً يَـا طُهْرَ مَـنْ سَنِدَا
[90] يَا رَبِّ بِـالمُصْطَفَى وَالآلِ أَجْمَعِهِمْ ***
وَالصَّحْبِ وَالمُقْتَفِي وَكُلِّ مَنْ عَبَدَا/ **ورقة06- و**
[91] وَالشَّيْخِ سَيِّـدِنَا المُخْتَارِ وَعِتْرَتِهِ*** وَالشَّيْخِ سَيِّدِنَـا المُخْتَارِ مَـنْ جَهِدَا
[92] وشيخنا بـاي هذا مـن نلوذ بـه *** وكل شيخ على أصل الهدى اعتمدا

.... ***14 بيتاً ممحواً***

[107] وَانْبِتْ بَنِيهَا نَبَـاتـاً رَبَّنَا حَسَناً *** وَمِـنْ عَـدُوِّهِ اعْـلِهِ مِنْهُمُ عَمَدَا
[108] وَلاَ تَدَعْ حَـاجَـةً لَـهَا رَضِيتَ بِهَا *** إِلاَّ وَقَضَيْتَـهَا وَزِدْتَـهَا مَـدَدَا
[109] يَا رَبِّ بِالمُصْطَفَى آمِـنْ مَوَارِدَهَا *** وَاقْبَلْ مَقَاصِدَنَـا وَكُفَّ مَنْ رَقَدَا
[110] وَاغْفِرْ لأَمْـوَاتِـنَا وَاغْفِرْ لِنِسْوَانِنَا *** وَاغْفِرْ لأَحْرَارِنَا وَمَنْ غَدَا وَاغْتَدَا
[111] يَا رَبِّ يَـا رَبِّ يَـا رَحْمَنُ يَا أَحَدُ *** يَـا مَالِكَ المُلْكِ يَا مَنَّانُ مَا رَكَدَا
[112] بِشَيْخِنَا بَـايُ صِلْتُهُ سَالِمِينَ وَلاَ *** تَقْطَـعْ مُـرِيداً لَهُ مِنَّا وَإِنْ كَسَدَا
[113] وَبَلِّغْنَا بِـهِ أَعْلَى المَقَامَاتِ فِـي *** عِلْـمٍ إِلَى عَمَلٍ تُحْيِي بِهِ الجَسَدَا
[114] نَعُوذُ بِاللهِ مِـنْ عِلْمٍ نُضِلُّ بِـهِ *** وَكُلُّ قَلْبٍ قَسَى وَالظَّرْفَ وَالجَمَدَا
[115] وَالحُورُ مِنْ بَعْدِ كَـوْرٍ مَنَنْتَ بِـهِ *** رَيّاً وَمِنَ الهَوَى بَعْدَ الغُرِّ مَا أُرِدَا
[116] وَاجْـعَلْ خَلِيفَـتَهُ المُخْـتَارَ سَيِّدَنَا *** مُبَـارَكـاً سَالِكاً سُبُلَ الهُدَى أَبَدَا
[117] وَاجْـمَعْ لَنَا فِيهِ مَا أَشْيَاخُنَا جَمَعُواْ *** مِنَ المَكَارِمِ وَاكْبِتْ عَنْهُ مَنْ حَسَدَا
[118] هَـذَا وَذَا حَاجَتاً بِـالبَابِ بَايُ غَدَا *** فَقُمْ كَمَا كُنْتَ وَاقْضِ حَاجَةَ الجُنُدَا
[119] يَـا مَنْ مِنَ القَوْمِ لاَ يَشْقَى جَلِيسُهُمُ *** إِنَّـا لَبِطَـانَةٌ تَشْقَى كَمَنْ عُهِدَا
[120] هَذِي حَوَائِجُنَا حَـوْلَ الضَّرِيحِ تَرَى ***قَضَاءَهَا عِنْدَهُ فَقُمْ لَهَا وَرَدَا/**ورقة 07- ظ**
[121] مَـا نَحْنُ أَطْـمَعُ فِيكَ إِذْ جُبِيتَ لَنَا *** تُولِـي الرَّغَـائِبَ مِنَّا فِيكَ مُلْتَحِدَا
[122] بَلْ نَحْنُ أَحْوَجُ فِيكَ الآنَ مِـنَّا إِذَنْ *** بَلَى وَأَرْجَى لِمَا تُولِيهِ مَـنْ قَصَدَا
[123] بَلَى وَأَقْرَبَ مَـنْ نَـوَّلْتَهُ صَدَدَا *** بَلَى وَأَرْوَعَ مَـنْ أَمَّنْـتَهُ خَلَدَا
[124] وَبَعْدُ عِنْدَكَ مَـنْ تَـدْرِي أَنِيسُكُمُ *** مُحَمَّدٌ نَجْلُ بَـادِي بَحْرَكُمْ وَرَدَا
[125] فَـلاَ يَضِيقُ بِـهِ صُدَّاكَ وَقَدْ *** أَتَـاهُ أَظْمَى امْـرُءٍ تِلْقَاءَهُ فُقِدَا
[126] وَأَوْلَى مَرْءٍ بِسِبْقِ الشُّرْبِ مِنْهُ ظَمَى *** وَأَوْلَى امْرُءٍ بِسِبْقِ الشُّرْبِ مِنْهُ جَدَا
[127] إِذْ كَانَ يَصْحَبُكُمْ حَضْراً وَفِي سَفَرٍ *** وَكَـانَ يَخْدُمُكُمْ مُـذْ فَارَقَ المُهُدَا
[128] وَلاَ يَزَالُ مَدَى الأَيَّـامِ طَاقَتَهُ *** عَلَى الذِي مَعَكُمْ فِي الله [قَدْ] عُقِدَا
[129] يَا رَبِّ بِالمُصْطَفَى آمِـنْ مَوَارِدَنَا *** وَاقْبَلْ مَقَـاصِدَنَا وَكُفَّ مَـنْ رَصَدَا
[130] وَمُدَّ فِي الـدِّينِ أَعْمَـاراً لَنَا وَقِنَا *** طَـرْداً وَحُسْنَ خِتَامِ العُمْرِ مَا نَفَدَا
[131] وَاغْفِرْ لِنَـاظِمِهَا وَاغْفِرْ لِكَـاتِبِهَا *** وَاغْفِرْ لِسَـامِعِهَا وَاغْفِرْ لِمَنْ نَشَـدَا

[132] بِخَاتِمِ الرُّسْلِ وَالأَصْحَابِ أَجْمِعِهِمْ *** وَالآلِ وَالمُقْتَفِي وَكُلِّ مَنْ عَبَدَا
[133] وَالشَّيْخِ سَيِّدِنَا الجِيلِي وَعَتْرَتِهِ *** وَكُلِّ شَيْخٍ عَلَى دِينِ الهُدَى اسْتَنَدَا
[134] صَلَّى عَلَيْهِمْ إِلَهَ العَرْشِ مَا قُضِيتْ *** حَاجٌ بِهِمْ وَنَجَا مَنْ يَشْتَكِي صَفَدَا

انتهت من خط ناشيها وناظمها سيد محمد بن بادي بن باي الكبير بن الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيد المختار نفعنا الله ببركاتهم آمين، الأحب السيد ابراهيم بن سيد عيسى بن سيد محمد الحاج بتاريخ ضحى الخميس من رجب الفرد 17 يوم عام 1364 هـ.

أحمد بن عبد الله بن سيد محمد البريشي طالبا منه ومن نظرها الدعاء بإصلاح الدين والدنيا والذرية والختم بالحسنى وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

وعليك أيها الأخ ألف آلاف من السلام وألف من التحايا والإكرام على الأهل والإخوان والوالدة والأبناء أصلحهم اللهم وارعاهم، وعلى من تحبه ويحبك في الله لله على الله.

وبعد لما ضاق على الطرر وقد كان ناظمها جعل عليها تقريرات على بعض الألفاظ، ظهر فِيَّ أن أبين لك ما طرر به بعض الألفاظ، وأرمز لك على البيت وعلى اللفظة يتيسر لك ذلك ..... ».

7/ قصائد مجهولة المبدعين:

[يَا أَكْرَمَ الخَلْقِ عَلَى رَبِّهِ]

[1]أكلَّما فكَّر أو أَبْصَرَا سَمَا لَهُ الشَّوْقُ الذِي أقْصَرَا
[2]وكلَّما رَامَ ارْعِواءً دَعَا دَاعِي هَوَاهُ فَانْثَنَى القَهْقَرَى
[3]يَرُومُ أن يُعذَرَ فِي غَيِّهِ جَهْلاً وَيَأْبَى الشَّيْبُ أَنْ يَعْذُرَا
[4]إِذا بَدَا حِزْبُ التُّقَى وَالهُدَى تَرَاهُ عَنْ مَزَارِهِمْ أَزْوَرَا
[5]وَإِنْ يَلُحْ حِزْبُ الصِّبَى وَالدَّدَى صَارَ إِلَى صُوَّارِهِمْ أَصْوَرَا
[6]كَأَنَّهُ شَوْقاً إِلَى شَادِنٍ أَحْوَرَ مَارى شَادِناً أَحْوَرَا
[7]أَو مَا رَأى مَنْ لاَ يَرَى أَنْ يَشِبْ وَعَادَ لَهُ الحِلمُ إِلَى أَنْ يَرى
[8]وَذُو النُّهى الجَدِيرُ أَنْ يَنْتَهِي وَأَنْ يُخَلِّي اللَّهْوَ عَنْهُ وَرَا
[9]كَيْمَا يُعَدِّي القَوْلُ عَنْ لَغْوِهِ فِي المُصْطَفَى الخَاتِمِ خَيْرِ الوَرَى
[10]فَانْسُجْ لَهُ وَشْيَ الثَّنا حُلَّةً وَانْظِمْ لَهُ حِلْيَ الثَّنا جَوْهَرَا
[11]خَلِّ الصِّبى وَاذْكُرْ نَبِيَ الهُدَى فَإِنَّ ذِكْرَ اللهِ أَنْ يُذْكَرَا
[12]عَسَاكَ يَوْمَ العَرْضِ حِينَ الظَّمَا تَكُونُ مِمَّنْ أُوتِيَ الكَوْثَرَا
[13]مَعَ اعْتِرافٍ أَنَّ أَوْصَافَهُ عَنْهُنَّ كُلُّ واصفٍ قصَّرَا
[14]يَا أَكْرَمَ الخَلْقِ عَلَى رَبِّه وَيَا إِمَامَ الرُّسْل لمَّا سَرَى
[15]عَنْ غَيْرِكَ التَّخْتِيمُ اصْطَانَهُ وَلَمْ أَجِدْ أَجْدَى وَلاَ أَجْدَرَا
[16]صَلَّى عَلَيْكَ اللهُ مَا ضَوَّعَتْ صَبَا الصَّباحِ الزُّهَرُ الأَزْهَرَا

[مَغْنَى الصَّبابة] [من بحر البسيط]

[1]مَغنَى الصَّبَـابــة أدَّى بِي إِلَى الصَّمَمِ سِيـأَنَ مَـــنْ لاَمَ أَوْ لَـــمْ يَلُم ِ
[2]دَمْعِـــي جَـــرَى لَـــمَّا وَقَفْتُ عَلَى رَبعٍ بِسِقطِ اللِّوى مَـا فِيهِ مِنْ إِ ِرَم
[3]مَـــرْآهُ أنْكَـــرْتُهُ لَـوْلاَ مَعَـــالِمُهُ وَقَ َلَّ ذُو حِيرَةٍ يُهْدَى بِـــلاَ عَلَمِ
[4]مِلْ عَنْ هُدَى الشُّعَرَاءِ العُمْيِ نَحْوَ هُدَى طـَهَ الأمِينِ وَقُلْ مَهْمَـا دَعَـا : نَعَمِ
[5]مَغْنَاهُ مِـــنْ حُبِّ إِثْبَـاتِ القُـدُومِ لَـــهُ نَفَيْتُ إِتْيَـــانَ مَغْنَى عَـــزَّةٍ بلَمِ
[6]مُلَّبيّاً دَاعِـياً لمَّـــا اعْتَصَمْتُ بِـأنْ لبَّيتهُ لَـــــمْ أُسَمْ خَسْفاً وَلَـــم أُرَمِ
[7]مَرِأتَ يَا طِيبُ مِنْ مَغْنَى وطِبْتَ هَوَى إِذْ حُزْتَ بِـالضَّمّ رَفْعَ المُفْرَدِ العَلَمِ
[8]مَلَعَ المَطِـــيُّ ارْتِيَاحـــاً إِنْ نَحَتْكَ تَجِدْ بِمُنْتَهَاهُ بِـــــلاَ حَـــثٍّ وَلاَ نَغَمِ
[9]مَغْنَى لَـــنَا دِينُهُ عَـــنْ دِينِ مَنْ ثَلَمَتْ سُيُوفُـــــهُمْ مِنْهُ أَسْيَـــافٌ بِـلاَ ثَلَمِ
[10]مَلَّت عِـــدَاهُ فَطَاعَتْ عُنْوةً حَـــذَراً مِمَّا جَـــرَى قَبْلُ فِي عَادٍ وَفِي إِرَمِ
[11]مَرْءٌ غَـدَا المَلأُ الأَعْلَى لَـــهُ مَدداً مِـــنْ كُلِّ عَـــادِيَـــةٍ مَنْصُورَةِ العَلَمِ
[12]مَلْعُ المَفَـاوِزِ جَـــــابَتْهَا قَنَابِـــلُهُ وَسَقَى أَسْرَى مُلُوكَ الأَرْضِ كَالنَّعَمِ
[13]مَغْنَـي جَحْفَلِهِ يَـــــرْتَـاعُ مُحْتَلِماً مِنْهُ كَـمَا ارْتَـــــاعَ غَيْرُ مُحْتَلِمِ
[14]مُلِئَتْ كُبُودُ العِـــدَا غَيْظاً عَلَيْهِ كَـأَنَّ جَمِيعَهَا فِـــي لَظَىً قَبْلَ الجَزَاءِ رُمِ
[15]مَرْئـــــى رَحْمَتِهِ إِنْ كُنْتَ ذَا عَجَزٍ أَوْ عِلَّة تُشْفَ مِـــنْ عَجْزٍ وَمِنْ عَلَمِ
[16]مُلْغَىً بِـــهِ نَهْجُ أَرْبَابِ الضَّلالِ غَدَا وَالحَمْدُ للهِ مَـــوْلَـــى الفَضْلِ وَالنِّعَمِ

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد

سِلْسِلَةُ الأَوْرَادِ[من بحر الرجز]

[1] الحَـمْدُ لله الـذِي مَـنِ اتَّصَلْ *** بِحَبْـلِهِ المَتِينِ لابُدَّ وَصَلْ
[2] وَمَـــنْ بِحَبْلِ غَـــيْرِهِ تَعَلَّقَا *** فَفَـصْلُهُ وَطَـرْدُهُ تَحَقَّقَا
[3] ثُـمَّ صَـلاَةُ اللهِ وَالسَّلاَمُ مَـا *** نَـالَ المُـنَا مِنْ رَبِّهِ تَيَمَّمَا
[4] عَلَـى النَّبِيِّ الخَـاتِمِ الأَرْسَـالِ *** وَآلِـــهِ وَصَحْبِهِ وَالآلِ
[5] وَوَارِثِـيهِ مِـنْ مَشَائِخِ السَّلَفْ *** وَصَـالِحِ الخَلْقِ أَرْبَابُ الشَّرَفْ
[6] وَإِنَّنِـي أَسْـأَلُ مِـمَّنْ أَرْسَلَهْ *** عَوْنـاً عَلَى نَظْمِ رِجَالِ السِّلْسِلَهْ
[7] عَسَـاهُ أَنْ يَنْظُـمَنِي فِي سِلْكِهِمْ *** فَـلاَ أَحِيدُ الدَّهْرَ عَنْ مَسْلَكِهِمْ
[8] لَعَـلَّهُ يُلْهِمُـنِي رَشَـادِي *** وَلِيُتِـيحَ الفَـوْزَ بِـالمُرَادِ....
[9] أَنَـا وَإِخْـوَانِي جَمِيعًا فَـأَقُولْ *** اللهَ ذُو الفَـضْلِ أَسْـأَلُ القَبُولْ
[10] مُبْتَـدِءاً بِ ِغَـوْثِ هَـذَا الوَقْتِ *** مُعْتَصماً مِـنْ مُـوجِبَاتِ المَقْتِ
[11] يَقُـولُ إِبْـنُ المُصْـطَفَى مُحَمَّدْ *** الرَّقَّـادِي الكُـنْتِي اللهَ أَحْمَدْ
[12] أَخَـذْتُ عَـنْ مُحَـمَّدٍ الخَلِيفَه *** طَرِيقَـةَ الصُّـوفِيَةِ المُنِيفَهْ
[13] سِلْسِلَةَ الغُـرِّ رِجَـالِ كُنْتَهْ *** أُذْكُرْهُـمُ كُـلَّهُمْ بِمَا قَدْ شِأْتَ
[14] عَنْ شَيْـخِهِ وَالِـدِهِ المُـخْتَارِ *** ذِي العِلْمِ وَالأَنْـوَارِ وَالأَسْرَارِ
[15] عَنْ شَيْـخِهِ صِنْـوُ أَبِيهِ المُشْتَهِرْ *** سَيِّدِنَا بَـايٍ بْـنُ السَّيِّدِ عُمَرْ

[16] عَنْ شَيْـخِهِ شَقِيـقِهِ مُحَـمَّدٍ ***صَافِ الخَلاَئِقِ كَرِيمِ المُحْتَدِي/**ورقة1- و**
[17] عَنْ شَيْـخِهِ أَبِـيهِ وَهْـوَ الأَشْهَرْ *** حَوِيُّ العُلُـومِ وَالمَعَالِـي عُمَرْ
[18] عَنْ شَيْـخِهِ شَقِيـقِهِ المُـخْتَارُ *** مَنْ أَشْرَقَتْ مِنْ وَجْهِهِ الأَنْـوَارُ
[19] وَقَـدَّمَتْهُ الأَوْلِيَـاءُ طُـرًّا *** فَصِيلَةٌ بِـهَا يَـخُصُّ الجَـهْرَا
[20] عَنْ شَيْـخِهِ وَالِـدِهِ المُـجَدِّدِ *** غَـوْثُ الـوُجُـودِ سَيِّدِي مُحَمَّدِ
[21] عَنْ شَيْـخِهِ وَالِـدِهِ المُـخْتَارِ *** غَوْثُ الـوَرَى قُطْبُ رَحَا الأَخْيَارِ
[22] عَنْ شَيْـخِهِ شَـيْخِ أَبِـي النَّـجِيبْ *** ذُو النَّظَرِ السَّدِيدِ وَالرُّؤْيَا المُصِيبْ
[23] عَنْ شَيْخِهِ العَارِفِ ذِي القَدْرِ المَكِينْ *** عَنَيْـتُ ذِي النُّـقَبِ سَـيِّدْ المِينْ
[24] عَنْ شَيْـخِهِ أَخِـيهِ نَـجْلُ عُـمَرَا *** أَحْمَدُ مَـنْ حَـازَ المَقَـامَ الأَكْبَرَا
[25] عَنْ شَيْخِهِ صِنْـوُ أَبِـيهِ سَيِّدِي *** عَلِـيُّ ابْـنُ أَحْـمَدَ المُـجَدِّدِ
[26] عَنْ شَيْخِهِ أَبِـيهِ أَعْـنِ السَّيِّدَا *** أَحْمَدُ مَـنْ بِالعِلْمِ وَالحِلْمِ ارْتَضَى
[27] عَنْ شَيْخِهِ أَبِـيهِ ذِي الـرَّشَادِ *** مُحَمَّدٍ المَشْهُورِ بِـالـرَّقَّادِي
[28] عَنْ شَيْخِهِ أَبِـيهِ أَحْـمَدُ الشَّهِيرْ *** بِالفَيْرَمِيِّ العَلاَّمَـةِ الحَبْرِ الكَبِيرْ
[29] عَنْ شَيْخِهِ القُطْبِ الشَّرِيفِ المُشْتَهِرْ *** يَعْنِي أَبَـاهُ الشَّيْخِ سَيِّدِي عُمَرْ
[30] عَنْ شَيْخِهِ ذِي المَـنْصِبِ الجَـلِيلِ *** العَـالِمِ العَـلاَّمَةِ المَغِـيلِي
[31] عَنْ شَيْخِهِ النِّحْرِيرِ ذِي التَّمْـكِينِ *** أَعْنِي السُّيُوطِيِّ جَـلاَلُ الدِّينِ
[32] عَنْ شَيْخِهِ الجَـامِعِ للمَنَـاقِبِ *** ذِي الـرُّتْبَةِ المَنِيفَةِ الثَّعَـالِبِي
[33] عَنْ شَيْخِهِ القَـاضِي إِمَـامُ الغَرْبِ *** مُحَمَّدٍ المَعْرُوفِ بِابْنِ العَرَبِي
[34] عَنِ شَيْخِهِ الفَاضِلِ ذِي القَدْرِ الجَلِيلْ *** التِّلِمْسَـانِي ابْنِ مَرْزُوقٍ النَّبِيلْ
[35] عَنْ شَيْخِهِ الذِي حَوَى كُـلَّ شَرَفِ ***بِالنَّاصِرِ الدَّرْعِ مُشِيدِ العُرْفِ/**ورقة1- ظ**
[36] عَنْ شَيْخِهِ ذِي الـرُّتَبِ العَوَالِي *** يَعْـنِي أَبَـا حَامِدِنَا الغَزَالِي
[37] عَنْ شَيْخِهِ القُطْبِ الشَّرِيفِ الفَاضِلِ *** ذِي المَجْدِ سَيِّدِي عَلِي الشَّاذُلِي
[38] عَنْ شَيْخِهِ ذَا الشَّرَفِ القُطْبِ الهُمَامْ *** ابْـنِ مَشِيشٍ سَيِّدِي عَبْدِ السَّلاَمْ
[39] عَنْ شَيْخِهِ ابْـنِ العَـرَبِيِّ الحَاتِمِ *** بَحْـرُ العُلُـومِ جَـامِعِ المَكَارِمِ
[40] عَنْ شَيْخِهِ العَدْلِ الرَّضِيِّ النَّجِيبِ *** الصَّـهْرَوَرْدِيِّ أَبِـي النَّجِيبِ
[41] عَنْ شَيْخِهِ عَلِيٍّ ابْـنُ هَيْـتَا *** مَـنْ حَازَ عِزّاً شَامِخاً وَصَيْتَا
[42] عَنْ شَيْخِهِ إِمَـامُ هَذَا الجِيلِ *** مَـنْ خَصَّهُ الإِلَـهُ بِالتَّبْجِيلِ
[43] سَيِّدِنَا الجِيلاَلِي عَبْدِ القَـادِرِ *** الحَسَـنِيِّ الـطَّاهِرِ السَّـرَائِرِ
[44] عَنْ شَيْخِهِ إِمَامُ شَمْسِ الـوَاصِلِينْ *** أَبُـو الوَفَى الوَفِيِّ تَاجُ العَارِفِينْ
[45] عَنْ شَيْخِهِ أَبِـي مُحَـمَّدٍ الزَّكِي *** العَـارِفِ الأَجَلِّ ذَاكَ الشَّبَكِي
[46] عَنْ شَيْخِهِ الحَـائِزِ كُـلَّ فَضْـلِ *** يَعْنِـي أَبَـابَكْرٍ إِمَـامُ الشَّبْلِ
[47] عَنْ شَيْخِهِ شَيْخُهُمُ بَـلاَ خَفَا *** إِمَـامُهُمْ يَعْنِي الجُنَيْدِيِّ ذِي الصَّفَا
[48] عَنْ شَيْخِهِ وَخَالِهِ أَبُـو الحَسَنْ *** السَّارِيِّ السَّقْطِيِّ ذِي الخُلُقِ الحَسَنْ
[49] عَنْ شَيْخِهِ المَعْرُوفِ فِي السَّمَاءِ *** وَالأَرْضِ مَعْـرُوفٌ أَخُـو الوَفَاءِ
[50] عَنْ شَيْخِهِ شَمْسُ الهُدَى الصَّفِيِّ *** ذِي المَكْـرُمَاتِ الحَسَنِ البَصْرِيِّ
[51] عَنِ الخَلِيفَةِ أَمِيرُ المُـؤْمِنِينْ *** وَخَاتِنُ الـرَّسُـولِ أَحْمَدُ الأَمِينْ
[52] لَيْثُ الكَتَـائِبِ عَلِيٌّ ابْـنُ أَبِـي *** طَالِبِ الحَـائِزِ أَعْـلَى الرُّتَبِ
[53] عَنْ سَيِّدِ الرُّسْلِ إِمَـامُ المُتَّقِينْ *** مُحَمَّدٍ رَسُـولُ رَبِّ العَـالَمِينْ
[54] صَلَّى عَلَيْهِ رَبُّنَا فِي كُلِّ حِينْ *** وَآلِهِ وَصَحْبِهِ المُكْـرَمِينْ/**ورقة2- و**
[55] وَهْوَ آخِذٌ عَلَى رُوحِ الأَمِينْ *** جِبْرِيلُ ذِي المَقَامِ الأَرْفَعِ المَكِينْ
[56] عَنْ لَوْحِ رَبِّ العِزَّةِ المَكْنُونِ *** عَـنْ قَلَمِ اقْتِـدَارِهِ المَصُـونِ
[57] فَهَـذِهِ سِلْسِلَةُ الأَوْرَادِ *** جَـاءَتْ بِلاَ نُقْصٍ وَلاَ زِيَادِ
[58] حَرَّرَهَا كَذَا الخَلِيفَةُ الهُمَامْ *** سَيِّدُنَـا مُحَمَّدٍ بَـدْرُ التَّمَامْ
[59] أَعْطَاهُ الرَّبُّ زَمَنًـا طَوِيلا *** يُجْلِي الدُّجَى وَيُوضِـحُ السَّبِيلا

[60] وَيَرْدَعُ العِدَى وَيُحْيِي الدِّينَا *** وَيَسْتِفْ ظِـلاَلَـهُ المَعِينَا
[61] بِجَـاهِهِ وَجَـاهِ هَؤُلاَءِ *** يَـا بَـاسِطَ اليَدَيْنِ بِـالعِطَاءِ
[62] ..... *** نَجِّـنَا يَـا رَبَّ مِـنَ البَلاَءِ
[63] أَدْعُوكَ أَنْ تَجْعَلَنِي مُنْخَرِطًا *** فِـي سِلْكِهِمْ وَلْتَعْفُ عَمَّا فَرَّطَا
[64] مِنِّي وَعَمِّرْنِي بِأَنْوَارِ الهُدَى *** قَلْبِي وَنَجِّنِي مِنَ اشْرَاكِ الرَّدَى
[65] وَنَقِّ قَلْبِي مِنَ الوَسَاوِسِ *** كُـلاًّ وَمِـنْ هَوَامِجِ الهَوَاجِسِ
[66] واطْوِ لَنَا طَيَّ مَسَافَةِ السَّفَرْ *** وَنجِّنَا غَداً مِـنَ اَهْوَالِ السَّقَرْ
[67] وَاخْتِمْ لَنَا يَا رَبِّ بِالحُسْنَى *** وَبِالقَرَارِ ذَا المَقَامِ الأَسْنَى
[68] ثُـمَّ عَلَى مُحَـمَّدٍ الشَّفِيعِ *** غَداً لَّدَى الإِلَـهِ للجَمِيعِ
[69] وَآلِهِ وَصَحْبِهِ الغُرِّ الكِرَامْ *** وَمُقْتَفِيهِمُ إِلَـى يَـوْمِ الزِّحَامْ
[70] أَزْكَى صَلاَةُ الله مَا تَوَسَّلاَ *** عَبْـدٌ بِهِمْ فَنَـالَ مَا قَدْ أَمَّلاَ

تَمَّتْ وبالخير عَمَّتْ بقلم بن أنسباغور عمر بلدية عين امقل ـ تمنراست**/ورقة2 ـ ظ**

بسم الله الرحمن الرحيم

[لاَ مَلْجَأ إلاَّ إِلَى المَوْلَى][من بحر الكامل]

[1] لأَنَّ اللَّطِيفَ بِخَلْقِهِ لاَ يَخْتَفِي *** بِجَمِيلِهِ نُكْفَـى الهُمُـومَ فَتَكْتَفِ
[2] هُوَ حَسْبُنَا كَـمْ حَادِثٍ ضِقْنَا بِهِ *** ذَرْعاً فَفَرَّجَ كَرْبَهُ اللُّطْفُ الخَفِي
[3] لاَ مَلْجَئاً إِلاَّ إِلَـى المَوْلَى فَمَنْ *** نَـادَاهُ مَلْهُوفـاً لَطِيفـاً يَلْطُفُ
[4] يَـا رَبَّنَـا بِـالمُصْطَفَى وَبِآلِهِ *** وَبِصَحْبِهِ وَبِـكُلِّ عَبْدٍ مُقْتَفِ
[5] بِالـذَّاتِ بِـالأَسْمَـاءِ بِـالْـ *** إِسْمِ الكَرِيمِ الأَعْظَمِ الإِسْمِ الوَفِي
[6] عَجِّـلْ بِعَـافِيَةٍ وَلُطْفٍ شَامِلٍ *** تُجْلِي بِـهِ عَنَّا الخُطُوبَ فَتَنْتَفِ
[7] وَبِرَحْـمَةٍ مَعَـهَا أَمَـانٌ دَائِمٌ *** تَخْبُو بِـهِ نَارُ الحُروبِ وَتَنْطَفِي
[8] وَبِرَأْفَةٍ عَنْ عَاجِـلٍ بِدَوَامِهَا *** تَفْرِي القُلُوبَ مِنَ الحُقُودَ فَتَشْتَفِ**/ورقة1- و**
[9] إِنَّا اضْطُرِرْنَا يَـا لَطِيفُ لِعَاجِلٍ *** مِنْ لُطْفِكَ المَعْهُودِ لِلْمُسْتَضْعَفِ
[10] إِنَّا ظَمِئْنَا أَيَـا مُغِيثُ لِـوَابِلٍ *** مِنْ غَوْثِكَ المَشْهُورِ عِنْدَ المُعْتَفِ
[11] مَا إِنْ لَنَـا مِـنْ حِيلَةٍ لِدَفْعِ مَا *** قَدْ حَلَّ مِنْ خَطْبٍ عَظِيمٍ مُجْحِفِ
[12] إِلاَّ اللَّجَاءُ وَمِنْكَ رَبِّـي رَجَاؤُنَا *** وَبِكَ اسْتَعَذْنَـا مِنْ عَدُوٍّ مُدْلِفِ
[13] يَا رَبَّنَا هَذَا الدُّعَاءُ وَنَـرْتَجِي *** نَيْلَ الإِجَابَةِ مِنْكَ عَـنْ قُرْبٍ تَفِي
[14] ثُمَّ الصَّلاَةُ عَـلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ *** وَعَلَى الصِّحَابِ وَكُلِّ تَافٍ مُنْصِفِ
[15] مَا أَقْبَلَتْ مِنْ لُطْفِ رَبِّي نَسْمَةٌ *** تَهْدِي الأَمَانَ إِلَى القُلُوبِ الرُّجَّفِ

تَمَّتْ وبالخير عَمَّتْ **/ ورقة1- ظ**

2 ـ الملحق الشعري2:
قصائد مختلفة لشعراء توات

1ـ منظومةٌ في التوحيد موسومة بـ: " تُحْفَةُ الوِلْدَانِ مِمَّا يَجِبُ مَعْرِفَتُهُ عَلَى الأَعْيَانِ" لصاحبها السَّيِّدْ مُحمَّد عبد القَادر ابْن مُحَمَّدْ ابْن المُختار ابْن أَحْمَد العَالَمْ الفُلاَّنِي:

« الحمد لله على ما أنعما حمداً كثيراً طيباً مُلازما

في كل وقتٍ أمَدَ الأزمان ثمَّ صلاتُهُ على العَدنان

محمَّدٌ رسولُ رَبِّ العَالَمين وآلِه وصحبه والتابعينْ

وبَعْدُ فالعلم بأصل الدِّينِ محتَّمٌ يَحتاج للتَّبْيِينِ

أوَّلُ واجبٍ على المكلّفِ معرفة الإله فرضٌ فاعرفِ

وبعدَها معرفة الرُّسْلِ الكرامِ عليهم أزكى الصَّلاة والسلامِ

من كلِّ واجبٍ ومُستحيلِ وجائزٍ حَقِّقْهُ يا خَليلِي

فجهله على المكلف حرامُ نَصَّ على ذاك الأئمة الكرامُ

عشرون بالتَّفصيلِ واجباتُ لله قد بيَّنَها الثِّقَاتُ

أولها الوجود ثمَّ القدمُ كذا البَقا والغِنَا مُحتَّمُ

مخالفٌ للخلق وحدانيهْ جَلَّ الإله خالقُ البَريهْ

سِتَّ صفاتِ الوجود نفسيه والخمسة التي تليها سِلبيهْ

وسبعةَ هي المعاني الواجباتْ فقدرةٌ إرادةٌ علمٌ حياةْ

سَمعٌ كلامٌ وكذلك البصر ... والضدُّ يأتي بعد ذا على الأثَرْ

ولازمٌ لها مريدٌ قادرٌ ... وعالمٌ حيٌّ سميعٌ بَاصرٌ

ومتكلمٌ تَمامَ الواجباتْ ... ثَبَّتَنَا الله العظيم للمماتْ

ويستحيل ضدَّ ذي الصِّفَاتِ ... عشرون بالتفصيل أيضاً تَاتِي

العدمُ الحُدوثُ والمُمَاثلهْ ... ثَمَّ الفَنَا والافتقارُ حقَّقَهْ

تَعَدُّدٌ في حقِّهِ مُحَالُ ... فافهم وحقق الذي يُقَالُ

عجزٌ كراهةٌ وجهلٌ بَكَمُ ... عَمَى وموتٌ وكذاك صَمَمُ

وسبعةٌ ضِدَّ الصِّفَاتِ اللاّزماتْ ... وقانا ربنا العظيم المُهلكاتْ

فعاجزٌ ومَيِّتٌ ومُكْرَهُ ... وجاهلٌ أصَمُّ أعْمَى جَلَّ هُو

وأبكمٌ تمامُ ذِي الصِّفَاتِ ... أعاذنا اللهُ من الآفاتِ

وجائزٌ في حقِّهِ تعالَى ... ما ليس واجباً ولا مُحالاَ

كإخراج الخلق إلى الوجودِ ... وعكسهُ في قُدرةِ المَعبودِ

والرزق والثواب والعقابْ ... وبعثة الرُّسُلِ والحسابْ

وواجبٌ في حقِّ رُسْلِ اللهِ ... ثلاثةٌ فَلاَ تَكُنْ بِسَاهِي

الصِّدْقُ والتَّبليغُ والأمانهْ ... ويستحيلُ ضدَّهمْ خِيانَهْ

كذبٌ وكتمانٌ مِنَ المُحالِ ... عليهمُ فاسْمَعْ وَعِي مَقَالِي

وجائزٌ في حقِّهمْ وصفُ البَشَرْ ... مَا لم يُؤَدِّهِمْ لنُقصِ وضرَرْ

كالبيعِ والشِّراءِ والنِّكاحِ ... والأكلِ والشربِ مِنَ المُباحِ

وعدمُ الجوازِ عنهمْ مُمتنعْ ... فكنْ على العِلم حريصاً مُتَّبعْ

الإيمانُ بالإلهِ فرضٌ واجبُ ... وبالصراطِ ويليهِ الكتبُ

والحوضُ والميزانُ والجِنانُ ... ملائكةٌ وقدرٌ نيرانُ

والرُّسُلِ والبعثِ وهولِ الآخرهْ ... هَبْ لِي إلهي رحمةً ومغفرهْ

سميتُها بتحفة الولدانِ في أوَّلِ الفرضِ على الأعيانِ

فاغفرْ لقاريها ومن نَظَمَهَا مستمعٌ ومن سعى في حفظهَا

ووالديَّ وشيوخي أجمعينْ مع البنين وجميع المسلمينْ

تاريخُها شهر ربيع الأولْ بجاه طه المُصطفى اقْبَلْ عَمَلِي

في عام ستَّةٍ مع الخَمْسينا ألْفٌ ثلاثمائة يَقينَا

أبياتُها جيمٌ وميمٌ في العدد اهْدِ جميعَ المُسلمينْ للرُّشْدِ

ختمتُها مُسلماً مُصَلِّياً على إمام الأنْبِيَا والأوْلِيَا

محمَّد وآله وصحبهِ والسَّالِكينَ نهجَهُ من بعدِهِ

ناظمُها عُبيد القادر الفقيرْ فَنَجِّهِ يا رَبَّنَا من السَّعِيرْ

والحمدُ لله على الإنْعَامِ والشَّكْرُ لله مَدَى الدَّوَامِ »

2- أرجوزة للشاعر ابن ابَّ المُزَّمَّري في ذكر أسماء الله الحسنى:

« حمداً لمن في مُلكه تَوحَّدَا وَجَلَّ عن تعطيل من قد فُقدا

ثم صلاة الواحد الحَيِّ الصَّمَدْ على رسول الله المصطفى بلا أمَدْ

وآله الكرام مَعْ صِحَابِهِ وكل من من غيه صَحَا به

وأستعين ربنا ذا الجود والفضل في التكميل في المقصُود

مَنْ نَظَمَ الشعر حَسُنَتْ صفاتُه يحرز ما تجب معرفته

على المكلفين في حَقِّ العَلِيِّ جَلَّ وفي حق جميع الرُّسْلِ

أي ما له وما لهم عقلاً يَجِبْ أو يستحيل أو يجوز فانتدب

فواجبٌ لا يُقبل النفي وما أبَى الثُّبُوتَ المُستحيل فَاعْلَمَا

تلك ثلاثةٌ فمن فيها حُصر عقلي الاحكام فذاك ذو بصر

يجب لله الوجود والقدم ثم البقا أي سلب لاحق العدم

وخلقُه للخلق والقيامُ بنفسه ووحدةٍ تُرام

في الذات والأفعال طَرّاً والصفات وقدرةٌ إرادةٌ علمٌ حَيَا للمُكنات

علم حياة ثم سمعٌ وبَصَرْ ثم كلام ثم أولى ما غَبَرْ

من الصِّفات سُمِّيَتْ نفسيه والخمس بَعْدُ سُمِّيَتْ سِلبيه

والسَّبْعُ بعدَهُنَّ بالمَعَانِي تُسمَّى كَذَا قال أولُوا الأذهان

للأوَّلين أي مِنَ المَعَاني تَعَلّق بكُلِّ ذي إمكان

نعم وبالثلاثة الأقسام تعلق العلم مع الكلام

والسمع والبصر قد تعلّقَا بِكُلِّ موجودٍ كذا قد حُقِّقَا

ولا خفا أن الحياة يا أخي ليس لها أصلاً تعلق بشيء

ويستحيل ضد كلّ فافطنا العدم الحدوث ثمت الفنا

ثم المضاهاة وأن يفتقرا ثم الشريك مطلقاً فاعتبرا

عجزاً كراهةَ له تُضم جهلٌ وموتٌ صممٌ عمى بَكَمْ

وجائزٌ في حق مولى المِنَنِ الفعل والترك لكل مُمْكِنِ

وجود ربنا العظيم العالم برهانه القطعي حدوث العالم

إذ لو لنفسه بدا اجتمع مع تساوي الرُّجْحَان قلَّ وذا امتنع

أمَّا حدوثه فيستفاد من حدوث أعراضٍ بها يقترن

وكل ما لازم حادثاً فلا يرى قديماً بل حدوثه انجلا

حدوث الاعراض أتى برهانا عليه إن تغيرت عيانا

لو لم يكن متصفاً بالقدم لكان جَلَّ للحدوث ينتمي

فيلزم الدور أو التسلسل وذان كل منهما لا يُعقلُ

لو أمكن الفنا انتفى عنه القدم وبالدليل آنفاً له انحتم

لو ماثل الخلق حدوثه لَزِمْ وهو مُحالٌ للذي قبلُ عُلم

لو انتفى قيامه بالنفس لكان مُحتاجاً بغير لُبس

إما إلى فاعلٍ أو محلٍّ وذاك غير ثابتٍ في العقل

لو لم يكن بواحدٍ تعدَّدا فيلزم العجز ونفيه بدا

ولو خلا عن صفة من الصفات أي قدرةٌ إرادةٌ علمٌ حياة

لما بدت حدوثه وذا بطل قطعاً بما منها عياناً قد حَصَلْ

والسمع والبصر والكلام دليلها الشرع بها تُرام

وقد مضى أيضاً بها المعقول إذ ضدها عليه مستحيل

ولو عليه فِعْلُ مُمكنٍ وَجَبْ عقلاً أو استحال عقلاً انْقَلَبْ

واجباً الممكن أو مُحالا وذلك في العقل قد استحالا

يجب للرسل يا بليغ الصدق والأمانة التبليغ

وأمرُ ما استحال ذو بيانِ من كذبٍ خيانةٍ كتمانِ

وجائزٌ في حقهم نحو المرضْ والأكل والنكاح من كل عَرَضْ

ليس مُنافياً لِما أولاهم من رُتبٍ عَلِيَّةٍ مولاهمُ

لو لم يكونوا صادقين لجرى كذبٌ بما به الإله أخبرا

إذ ربنا الذي صفاته عَلَتْ صَدَّقهم بمعجزات نُزِّلت

" منزلة القول الصريح قد صدق عبدي بكل ما به غنى نَطَقْ"

وكل من صَدَّق مُفتري الكذب فهو لذاك الكذب قطعاً انتُسبْ

والرب جل الكذب استحالا عليه إذ خبَّره تعالى

بوفق علمه وكل خبر كان بوفق العلم بالصدق جرى

لو لم يكونوا أمَّناً بل خانوا أو استبان منهم كتمان

لا انقلب المنهي مأموراً به للأمر باتِّباعه فانْتَبِهِ

والله لا يأمر بالمُحرَّم ولا بها إلى الكراه ة نُمي

وقوع الاعراض عَياناً بهمُ دلَّ على جوازها عليهمُ

وهاهنا تَمَّ الذي قَصَدْتُ له بعون ربي لَهْنَةٍ مُعجله

ومن إلهي أسأل الهدايه إلى صواب القول والدِّرايه

وأن يَمُنَّ بقبول العمل بجاه أحمد الشفيع الأفضل

عليه ما لاذت به البريه أزكى صلاة الله والتحيه

وآله وصحبه الأفاضل ذوي التَّقى والفخر والفواضل

وآخر الدَّعْوى أن الحمد لِمَنْ تَفَضَّلَ بنعمة الإكمال مَنْ »

3- قصيدة خالية من الحروف المعجمة، للسيد البكري بن عبد الرحمن؛ وهي في مدح الرسولﷺ:

« مدحي علو محمد المعصوما ه ص ى الملوم وحاسداً مسموما

وصحى له حلكى وحال سواده سعدا وسر سرورُه المهموما

لِمَ لا وأحمد سر كل محامد وسموه سام علاه عموما

هو أصل.... روحه وكماله وله أطار عدوه المدءوما

وله الملائك حوله مالوا له لما سمى وصحا المسمى رسوما

رسل الإله كلهم ودوا له لو حاطهم وأراحهم مهموما

وله سمى أولاد آدم كلهم وله رسى محمولهم مرموما

وحماله المملوء علما صارم لعدوه وهوى له معدوما

ما حاط مدح محمد أو عده المادح المحصى المحلى حسوما

لله ما أولاه ما أسرى سما ورأى لمئلكها وأم إماما

ودرى العلوم وعلم الله أحمد ما لا دراه موحد مرحوما

وهدى الورى وحماهم حر الورا ما لا أراه مدى العصور ملوما

عم المحالى ورد إسلام له لما السلام هدى وراه وروما

هصر العــدو صوارم محمد ورماهم سهم ألاح سموما

ورد العرم صرح أمصار العدا وأعامهم دأما الردى معموما

صرح الرؤوس مع الأكارع والمعى صاروا لها صرعى ردى وكلوما

سهروا لما حل الصدور وصادهم وهم لأروه ما أصاد حلوما

أصحوا لمدح محمد ما حصحصا لم آل مدحا صادعاً مصدوما

للحور مهر درسه وورده هام على أوامهم محسوما

للئاليء الأمداح سمد صالح ما سمد مدح كماله مصروما

أمحمد الممدوح سح لمادح أولى معاداً لا أرى محروماً

ممدوح أملاك الورى مهما سرى لحماه مادحه هداه كروما

أحرى كمالك ماله صرماً مدا دأما الكرام لوردكم مصوما

وسواك أحصى مدحه محص له وحلاك ما أحصى له المعلوما

والله أرسلكم وأعلى أمركم وأراد ملكاً واسعا وعلوماً

وأراك روح الأمر عالم أمره والسر والأدوار والموسوما

لولاك ما صلحوا ولا ساموا العلا لولاك ما صدعوا وصادوا أروما

لولاك لا سام ولا دام ولا عام ولا هام همى معموما

أرسول كل موحد وحماءه سوءى ملا لملا الورى محموما

وعسى أرى محو الملام وسوءه لصلاح مدحك داحساً محطوما

والله لا ألوي أحوم حماكم وحمى لإلكم الكرام عوما

أهلي وأولادي وودي كلهم معكم دواماً لا أراهم دوما

هرعى لكم ما دام ماؤكم سارحا لروم طود حمامكم معصوما

وصوالح المد المحصحص معصم للود مولى المدح أم إماما

لم لا أروم محمدا وطوالحي ولولاه أهلك سوءها المصدوما

وصلا الوراء لمدحه صادر له ورد الموارد صادر الموهوما

واصلح كلامك صادعاً لمحمد وُرْها ووال مؤهلاً مرهوما

وآل الكرام له معادا كلهم راموا حماه وحاولوا المكروما

ولواؤه مسدوله هم والورى والله صادر حاسداً مدكوما

مدحي أساء حواسداً حسدوا له أملى له صرماً أطاح هموما

إلهي صلي على المحصحص للورى والآل ما والوا ومالوا حسوما»

3 ـ صُورٌ لبعض مخطوطات القصائد

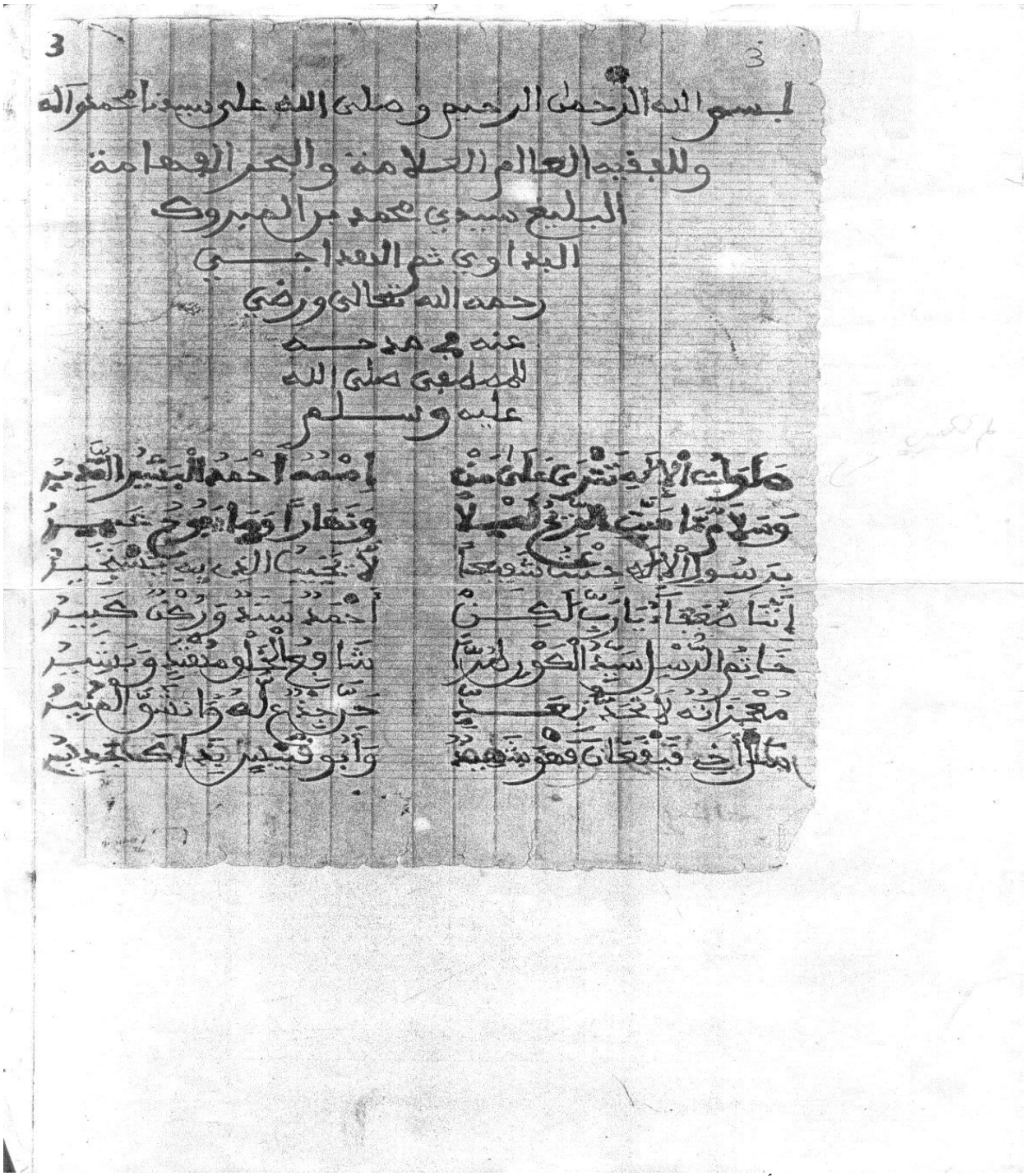

صورة رقم :1 الورقة الأولى من الخطوط الذي به قصائد السيخ سيدي محمد بن المبروك البودوي. مكتبة عائلة جعفري، بودة، أدرار، الجزائر.

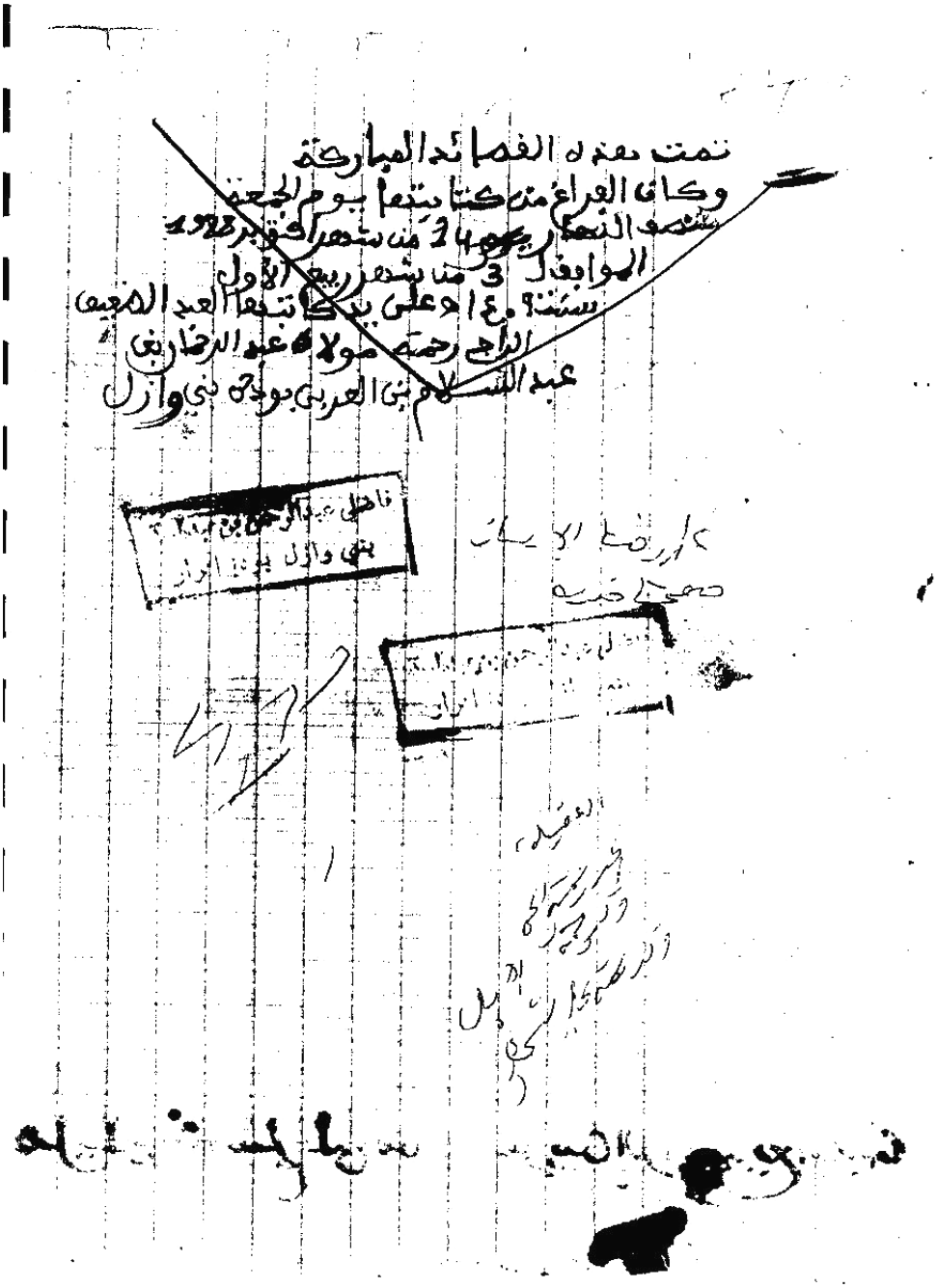

صورة رقم2 : الورقة الأخير من المخطوط الذي به قصائد الشيخ سيدي محمد بن المبروك البودوي. مكتبة عائلة جعفري، بودة، أدرار، الجزائر.

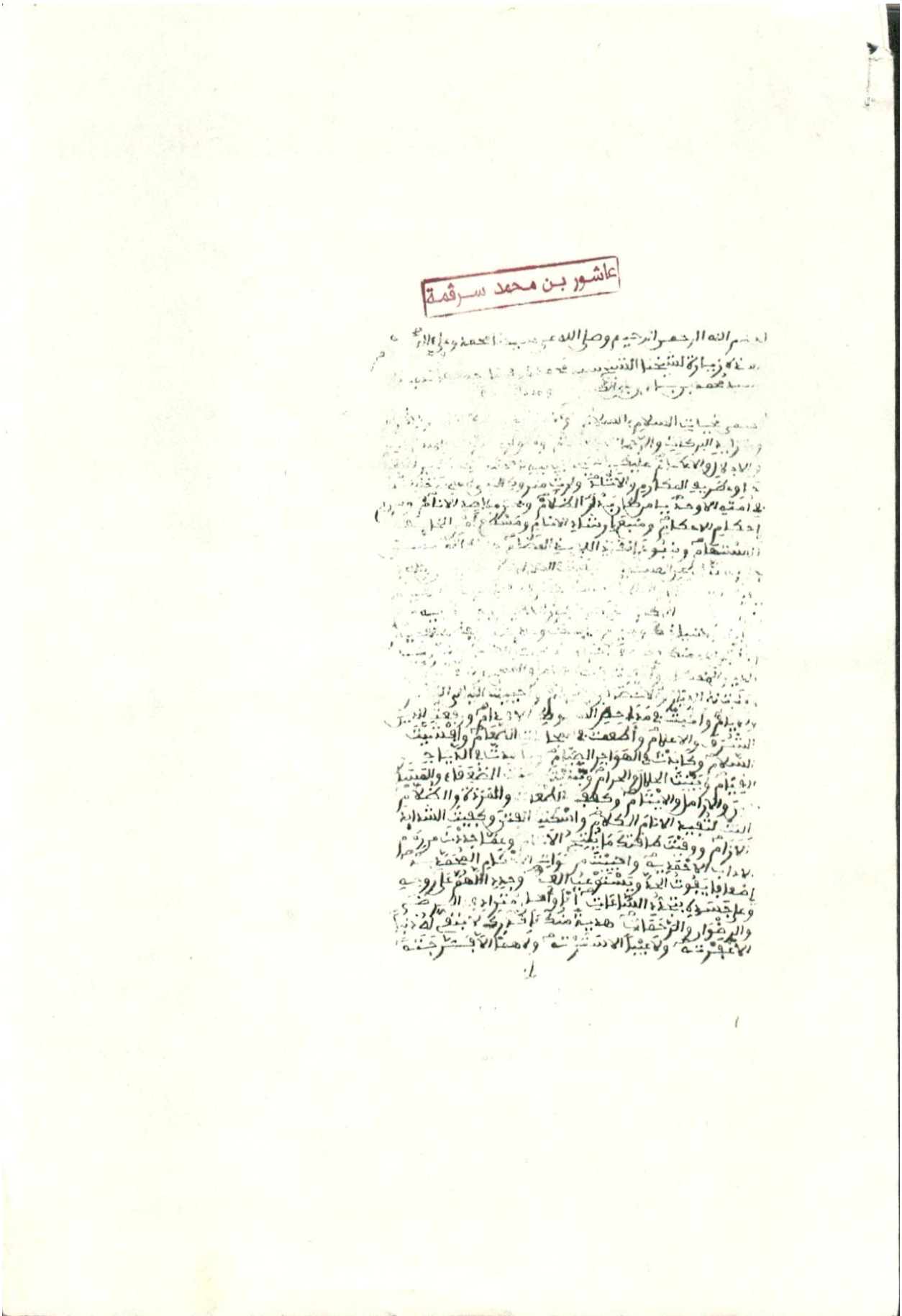

صورة رقم3 : الورقة الأولى من المخطوط الذي به " قصيدة الزيارة " لابن بادي الكنتي، مكتبة ابن الوليد الوليد، قصر باعبد الله، أدرار، الجزائر.

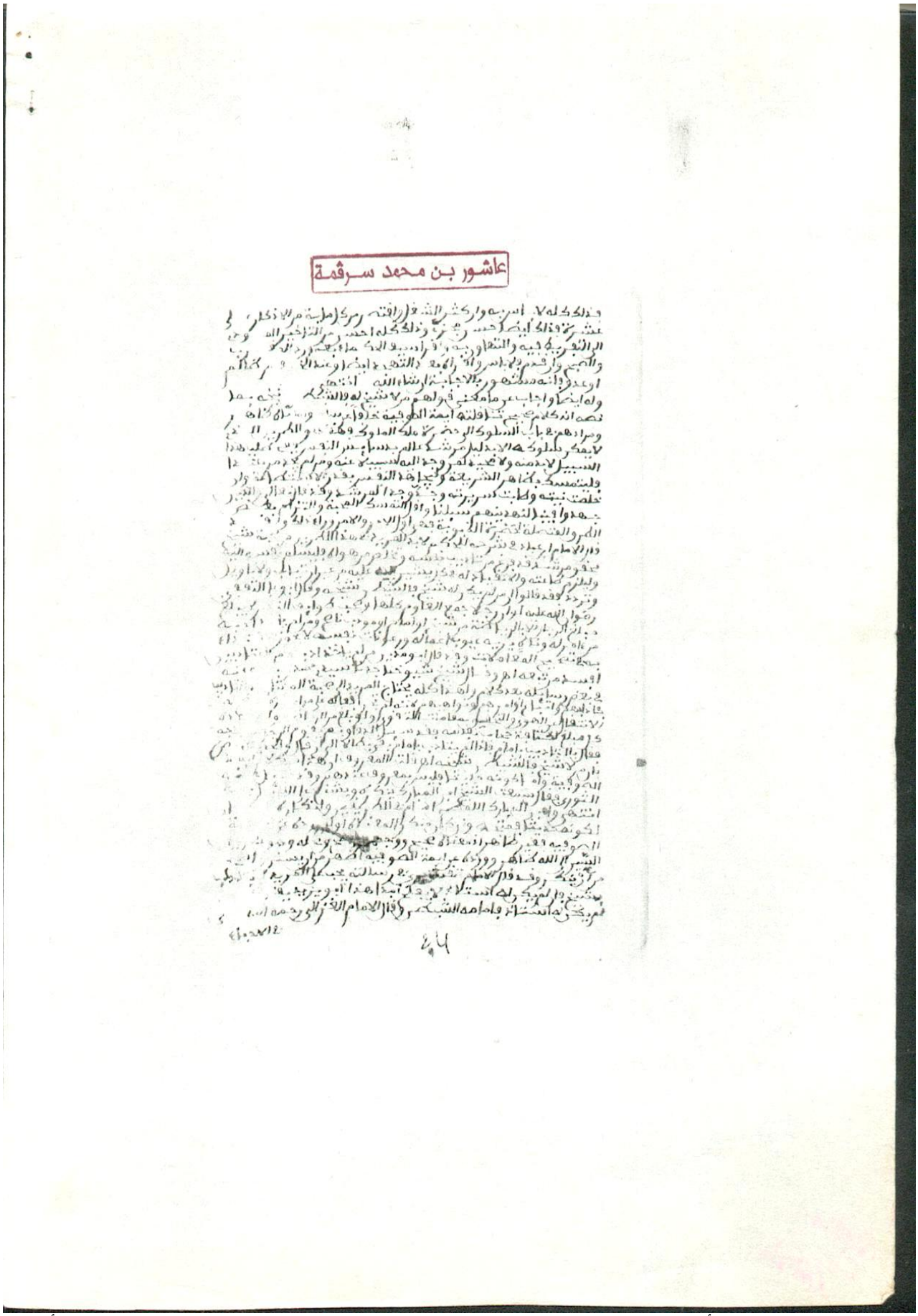

صورة رقم4 : الورقة الأخيرة من مخطوط " قصيدة الزيارة "،مكتبة ابن الوليد الوليد، قصر باعبد الله، أدرار، الجزائر.

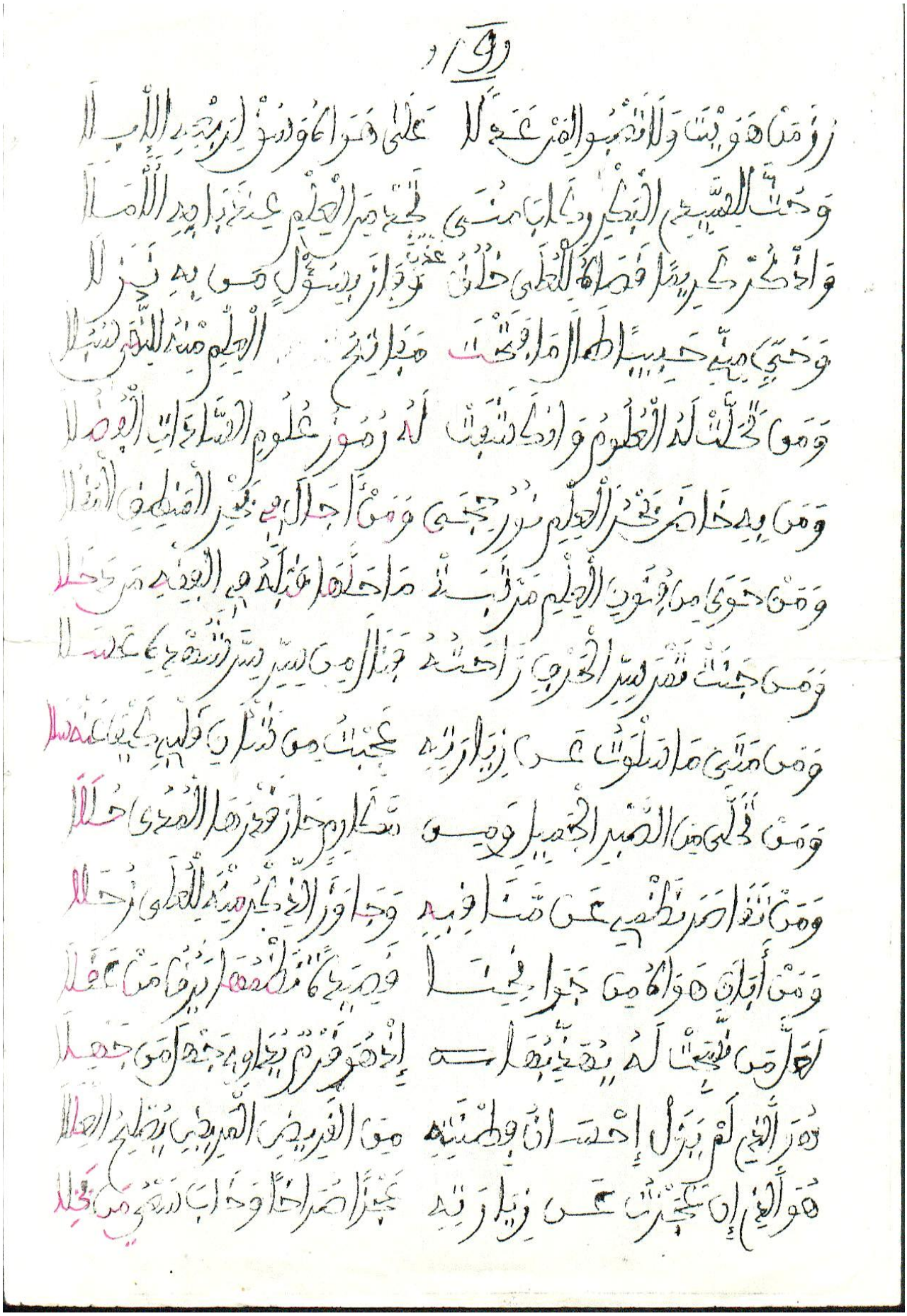

صورة رقم5 : الورقة الأولى من قصيدة " زر من هويت " لسيدي محمد الإيداوعلي. مكتبة ابن الوليد الوليد، قصر باعبد الله، أدرار، الجزائر.

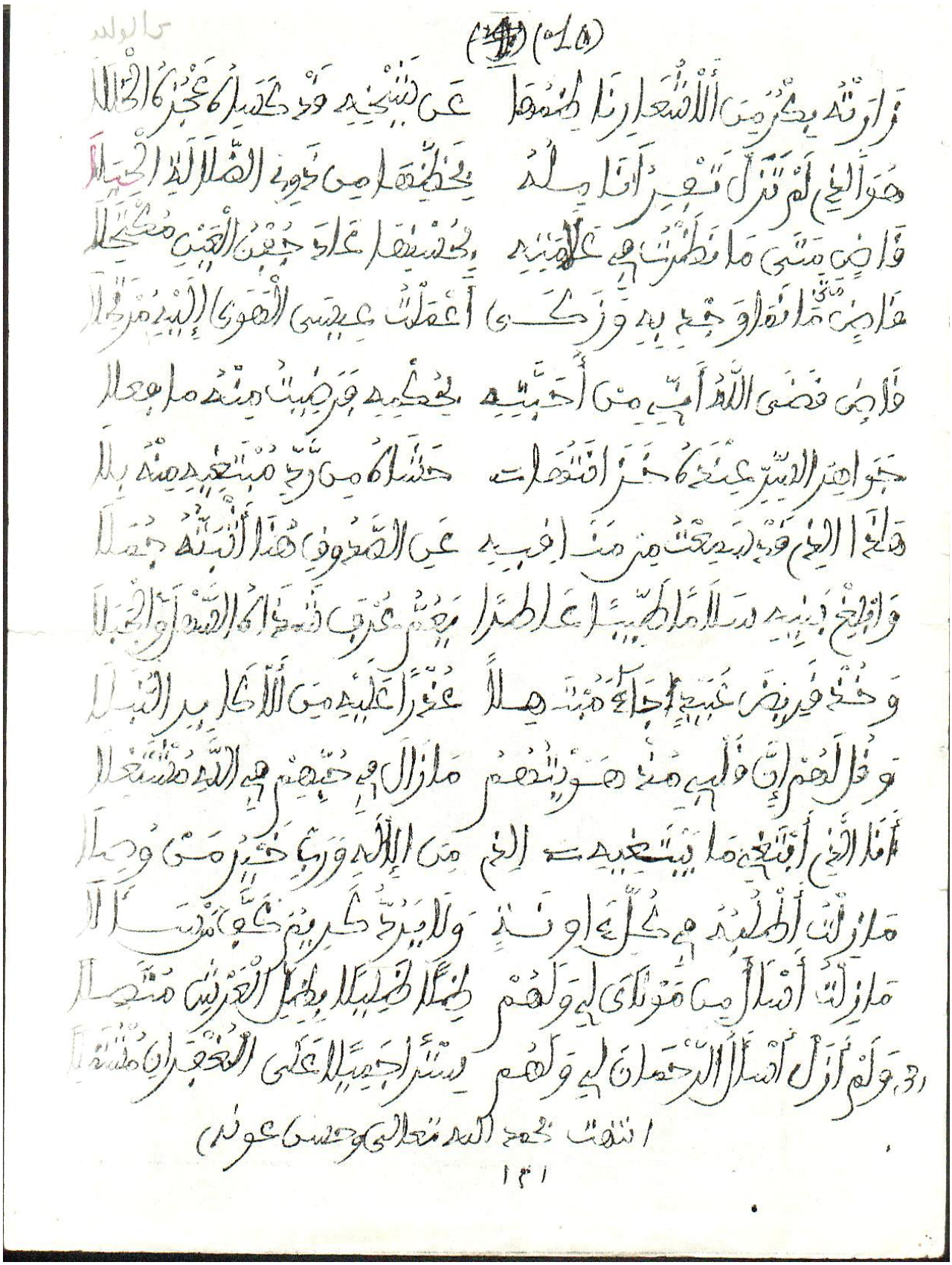

صورة رقم 6: الورقة الأولى من قصيدة " زر من هويت " لسيدي محمد الإيداوعلي. مكتبة ابن الوليد الوليد، قصر باعبد الله، أدرار، الجزائر.

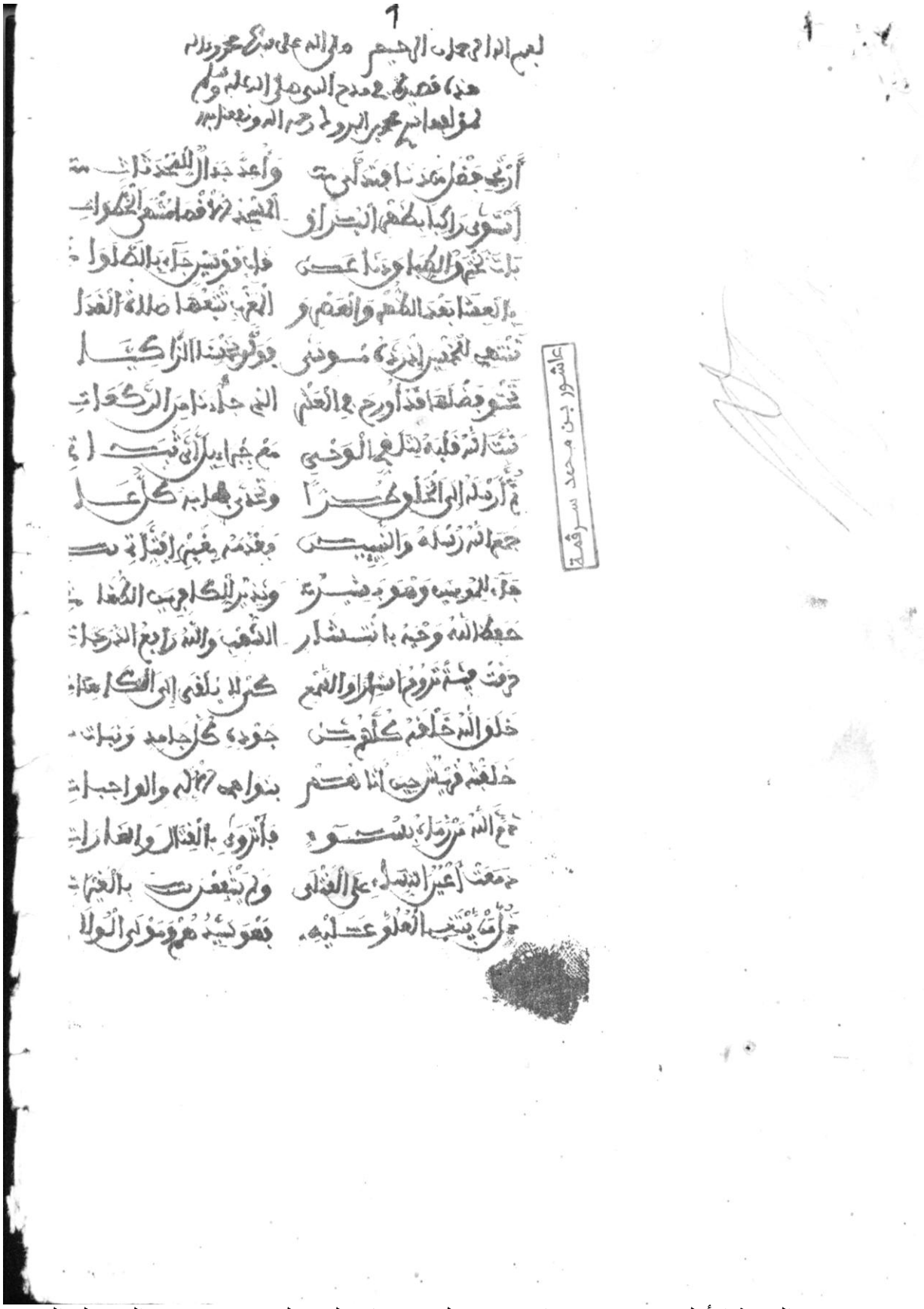

صورة رقم7 : الورقة الأولى من قصيدة " ارتجي فضل من دنا فتدلى " لسيدي محمد بن المبروك البودوي.
مكتبة ابن الوليد الوليد، قصر باعبد الله، أدرار، الجزائر.

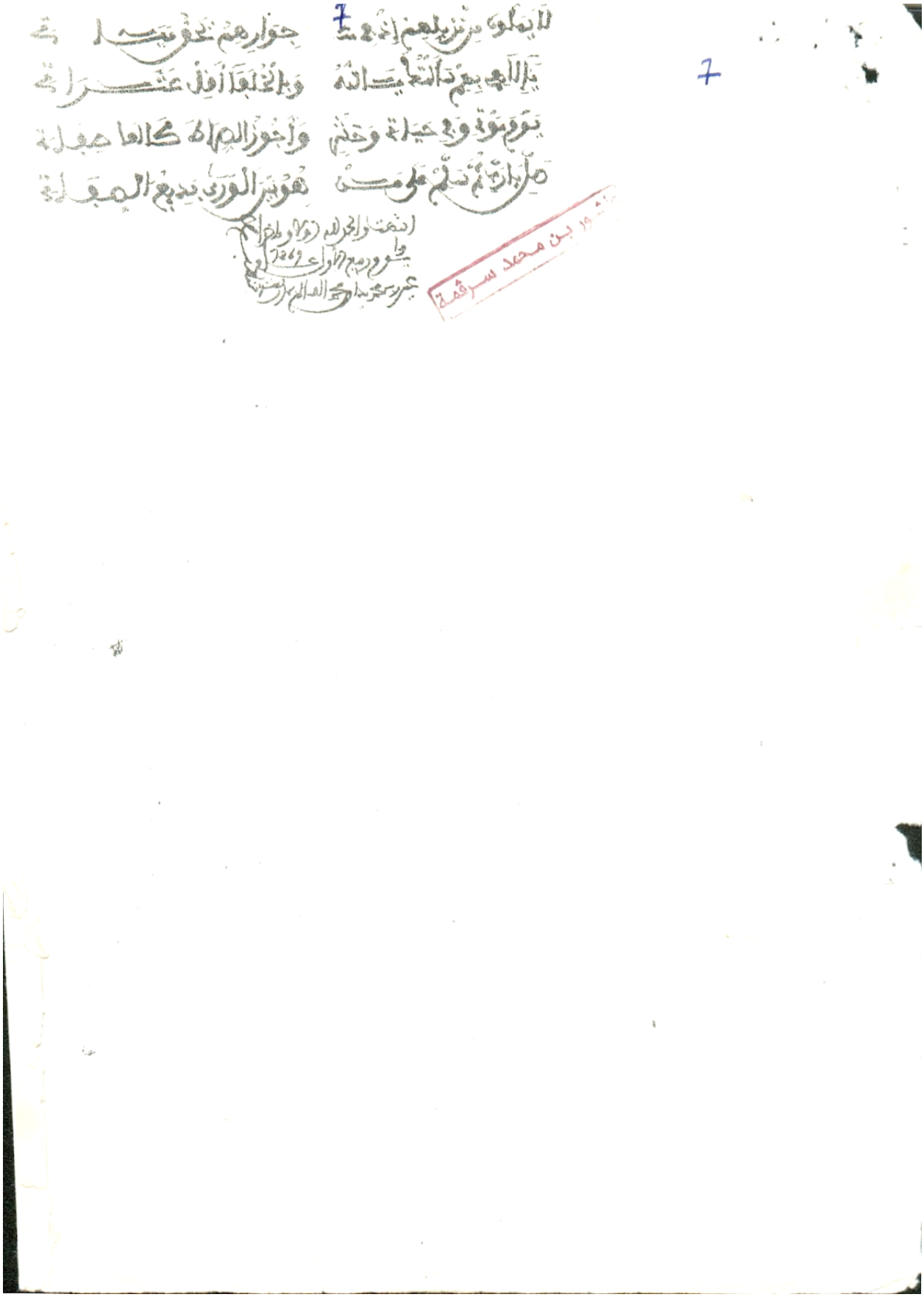

صورة رقم8 : الورقة الأخيرة من قصيدة " ارتجي فضل من دنا فتدلى " لسيدي محمد بن المبروك البودوي.
مكتبة ابن الوليد الوليد، قصر باعبد الله، أدرار، الجزائر.

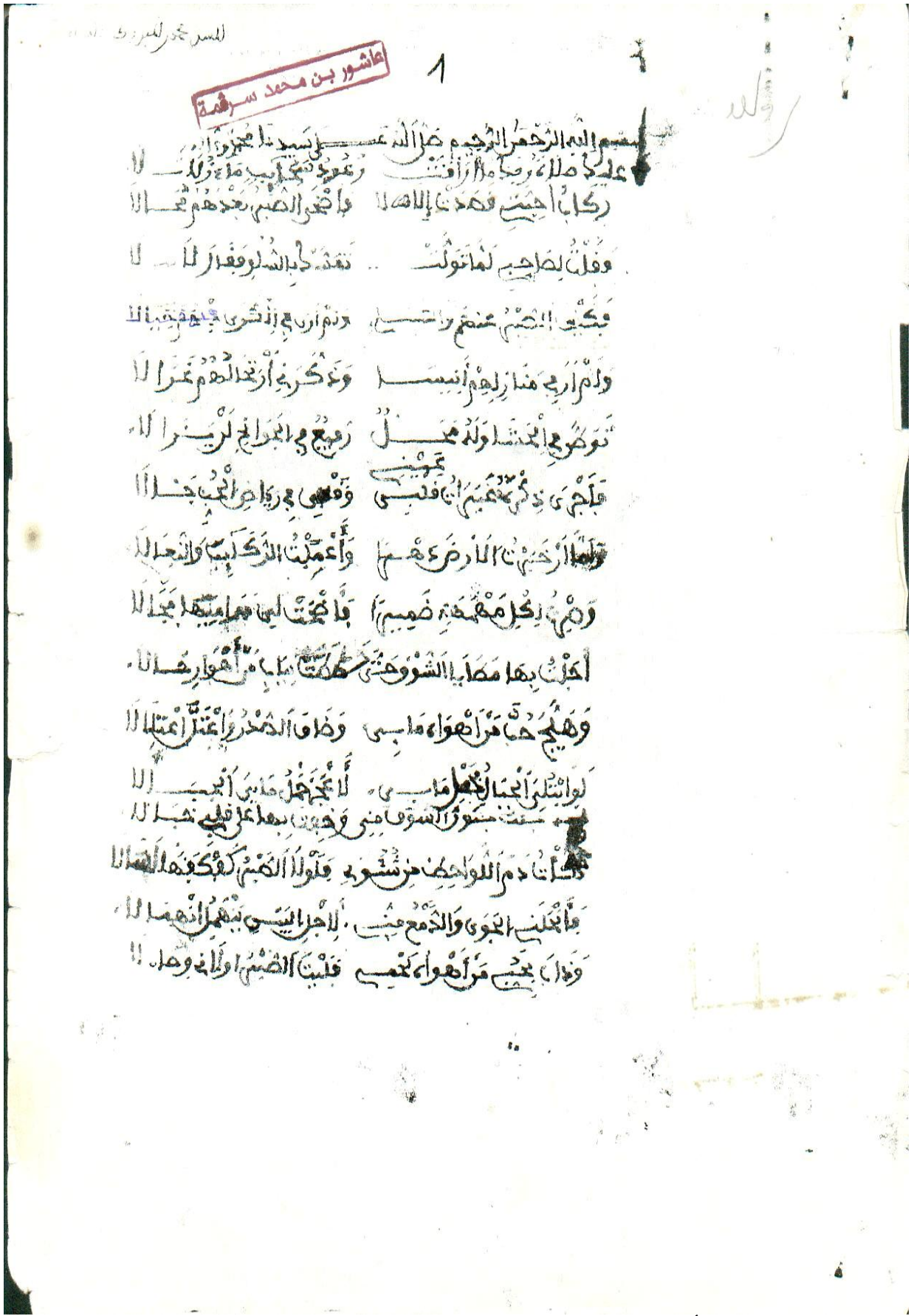

صورة رقم9 : الورقة الأولى من مخطوط قصيدة " عليك صلاة ربك ". مكتبة ابن الوليد الوليد، قصر باعبد الله، أدرار، الجزائر.

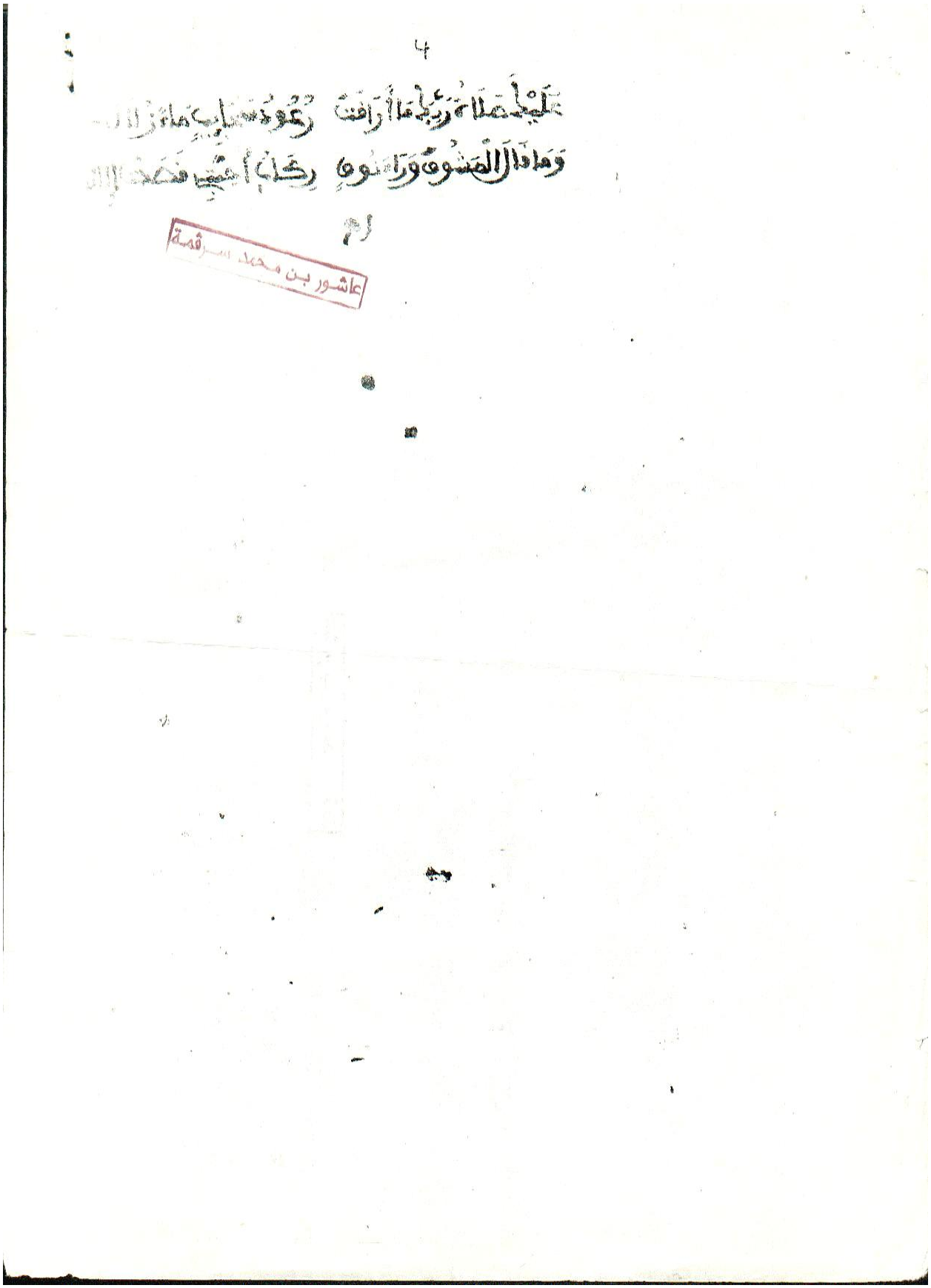

صورة رقم: 10 الورقة الأخيرة من مخطوط قصيدة " عليك صلاة ربك ". مكتبة ابن الوليد الوليد، قصر باعبد الله، أدرار، الجزائر.

قائمة المراجع

1. مخطوط قصائد الشاعر، مكتبة عائلة جعفري، زاوية سيدي حيدة، بودة ولاية أدرار، ورقة.

2. مخطوط قصيدة " الزيارة " لمحمد ابن بادي بن باي الكبير، مكتبة ابن الوليد الوليد، باعبد الله، ولاية أدرار.

3. فرج محمود فرج، إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1977.

4. مجلة جمعية الأبحاث والدراسات التاريخية لولاية أدرار، 2001.

5. بوعمران الشيخ وآخرون، معجم مشاهير المغاربة، جامعة الجزائر، 1995.

6. عبد العزيز بن عبد الله، الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية " معلمة المدن والقبائل "، ج2، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 1977.

7. محمد بن عمر بن محمد بن المبروك، نقل الرواة عن من أبدع قصور توات، مخطوط بخزانة بودة، أدرار.

8. أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى، الدار البيضاء، المغرب،1997م.

9. محمد بن عبد الكريم البكري، درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام، مخطوط بخزانة المطارفة، ولاية أدرار.

10. أحمد بن محمد الفيومي، المصباح المنير، ج1، ط4، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1921م.

11. يحيى بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، د. ت، د. ط.

12. ابن بطوطة، " رحلة النظار في عجائب الأسفار وغرائب الأمصار "، المكتب ة العصرية (صيدا) الدار النموذجية(بيروت)، 2005.

13. أبو محمد العياشي، رحلته المسماة بـ " ماء الموائد "، طبعة حجرية، دار الآفاق، 1898..

14. جاكوب أوليل" Les juifs au sahara – Le Touat au moyen age / cnrs histoire " . Paris 1994 "

15.إدوارد بلانك" Les routes septentrionale de l`Afrique au Soudan / societe de geographie Paris . 1890 ."

16.سرقمة عاشور، الشعر الشعبي الديني مع قراءة في شعر الشيخ سيدي محمد بن المبروك البودوي، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2008.

17.عبد الرحمان بن باعومر التنلاني، الدرة الفاخرة في ذكر المشائخ التواتية "، مخطوط بمكتبة ابن الوليد الوليد قصر باعبد الله أدرار.

18.أحمد جعفري، محمد بن ابَّ المزمري حياته وآثاره، دار الكتاب العربي، 2004.

19.بول مارتي، كنتة الشرقيون، تعريب وتعليق محمد محمود بن ودادي، مكتبة الخانجي مؤسسة منير، القاهرة. موريتانيا، 1989 م.

20.محمد ابن بادي، " العَيُّ المصروم على نظم ابن أبَّ لأجروم" ، مخطوط بمكتبة الشيخ باي بلعالم، آولف ولاية أدرار.

21.ابن منظور، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ج1.

22. Jean Dubois : dictionnaire de linguistique et des science du langage – Larousse Bordas – 1999-.

23.دومينيك مانقونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن، منشورات الاختلاف، ط1، 2005.

24.محمد عابد الجابري، الخطاب العربي المعاصر، دراسة تحليلية نقدية، دار الطليعة، بيروت، ط 3، ديسمبر 1988مـ.

25.كمال عمران، في تحديد مفهوم الخطاب (مقال)، المجلة العربية للثقافة، تصدر عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، السنة 14، ع 28، شوال 1415هـ، مارس 1995 مـ، ص: 62.

26.جوليا كريستيفا، علم النص، تر: فريد الزاهي، دار توبقال ، الدار البيضاء، ط1، 1991.

27.علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، القاهرة، ط1، 1997.

28. عدنان بن ذريل و عبد الله أبوهيف، النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، منشورات إ تحاد الكتاب العرب، دمشق، 2000.

29.محيي الدين ابن عربي، ذخائر الأعلاق شرح ترجمان الأشواق، علَّق عليه ووضع حواشيه: خليل عمران المنصور، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2000م.

30.أحمد غاني، مع مقاربات التصوف، وقفة مع المقاربة اللغوية المصطلحية (مقال)، مجلة الإشارة، ع/ 28.

31.أدونيس، الصوفية والسريالية، دار الساقي، لبنان، ط1، 1992، ص: 116.

32.الكتابة الصوفية واحتجاب المعنى، قراءة نقدية في ديوان " مجمع الأهواء " للشاعر أحمد العمراوي (مقال).

33.آمنة بلعلى، الحركية التواصلية في الخطاب الصوفي: من القرن الثالث إلى القرن السابع الهجريين، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001.

34.كمال أبوديب، جدلية الخفاء والتجلي: دراسات بنيوية في الشعر، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1984.

35.عبد الله الغذامي، الخطيئة والتكفير: من البنيوية إلى التشريحية، الهيئ ة المصرية العامة للكتاب، 2006.

36.عبد القادر أحمد عطا، التصوف الإسلامي بين الأصالة والاقتباس في عصر النابلس ، دار الجيل، بيروت، د.ت.

37.زكي مبارك، التصوف الإسلامي، ج1، المكتبة العصرية صيدا بيروت.

38.السراج الطوسي، اللمع في التصوف، تح: عبد الحليم محمود وآخر، القاهرة، 1960.

39.قاسم غني، تاريخ التصوف في الإسلام، تر: عن الفارسية صادق نشأت، القاهرة 1973م.

40.السهروردي، عوارف المعارف، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1999م.

41.زكي مبارك، التصوف الإسلامي، ج1، المطبعة العربية، صيدا بيروت.

42. N.G.C. Anamati et Louis gardet : mystique musulmane.

43.نيكلسون، الصوفية في الإسلام، ج 3، تر: نور الدين شريبة، مكتبة الخانجي، 1951.

44.عمر فروخ، تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون، دار العلم للملايين، بيروت.

45.محمد البهيلي النيال، الحقيقة التاريخية للتصوف الإسلامي، م. س، تونس النجاح.

46.أبو عبد الرحمن السلمي (- 412هـ)، طبقات الصوفية ويليه ذكر النسوة الصوفيات المتعبدات، تحقيق وتعليق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ - 2003م.

47.التليلي العجيلي ، الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي للبلاد التونسية ، شهادة تعمق في البحث، قدمت بكلية الآداب بجامعة تونـــس 1986-1987.

48.أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، المكتبة التجارية الكبرى بمصر، ج3، د.ت.

49.الشيخ ماء العينين، مبصر المتشوق على منتخب التصوف، طبعة فاس، 1314هـ.

50.الشيخ سيد المختار الكنتي، كشف اللبس، مخطوط بالمكتبة الوطنية بموريتانيا، تحت رقم: 15.12.

51. Xavier Coppolani : les conférenciers religieuses musulmane.

52. Gilbert durant : les structures anthropologiques de l‘imaginaire.

53.الخليل النحوي، بلاد شنقيط المنارة والرباط، المنظمة العربية للثقافة والعلوم ـ تونس، 1987.

54. levi provençal : « ZAWIYA » l’encyclopédie de l’islam, t IV 2 -1290

55. levi provençal : « TARIKA » l’encyclopédie de l’islam, t IV 2 1290

56.الشيخ سيد المختار الكنتي، الكوكب الوقاد، مخطوط بمكتبة أقبلي ـ ولاية أدرار.

57.الشريف علي بن محمد الجرجاني ، التعريفات ، طبعة البابي الحلبي؛ القاهرة، 1357هـ 1938 م.

58.أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، المكتبة التجارية الكبرى بمصر، د. ت، ج 4.

59.أبو طالب المكي، قوت القلوب في معاملة المحبوب عز وجل، ج 2، تح: عبد الحميد مدكور و عامر النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2005.

60.ابن الخطيب، التعريف بالحب الشريف، الدار البيضاء، ج2، د. ت.

61.أحمد زروق، قواعد التصوف، مكتبة الكليات الأزهرية، تصحيح: محمد زهري النجار، ط2، 1396هـ .1976م.

62.شكيب أرسلان، حاضر العالم الإسلامي، دار الفكر، بيروت، د. ت.

63.الشيخ محمد باي بلعالم، الرحلة العلية إلى منطقة توات، مطبعة دار هومة، 2005.

64.عبد القادر الجيلالي، الفيوضات الربانية في الآثار والأوراد القادرية، جمع وترتيب الحاج إسماعيل بن محمد سعيد القادري، مطبعة الباب الحلي، د. ت.

65.توات والأزواد خلال القرنين الثاني والثالث عشر للهجرة (الثامن عشر والتاسع عشر ميلادي) دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية ، رسالة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الحديث ، إعداد الطالب: محمد حوتيه ، إشراف: أ.د ناصر الدين سعيدوني ، جامعة الجزئر ، قسم التاريخ، 2003- 2004.

66.سيدي محمد العربي السائح الشرقي العمري التجاني ، بغية المستفيد لشرح منية المريد ، دار الجيل، بيروت، د. ت، د. ط.

67.أحمد الأزمي، الطريقة التيجانية في المغرب والسودان الغربي خلال القرن 19م، منشورات وزرة الاوقاف والشؤون الاسلامية، الرباط، 2000 م.

68.عبد الله طواهرية ، تذكرة الخلان في مناقب العلامة الشيخ سليمان أبي سماحة ، المطبعة العربية، غرداية، 2002.

69.أبو القاسم الحفناوي ، تعريف الخلف برجال السلف ، القسم الثاني ، مؤسسة الرسالة لبنان، المكتبة العتيقة تونس، ط2، 1405هـ/1985م.

70.القاضي الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، المكتبة العصرية. الدار النموذجية، د. ت.

71.محمد مفتاح، دينامية النص، المركز العربي، ط1، 1987.

72.جاك دريدا، الكتابة والاختلاف، تر: كاظم جهاد، دار توبقال، المغرب، ط1، 1988.

73.أحمد بن الحسن، الشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر الهجري، مخطوط أطروحة دكتوراه دوله، تونس، 1987.

74.حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح محمد الحبيب بن الخوجة، تونس، 1966.

75. Iouri Lotman : La structure du texte artistique.editions Gallimard. Paris. 1966.

76.ابن رشيق، العمدة، تح: محمد يحيى الدين عبد الحميد، ج1، دار الجيل، بيروت، لبنان.

77. Roman Jakobson : Essais de linguistiaue generale . Les editions de miniaits. 1973

78.أحمد بن الحسن، الشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر، مخطوط أطروحة دكتوراه دولة، تونس، 1987.

79.محمد الهادي الطرابلسي، خصائص الأسلوب في الشوقيات، منشورات الجامعة التونسية، 1981.

Jean Cohen. Structure du langage poétique. Paris. Flamarion. 1966..80

81.يوسف إسماعيل، بنية الإيقاع في الخطاب الشعري، قراءة تحليلية للقصيدة العربية في القرنين السابع والثامن الهجريين، منشورات وزارة الثقافة، دمشق سوريا، 2004.

82.أبو هلال العسكري، الصناعتين، تح: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1981.

83.ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار الرفاعي، الرياض، ط2، 1983، ج3.

84.صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2003.

85.عبد القادر فيدوح، دلائلية النص الأدبي، دراسة سيميائية للشعر الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، وهران، الجزائر، ط1، 1993.

86.الآمدي، الموازنة بين الطائيين، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، ط3.

87.ابن رشيق، العمدة، تح: محمد يحيى الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، لبنان، د. ت، ج2.

88.رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، دار القصبة للنشر.

J.Courtès. Analyse sémiotique du discours. Hachette. Paris. 1991..89

Group (U), rhétorique de la poésie , Editons complexe , copyright , .90 1977 , s.p.r.l. Bruxelles.

91.عبد الملك مرتاض، التحليل السيمائي للخطاب الشعري، تحليل مستوياتي لقصيدة " شناشيل ابنة الجلبي"، دار الكتاب العربي، الجزائر، أفريل 2001.

92.عنقاء مغرب في ختم الأولياء وشمس المغرب، طبعة مصر، 1954 م.

93.عبد الحكيم حسَّان، التصوف في الشعر العربي: نشأته وتطوره حتى آخرالقرن الثالث الهجري، مكتبة الآداب القاهرة، 2003.

94.عبد الوهاب الشعراني، الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، تح: طه عبد الباقي سرور والسيد محمد عبد الشافعي، مكتبة المعارف، بيروت، 1985.

95.علي زيعور، الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم، دار الطليعة بيروت، د. ت.

96.محمد رجب النجار، بردة البصيري، حوليات كلية الآداب، جامعة التكوين، 1993.

97.شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، ضبط الديوان وصححه :عبد الرحمن البرقوقي، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1996.

98.رولان بارط، درس السيميولوجيا، تر: عبد السلام بنعبد العالي، ط2، 1986.

99.محمد العماري، الصورة واللغة: مقاربة سيميوطيقية، (مقال)، مجلة " علامات، ع05،المغرب، 1996.

100. عبد الكريم شُرفي، من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، الدار العربية للعلوم ناشرون ومنشورات الاختلاف، ط1، 1428هـ. 2007م.

101. محمد فكري الجزار، العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998.

102. محمد الهادي الطرابلسي، شعر على شعر؛ معارضات شوقي بمنهج الأسلوبية المقارنة (مقال)، مجلة " فصول"، ج/4، أكتوبر 1982.

103. إبراهيم منصور محمد الياسين، استيحاء التراث في الشعر الأندلسي: عصر الطوائف والمرابطين 400- 539هـ، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، 2006.

104. جلال الدين القزويني، شرح التلخيص في علوم البلاغة، شرح: محمد هاشم دويدري، دار الجيل، بيروت، ط2، 1982.

105. محمد بن علي الجرجاني، الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، تعليق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2002.

106. موسى ربابعة، التناص في نماج من الشعر العربي الحديث، مؤسسة حمادة، إربد، ط 1، 2000.

107. أثر القرآن الكريم في الشعر الأندلسي: منذ الفتح وحتى سقوط الخلافة، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط1، 2002.

108. الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم، تح: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، ط2، 1968.

109. محمد الحسناوي، الفاصلة في القرآن، دار عَمَّان، عمَّان، ط2، 2000.

110. جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تح: عصام الحرستاني ومحمد أبو صعيليك، دار الجيل، بيروت، ط1، 1998، مج2.

111. أحمد أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ط2، 1953.

112. عبد الفتاح لاشين، الفاصلة القرآنية، دار المريخ، الرياض، 1982.

113. صلاح الدين عبد التواب، الصورة الأدبية في القرآن الكريم، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط2، 1995.

114. فيليب هامون، سيميولوجيا الشخصيات الروائية، تر: سعيد بنكراد، دار الكلام، الرباط، 1990.

115. أمين يوسف عودة، في أصل مصطلح التصوف ودلالته، (مقال) مجلة البحوث والدراسات الصوفية، تصدر عن المركز العلمي الصوفي بالعشيرة المحمدية بالقاهرة، ع1، شهر جمادى الآخرة 1424هـ - أغسطس 3003م.

116.ميهوب جعيرن، موضوعة (théme) الطلل في شعر عفيف الدين التلمساني الصوفي، مقال ، مجلة الآداب، تصدر عن قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة عمَّار ثليجي الأغواط ، ع03، ديسمبر 2004.

117. مختار حبَّار، شعر أبي مدين التلمساني الرؤيا والتشكيل ، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2002.

118. سرقمة عاشور، القصيدة الصوفية في منطقة توات، مقال، مجلة "حوليات التراث"، ع2، سبتمبر 2004، كلية الآداب والفنون، جامعة مستغانم.

119.عبد الرحمن بدوي، شطحات الصوفية، سلسلة دراسات إسلامية رقم 9، مكتبة النهضة، القاهرة.

120.محمد الخضري بك، نور اليقين في سيرة سيد المرسلين ، تح: محيي الدين الجراح ، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان.